
كتاب
البلبل الصادي
بمولد الهادي ﷺ
مولد الشيخ عبد القادر الجيلاني (قدس سره)
ويليه ١٦ مولد لأشهر المشايخ والعلماء
(٤٧٠ - ٥٦١ هـ)
(١٠٧٧ - ١١٦٦ م)
بحث وتحقيق
السيد الشريف الدكتور محمد فاضل جيلاني الحسني
الحسيني الجيلاني الجمزرقي
النورية الرضوية پبلشنگ کمپنی
لاهور باكستان

سلسلة كتب
السيد الشريف الشيخ عبد القادر الجيلاني

ينابيع آل البيت
الكرام (٤٠)

كتاب

البلبل الصادي
بمولد الهادي ﷺ

مولد الشيخ عبد القادر الجيلاني (قدس سره)
ويليه ١٦ مولد لأشهر المشايخ والعلماء
(٤٧٠ - ٥٦١ هـ)
(١٠٧٧ - ١١٦٦ م)

بحث وتحقيق
السيد الشريف الدكتور محمد فاضل جيلاني الحسني
الحسيني التيلاني الجمزرقي

النورية الرضوية ببلشنك كمبني
لاهور، پاكستان



بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الكتاب	البلبل الصادى بمولد الهادى ﷺ
بحث و تحقيق	السيد الشريف الدكتور محمد فاضل جيلاني الحسيني
الطبعة الاولى	١٤٣٨ھ محرم الحرام بمطابق نوفمبر ٢٠١٦ء
قداعتنى بطبعة	محمد مصطفٰى اشرف قادرى محمد مختار اشرف قادرى

السؤال لدعاء المغفرة

قد توفى السيد الحاج محفوظ احمد القادري المصطفوي مؤسس (النورية الرضوية)

فى صبح يوم الأربعاء ٢ الربيع الأخر ١٤٣٧

فالسؤال من اهل الاسلام ان يسألوله من الله تعالیٰ المغفرة والرحمة يوم القيامة وهو ارحم الراحمين

مركز الاويس، دربار ماركيت، لاهور ـ باكستان

٠٠٩٢.٤٢.٣٧٢٤٧٧٠٢

٠٠٩٢.٣٠٠.٨٥٣٩٩٧٢

٠٠٩٢.٣١٤.٤٩٧٩٧٩٢

النورية الرضوية پبلشنگ كمپنى

لاهور، پاکستان

الشكر والتقدير

أشكر الله عزوجل على توفيقه لي حيث قال تعالى:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾

[إبراهيم: ٧].

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير لكل من ساهم معنا في هذا العمل المبارك.

والله ولي التوفيق

إهـــــــداء

إلى جدي العالم الجليل العارف بالله السيد الشريف

الشيخ محمد صديق جيلاني الحسني التيلاني،

ووالدي العالم العلامة و البحر الفهامة

السيد الشريف الشيخ محمد فائق

جيلاني الحسني الجمزرقي

اللَذَيْنِ رَبَاني على العلم

والأدب والطريقة

وحب المعرفة.

وإلى والدتي

الفاضلة الكريمة.

اهدي ثواب

هذا العمل راجياً

من الله أن يجعله

ذخراً في الآخرة.

الباحث

السيد الشريف محمد فاضل جيلاني الحسني الحسيني، وكانت ولادتي بقرية جِمزَرقْ، سنة [١٩٥٤م / ١٣٧٥هـ] بمحافظة قُرتلان، ولاية إسعِرد في منطقة شرق تركيا، والمقيم حالياً في إسطنبول العامرة المحروسة.

نشأت في تربية جدي السيد الشريف العالم المُقتَدَى به، والقطب الكامل الشيخ محمد صديق جيلاني الحسني، ووالدي السيد الشريف العالم العلامة والبحر الفهامة الشيخ محمد فائق جيلاني الحسني.

وقد أخذني جدي إليه إلى قريته تيلان المعروفة والمشهورة بالسادات والأشراف الجيلانيين والعلماء حماها الله ورعاها وأنا في سن الثانية من عمري، وقد رباني إلى سن الثالثة عشرة، وكان يحبني كثيراً، وهو الذي أرسلني إلى المدينة المنورة، وبعد هذا السن رجعت إلى والدي في قريته جِمزَرق منبع العلماء، حفظها الله جل و علا وأكملت دراستي الشرعية والعلمية عنده، رحمة الله عليهم، وقدس الله أسرارهم العلية ونفعنا بأنفاسهم الطاهرة المرضية.

وبعدُ سافرت إلى المدينة المنورة وتشرفت بالإقامة فيها، حيث إني بدأت بالبحث عن كتب جدي الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله تعالى عنه، في عام ألف وتسعمئة وثمانية وسبعين بالمدينة المنورة وغيرها من المدن إلى سنة ألفين واثنتين ميلادية.

وبعد ذلك العام فرغت جميع أوقاتي للبحث عن كتب الشيخ رضي الله تعالى عنه وما زلت في البحث إلى يومنا هذا.

ولقد زرت حوالي ثمانين مكتبة رسمية وعشرات من المكتبات الخاصة في أكثر من خمس وعشرين دولة، وقد تكررت الزيارة إلى بعض هذه البلاد أكثر من عشرين مرة.

إلى أن حصلت على سبعة عشر كتاباً وست رسائل ومن ضمنها (تفسير الجيلاني) المبارك الذي لامثيل ولا نظير له في الدنيا عندي.

ومن تَطوَافي الكثير في المراكز العلمية المتعددة علمت أن أربعة عشر عنواناً من كتب الشيخ ﷺ مفقودة، وسأقوم بالبحث عنها في المكتبات العالمية حتى أصل إليها بإذن الله تعالى.

وفي النتيجة اغتبطت كثيراً، وشكرت الله سبحانه وتعالى شكراً جزيلاً حينما تبين لي أن عدد الأوراق التي حصلت عليها من مؤلفات جدي الشيخ الجيلاني رضي الله تعالى عنه تسعة آلاف وسبعمئة واثنتان وخمسون ورقة، عدا التفسير والعناوين المفقودة.

كل هذا أدى حتماً إلى إدخال السرور الكثير و الاعتزاز غير المتناهي في نفسي بجدي القطب الجيلاني رضي الله تعالى عنه.

ومن العجيب أنني عندما ذهبت إلى الفاتيكان للبحث عن مؤلفات الشيخ في مكتبتها المشهورة، وأثناء دخولي لدولة الفاتيكان سألني موظف الجوازات عن سبب زيارتي للمكتبة فأجابه صديقي الإيطالي الذي كان يرافقني؛ إنني أبحث عن كتب جدي الجيلاني؛ فقام الموظف احتراماً وقال: نعم نعم، فيلسوف الإسلام: عبد القادر الجيلاني.

وبعد دخولنا للمكتبة وجدت مكتوباً في الفهارس وبعض الكتب باللغة الإيطالية: (فيلسوف الإسلام)، وباللغة العربية: (شيخ الإسلام والمسلمين).

وهذان اللقبان لم أجدهما في مكتبات القارات الثلاث إلا هنا، وكذلك وجدت عبارةً في مكتبة الفاتيكان مكتوباً فيها: (وكان الشيخ ﷺ يتكلم في ثلاثة عشر علماً).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة و السلام على أكمل المرسلين سيد الأولين والآخرين الموصوف بالخلق العظيم وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين، وبعد:

إن الاحتفال بذكرى ولادة خاتم النبيين، والمبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد ﷺ من أفضل القربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه؛ لأن فيها تعظيم لشعائر الله والله تعالى يقول: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾(١) كما أن فيها فضل وخير كثير، ففيها نعطر أفواهنا ومجالسنا بكثرة الذكر والمديح والصلاة على سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم.

وقد اعتاد علماء هذه الأمة الاحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم بتقديم أشكال متعددة من القربات منها (الاجتماع على الذكر والمديح، وتقديم الصدقات، والصيام، وإطعام الطعام ....). إلا أن هذه العادة شاعت في القرن الرابع الهجري وأخذت صورة قريبةً من صورة الاحتفال في عصرنا هذا.

مشروعية هذا الفعل:

روى مسلم في صحيحه عن أبي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ «سُئِلَ عن صَوْمِهِ قال: فَغَضِبَ رسول اللهِ ﷺ فقال عُمَرُ ﷺ: رَضِينَا بِاللهِ رَبًّا

(١) انظر تفسير الجيلاني [الحج: ٣٢].

وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا وَبِبَيْعَتِنَا بَيْعَةً قال: فَسُئِلَ عن صِيَامِ الدَّهْرِ فقال: لَا صَامَ وَلا أَفْطَرَ أو ما صَامَ وما أَفْطَرَ قال: فَسُئِلَ عن صَوْمِ يَوْمَيْنِ وَإِفْطَارِ يَوْمٍ قال: وَمَنْ يُطِيقُ ذلك قال: وَسُئِلَ عن صَوْمِ يَوْمٍ وَإِفْطَارِ يَوْمَيْنِ قال: لَيْتَ أَنَّ الله قَوَّانَا لِذَلِكَ قال: وَسُئِلَ عن صَوْمِ يَوْمٍ وَإِفْطَارِ يَوْمٍ قال: ذَاكَ صَوْمُ أَخِي دَاوُدَ عليه السَّلَام قال: وَسُئِلَ عن صَوْمِ يَوْمِ الاِثْنَيْنِ قال: ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فيه وَيَوْمٌ بُعِثْتُ أو أُنْزِلَ عَلَيَّ فيه ....»[1] وروى البيهقي وغيره أن أعرابياً قال: يا رسول الله ما تقول في صوم يوم الإثنين فقال: «ذاك يوم ولدت فيه وأنزل علي فيه»[2] وقد رأى جمهور العلماء أن في فعله صلى الله عليه وسلم من صيام يوم الاثنين دلالة على مشروعية الاحتفال بمولده بالصُّوَرِ المشروعة (كالصيام، والصدقات، وإطعام الطعام، والذكر، وقراءة القرآن، والانشاد والمديح ....) وقد نص على ذلك جمع غفير من علماء الأمة الثقات من أمثال ابن كثير والحافظ ابن حجر و الإمام السيوطي وغيرهم رحمهم الله تعالى جميعاً.

وقد ذكر السيوطي في كتابه «حسن المقصد في عمل المولد» الذي ألفه في استحباب الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، قال رحمه الله تعالى بعد سؤال رفع إليه عن عمل المولد النبوي في شهر ربيع الأول ما حكمه من حيث الشرع، وهل هو محمود أو مذموم ، وهل يثاب فاعله ؟ قال: والجواب عندي أن أصل عمل المولد الذي هو اجتماع الناس وقراءة ما تيسر من القرآن، ورواية الأخبار الواردة في مبدإ أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما وقع في مولده من الآيات، ثم يمد لهم سماط يأكلونه وينصرفون من غير زيادة على ذلك هو من

---

(١) صحيح مسلم [٢/ ٨١٩/ رقم ١١٦٢ باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين و الخميس].

(٢) دلائل النبوة للبيهقي [١/ ٧٢باب بيان اليوم الذي ولد فيه رسول الله].

البدع الحسنة التي يثاب عليها صاحبها، لما فيه من تعظيم قدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف)[١].

وقد خرّج الحافظ ابن حجر للمولد أصلا شرعياً من حديث متفق عليه: عن بن عَبّاسٍ رضي الله عنه قال: لَمَّا قَدِمَ النبي ﷺ الْمَدِينَةَ وَجَدَ الْيَهُودَ يَصُومُونَ عَاشُورَاءَ فَسُئِلُوا عن ذلك فَقَالُوا: هذا الْيَوْمُ الذي أَظْفَرَ الله فيه مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ على فِرْعَوْنَ وَنَحْنُ نَصُومُهُ تَعْظِيمًا له فقال رسول اللهِ ﷺ: «نَحْنُ أَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ ثُمَّ أَمَرَ بِصَوْمِهِ»[٢].

قال الحافظ: فيستفاد منه فعل شكر الله على ما من به في يوم معين من إسداء نعمة أو دفع نقمة، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة، والشكر يحصل بأنواع العبادات كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة، وأي نعمة أعظم من نعمة بروز هذا النبي نبي الرحمة في ذلك اليوم. ويؤكد الحافظ ابن حجر على ما ينبغي أن يعمل في الاحتفال فيقول: فينبغي أن تقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى من نحو ما تقدم ذكره من التلاوة والإطعام وإنشاد شيء من المدائح النبوية والزهدية المحركة للقلوب إلى فعل الخير والعمل للآخرة وما كان مباحا بحيث يقتضي السرور بذلك اليوم لا بأس بإلحاقه به.

وذكر أن الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي قال في كتابه المسمى «مورد الصادي في مولد الهادي» قد صح أن أبا لهب يخفف عنه عذاب النار في مثل يوم الاثنين لإعتاقه ثويبة سرورا بميلاد النبي ﷺ ثم أنشد[٣]:

---

(١) انظر حواشي الشرواني [٧/ ٤٢٢].

(٢) الحديث متفق عليه واللفظ للبخاري. صحيح البخاري [٣/ ١٤٣٤/رقم٣٧٢٦ باب صيام يوم عاشوراء] وصحيح مسلم [٢/ ٧٩٦/ رقم١١٣٠ باب صوم يوم عاشوراء].

(٣) انظر حواشي الشرواني [٧/ ٤٢٣].

إذا كان هذا كافراً جاء ذمُّه وتبت يداه في الجحيم مخلَّداً
أتى أنه في يوم الاثنين دائماً يخفَّف عنه للسُّرور بأحمَداً
فما الظنُّ بالعبدِ الَّذي كان عُمْرَه بأحمدَ مسروراً ومات موحِّدَا

ومن فوائد هذه الاحتفالات أيضاً تجديد الشوق و المحبة لله ورسوله وقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما : عن أنسٍ أنَّ رَجُلًا من أهْلِ الْبَادِيَةِ أتى النبي ﷺ فقال: يا رَسُولَ اللهِ مَتَى السَّاعَةُ قَائِمَةٌ قال: «وَيْلَكَ وما أَعْدَدْتَ لها قال: ما أَعْدَدْتُ لها إلا أَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ قال: انك مع من أَحْبَبْتَ فَقُلْنَا: وَنَحْنُ كَذَلِكَ قال: نعم فَفَرِحْنَا يَوْمَئِذٍ فَرَحًا شَدِيدًا ...»[1].

فأسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن زاد شوقهم ومحبتهم له ولنبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم.

الدافع على هذا العمل:

من خلال تطوافي في المكتبات العالمية ـ خلال ما يزيد على الثلاثين عاماً ـ لم أجد عملاً جامعاً لموالد العلماء السابقين حتى أكرمني الله تعالى بمخطوط جمع صاحبه فيه سبعة عشر مولداً لكبار علماء المسلمين، وفي مقدمتهم مولد جدي القطب الرباني الشيخ عبد القادر الجيلاني؛ فاستعنت بالله تعالى على إخراج هذا العمل محققاً ومنظماً على الوجه اللائق، وقد جعلت

---

(١) حديث متفق عليه واللفظ للبخاري وزاد مسلم: قال أنسٌ: فما فَرِحْنَا بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَرَحًا أَشَدَّ من قَوْلِ النبي ﷺ «فَإِنَّكَ مع من أَحْبَبْتَ» قال: أَنَسٌ فَأَنَا أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ وَإِنْ لم أَعْمَلْ بِأَعْمَالِهِمْ. صحيح البخاري [٥/ ٢٢٨٢/ رقم٥٨١٥ باب ما جاء في قول الرجل ويلك] وصحيح مسلم [٤/ ٢٠٣٢/ رقم٢٦٣٩ باب المرء مع من أحب].

في مقدمته مولد الشيخ عبد القادر لقدمه وأهميته، ثم بقية الموالد على الترتيب المناسب. وقد احتسبت هذا العمل ذخراً لي وعربون محبةٍ لله و رسوله.

والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

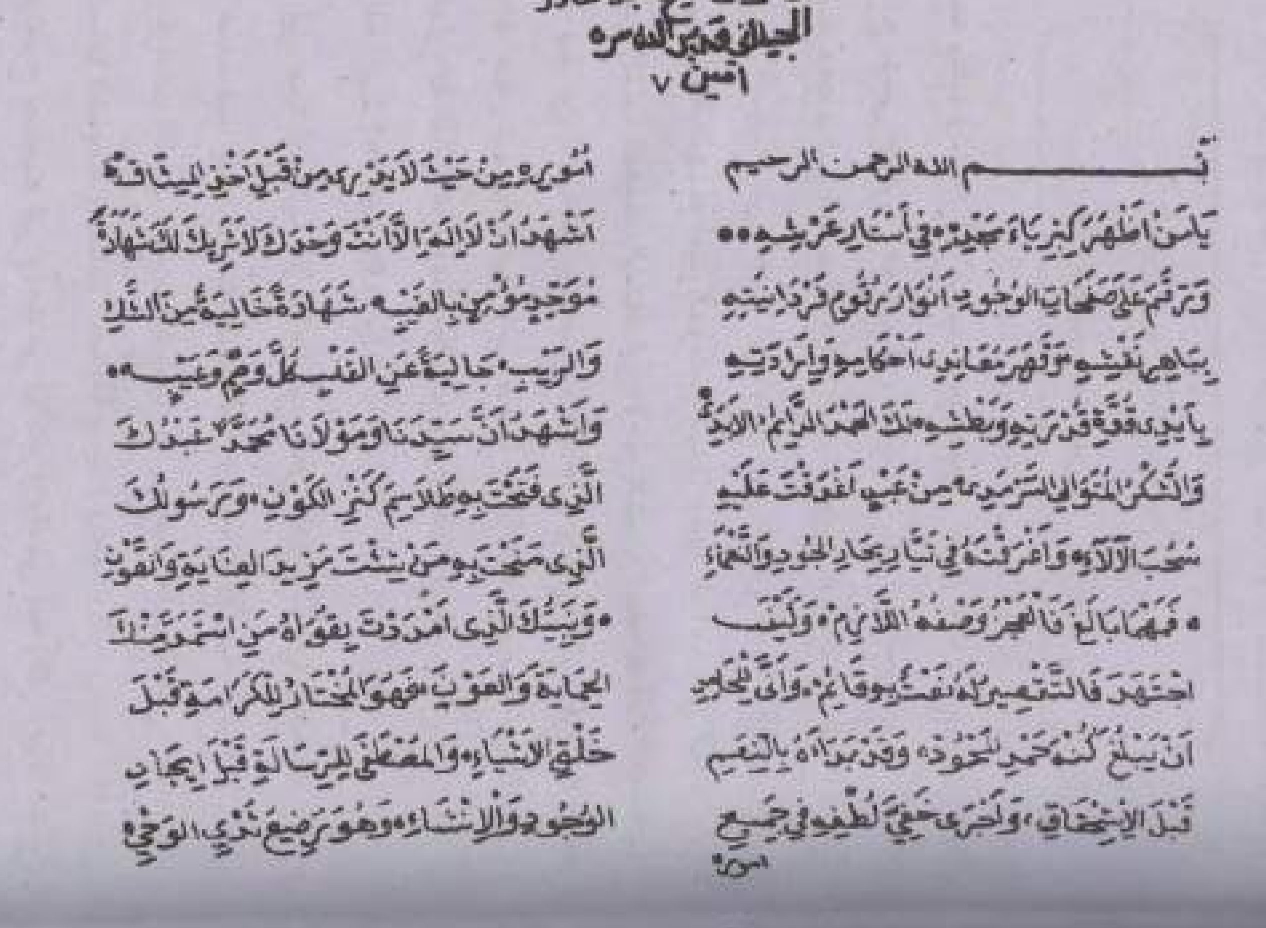
الخادم لكتب الجيلاني

السيد الشريف الدكتور محمد فاضل الجيلاني

دمشق – الشام الشريف

١ رمضان ١٤٣١ هـ

الموافق له ٢٠١٠/٨/٢٠ م



مولد الشيخ عبد القادر الجيلاني
هذا مولد الشيخ عبد القادر
الجيلاني قدس الله سره
آمين ٧

بسم الله الرحمن الرحيم
يا من أظهر كبرياء مجده في أستار عرشه ••
ورقم على صفحات الوجود أنوار توحيد فردانيته
بشواهد نفسه وتظهر معاني أحكامه وإرادته
بأيدي قدرته وبطشه فله الحمد الدائم الأبدي
والشكر المتوالي السرمدي من عبد لعرفت عليه
سحب الآلاء وأغرقته في تيار بحار الجود والنعماء
• فهما بالغ فالحمد وصفه اللائم • وكيف
احتوى فالتعبير له نفسه قائم • وأنى للحامد
أن يبلغ كنه حمد المحمود • وقد بداه بالنعم
قبل الاستحقاق • ولطف خفي لطفه في جميع
أموره

أموره من حيث لا يدري من قبل خلق البرية
أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك شهادة
موجبة من العذاب شهادة خالية من الشك
والريب • جانبة عن الفتن كل وهم وعيب ••
وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبدك
الذي فتحت به طلاسم كنز الكون • ورسولك
الذي صححت به من زينت من زين العناية والقوة
• ونبيك الذي أمددت بقوله من اسمه من لدن
الجناية والعون فهو المختار للكرامة وقبل
خلق الأشياء والمصطفى للرسالة قبل إيجاد
الوجود والإنشاء • وهو رضيع ثدي الوحي

ttps://t.me/kitabg ar

الشيخ عبد القادر الجيلاني
(قدس الله سره)

اسمه ولقبه ونسبه: أبو محمد السيد محيي الدين عبد القادر ابن السيد أبي صالح موسى جنكي[١] دوست ابن السيد عبد الله ابن السيد يحيى الزاهد ابن السيد محمد ابن السيد داود ابن السيد موسى ابن السيد عبد الله أبي المكارم ابن السيد موسى الجون ابن السيد عبد الله ابن السيد الحسن المثنى ابن السيد الإمام الهمام أمير المؤمنين سيدنا وسيد شباب أهل الجنة وقرة أعين أهل السنة الحسن السبط ابن الإمام الهمام أسد الله الغالب مظهر العجائب فخر بن غالب أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه وعنهم أجمعين وابن فاطمة الزهراء البتول بنت سيدنا ونبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم.

مولده: سنة [٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م]

ما قيل عنه: قال شيخ الإسلام الشيخ محي الدين النووي رحمه الله:

ما علمنا فيما بلغنا من الثقات الناقلين وكرامات الأولياء أكثر مما وصل إلينا من كرامات القطب شيخ بغداد محيي الدين عبد القادر الجيلي ﷺ، كان شيخ السادة الشافعية والسادة الحنابلة ببغداد وانتهت إليه رياسة العلم في وقته، وتخرج بصحبته غير واحد من الأكابر، وانتهى إليه أكثر أعيان مشايخ

(١) الذي يحب المعركة في سبيل الله.

العراق، وتتلمذ له خلق لا يحصون عدداً من أرباب المقامات الرفيعة، وانعقد عليه إجماع المشايخ والعلماء ﷺ بالتبجيل والإعظام، والرجوع إلى قوله والمصير إلى حكمه، وأهرع إليه أهل السلوك من كل فج عميق، وكان جميل الصفات شريف الأخلاق، كامل الأدب والمروءة، كثير التواضع، دائم البشر، وافر العلم والعقل، شديد الاقتفاء لكلام الشرع وأحكامه،معظّماً لأهل العلم، مُكرّماً لأرباب الدين والسنة، مبغضاً لأهل البدع والأهواء، محباً لمريدي الحق مع دوام المجاهدة ولزوم المراقبة إلى الموت، وكان له كلام عالٍ في علوم المعارف، شديد الغضب إذا انتهكت محارم الله سبحانه تعالى، سخي الكف،كريم النفس على أجمل طريقة، وبالجملة لم يكن في زمنه مثله ﷺ.

مصنفاته: (تفسير الجيلاني، بتحقيقنا) و(المختصر في علوم الدين، بتحقيقنا) و(حزب الرجاء والانتهاء للشيخ عبد القادر الجيلاني) و(دعاء البسملة) و(الغُنية لطالبي طريق الحق) و(الفتح الرباني والفيض الرحماني) و(فتوح الغيب) و(حزب عبد القادر الجيلاني) و(الدلائل القادرية) و(بشائر الخيرات) و(ورد الشيخ عبد القادر الجيلاني).

وفاته: سنة [٥٦١هـ/ ١١٦٥م]

من مصادر ترجمته:

كتاب نهر القادرية من تأليفنا (وهو أوسع كتاب تحدث عن حياة الشيخ قدس الله سره).

- الكامل لابن الأثير [١١/ ٩٢٣].
- البداية والنهاية لابن كثير [١٢/ ٢٧٠].

- سير أعلام النبلاء للذهبي [٢٠/ ٤٣٩].

- وهناك مايقرب من أربعين كتاب خاص بترجمة الشيخ بينا أسماء هذه الكتب في كتابنا نهر القادرية.

مولد الشيخ
عبد القادر الجيلاني
قدس الله سره (آمين)

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا مَنْ أظهَرَ كِبريَاءَ مَجدِهِ في أَسْتَارِ عَرْشِهِ، وَرَقَمَ على صَفحَاتِ الوجُودِ أنوَارَ رُقُوم فَردانيَتِهِ بِبَاهِرِ نَقشِهِ، وَقَهَرَ مُعَانِدِي أحكامِهِ وإرادَتِهِ بِأيدِي قُوةِ قدرَتِهِ وَبَطشِهِ، لك الحَمدُ الدَائِمُ الأبَدِيُّ، وَالشكرُ المُتَوَالي السَرمَدِي مِنْ عَبد أغدَقْتَ عَلَيهِ سُحُبَ الآلاءِ، وَأغرَقْتَهُ في تَيَارِ بِحَارِ الجُودِ وَالنعْمَاءِ، فَمَهمَا بَالَغَ فَالعَجْزُ وَصْفُهُ اللازِمُ، وَكَيْفَ اجْتَهَدَ فَالتقصِيرُ لَهُ نَعْتٌ بِهِ قَائِمٌ، وأنىَ لِلحَامِدِ أنْ يَبْلُغَ كُنْهَ حَمْدِ المَحمُودِ وَقَدْ بَدَاهُ بِالنِعَمِ قَبْلَ الِاستحقَاقِ، وَأجرَى خَفِيَ لُطفِهِ في جَمِيعِ أمُورِهِ مَنْ حَيثُ لا يَدْرِي مِنْ قَبْلِ أخذِ المِيثَاقِ، أشْهَدُ أن لا إلهَ إلا أنت وَحْدَكَ لا شَرِيكَ لَكَ، شَهَادَةَ مُوَحِد مُؤمِنٍ بِالغَيبِ، شَهَادَةً خَالِيَةً مِنَ الشَكِ وَالرَيْبِ، جَالِيَةً عَنِ القَلبِ كُل وَحم وَعَيب، وأشهَدُ أن سَيدَنَا وَمَولَانَا مُحَمداً عَبدُكَ الذِي فَتحتَ بِهِ طَلَاسِمَ[1] كَنزِ الكَونِ، وَرَسُولُكَ الذِي مَنَحتَ بِهِ

(١) طلسم: أطرق وعبس والساحر ونحوه كتب طلسما والشيء عمل له طلسما ومن كلام الصوفية سر مطلسم وحجاب مطلسم وذات مطلسم غامض، والطلسم: في علم السحر خطوط وأعداد يزعم كاتبها أنه يربط بها روحانيات الكواكب العلوية بالطبائع السفلية لجلب محبوب أو دفع أذى وهو لفظ يوناني لكل ما هو غامض مبهم كالألغاز والأحاجي والشائع على الألسنة طلسم كجعفر ويقال فك طلسمه أو طلاسمه وضحه وفسره (م) =

مَنْ شِئْتَ مَزِيدَ العِنَايَةِ وَالصَّونِ، وَنَبِيُّكَ الَّذِي أَمَدَّتْ بِقُوَاهُ مَنِ اسْتَمَدَّ مِنْكَ الحِمَايَةَ وَالعَونَ، فَهُوَ المُخْتَارُ لِلْكَرَامَةِ قَبْلَ خَلْقِ الأشياء، وَالمُصْطَفَى لِلرِّسَالَةِ قَبْلَ إيجاد الوُجُودِ والإنشاء، وَهُوَ رَضِيعُ ثَدْيِ الوَحْيِ وَحَامِلُ سِرِ الأزل، وَحافِظُ وَدَائِعِ الغَيْبِ، وَرَافِعُ لِوَاءِ الحَمْدِ، وَعَاقِدُ رَايَةِ المَجْدِ، وَشَاهِدُ أَحْكَامِ القَدَرِ، وَمُشَاهِدُ أَنْوَارِ التعيُّنَاتِ الأُولِ حَاكِمُ العدالة وَمَظْهَرُ الرِسَالَةِ، مِيزَانُ العَدْلِ وَلِسَانُ الفَضْلِ، وَمَشْرَعُ الكَرَمِ، وَمَعْدِنُ الحِكَمِ، وَمَقَرُّ النِعَمِ، حَاكِمُ الشَرْعِ، وَشَارِعُ الأَحْكَامِ وَمَالِكُ الأَمْرِ، وَمَلِكُ الأنام، مُرِيشُ جَنَاحِ النَّجَاحِ لِلطَائِرِ في طَلَبِ الفَلاحِ، انفَرَدَ في عِزِ سُلْطَانِهِ وَتَوَحَّدَ في سَلْطَنَةِ عِزَّتِه، فَانقَادَتْ مُلُوكُ الحُكْمِ طَائِعَةً لِهَيْبَةِ جَلَالِهِ، وَدَانَتْ مَمَالِكُ الأَحْكَامِ خَاشِعَةً لِتَعْظِيمِ إِجْلَالِهِ، وَحَامَتْ أطيارُ البَلَاغَةِ حَوْلَ حِمَاهُ، وَرَضَعَتْ أطفال العُلُومِ ثَديَ هُدَاه، وَمحَقَ بِسَيْفِ سَطْوَتِهِ مَنْ خَالَفَهُ وَعَادَاه، وَحَمَى بِحُسَامِ عَزْمِهِ مَنِ اعْتَصَمَ بِحَبْلِ حِمَايَتِهِ، وَرَعَى مَنِ التَزَمَ بَابَهُ العَالِي بِمَزِيدِ رِعَايَتِهِ وَكَلأَ مَنْ أَمَّ حَضرَتَهُ السَامِيَةَ بسامي كَلَاءَتِهِ فَعَلَيْهِ مَدَارُ أمر الدَّارَيْنِ، وَبِأَسْبَابِهِ أُنِيطَتْ مَنَازِلُ الكَوْنَيْنِ، فَمَنَازِلُ الزُلْفَى لَا يَسْكُنُهَا إلا المُتَشَبِثُونَ بِأَذْيَال شَرِيعَتِهِ، وَمَقَامَاتُ القُرْبَى لَا يَجْلِسُ فِيهَا إلا المُسْتَأْنِسُونَ بِأَنْوَارِ هَدْيِهِ وَمِلَّتِهِ، الحَوَاسُّ كُلُّهَا مَأسُورَةٌ لِجَمَالِهِ، والألسن خَرِسَتْ عَنْ مُنَاجَاتِ سِوَاه وَالآذَانُ صُمٌّ عَنْ سَمَاعِ كَلَامِ غَيرِهِ وَالنَّوَاظِرُ عُمْيٌ عَنْ مُلَاحَظَةِ مَنْ دُونَهُ، فَعَنْهُ وإلا فَالمُحَدِّثُ كَاذِبٌ. وإِلَيْهِ وإلا لا تُشَدُّ الرَّكَائِبُ؛ لَمَّا ضُرِبَتْ في المَلَكُوتِ الأعلى نَوْبَةُ إِنِّي جَاعِلٌ في الأَرْضِ خَلِيفَةً[1] وَتَلألأَتْ فِي العُلَى أَنْوَارُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي، وَنُشِرَتْ

= طلاسم. المعجم الوسيط [٢/ ٥٦٢ مادة: طلسم].

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠]. انظر تفسير الجيلاني.

فِي السَّمَاءِ أَعْلَامُ فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ[١]، وَأَشْرَقَتْ فِي عَالَمِ الضِّيَاءِ أَشِعَّةُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى[٢]، وَأَبْرَزَتْ يَدُ الْقُدْرَةِ شَخْصَ آدم الْمُصْطَفَى مِنْ كُنْ كُنْ[٣] إِلَى بُنْيَةِ تَسْوِيَةِ الْهَيْكَلِ جَالِساً عَلَى سَرِيرِ جَلَالَتِهِ مُتَوَّجاً بِتَاجِ كَرَامَتِهِ، نَظَرَتْ إِلَيْهِ سُكَّانُ الصَّفِيحِ الأَعْلَى بِأَحْدَاقِ الدَّهَشِ الأَجْلَى، وَأَشَادَتْ إِلَيْهِ أَيْدِي مَلَائِكَةِ السُّرَادِقِ[٤] الأَسْنَى بِأَنَامِلِ التَّعَجُّبِ الْحُسْنَى وَلَمْ يَتَبَيَّنْ لَهُمْ مَعَانِي رُمُوزِ كِتَابَةِ صُورَتِهِ، وَلَمْ يَفْهَمُوا إِشَارَاتِ حَقَائِقِ كُنْهِ بَشَرِيَّتِهِ، وَانْقَطَعَتْ عِبَارَاتُ فَصَاحَتِهِمْ عَنْ فَهْمِ كَنْزِ سِرِّهِ، وَعَكَسَ الْقَدَرُ عَلَيْهِمْ دَعْوَى مَنْزِلَةِ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ[٥] بِاعْتِرَافِ شَاهِدِ لَا عِلْمَ لَنَا[٦] نَادَاهُمْ لِسَانُ الْعِزَّةِ مِنْ جَنَابِ الْقَدِيمِ: يَا أَرْبَابَ صَوَامِعِ النُّورِ هَذَا أَوَّلُ نُقْطَةٍ قَطَرَتْ مِنْ رَأْسِ قَلَمِ الْقُدْرَةِ عَلَى لَوْحِ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ الإِنْسَانِي عَنِ اسْتِمْدَادِ مِدَادِ إِرَادَةِ الأَزَلِ، وأول سَهْمٍ رُشِقَ عَنْ قَوْسِ الْقَضَاءِ الأَزَلِي إِلَى الْقَضَاءِ الْوُجُودِي عَنْ قُوَّةِ رَأْيِ الْقَدَرِ الأَحَدِي، وَأَوَّلُ طَوَالِعِ الصُّوَرِ مُقَدَّمَةً بَيْنَ يَدَيْ عَسَاكِرِ الْبَشَرِ هَذَا أَبُو الأَنْبِيَاءِ وَعُنْصُر

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الحجر: ٢٩] انظر تفسير الجيلاني.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [آل عمران: ٣٣] انظر تفسير الجيلاني.

(٣) أي أخرجه من العدم المادي إلى عالم الظهور بقوله تبارك وتعالى: ﴿كُن﴾.

(٤) السرادق: كل ما أحاط بشيء نحو الشقة في المضرب أو الحائط المشتمل على الشيء. لسان العرب [١٠/ ١٥٧ مادة: سردق].

(٥) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠] انظر تفسير الجيلاني.

(٦) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة: ٣٢] انظر تفسير الجيلاني.

الأصفياءِ، هَذَا شَكْلٌ على حُرُوفِ الإنْشَاءِ، وَنَقْطٌ على كَلِمَاتِ الكَوْنِ، وإنسان[1].

عَيْنِ شَخْصِ العَالَمِ، نَهَضَ لِيَرقَى في مَقَامِ التَعَالي عَنْ عنْصَرِ الصَلصَالِ فَاراً مِنْ تَلَهُّبِ الفُجارِ، فَتَعلَّقَتْ بِذَيْلِ فَخْرِهِ يَدُ حَمَإٍ مَسْنُونٍ[2] وَتَمَسَّكَتْ بِإرَادَةِ عِزِهِ أنَامِلُ سُلالَةَ مِنْ طِين[3]، فَقَالَ القَدَرُ: دعوةُ فَبِجَنَاحِ إصطِفَائِنَا مَطَارُهُ، وبإضافةِ آياتِنَا فَخَارُهُ، فَلَيْسَ المُفَضَّلُ إلا مَنِ اجْتَبَيْنَاهُ، وَلا المُكَرَّمُ إلا مَنِ احتَرْنَاهُ، وَكَانَ الشَخْصُ المُحَمَّدِي وَالنُورُ الأحْمَدي مَلَكوتِيّ الآيَاتِ غَيْبِيّ الإشَارَاتِ قَدْ شَرَّفَ مَنْ قَبْلَهُ بِخَصَائِصِ الكَرَمِ حَتى صَارَ سَبَباً لِخُرُوجِهِ مِنَ القِدَمِ فَبِشَرَفِ المُصْطَفَى أقَامَ عَمُودَ خَيْمَةِ الكَوْنِ الكُلي، وَبِجَلالِهِ انْتَظَمَ نمطُ الوُجُودَ العُلوِي وَالسُفْلِي، وَهُوَ سِرُ كَلِمَةِ كِتَابِ المُلْكِ، وَمَعْنَى حَرْفِ فِعْلِ الخَلْقِ، وَقَلَمُ كَاتِبِ إنْشَاءِ المُحْدَثَاتِ، وإنْسَانُ عَيْنِ العَالَمْ وَاسِطَةُ عِقْدِ النُبُوة، وَدُرَةُ تَاجِ الرِسَالَةِ، وَقَائِدُ رَكْبِ النَبِيينَ وَمُقَدَمَةُ عَسْكَرِ المُرْسَلِينَ[4]، وَإمَامُ أهْلِ الحَضْرَةِ، فَهُوَ أوْلَى في النَسَبِ إذْ هُوَ الأبُ الأكْبَرُ لأهْلِ الوُجُودِ[5] وَالأصْلُ

---

(١) إنسان العين ناظرها والإنسان الأنملة أيضاً. لسان العرب [٦/ ١٣ مادة: أنس].

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٖ مِّنْ حَمَإٖ مَّسْنُونٖ ﴿٢٦﴾﴾ [الحجر: ٢٦] انظر تفسير الجيلاني.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾﴾ [المؤمنون: ١٢] انظر تفسير الجيلاني.

(٤) جزء من حديث طويل أوله: قال خَطَبَنَا ابن عبَّاسٍ على مِنْبَرِ الْبَصْرَةِ فقال: قال رسول الله ﷺ: «إنه لم يَكُنْ نبي إِلّا له دَعْوَةٌ قد تَنَجَّزَهَا في الدُّنْيَا وإني قد اخْتَبَأْتُ دعوتي شَفَاعَةً لأمتي وأنا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يوم الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ وأنا أَوَّلُ من تَنْشَقُّ عنه الأَرْضُ وَلَا فَخْرَ وبيدي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لوائي وَلَا فَخْرَ»... انظر مسند الإمام أحمد [١/ ٢٨١ رقم ٢٥٤٦].

(٥) المقصود أنه ﷺ الأب الروحي لبني البشر، كما أن آدم ﷺ هو الأب المادي لبني البشر.

الأفخرُ في إيجادِ كُلِ مَوْجُود. تَأدَّى نُورُهُ إلى آدم وَمِنْهُ إلى خِيَارِ الذُّرِيَّةِ مِنْ هَذَا العَالَمِ يَنْتَقِلُ مِنْ صُلْبٍ طَيِّبٍ إلىَ رَحِمٍ طَاهِرٍ إلىَ جَدِهِ عَبْدِ المُطَلِبِ[١] وَبِبَرَكَتِهِ تَطَهَّرَ هَذَا النَسَبُ مِنْ كُلِ شَيْءٍ، وَتَزَكَّى مِنْ كُلِ قُبْحٍ وَمَيْنٍ[٢] إلىَ أنْ بَزَغَتْ شَمْسُه ألبَاهِرَةُ فَكَانَ شَرَفاً لِأهْلِ الدُنْيَا وَالآخِرَةِ بُعِثَ بِالنَامُوسِ الأكْبَر[٣] مُؤَيَداً بِالدِّرْعِ وَالمِغْفَرِ وَقَامَ يَدْعُو إلىَ اللَهِ عَلَى بَصِيرَةٍ[٤] فَطَوَّعَ اللهُ لَهُ كَبِيرَ العَالَمِ وَصَغِيرَه، وَقَامَتْ بِقِيَامِهِ أشْخَاصُ الآيَاتِ وَظَهَرتْ بِظُهُورِه مَخَبآتُ المُعْجِزَاتِ، بُعِثَ في عُنْصُرِ الفُصَحَاءِ فَأخْرَسَ بِفَصَاحَتِهِ بَلِيغَ ألسِنَتِهِمْ، وَسَجَدَتْ لِعزَةِ إشَارَتِهِ رؤوسُ عُقُولِ مَعَارِفِهِمْ، وَبَرَزَ لِجُمُوعِهِمْ في مَوَاكِبِ جحافِلِهِمْ، فَأعْجَزَ الفُصَحَاءَ بِقُلْ لَوِ اجْتَمَعَتِ الإنْسُ وَالجِنُ[٥] فَكُسِفَتْ شُمُوسُ أفْهَامِهِمْ في جَامِعِ كَلِمِه، وَخَسَفَتْ بُدُورُ أفْكَارِهِمْ في لَوَامِعِ حِكَمِهِ، أتَاهُ الرُّوحُ الأمِينِ مِنْ عِنْدِ رَبِ العَالمِينَ وَحَمَلَهُ عَلى جَنَاحِ البُرَاق، وَخَرَقَ بِهِ السَبْعَ الطِبَاق لِمُشَاهَدَةِ جَمَالِ الجَلاَلِ الأزَلِي، ومُحَاضَرَةِ كَمَالِ العِزِ الأبَدِي وَاللَيْلُ مَحْدُودُ الروَاق

---

(١) إشارة إلى حديث علي بن أبي طالب أنَّ النبي ﷺ، قال: «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي، لم يصبني من سفاح الجاهلية شيء». أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، ذكر شرف أصل رسول الله ونسبه [١/ ١٧٤]. وانظر: كنز العمال [١١/ ١٨١].

(٢) المين: الكذب وجمع المين ميون ومان يمين ميناً كذب فهو مائن أي كاذب ورجل ميون وميان كذاب وود فلان متماين وفلان متماين الود إذا كان غير صادق الخلة. لسان العرب [١٣/ ٤٢٥ مادة: مين].

(٣) هو جبريل ﷺ.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨] انظر تفسير الجيلاني.

(٥) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨] انظر تفسير الجيلاني.

مَضْرُوبُ السُّرَادِقِ عَلَى الآفَاقِ، وَالوَقْتُ قَدْ صَارَ أَعْبَقَ مِنْ نَسِيمِ رَوْضِ الزَّهَرِ وَأَشْرَقَ مِنْ نُورِ الفَجْرِ بَعْدَ السَّحَرِ، طُوِيَ لَهُ بِسَاطُ البَسْطِ بِلَيْلَةِ أَسْرَى بِعَبْدِهِ، وَالْتَفَتْ لَهُ أَطْرَافُ الفَضَاءِ بِأَمْرِ أَتونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي، وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ مَعَالِمُ السَّمَاءِ وَمَلَكُوتُ العُلَى فِي حُلَةِ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا[1]، وَزُفَّتْ عَلَيْهِ مُخَدَّرَاتُ أَبْنَاءِ الكَوْنَيْنِ وَأَسْرَارُ المَلَكَيْنِ وَأُمورُ الدَّارَيْنِ وَعُلُومُ الثَّقَلَيْنِ فِي مَجْلِسِ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَى[2]، وَأَتَتْهُ رُؤَسَاءُ الرُّسُلِ مُسَلِّمَةً عَلَيْهِ وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى[3]، وَقَدْ كَانَتْ أُمِرَتْ أُمَرَاؤُهُمْ أَنْ تَجْلِسَ عَلَى أَبْوَابِ السَّمَوَاتِ تَتَرَقَّبُ وُفُودَهُ عَلَيْهِمْ، وَأَقْبَلَتْ مُلُوكُ الأَمْلَاكِ تَسْعَى حُجَّاباً بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى سِدْرَةِ مُنْتَهَى مَقَامِهِمْ، وَقَدْ كَانَتْ سَأَلَتْ سَادَاتُهُمْ أَنْ تُمَتِّعَ أَبْصَارَهُمْ وَتُسِرَّ سَرَائِرَهُمْ بِمُشَاهَدَةِ طَلْعَتِهِ وَمُلَاحَظَةِ بَهْجَتِهِ، فَغَشِيَ سِدْرَةَ مُنْتَهَى عُقُولِهِمْ وَغَايَةَ عُلُومِهِمْ مِنْ أَنْوَارِهَا بَهَايَةُ مَا غَشِيَ أَبْوَابَ السَّمَاءِ مِنْ إِشْرَاقِ ضِيَائِهِ، فَبُهِتَتْ لِجَلَالِهِ أَحْدَاقُ أَشْبَاحِ النُّورِ وَدَهِشَتْ (أَيْ تَحَيَّرَتْ) لِجَمَالِهِ أَبْصَارُ سُكَّانِ الصَّفِيحِ الأَعْلَى، وَخَشَعَتْ لِهَيْبَتِهِ أَعْنَاقُ أَهْلِ السُّرَادِقِ الأَسْنَى، وَخَضَعَتْ لِعِزَّتِهِ أَصْحَابُ صَوَامِعِ النُّورِ وَشَخَصَتْ لِكَمَالِ مَجْدِهِ أَعْيُنُ الكَرُوبِيِّينَ[4] والرُّوحَانِيِّينَ، وَوَقَفَتِ المَلَائِكَةُ

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾ [الإسراء: ١] انظر تفسير الجيلاني.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾ [النجم: ١٤ ـ ١٨] انظر تفسير الجيلاني.

(٣) إشارة إلى الإسراء والمعراج ومروره ﷺ بالأنبياء في السماء بعد أن صلى بهم في الأرض داخل بيت المقدس.

(٤) عن عبد الله بن عمرو قال: إن الله ﷻ جزأ الخلق عشرة أجزاء فجعل تسعة أجزاء للملائكة وجزءاً لسائر الخلق الملائكة عشرة أجزاء فتسعة أجزاء الكروبيون الذين يسبحون الليل =

صُفُوفاً مِنَ المُقَرَّبِينَ، وَابْتَهَجَتْ حَضَائِرُ القُدْسِ بِزَجَلِ المُسَبِّحِينَ، وَتَبَرَّجَتْ مَعَالِمُ التَّنْزِيهِ بِأَنْفَاسِ المُتَوَاجِدِينَ وَاهْتَزَّ العَرْشُ وَالكُرْسِيُّ طَرَباً بِرُؤْيَتِهِ وَزُيِّنَتِ الجِنَانُ الحِسَانُ فَرَحاً بِمَقْدَمِهِ، وَمَاجَ الكَوْنُ بِأَهْلِهِ مِنْ إِعْجَابِهِ وَزَهْوِهِ وَافْتَخَرَ العُلَى عَلَى الثَّرَى بِمَا رَأَى، وَأَشْرَقَ إِيوَانُ السَّمَاءِ بِالأَضواء وَسَمَا كِيوَانُ العُلَى بِالسَّنَاءِ، وَانْكَشَفَتْ لِعَيْنِ المُخْتَارِ الأَسْرَارُ، وَرُفِعَتْ لِصَاحِبِ الأَنْوَارِ الأَسْتَارُ، وَتَقَدَّمَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ إِلىَ دَائِرَةِ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ[1] وَقَالَ لَهُ: يَا أَيُّهَا الحَبِيبُ تَهَيَّأْ لِتَلَقِّي اللهَ وَحْدَكَ خَالِياً، وَزَجَّهُ فِي النُّورِ، وَتَأَخَّرَ عَنْهُ وَعِنْدَ التَّنَاهِي بِقَصْرِ المُتَطَاوِلِ، فَوَقَفَتْ أَشْخَاصُ الأَنْبِيَاءِ فِي حَرَمِ الحُرْمَةِ عَلَى أَقْدَامِ الخِدْمَةِ، وَقَامَتْ أَشْبَاحُ المَلَائِكَةِ فِي مَعَارِجِ الجَلَالِ عَلَى أَرْجُلِ الإِجْلَالِ، وَهَامَتْ أَرْوَاحُ العُشَّاقِ فِي مَقَامَاتِ الأَشْوَاقِ، لَعَلَّهَا تَرَاهُ فِي رُجْعَاهُ لِتَنْشَقَ مِنْ مُحَيَّاهُ نَسِيمَ مَنْ تَهْوَاهُ، فَانْتَهَى مَسْرَاهُ إِلى مُسْتَوَى يَسْمَعُ فِيهِ صَرِيرَ أَقْلَامِ أَعْلَامِ الوَحْيِ عَلَى صَفَحَاتِ اللَّوْحِ الأَعْظَمِ[2]، وَسَارَ عَلَى رَفْرَفِ النُّورِ إِلىَ الأُفُقِ الأَعْلَى، وَطَارَ بِجَنَاحِ الأَشْوَاقِ إِلىَ مَقَامِ دَنَا فَتَدَلَّى، وَأَنْزَلَهُ مُضِيفُ الكَرَمِ فِي رَوْضَةِ قَابِ قَوْسَيْنِ وَبَسَطَ لَهُ فِرَاشَ الدُّنُوِّ فِرَاشَ أَوْ أَدْنَى، سَمِعَ مِنْ جَنَابِ الرَّفِيعِ الأَعْلَى السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، تَلَقَّاهُ الحَبِيبُ

= والنهار لا يفترون وجزء واحد الذين وكلوا بخزائن كل شيء الجن والإنس عشرة أجزاء فتسعة أجزاء الجن وجزء واحد الإنس فإذا ولد ولد من الإنس ولد معه تسعة أجزاء من الجن والإنس عشرة أجزاء فتسعة أجزاء يأجوج ومأجوج وجزء واحد سائر الناس وما في السماء موضع إهاب إلا عليه ملك ساجد وقائم وإن الحرم محرم ما يحياله إلى العرش وإن البيت المعمور بحيال البيت لو سقط سقط عليه يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا) كنز العمال [٦/ ٧٠/ رقم ١٥٢٥٣].

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ [الصافات: ١٦٤] انظر تفسير الجيلاني.

(٢) كناية عن اللوح المحفوظ.

بالإكرام وناداه الجليل بالسلام وبسط منقبض روعته، وآنس منزعج وحشته، فرعى مخاطبات فأوحى إلى عبده ما أوحى. كوشف بعيان ولقد رآه نزلة أخرى[١] هم أن يجيب السلام، سبقه القدر منفتح فاه فقطرت فيه قطرة من بحر العلم الأزلي، فعلم بها علم الأولين والآخرين وقال لسان خلقه العظيم وجوده القميم[٢]: هذه حضرة الكرم وعرصة النعم ومعدن الرحمة وجناب الفضل وبساط الفتوة ومنبع الخيرات، ولا يليق في شرع المكارم التخصص على الإخوان ولا يحسن في حكم الموافقات ترك مواساة الأحباب، فعطف بعواطف مراحمه، وأثنى عليهم بمعاطف بره، وجعل لهم نصيباً من شرف منزلته، وبركة من صالح دعواته، وذكرهم حيث ينسى الذاكر نفسه، ولم ينسهم في مقام انفراده بالفرد ومناجاته للرب فقال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فناداه الحبيب: يا سيد السادات، وإمام أهل الكرامات لك الجلالة أولاً وآخراً والمفاخر باطناً وظاهراً وكل المروءة والوفا والفتوة والصفا، ألم نشرح لك صدرك ألم نضع عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ألم نرفع لك ذكرك ألم نشرفك في الأزل على جميع الرسل ألم نرسلك إلى الأحمر والأسود،[٣] ألم نؤثل[٤] لك في عليين المجد الأمجد، ألم نجعل

---

(١) جميع ما سبق إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ۝ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ۝ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ۝ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ۝ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ۝ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ۝ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ۝ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ۝ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ۝ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ۝ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: ٧ ـ ١٨] انظر تفسير الجيلاني.

(٢) تقممها ارتقى فيها حتى يبلغ رأسها وقمة كل شيء أعلاه ووسطه وتقميم النجم أن يتوسط السماء فتراه على قمة الرأس. لسان العرب [١٢/ ٤٩٤ مادة: قمم].

(٣) انظر المستدرك على الصحيحين [٢/ ٥٧٣/ رقم ٣٩٤٤].و مجمع الزوائد [١/ ٦٧ باب في الإسراء].
ودلائل النبوة [٢/ ٤٠٢]. وتفسير الطبري [٢٧/ ٤٨]. والسيرة الحلبية [١/ ٤١٨].

(٤) أثل ملكه: عظمه وتأثل هو عظم وكل شيء قديم مؤصل أثيل ومؤثل. لسان العرب [١١/ =

عِيسَى مُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِهِ اِسْمُهُ أَحْمَد ذَاكَ يَقُولُ رَبِّ اِشْرَحْ لِي صَدْرِي،[1] وَأَنْتَ يُقَالُ لَكَ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ[2]، ذَاكَ يَقُولُ رَبِّ أَرِنِي،[3] وَأَنْتَ يُقَالُ لَكَ أَلَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ[4]، أَنْتَ فِي الدُّنْيَا عَلَى أُمَّتِكَ شَهِيد، وَلَا يَكُونُ فِي الآخِرَةِ إِلَّا مَا تُرِيد[5]، فإذا فَرَغْتَ مِنْ تَمْهِيدِ شَرِيعَتِكَ فَانْصَبْ إِلى رَبِّكَ فِي أُمَّتِكَ فَارْغَبْ يَا سَيِّدَ الوُجُودِ، طُورُكَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِكَ رَفْرَفُ النُّورِ وَالوَادِي المُقَدَّسُ لَكَ قَابَ قَوْسَيْنِ، وَالبُلْبُلُ الَّذِي يُرَجِّعُ لَكَ شَهِيَّ اللُّحُونِ، فَأَوْحَى إِلى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى، مَطْلُوبُ مُوسَى قَدْ سُجِّلَ لَكَ بِهِ سِجِلٌّ مَا زَاغَ البَصَرُ وَمَا طَغَى[6]، أَنْتَ آخِرُ حَرْفٍ كُتِبَ فِي دِيوَانِ الأَنْبِيَاءِ، أَنْتَ أَعْظَمُ سَطْرٍ رُقِمَ فِي مَنْشُورِ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا[7]، زُفَّتْ عَرُوسُ مَجْدِكَ فِي مَحَلِّ الأُفُقِ

= ٩ مادة: أثل].

(١) إشارة إلى قوله تعالى على لسان موسى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾﴾ [طه: ٢٥] انظر تفسير الجيلاني.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ [الشرح: ١] انظر تفسير الجيلاني.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى على لسان موسى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف: ١٤٣] انظر تفسير الجيلاني.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾﴾ [الفرقان: ٤٥] انظر تفسير الجيلاني.

(٥) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥] انظر تفسير الجيلاني.

(٦) المقصود بمطلوب موسى هو طلبه من جلالة المولى النظر إليه سبحانه.

(٧) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة: ٢٥٣] انظر تفسير الجيلاني.

الأعلى، فكَانَ مِنْ بَعْضِ خِلَعِهَا لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى[(١)]، قَدْ صِيغَ لِمَفْرَقِ جَبِينِ الوُجُودِ مِنْ شَرَفِكَ تَاجٌ لَمْ يُصَغْ قَطُّ للأنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ مَا قَدَرُوا عَلَى عِزِّ لَيْلَةِ أَسْرَى بِعَبْدِهِ، وَلَا وَجَدُوا نَسْمَةً مِنْ نَسَمَاتِ رَوْضِ (قَابَ قَوْسَيْنِ)، وَلَا قِيلَ لأحَدٍ مِنْهُمْ كِفَاحًا السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ، تَأَخَّرَ الكُلُّ عِنْدَ حِجَابِ أَوْ أَدْنَى[(٢)]. تَقَدَّمَ صَاحِبُ دَنَا فَتَدَلَّى، وَجُلِيَتْ عَلَيْهِ عَرُوسُ الأكْوَانِ فِي خِلَعِ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى، مَا التَفَتَ إِلَيْهَا بِعَيْنِ الاشْتِغَال، بَلْ تَأَدَّبَ بِأَدَبِ لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ[(٣)]. يَا خَاتَمَ الرُّسُلِ أَنْتَ رُوحُ جَسَدِ الوُجُودِ، أَنْتَ وَرْدُ بُسْتَانِ الكَوْنِ، أَنْتَ عَيْنُ حَيَاةِ الدَّارَيْنِ، لَكَ نُظِمَتْ تَمَائِمُ الوَحْيِ عَلَى مَشَامِّ رُوحِكَ هَبَّتْ نَسَمَاتُ عَطْفِ لُطْفِ القِدَمِ، لَكَ عَقَدَ القَدَرُ لِوَاءَ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى[(٤)]، بِعِطْرِ الثَّنَاءِ عَلَيْكَ تَأَرَّجَ المَلَكُوتُ الأعْلَى. مِنْ نُورِ عُلُومِكَ أَضَاءَ مِصْبَاحُ الشَّرْعِ. بِمَصَابِيحِ كَلِمَاتِكَ تُشْرِقُ سَمَوَاتُ الحِكَمِ. قَامَتِ الأنْبِيَاءُ صُفُوفًا خَلْفَهُ لِيَأْتَمَّ بِجَلَالَتِهِ فِي مَشْهَدِ شَهَادَتِهِمْ بِتَقْدِيمِهِ عَلَيْهِمْ، فَنَادَى مُنَادِي القَدَرِ يَا أَصْحَابَ أَوْكَادِ[(٥)] السَّعَادَةِ وَأَرْبَابَ المَحَجَّةِ عَلَى الخَلِيقَةِ هَذَا شَمْسُ العُلَا، هَذَا شَمْسُ السَّنَا، هَذَا دُرَّةُ تَاجِ الأنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَام، فَاتَّصَلَتِ الرَّسَائِلُ بَيْنَ المُحِبِّ وَالمَحْبُوبِ فَقَالَ المَحْبُوبُ المُقَرَّبُ: إِلَهِي مَلْحُوظُ عِنَايَتِكَ وَمَحْفُوظُ

---

(١) تقدمت الإشارة إلى هذه الآية.

(٢) أي عند سدرة المنتهى حيث لم يستطع أحد التقدم إليها إلا النبي محمد ﷺ.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: ١٣١] انظر تفسير الجيلاني.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾ [الضحى: ٥] انظر تفسير الجيلاني.

(٥) وكد: وكد العقد والعهد أوثقه والهمز فيه لغة يقال أوكدته وأكدته وآكدته إيكادا وبالواو أفصح أي شددته وتوكد الأمر وتأكد بمعنى. لسان العرب [٣/ ٤٦٦ مادة: وكد].

عِصمَتِكَ وَطِفلُ مَهدِ عَهدِكَ وَغَذِيُّ لِبَانِ لُطفِكَ وَرَبِيُّ حَجرِ جُودِكَ قَد كَلَّ لِسَانُهُ دَهَشًا فِي مُتَرَادِفِ آيِكَ[1]، وَحَادَ بَصَرُهُ فِي مَرَاتِعِ نَعمَائِكَ، فَاحلُل عُقدَةَ لِسَانِهِ وَاكشِف أَستَارَ بَيَانِهِ، وَأَيِّد قَوِيَّ جَنَانِهِ، فَأَجَابَهُ الجَلِيلُ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَزَّ نَوَالُهُ: هَا نَحنُ قَد رَفَعنَا عَنكَ أَستَارَ الجَلَالِ وَأَبدَينَا لَكَ صِفَاتِ الكَمَال لِتَرَى مَا وَرَاءَ رِدَاءِ الكِبرِيَاءِ، وَتَنظُرَ مَا فَوقَ العَظَمَةِ وَمَعَ هذا قَد جَعلنَا قَلبَكَ بَيتَ الحِكمَةِ، وَلِسَانَكَ مَحَلَّ الفَصَاحَةِ، وَعُنصُرَكَ مَعدِنَ البَلَاغَةِ، فَإِذَا رَجَعتَ مِن سَفَرِ الإِسرَاء نَبِّئ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيم، وَبَلِّغ خَلقِي إِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي، فَنَطَقَ صَاحِبُ الرِّسَالَةِ بِلِسَانِ: لا أُحصِي ثَنَاءً عَلَيكَ أَنتَ كَمَا أَثنَيتَ على نَفسِكَ، ثُمَّ عَادَ وَهِلَالُ مَا كَذَبَ الفُؤَاد ما رَأَى بَينَ عَينَيهِ، وَبُشرَى فَأَوحَى إِلى عَبدِهِ مَا أَوحَى[2] مَلَأَ قَلبَهُ وَأُذُنَيهِ، وَرُؤَسَاءُ المَلَائِكَةِ تَضَعُ جِبَاهَهَا فِي مَوطِئِ قَدَمَيهِ، وَالرُّوحُ الأَمِينُ يَحمِلُ غَاشِيَةَ فَخرِهِ بَينَ يَدَيهِ، وَآدَمُ يَرفَعُ أَلوِيَةَ جَلَالَتِهِ، وَإِبرَاهِيمُ يَنشُرُ أَعلَامَ كَرَامَتِهِ، وَمُوسَى يُعِيدُهُ عَودَةً بَعدَ عَودَةٍ لِيَنظُرَهُ نَظرَةً بَعدَ نَظرَةٍ[3]، وَعِيسَى يُرِيدُ أَن يَتَوَلَّى أَخبَارَ أَهلِ الأَرضِ بِمَا شَاعَ فِي أَرجَاءِ السَّماءِ مِن أَخبَارِ صَاحِبِ قَابِ قَوسَينِ، هَذَا وَبَينَ يَدَيهِ ﷺ يُنَادِي جَاوِيشُ هذا عَطَاؤُنَا[4]، وَيَتَرَنَّم بِأَنَاشِيدِ عَبدٌ أَنعَمنَا عَلَيهِ[5] تَاجُ شَرَفِهِ مُحَمَّدٌ

---

(١) في المخطوط (الأيك) ولعل الصواب ما أثبتناه والمقصود آيات القرآن الكريم.

(٢) تقدمت الإشارة إلى جميع هذه الآيات.

(٣) المقصود مراجعة موسى ﷺ لنبي محمد ﷺ في السماء حين فرضت عليه خمسون صلاة.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى واصفاً ملك سليمان ﷺ: ﴿هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٩﴾ [ص: ٣٩] انظر تفسير الجيلاني.

(٥) إشارة إلى قوله تعالى واصفاً حال عيسى ﷺ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ۝٥٩﴾ [الزخرف: ٥٩] انظر تفسير الجيلاني.

رَسُولُ اللهِ[١] طِرَازُ حُلَّتِهِ مَازَاغَ البَصَرُ، نَادَى مُنَادِي سُلطَانِ عِزِّهِ في طَبَقَاتِ الأكْوَانِ وَصَفَحَاتِ الوُجُودِ بِلِسَانِ الأمرِ بِالتَّشرِيف ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦] نَسَبُهُ الشَّرِيفُ أطهَرُ الأنسَابِ مِن خَيرِ مَحْتِدٍ مِن أزكَى عُنصُرٍ مِن أفضَلِ أصلٍ طَاهِرٍ، وَحَسَبُهُ الخَطِيرُ أكرَمُ الأحسَابِ مِن أطيَبِ خِيمٍ مِن أعرَقِ نِجَارٍ[٢] مِن أكمَلِ مَجدٍ بَاهِرٍ، وَقَد يَشرُفُ الأصلُ بِشَرَفِ الفَرعِ وَيَفخَرُ التَّالِدُ بِالطَّارِفِ[٣] وَلَا بِدعَ فَفَضلُهُ عَمَّ الآبَاءَ وَالأبنَاءَ، وَبَركَتُهُ شَمِلَتِ الأموَاتَ وَالأحيَاءَ، فِيهِ فَخرُ إسلَامِ[٤] الأسلَافِ وَالأخلَافِ، وَمِنهُ شَرَفُ الأوَاسِطِ وَالأطرَافِ. عَمُودُ نَسَبِهِ رَصِينُ النُّبُوَّتِ، وَبَيتُهُ أشرَفُ البُيُوتِ، وَآلُهُ أفضَلُ الآلِ، ثَبَتَ لَهُم بِجَنَابِهِ الوَقَارُ وَالإجلَالُ، إسمُهُ مِن أحَبِّ الأسمَاءِ مُحَمَّدٌ في الأرضِ وَمحمودٌ في السَّمَاءِ، خَاتَمُ النَّبِيِّينَ أشرَفُ المُرسَلِينَ أكرَمُ الخَلقِ عَلَى اللهِ، وَأعظَمُ النَّاسِ قَدراً لَدَيهِ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَيهِ حُمِلَ بِمُحَمَّدٍ في لَيلَةِ الجُمُعَةِ مِن رَجَبٍ[٥]، وَلَمْ يُوجَد لِحَملِهِ ثِقَلٌ وَلَا تَعَبٌ، العَجَائِبُ الظَّاهِرَةُ في حَملِهِ أدَلُّ دَلِيلٍ عَلَى تَفَرُّدِهِ في فَضلِهِ[٦]،

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبۡتَغُونَ فَضۡلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنًاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ [الفتح: ٢٩] تفسير الجيلاني.

(٢) إشارة إلى بني النجار أخوال سيدنا رسول الله ﷺ.

(٣) التالد: المال القديم الأصلي الذي ولد عندك وهو نقيض الطارف. لسان العرب [٣/٩٩ مادة: تلد]. والمقصود: أن الأنبياء السابقون يفخرون بسيدنا محمد ﷺ الذي جاء بعدهم.

(٤) في المخطوط (الإسلام) ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٥) انظر: السيرة الحلبية [١/١٧٢] وعيون الأثر، لابن سيد النّاس [١/٥٠].

(٦) انظر: الروض الأنف، للسهيلي [١/٢٧٣]، عيون الأثر لابن سيد النّاس [١/٣٧]، السيرة النبوية لابن كثير [١/٢٠٦].

زُخرِفَت لَهُ الجِنَانُ، إبتَهَجَت بِهِ الأكوَانُ، أُغلِقَت أبوَابُ النِيرَان، دُحِضَت حُجَّةُ الشَيطَان، ذَلَّتِ الأصنَامُ وَالأوثَانُ، تَسَاقطَت لِمَولِدِهِ شُرُفَاتُ الإيوَان[1] ضَاءتِ الأحلاكُ، إستَنَارَتِ الأفلاك، ضَجَّت بِالتَّسبِيحِ للهِ الأملَاك، في كُلِّ شَهرٍ مِن شُهُورِ حَملِهِ يُنَادِي مُنَادِي شَرَفِهِ وَفَضلِهِ أبشِرُوا بِالمَغَانِم آنَ أنْ يَظهَر أبو القَاسِم صَاحِبُ العَلَامَةِ وَالخَاتِم بِأنوَاعِ المَكَارِمِ وَالمَرَاحِم، وَلَم تَزَل مُدَّةَ حَملِهِ الكَرَامَاتُ تَتَوَالَى وَالخَوَارِقُ تَتَوَارَد[2]، وَألسِنَةُ البَشَائِرِ تَتَقَارَعُ أحَادِيثَ شَرَفِهِ وَتَتَنَاشَد إلَى أنْ آنَ أوان ظُهُورِه، وَأشرَقَ الوُجُودُ بِبَاهِرِ زَاهِرِ نُورِهِ وَأضَاءتِ الدُّنيَا، وَتَزَخرَفَت مَنَازِلُ المَلَكُوتِ الأسنَى وَنُودِيَ مِنَ الصَّفِيحِ الأعلَى: يَا سُكَّانَ البَسِيطِ الأدنَى إقتَبِسُوا مِن أنوَارِ ضِيَاءِ المَبعُوثِ سِرَاجاً مُنِيراً، وَاشرَبُوا مِن رَحِيقٍ مَختُومٍ كَأسِ هَديِهِ شَرَاباً طَهُوراً؛ فَإنَّكُم في خَفَارَةِ إمَامِ الأنبِيَاءِ وَسِرَاجِ الأصفِيَاءِ وَأكرَمِ الأتقِيَاءِ. هذا وَأشبَاحُ مَلَائِكَةِ اللهِ صُفُوفٌ لِاستِقبَالِهِ، وَأروَاحُ رُؤسَاءِ الأنبِيَاءِ حُضُورٌ لِاقتِبَاسِ أنوَارِ جَمَالِهِ، وَاستَتَرَتِ الشَّمسُ السَّمَائِيَّةُ لِظُهُورِ الشَّمسِ الأرضِيَّةِ وَاختَفَتِ الكَوَاكِبُ حَيَاءً مِن طُلُوعِ نَجمِ يَثرِب، وَأنطَفَتِ الشُّهُبُ بِتَبَلُّجِ شِهَابِ مَكَّة، وَاندَرَجَتِ الأنوَارُ في شُعَاعِ أنوَارِ النَّبِيِّ المُختَار، وَجُلِيَت عَرُوسُ أحمَد عَلَى كُرسِيِّ حُسنِهِ المُفرَد، وَوُلِدَ ﷺ تسليماً والحمد لله رب العالمين آمين.

الى هنا انتهى مولد سيدي عبد القادر الجيلاني

---

(١) جاء في دلائل النبوة للبيهقي: (لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ ارتجس إيوان كسرى، وسقطت منه أربع عشرة شرفة). انظر: دلائل النبوة [١/ ١٢٦].

(٢) انظر: عيون الأثر لابن سيد الناس [١/ ٤٥]، سبل الهدى والرشاد [١/ ٤٠٢]، الشفا للقاضي عياض [١/ ٢٢٩] وسمط النجوم العوالي، للعصامي [١/ ١٢٤].



بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي أظهر شموس أنوار النبوة و
المحمدية من أفق التقديرات الأزلية فأشرقت
الأكوان ومنّ على المؤمنين بإنعامه عليهم بنبوة
خاتم خلاصة صفوته من بني عدنان وأنار بمولد
حبيبه ومصطفاه كل كائن وموجود وجعله
أشرف نوع الإنسان وكمّل هذا الوجود بإيجاد كل
موجود أرسله رحمة للعالمين وجعله سببا
لكل فضل جسيم وأصلا لكل إحسان وأشهد أن لا
إله إلا الله وحده لا شريك له إله منّ على عباده و
بهذا النبي الكريم الذي جعله رحمة لهم في الدنيا

وفي اليوم المشهود فكان ظهوره ووجوده لجميع
الكائنات بهجة تسعد النفوس وأشهد أن سيدنا
محمدا عبده ورسوله صاحب المقام المحمود و
الحوض المورود واللواء المعقود نبي دعا الشجرة
فأجابته وسلمت عليه الظبية فكلمته وذلّ له
البعير الصعب وبكى وشكى ما يلقى من صاحبه وخر
ساجدا وشكى وعذب بريقه الماء الأجاج وسلم
عليه المدر والحجر من سائر الفجاج وسبح الحصى
في يده جهرا وكان الرعب يسير أمامه شهرا
وخلفه شهرا ونصر بالصبا وحاز الكمال والأدب
واختص بالرتبة والتعظيم وحظي بالقرب والتكريم

المولد الكبير للشيخ السيد محمد العقاد

المولد الكبير
للشيخ السيد محمد العقاد

اسمه ولقبه وكنيته: هو محمد شاكر بن علي بن حسن السالمي العمري، الفيومي، المصري، المالكي المعروف بـ(العقاد).

علمه: فقيه وأصولي فاضل.

مصنفاته: منها: (شرح الشمائل للترمذي)، و(تذكرة أهل الخير في المولد النبوي)، و(عقود اللآلي في الأسانيد العوالي).

وفاته: توفي بالبرقوقية بالصحراء سنة (١٢٠٢هـ).

من مصادر ترجمته:

ـ هدية العارفين في أسماء المؤلفين للباباني [٢/ ٣٨٣].

ـ معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة [٣/ ٣٠٤].

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَظْهَرَ شُمُوسَ أَنْوَارِ النُّبُوَّةِ المُحَمَّدِيَّةِ مِنْ أُفُقِ التَّقْدِيرَاتِ الأَزَلِيَّةِ، فَأَشْرَقَتِ الأَكْوَانُ، وَمَنَّ عَلَى المُؤْمِنِينَ بِإِنْعَامِهِ عَلَيْهِمْ، بِبِعْثَةِ خَاصَّةِ خُلَاصَةِ مَعْدِنِ عَدْنَانَ[١]، وَأَنَارَ بِمَوْلِدِ حَبِيبِهِ وَمُصْطَفَاهُ كُلَّ كَائِنٍ وَمَوْجُودٍ، وَجَعَلَهُ أَشْرَفَ نَوْعِ الإِنْسَانِ، وَكَمَّلَ هَذَا الوُجُودَ بِإِيجَادِ أَكْمَلِ مَوْجُودٍ، أَرْسَلَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَجَعَلَهُ سَبَباً لِكُلِّ فَضْلٍ جَسِيمٍ، وَأَصْلاً لِكُلِّ إِحْسَانٍ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِلَهٌ مَنَّ عَلَى عِبَادِهِ بِهَذَا النَّبِيِّ الكَرِيمِ، الَّذِي جَعَلَهُ رَحْمَةً لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَفِي اليَوْمِ المَشْهُودِ، فَكَانَ ظُهُورُهُ وَوُجُودُهُ لِجَمِيعِ الكَائِنَاتِ نَتِيجَةَ سَعْدِ السُّعُودِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَاحِبُ المَقَامِ المَحْمُودِ[٢]، وَالحَوْضِ المَوْرُودِ[٣]، وَاللِّوَاءِ المَعْقُودِ[٤]، نَبِيٌّ

---

(١) وإليه ينسب النبي ﷺ، فيقال: النبي العدناني، وعدنان هو أحد أجداد رسول الله ﷺ، وهو من ذرية إسماعيل ﷺ. انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير [٢/ ٥ ـ ٣٣]، والروض الأنف للسهيلي [١/ ٦٥]، ومرآة الحرمين [١/ ١٥١].

(٢) المقام المحمود: هو الشفاعة العظمى في فصل القضاء؛ التي يعتذر عنها جميع أولي العزم من الرسل، ويقوم بها الرسول ﷺ، أخرج البخاري: من قول ابن عمر ﷺ: «إنَّ النَّاس يصيرون يوم القيامة جثاً، كل أمَّة تتبع نبيّها، يقولون: يا فلان اشفع، يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود». صحيح البخاري [٣/ ٢٥٢/ رقم ٤٧١٨] كتاب التفسير.

(٣) الذي ترده أمته يوم القيامة، وهو المذكور في قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، والحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام مسلم: عن أبي حازم قال: سمعت سهلاً يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «أنا فَرَطُكُم على الحوض، من ورد شرب، ومن يشرب لم يظمأ أبداً، وليَرِدَنَّ عليَّ أقوامٌ أعرفهم ويعرفونني، ثُمَّ يُحَالُ بيني وبينهم». صحيح مسلم [٤/ ١٧٩٣/ رقم ٢٢٩٠] كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبيّنا وصفاته.

(٤) الذي تحشر تحته جميع الرسل صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين.

دَعَا الشَّجَرَةَ فَأَجَابَتْهُ[(١)]، وَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ الظَّبْيَةُ فَكَلَّمَتْهُ[(٢)]، وَذَلَّ لَهُ البَعِيرُ الصَّعْبُ[(٣)]، وَبَكَى وَحَكَى مَا يَلْقَى مِنْ صَاحِبِهِ، وَخَرَّ سَاجِداً وَشَكَى[(٤)]،

---

(١) أخرجه البيهقي، عن جابر بن عبد الله، قال: سرنا مع رسول الله ﷺ حتَّى نزلنا وادياً أفيح، فذهب رسول الله يقضي حاجته، واتبعته بإداوة من ماء، فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئاً يستتر به، وإذا بشجرتين بشاطئ الوادي، فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما، فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: «انقادي عليَّ بإذن الله تعالى»، فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده، حتَّى أتى الشجرة الأخرى، فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: «انقادي عليَّ بإذن الله»، فانقادت معه كذلك، حتَّى إذا كان بالمنصف فيما بينهما لَأَمَ بينهما يعني جمعهما، فقال: «التئما عليَّ بإذن الله، فالتأمتا». دلائل النبوة [٦/٧] باب انقياد الشجر لنبيِّنا محمَّد ﷺ.

(٢) عن أم سلمة ﵂ قالت: (كان النبي ﷺ في الصحراء فنادته ظبية يا رسول الله، قال: «ما حاجتك؟» قالت: صادني هذا الأعرابي ولي خِشْفَان في ذلك الجبل، فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما وأرجع، قال: «أَوَ تفعلين؟» قالت: نعم، وكان الأعرابي نائماً فأطلقها، فذهبت ورجعت، فأوثقها، فانتبه الأعرابي، فقال للنبي ﷺ: «ألك حاجة؟» قال: نعم، تطلق هذه الظبية، فأطلقها، فذهبت تعدو في الصحراء، وتقول: أشهد أن لا إله إلَّا الله وأنَّك رسول الله). أخرجه البيهقي في دلائل النبوة [٦/ ٣٥] باب ما جاء في كلام الظبية التي فجعت بخشفها وشهادتها لنبينا ﷺ بالرِّسالة، وانظر: حدائق الأنوار لابن الديبع [١/ ٢٣٧]، الشفا بتعريف حقوق المصطفى [١/ ٢٠٧].

(٣) استذل البعير الصعب نزع القراد عنه ليستلذ فيأنس به ويذل. لسان العرب [٥/ ٥٥ مادة: ذلل].

(٤) عن أنس بن مالك ﵁ قال: كان أهل البيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه وأنه استصعب عليهم فمنعهم ظهره، وأن الأنصار جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إنه كان لنا جمل نسني عليه (أي: نستقي عليه) وأنه استصعب علينا ومنعنا ظهره، وقد عطش الزرع والنخل، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا فقاموا فدخل الحائط والجمل في ناحيته، فمشى النبي ﷺ نحوه»، فقالت الأنصار: يا رسول الله إنه قد صار مثل الكلب وإنا نخاف عليك صولته، فقال: «ليس عليَّ منه بأس»، فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خر ساجداً بين يديه، فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذل ما كانت قط، حتى أدخله في العمل فقال له أصحابه: هذه البهيمة لا تعقل تسجد لك، ونحن أحق أن =

وَعَذُبَ بِرِيقِهِ المَاءُ الأُجَاجُ(١)، وَسَلَّمَ عَلَيْهِ المَدَرُ وَالحَجَرُ(٢) مِنْ سَائِرِ الفِجَاجِ، وَسَبَّحَ الحَصَى فِي يَدِهِ جَهْراً(٣)، وَكَانَ الرُّعْبُ يَسِيرُ أَمَامَهُ شَهْراً(٤)

= تسجد لك، فقال: «لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها، والذي نفس محمَّد بيده لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تنفجر بالقيح والصديد ثم استقبلته فلحسته ما أدت حقه». رواه الإمام أحمد في مسنده، [٣/١٥٨رقم ١٢٦٣٥].

(١) روى ابن السَّكن، عن همَّام بن نُقَيل السعدي، قال: (قدمت على رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول حفرنا لنا بئراً، فخرجت مالحة، فدفع إليَّ إداوة فيها ماء، فقال: «صبَّه فيها، فصببته فيها، فعذبت، فهي أعذب ماء بئر باليمن». انظر سبل الهدى والرشاد [١٠/ ٤٥].

(٢) أخرج الإمام مسلم: عن جابر بن سمرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلِّم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن». قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم [١٥/ ٢٧]. معلِّقًا على هذا الحديث: فيه معجزة له ﷺ، وفي هذا إثبات التمييز في بعض الجمادات وهو موافق لقوله تعالى في الحجارة: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤] وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤] صحيح مسلم [٧/ ١٧٨٢/ رقم ٢٢٧٧] كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة.

(٣) عن أبي ذر الغفاري قال: إني لشاهد عند النبي ﷺ في حلقة وفي يده حصى فسبحن في يده، وفينا أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، فسمع تسبيحهن من في الحلقة، ثم دفعهن النبي إلى أبي بكر فسبحن مع أبي بكر، سمع تسبيحهن من في الحلقة، ثم دفعهن إلى النبي فسبحن في يده، ثم دفعهن النبي إلى عمر فسبحن في يده، وسمع تسبيحهن من في الحلقة، ثم دفعهن النبي إلى عثمان بن عفان فسبحن في يده، ثم دفعهن إلينا فلم يسبحن مع أحد منا. قال الهيثمي (رواه الطبراني في الأوسط، وفيه محمد بن أبي حميد وهو ضعيف، وله طريق أحسن من هذا في علامات النبوة وإسناده صحيح). مجمع الزوائد [٨/ ٥٢٨].

(٤) في الحديث الذي رواه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الناس كافة، وختم بي النبيون». صحيح مسلم[/ ٢٣٧/ رقم٥٢٣] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، وفي رواية البخاري =

وَخُلْفَهُ شَهْراً، وَنُصِرَ بِالصَّبَا[1]، وَحَازَ الخُلَّةَ[2] وَالاجْتِبَا[3]، وَاخْتُصَّ بِالرُّؤْيَةِ[4] وَالتَّكْلِيمِ، وحَظِيَ بِالقُرْبِ وَالتَّعْظِيمِ، ﷺ، وَعَلَى آلِهِ مَصَابِيحِ الدُّجَا، وَأَصْحَابِهِ مَعَادِنِ الفَضْلِ وَالحِجَى[5]، وَعَلَى التَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانٍ، صَلَاةً وَسَلَاماً دَائِمَيْنِ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَأَوَانٍ.

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ المُبِينِ، وَهُوَ أَصْدَقُ القَائِلِينَ: ﴿وَإِذْ

= عن جابر بن عبد الله بلفظ: (ونصرت بالرعب مسيرة شهر). صحيح البخاري [١/ ١٢٦/ رقم٣٣٥] كتاب التيمم.

(١) في الحديث: «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدَّبور»، فقوله: «نصرت بالصبا» بفتح المهملة بعدها موحدة مقصورة يقال لها القبول بفتح القاف لأنها تقابل باب الكعبة إذ مهبها من مشرق الشمس، وروى ابن مردويه في التفسير من طريق أخرى عن ابن عباس أيضاً قال: «قالت الصبا للشمال: اذهبي بنا نتصر رسول الله ﷺ، فقالت: إن الحرائر لا تهب بالليل، فغضب الله عليها فجعلها عقيماً»وفي رواية له من هذا الوجه «فكانت الريح التي نصر بها رسول الله ﷺ الصبا» وانظر: مجمع الزوائد للهيثمي، [٨/ ٤٨١] كتاب علامات النبوة، باب فيما خُصَّ به عمن تقدمه ﷺ.

(٢) الخُلَّة الصداقة المختصة التي ليس فيها خلل، وجمعها خِلال، وقوله ﷻ: ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ قال الزَّجاج يعني يوم القيامة، والخُلَّة الصداقة. انظر: لسان العرب [٤/ ٢٠٢ مادة: خلل].

(٣) قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ قال الزَّجاج: وكذلك يختارك ويصطفيك، وهو مشتق من جبيت الشيء إذا خلصته لنفسك، قال الراغب: الاجتباء هو: (الجمع على طريق الاصطفاء). وقال أيضاً: (اجتباء الله العبد تخصيصه إياه بفيض إلهي، ليتحصل منه أنواع من النعم، بلا سعي من العبد، وذلك للأنبياء وبعض من يقاربهم من الصديقين والشهداء). انظر: لسان العرب [٢/ ١٧٥ مادة: جبي].

(٤) أخرجه الإمام النسائي في السنن الكبرى، [١٠/ ٢٧٦/ رقم ١١٤٧٥] كتاب التفسير عن قتادة عن عكرمة عن بن عباس قال: (أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد ﷺ). وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين [١/ ١٢٣/ رقم ٢١٦] كتاب الإيمان.

(٥) الحِجَى، مقصور، العقل والفطنة، والجمع أحجاء. لسان العرب [٣/ ٦٩ مادة: حجا].

أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: ٨١](١).

عَنْ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ وَابنِ عَبَّاسٍ ﷺ: (أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَبْعَثْ نَبِيّاً آدم فَمَنْ بَعْدَهُ، إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ العَهْدَ فِي مُحَمَّدٍ ﷺ، لَئِنْ بُعِثَ وَهُوَ حَيٌّ، لَيُؤْمِنَنَّ به وَلَيَنْصُرَنَّهُ، وَيَأْخُذُ العَهْدَ بِذَلِكَ عَلَى قَوْمِهِ)(٢).

ورُوِيَ: أَنَّ اللهَ لَمَّا خَلَقَ نُورَ محمَّد ﷺ أَمَرَهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى أَنْوَارِ الأَنْبِيَاءِ عليهم الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، فَغَشِيَهُمْ مِنْ نُورِهِ مَا أَنْطَقَهُم اللهُ بِهِ، وَقَالُوا: يَا رَبَّنَا مَنْ غَشِيَنَا نُورُهُ؟ فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: هَذَا نُورُ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللهِ، إِنْ آمَنْتُمْ بِهِ جَعَلْتُكُمْ أَنْبِيَاءَ، قَالُوا: آمَنَّا بِهِ وبِنُبُوَّتِه، فَقَالَ اللهُ: أَأَشْهَدُ عَلَيْكُمْ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾(٣)، أيْ: لَمَّا أَكْمَلَ اللهُ خَلْقَ نُورِهِ وَأَفَاضَ عَلَيْهِ النُّبُوَّةَ وَالكَمَالَاتِ، وَأَخْرَجَ أَنْوَارَ الأَنْبِيَاءِ مِنْهُ، أَمَرَهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى أَنْوَارِ الأَنْبِيَاءِ؛ لأَنَّ خَلْقَ نُورِهِ مُتَقَدِّمٌ عَلَى خَلْقِ سَائِرِ المَخْلُوقَاتِ.

رَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ(٤) عَنْ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيِّ ﷺ(٥)، قَالَ: قُلْتُ

---

(١) انظر تفسير الجيلاني.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان من قول علي بن أبي طالب [٣/ ٣٣٠]. وذكره البغوي [١/ ٣٢٢]. وابن عطية [١/ ٤٦٤]. والثعالبي [٢/ ٦٩]. في تفاسيرهم.

(٣) انظر: سبيل الهدى والرشاد [١/ ١٠٨].

(٤) هو عبد الرزاق بن همام الصنعاني، العلّامة الحافظ، روى عن معمر وابن جرير ومن في طبقتهما، صاحب المصنفات، رحل الأئمة إليه إلى اليمن، عاش بضعاً وثمانين، توفي سنة [٢١١هـ]. انظر ترجمته في: العبر للذهبي [١/ ٢٨٣]. وشذرات الذهب [٣/ ٥٥].

(٥) هو جابر بن عبد الله الأنصاري السلمي، أحد الستة الذين شهدوا العقبة الأولى، وشهد بدراً وأحداً والخندق، وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ انظر ترجمته في: الإصابة [١/ ٢٢٢]، والاستيعاب [ص١١٤].

يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَخْبِرْنِي عَنْ أَوَّلِ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللهُ قَبْلَ الأَشْيَاءِ؟ قَالَ: «يَا جَابِرُ، إِنَّ اللهَ خَلَقَ قَبْلَ الأَشْيَاءِ نُورَ نَبِيِّكَ مِنْ نُورِهِ، فَجَعَلَ ذَلِكَ النُّورَ يَدُورُ بِالقُدْرَةِ حَيْثُ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، وَلَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ لَوْحٌ وَلَا قَلَمٌ وَلَا جَنَّةٌ وَلَا نَارٌ وَلَا مَلَكٌ وَلَا سَمَاءٌ وَلَا أَرْضٌ وَلَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ وَلَا جِنِّيٌّ وَلَا إِنْسِيٌّ»[1]. الحديث.

وَفِي مِشْكَاةِ الأَنْوَارِ[2]: عَنْ عَلِيٍّ ﷺ، قَالَ: لَمَّا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَخْلُقَ العَالَمَ جَعَلَ يَأْخُذُ بِيَدِ قُدْرَتِهِ نُوراً مِنْ نُورِهِ، وَخَلَقَ مُحَمَّداً ﷺ، ثُمَّ قَالَ: وَجَعَلَ لَهُ صُورَةً رُوحَانِيَّةً كَهَيْئَتِهِ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ قَالَ: جَعَلَ بَدَنَ آدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِفْتَاحاً لِنَشْأَتِهِم العُنْصُرِيَّةِ، كَمَا جَعَلَ رُوحَ مُحَمَّدٍ مِفْتَاحاً لِنَشْأَتِهِم الرُّوحَانِيَّةِ، مُحَمَّدٌ أَوَّلُ الآبَاءِ رُوحاً، كَمَا أَنَّ آدم أَوَّلُ الآبَاءِ جِسْماً). انتهى.

فَهُوَ ﷺ الأَصْلُ الأَعْظَمُ، وَالسَّبَبُ الكَرِيمُ الأَفْخَمُ، رَوَى الحَاكِمُ فِي صَحِيحِهِ: «أَنَّ آدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رَأَى اسْمَ مُحَمَّدٍ ﷺ مَكْتُوباً عَلَى العَرْشِ، وأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ لِآدَمَ: لَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ»[3].

وَأَخَذَ العَلَّامَةُ السُّبْكِيُّ[4] مِنَ الآيَةِ[5] أَنَّهُ ﷺ نَبِيُّ الأَنْبِيَاءِ، وَأَنَّهُ لَوْ قُدِّرَ

---

(١) انظر بلغة السالك [٤/ ٤٤٣]. والسيرة الحلبية [١/ ٢٤٠]. (قلت): وفي إسناد الحديث نظر. انظر: المواهب اللدنية [١/ ٧١]. والآثار المرفوعة [١/ ٤٢].

(٢) مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار، لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي، المتوفى سنة [٥٠٥هـ]. وهي رسالة مشتملة على فصول في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. انظر: كشف الظنون [١/ ١٦٩٤].

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين [٢/ ٧٢٢/ رقم٤٢٨٧]، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين.

(٤) هو الإمام العلامة تقي الدين السبكي، ستأتي ترجمته.

(٥) أي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ =

مَجِيئُهُ فِي زَمَانِهِم، يَكُونُ مُرْسَلاً إِلَيْهِمْ، فَرِسَالَتُهُ عَامَّةٌ لِجَمِيعِ الخَلْقِ مِنْ زَمَنِ آدم إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَالأَنْبِيَاءُ وَأُمَمُهُم كُلُّهُم مِنْ أُمَّتِهِ، فَلَوِ اتَّفَقَ مَجِيئُهُ فِي زَمَنِهِم، وَجَبَ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أُمَمِهِم الإِيمَانُ بِهِ، وَاتِّبَاعُهُ وَنُصْرَتُهُ، وَبِذَلِكَ أَخَذَ المِيثَاقَ عَلَيْهِمْ.

وَقَوْلُهُ: «بُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً»[1] لا يَخْتَصُّ بِهِ النَّاسُ مِنْ زَمَانِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، بَلْ يَتَنَاوَلُ مَنْ قَبْلَهُمْ أَيْضاً[2]، وَلِذَا تَكُونُ الأَنْبِيَاءُ تَحْتَ لِوَائِهِ فِي الآخِرَةِ، وَصَلَّى بِهِمْ لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ فِي الدُّنْيَا[3]، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى، يَا عِيسَى آمِنْ بِمُحَمَّدٍ، وَأْمُرْ مَنْ أَدْرَكَهُ مِنْ أُمَّتِكَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، فَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُ آدَمَ، وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُ الجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَلَقَدْ خَلَقْتُ العَرْشَ عَلَى المَاءِ فَاضْطَرَبَ، فَكَتَبْتُ عَلَيْهِ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ محمَّدٌ رَسُولُ اللهِ فَسَكَنَ)[4].

أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالبَزَّارُ وَالطَّبَرَانِيُّ وَالحَاكِمُ وَالبَيْهَقِيُّ عَنِ العِرْبَاضِ بنِ سَارِيَةَ ﷺ[5]، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنِّي عِنْدَ اللهِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدم لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَأُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ، إِنِّي دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةُ عِيسَى، وَرُؤْيَا

= فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ [آل عمران: ٨١].

(١) جزء من حديث سيأتي تخريجه.

(٢) قاله تقي الدين السبكي. انظر: سبل الهدى والرشاد [١٠٩/١].

(٣) انظر: السيرة النبوية لابن هشام [٣٩٧/١]، الروض الأنف [٣٩٥/٣].

(٤) (رواه أبو الشيخ في طبقات الأصبهانيين، والحاكم وصححه، وأقرّه السبكي في شفاء السقام، والبلقيني في فتاويه، وقال الذهبي: في سنده عمرو بن أوس لا يُدرى من هو). انظر: سبل الهدى والرشاد [٩٤/١].

(٥) هو العرباض بن سارية السلمي، يكنّى بأبي نُجَيح، كان من أهل الصُّفَّة، سكن الشام ومات بها سنة خمس وسبعين، وقيل: بل مات في زمن فتنة ابن الزبير. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر، [ص٥٩٠].

أُمِّي، الَّتِي رَأَتْ وَكَذَلِكَ أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ يَرَيْنَ، وَإِنَّ أُمَّ رَسُولِ اللهِ رَأَتْ حِينَ وَضَعَتْهُ نُوراً أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ»(١).

قَالَ الإِمَامُ أَبُو شَامَةَ(٢): حَقَّقَ اللهُ لأُمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا رَأَتْه مَنَاماً فِي اليَقَظَةِ.

ذَكَرَ ابنُ إِسْحَاقَ أَنَّهَا أُتِيَتْ وَهِيَ حَامِلَةٌ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّكِ حَمَلْتِ بِسَيِّدِ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَآيَةُ ذَلِكَ أَنْ يَخْرُجَ مَعَهُ نُورٌ يَمْلأُ قُصُورَ بُصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ(٣)، فَهُوَ ﷺ المُجَابُ بِهِ دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١٢٧﴾ إلى قوله: ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧ ـ ١٢٨](٤).

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين [٢/ ٧٠٥/ رقم ٤٢٣٤] كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة [١/ ٨٠] باب ذكر مولد المصطفى ﷺ، والآيات التي ظهرت عند ولادته وقبلها وبعدها، والإمام أحمد في مسنده [٤/ ١٢٧]، وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني والبزّار، وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح، غير سعيد بن سويد، ووثّقه ابن حبّان. انظر مجمع الزوائد [٨/ ٢٢٣]. ولسان الميزان [٤/ ٣٥٤].

(٢) هو الإمام الولي الحافظ المقرئ الفقيه المؤرخ أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، المعروف بأبي شامة، لشامة كبيرة كانت فوق حاجبه الأيسر. توفّي سنة [٦٦٥هـ]. انظر ترجمته في: العبر للذهبي [٣/ ٣١٣]. شذرات الذهب [٧/ ٥٥٣]، الأعلام للزركلي [٣/ ٢٩٩].

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند [٤/ ١٢٧]، والحاكم في المستدرك [٢/ ٦٠٠]، قال الهيثمي في مجمع الزوائد [٨/ ٢٢٣]: [رواه أحمد والبزّار والطبراني وأحد أسانيد رجال أحمد رجال الصحيح غير سعيد بن سويد وقد وثقه ابن حبّان]. وانظر: الروض الأنف [١/ ٢٧٣]، سبيل الهدى والرشاد [١/ ٣٩٤].

(٤) الآية قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١٢٧ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ

وَلَمْ يُبْعَثْ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا غَيْرُهُ ﷺ رَوَى الْبَيْهَقِيُّ وَالْحَاكِمُ[(١)] عَنْ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ سَبْعاً، فَاخْتَارَ الْعُلْيَا مِنْهَا وَأَسْكَنَهَا مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، ثُمَّ اخْتَارَ الْخَلْقَ، فَاخْتَارَ مِنَ الْخَلْقِ بَنِي آدَمَ، وَاخْتَارَ مِنْ بَنِي آدم الْعَرَبَ، وَاخْتَارَ مِنَ الْعَرَبِ مُضَرَ، وَاخْتَارَ مِن مُضَرَ قُرَيْشاً، وَاخْتَارَ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاخْتَارَنِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، فَأَنَا خِيَارٌ مِنْ خِيَارٍ»[(٢)].

فَهُوَ خَيْرُ مَنْ أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ، وَأَشْرَفُ مَنْ أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ.

بَدْرٌ يَزِيدُ عَلَى الدَّوَامِ تَمَامُهُ ... وَالْبَدْرُ يَنْقُصُ فِي انْتِهَاءِ تَمَامِهِ

رَوَى الْحَاكِمُ: (أَنَّ أَعْرَابِياً، قَالَ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: يَا ابْنَ الذَّبِيحَيْنِ، فَتَبَسَّمَ وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ)[(٣)].

وَالذَّبِيحَانِ؛ جَدُّهُ إِسْمَاعِيلُ الذَّبِيحُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَأَبُوهُ عَبْدُ اللهِ الذَّبِيحُ، فَإِنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ لَمَّا أَرَادَ حَفْرَ زَمْزَمَ لِرُؤْيَا رَآهَا؛ أَنِ احْفُرْ زَمْزَمَ، لَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا وَلَدٌ وَاحِدٌ بِعَيْنِهِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ سِوَاهُ، فَخَذَلَتْهُ قُرَيْشٌ، وَلَمْ يُتَابِعُوهُ، فَنَهَضَ هُوَ وَحَفَرَهَا، وَأَنْبَطَ مَاءَهَا، فَنَذَرَ لَئِنْ جَاءَهُ عَشَرَةُ بَنِينٍ، وَصَارُوا لَهُ

= التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة: ١٢٧ ـ ١٢٩].

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة [١/ ١٧١]، والحاكم في المستدرك على الصحيحين [٤/ ٧٣]. عن ابن عمر رضي الله عنهما بغير هذا اللفظ.

(٢) انظر: المواهب اللدنية للقسطلاني [١/ ٨٩]. وفي معنى هذا الحديث ما أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، [رقم ٣٦٨٥]. وسبيل الهدى والرشاد [١/ ٢٦٩]. وكنز العمال [١٢/ ٢٢ رقم ٣٣٩٢٧].

(٣) انظر: المواهب للقسطلاني [١/ ١١٠]. والمستدرك للحاكم [٢/ ٦٠٤]، وجامع البيان لابن جرير الطبري [٢٣/ ٨٥].

أَعْوَاناً، لَيَذْبَحَنَّ أَحَدَهُمْ للهِ قُرْبَاناً، فَلَمَّا تَكَامَلُوا عَشَرَةً، قِيلَ لَهُ فِي الْمَنَامِ: أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَهَمَّ بِذَلِكَ، وضَرَبَ القِدَاحَ، فَخَرَجَتْ عَلَى عَبْدِ اللهِ، وَكَانَ أَحَبَّ وَلَدِهِ إِلَيْهِ، فَقَامَ لِيَذْبَحَهُ، فَمَنَعَتْهُ قُرَيْشٌ، وَقَالُوا: يَصِيرُ ذَلِكَ فِينَا سُنَّةً، وَدُلَّ عَلَى كَاهِنَةٍ، فَأَمَرَتْهُ أَنْ يُقَرِّبَ عَشَرَةً مِنَ الإِبِلِ وَوَلَدِهِ، وَيَضْرِبَ القِدَاحَ، فَإِنْ خَرَجَتْ عَلَى الوَلَدِ، فَيَزِيدَ عَشَرَةً وَيَضْرِبُ، فَإِذَا خَرَجَتْ عَلَيْهَا، فَيَكُونُ قَدْ رَضِيَ رَبُّكُمْ فَانْحَرْهَا، فَفَعَلَ حَتَّىٰ بَلَغَتِ الإِبِلُ مِئَةً، وَخَرَجَتِ القِدَاحُ عَلَيْهَا، وَقَالَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ: لَا أَرْضَى حَتَّىٰ أَضْرِبَ مِرَاراً، فَضَرَبَ مِرَاراً يَقَعُ عَلَى الإِبِلِ، فَنُحِرَتْ وَتُرِكَتْ لَا يُصَدُّ عَنْهَا إِنْسَانٌ وَلَا طَائِرٌ وَلَا سَبُعٌ[1]، ولَمَّا انْصَرَفَ عَبْدُ اللهِ مَعَ أَبِيهِ مِنْ نَحْرِ الإِبِلِ، مَرَّ عَلَى امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي أَسَدِ بنِ عَبْدِ العُزَّى عِنْدَ الكَعْبَةِ، وَاسْمُهَا قُتَيْلَةُ، وَيُقَالُ: رُقَيَّةُ بِنْتُ نَوْفَلٍ[2]، وَهِيَ أُخْتُ وَرَقَةَ بنِ نَوْفَلٍ[3]، كَانَتْ تَسْمَعُ مِنْ وَرَقَةَ بِالنَّبِيِّ، فَلَمَّا نَظَرَتْ إِلَى النُّورِ الَّذِي فِي وَجْهِ عَبْدِ اللهِ، وَفِي رِوَايَةٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: عَلَى كَاهِنَةٍ يُقَالُ لَهَا: فَاطِمَةُ

---

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام [١/ ١٥٥]، والروض الأنف للسهيلي [٢/ ١٣٥].

(٢) قال السهيلي: (واسم هذه المرأة رقية بنت نوفل أخت ورقة بن نوفل، تكنى: أم قتال، وبهذه الكنية وقع ذكرها في رواية يونس عن ابن إسحاق، وذكر البرقي عن هشام بن الكلبي قال: إنما مرَّ على امرأة اسمها: فاطمة بنت مر كانت من أجمل النساء وأعفهن وكانت قرأت الكتب فرأت نور النبوة في وجهه فدعته إلى نكاحها، فأبى... وفي غريب ابن قتيبة: أن التي عرضت نفسها عليه هي ليلى العدوية. انظر الروض الأنف [٢/ ١٤١]. وفي البداية والنهاية لابن كثير [٢/ ٢٦٢]. اسمها (رُقَيْقَة).

(٣) هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، حكيم جاهلي من قريش، وهو ابن عم خديجة بنت خويلد أم المؤمنين، اعتزل الأوثان قبل الإسلام وتنصَّر، وقرأ كتب الأديان، أدرك أوائل عصر النبوّة ولم يدرك الدعوة إلى الإسلام، وفي وفاته روايتان؛ أحدهما أنه توفي بعد الوحي بقليل، والثانية أنه شهد إسلام بلال بن رباح. انظر: الروض الأنف [١/ ٣٢٩].

بِنْتُ مُرٍّ الخَثْعَمِيَّةُ، مِنْ أَهْلِ تَبَالَةَ[١]، وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ، وَأَشَبِّهَا وَأَعَفِّهَا، قَرَأَتِ الكُتُبَ ظَنَّتْ أَنَّ ذَلِكَ النَّبِيَّ يَكُونُ مِنْ هَذَا النُّورِ، فَقَالَتْ: لَكَ مِثْلُ الإِبِلِ الَّذِي نُحِرَتْ عَنْكَ، وَقَعْ عَلَيَّ الآنَ[٢]، فَقَالَ لَهَا مُجِيباً:

أَمَّا الحَرَامُ فَالمَمَاتُ دُونَهُ وَالحِلُّ لا حِلَّ فَأَسْتَبِينَهُ
فَكَيْفَ بِالأَمْرِ الَّذِي تَبْغِينَهُ يَحْمِي الكَرِيمُ عِرْضَهُ وَدِينَهُ

وَقِيلَ: قَالَ لَهَا: (أَنَا مَعَ أَبِي وَلَا أَسْتَطِيعُ خِلَافَهُ وَلَا فِرَاقَهُ)[٣].

وَيُمْكِنُ الجَمْعُ بِأَنَّهُ أَجَابَهَا بِالبَيْتَيْنِ أَوَّلاً، عَلَى تَوَهُّمِ أَنَّهَا أَرَادَتِ الوُقُوعَ عَلَيْهَا، عَلَى وَجْهِ البَغْيِ، فَقَالَ: لا حِلَّ، أَيْ: لَا حِلَّ مَوْجُودٌ، لِعَدَمِ تَزَوُّجِي إِيَّاكِ، فَلَمَّا عَلِمَ مِنْهَا العِفَّةَ، وَأَنَّهَا تُرِيدُ الوُقُوعَ عَلَيْهَا عَلَى أَنْ تُزَوِّجَ نَفْسَهَا مِنْهُ، قَالَ: أَنَا مَعَ أَبِي... إلخ.

ثُمَّ بَعْدَ أَنْ دَخَلَ بِآمِنَةَ، ذَكَرَ المَرْأَةَ وَجَمَالَهَا، وَمَا عَرَضَتْ عَلَيْهِ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهَا، فَلَمْ يَرَ مِنْهَا مِنَ الإِقْبَالِ، آخِراً مَا رَآهُ أَوَّلاً، فَقَالَ لَهَا: هَلْ لَكِ فِيمَا قُلْتِ؟ قَالَتْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ مَرَّةً، فَالْيَوْمَ لا فَذَهَبَ مِثَالاً. وَقَالَتْ: إِنِّي وَاللهِ، لَسْتُ بِصَاحِبَةِ رِيبَةٍ، وَلَكِنْ رَأَيْتُ نُورَ النُّبُوَّةِ فِي وَجْهِكَ، فَأَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ فِيَّ، وَأَبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَهُ حَيْثُ جَعَلَهُ[٤].

وَكَانَ سَبَبُ تَزَوُّجِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بِفَاطِمَةَ أُمِّ عَبْدِ اللهِ مَا رَوَى أَبُو نُعَيْمٍ[٥] مِنْ

(١) تَبَالَة بفتح التاء، موضع ببلاد اليمن. انظر: معجم البلدان [٢/ ٩].
(٢) انظر: الروض الأنف [٢/ ١٤٢]، و سبيل الهدى والرشاد [١/ ٣٩٢].
(٣) انظر: السيرة النبوية لابن هشام [١/ ١٥٦]، و دلائل النبوة للبيهقي [١/ ١٠٢].
(٤) انظر: الروض الأنف [٢/ ١٤١].
(٥) هو الإمام أبو نُعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران، الإمام الحافظ، الثقة العلامة، صاحب كتاب (حلية الأولياء) توفي سنة [٤٣٠هـ]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء [١٧/ ٤٣٥]، وفيات الأعيان لابن خلكان [١/ ٩١].

طَرِيقِ أَبِي بَكْرِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ الهَيْثَمِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا طَالِبٍ يُحَدِّثُ عَنْ عَبْدِ المُطَّلِبِ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ فِي الحِجْرِ، رَأَيْتُ رُؤْيَا هَالَتْنِي فَفَزِعْتُ مِنْهَا فَزَعاً شَدِيداً، فَأَتَيْتُ كَاهِنَةَ قُرَيْشٍ، فَقُلْتُ لَهَا: إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ: كَأَنَّ شَجَرَةً نَبَتَتْ، قَدْ نَالَ رَأْسُهَا السَّمَاءَ، وَضَرَبَتْ بِأَغْصَانِهَا المَشْرِقَ وَالمَغْرِبَ، وَمَا رَأَيْتُ نُوراً أَزْهَرَ[١] مِنْهَا، أَعْظَمَ مِنْ نُورِ الشَّمْسِ بِسَبْعِينَ ضِعْفاً، وَرَأَيْتُ العرب والعجم لها ساجدين، وهي تزداد كلَّ ساعةٍ عِظماً ونوراً وارتفاعاً، ساعةً تَخْفَى وساعةً تَظهَرُ، ورأيت رَهْطاً من قريش[٢] قد تعلّقوا بأغصانها، ورأيت قوماً من قريش يريدون قطعها، فإذا دنوا منها أخذهم شابٌ لم أر قطُّ أحسن منه وجهاً، ولا أطيب منه ريحاً، فيكسر أظهرهم، ويقلع أعينهم، فرفعت يدي لأتناول منها نصيباً فلم أصل، فقلت لمن النصيب؟ فقال: النصيب لهؤلاء الذين تعلّقوا بها وسبقوك. فانتبهت مذعوراً فَزِعاً، فرأيت وجه الكاهنة قد تغيّر، ثمّ قالت: إنْ صَدَقَتْ رؤياك ليخرجنّ من صُلبك رجلٌ يَمْلِكُ المشرق والمغرب، ويَدِينُ له النّاسُ)[٣].

فتزوّج فاطمة، فحملت بعبد الله الذبيح[٤]، ثمّ زوّج عبدُ المطلب ابنه عبد الله بآمنة بنت وهب بن عبد مناف ابنِ زهرة، وهو يومئذٍ سيّد بني زهرة نسباً وشرفاً، وآمنة يومئذٍ أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً. وسبب ذلك[٥] كما

---

(١) النُّور الأزهر أي: الأبيض المستنير.

(٢) الرَّهط: الجماعة من الرجال دون العشرة.

(٣) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة [١/ ٦٢]، وتدين معناه تخضع.

(٤) هو والد سيدنا رسول الله ﷺ، وقد سبق معرفة المراد بالذبيحين.

(٥) قال علي بن برهان الدين الحلبي: (ثمّ رأيت ابنَ دِحية ﷺ تعالى ذكر في التنوير عن البرقي: أن سبب تزويج عبد الله آمنة أن عبد المطلب كان يأتي اليمن...). انظر: السيرة الحلبية [١/ ٥١].

في (الشَّامي)[١] عن ابن عباس عن أبيه أنَّ عبد المطلب سافر إلى اليمن، فنزل على حَبْرٍ من اليهود، فقال له: من الرَّجل؟ فقال: من قريش، فقال: من أيِّهم؟ قلت: من بني هاشم. قال: أتأذن لي أن أنظر إلى بعضك؟ قلت: نعم، ما لم يكن عورة، ففتح أحد مِنخرَيْه، فنظر فيه، ثمَّ نظر في الآخر، فقال: أشهد أنَّ في إحدى يديك ملكاً، وفي الأخرى نبوة، وإنا نجد ذلك في بني زهرة، فإذا رَجَعْتَ فتزوَّج منهم، فلمَّا رَجَعَ تزوَّج عبدُ المطلب بِهَالَةَ[٢] وزوَّجَ عبدَ الله بآمِنَةَ[٣]. قالوا: إنَّه دخل حين تزوَّجها، فوقع عليها يوم الاثنين من شهر رَجَب، وقيل: من أيام مِنىً، فحملت برسول الله ﷺ، قال ابنُ (سِبْطِ)[٤] الجَوْزِيِّ[٥]: أجمع علماء النَّقل على أنَّ آمنة لم تحمل بغيره ﷺ[٦]، فلم يشركه أخ ولا أخت، لتنتهي صفوتهما إليه، وليكون نسبها مقصوراً عليه، خصَّه الله بنسب، جعله الله تعالى للنبوة غايةً وَلِتَمَامِ الشرف نهايةً، طهَّر الله نسبه الشريف وصانه عن قبائح الجاهلية، وسِفَاح الزِّنا ما شانه. فقد رُوِيَ:

---

(١) أي: في كتاب (سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد)، الذي يعرف عند العلماء بـ (سيرة الشَّمسَ الشَّامي)، لمؤلفه محمد بن يوسف الصالحي المتوفى سنة [٩٤٢هـ].
(٢) تزوَّج هالة بنت وهيب بن عبد مناف، فولدت له حمزة وصفية. انظر: السيرة الحلبية [١/ ٥١].
(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، [٢/ ٧٠٥/ رقم ٤٢٣٥] كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين وانظر: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، [١/ ٣٨٩].
(٤) ما بين معقوفتين ساقط من النسخة المخطوطة.
(٥) هو سبط ابن الجوزي، كان ربيب جده لأمه أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، يوسف بن عبد الله، اشتهر بـ(سبط بن الجوزي)، أبو المظفر، الإمام، الحافظ، الواعظ، المؤرِّخ، الفقيه، الحنفي، توفي سنة [٦٥٤ هـ]. انظر: وفيات الأعيان [٣/ ١٤٢].
(٦) وقول آمنة كما رُوِيَ: (فلم أجد حملاً قط كان أخف عليَّ منه) هو على سبيل المبالغة، والمقارنة هنا قد تحمل على وجه ما رُوي لآمنة من غيرها من ذوات الحمل عن حالهن حين حملن. انظر: السيرة الحلبية [١/ ١٨٤].

أنه لما حضرت آدم عليه الصّلاة والسّلام الوفاة جعل شيثاً وصياً بوحي من الله تعالى، وكان فيما أوصاه أن يوصي من انتقل ذلك النور إليه أن لا يضعه إلا في المطهرات من النساء، ولم تزل هذه الوصية معمولاً بها، فكان ينتقل ﷺ في الأصلاب الزكية الراضيات المرضيات إلى بطون العفاف الطاهرات المطهرات[١].

ولا ريب أنَّ أبويه الكرام من أهل الجنَّة دار السلام، فقد ذكروا أنَّه من خصائصه ﷺ أنه لا تلج النار جوفاً فيه قطرة من فضلاته[٢]، فكيف تعذّب أرحام حملته.

ولقد أحسن الشّهابُ[٣] وأجاد في الاهتداء إلى الصّواب، فقال:

لِوَالِدَيْ طَهَ مَقَامٌ عَلَا ... في جنَّة الخُلْدِ ودارِ الثَّوابْ
فَقَطرةٌ من فضلاتٍ لَهُ ... في الجوف تُنجي من أليم العذابْ
فكيف أحشاءٌ له قد غَدَت ... حاملةً تُصْلَى بنارِ العقابْ؟!

كيف وقد صِين ﷺ عن كلِّ شَيْنٍ ودَنَسٍ معنوي وحسِّي، حتَّى أنَّ الذُّباب كان لا يقع على ما ظهر من جسده ولا على ثيابه، وقد تظرّف المُنْلَا جَامي[٤]، فقال: محمَّد رسول الله، «ليس فيه حرف منقوط، لأنَّ النقطة تشبه

---

(١) انظر: السيرة الحلبية [١/ ٦].

(٢) انظر كشف القناع [٥/ ٣١]. ومطالب أولي النهى [٥/ ٤٠]. والسيرة الحلبية [٢/ ٥١٥]. والبدر المنير [١/ ٤٨١].

(٣) الشهاب الخفاجي في آخر كتابه (المجالس)، كما ذكر العجلوني في كشف الخفاء [١/ ٦٣]. وذكرها المحبّي في خلاصة الأثر [١/ ٢٠٩]. عند ترجمة الشهاب الخفاجي.

(٤) هو الشيخ نور الدين عبد الرحمن ملا الجامي. توفي سنة [٨٩٨هـ]. انظر: شذرات الذهب [٩/ ٥٤٣].

وَنِيمَ الذُّبَابِ[1]، فَصِينَ اسمُه ونعته عنه، وقال في مدحه ﷺ[2]:

لقد ذبَّ الذبابُ فليس يعلو رسولَ الله محموداً محمَّدْ
ونقطُ الحرف يحكيه بشكل لذاك الخَطُّ عنه قد تجرَّدْ

ويرحمُ اللهُ القائل:

أرَدْتُ له مَدْحاً فَمَا من فَضِيلَةٍ تَأمَّلْتُ إلَّا جَلَّ عَنهَا وَقَلَّتِ

وقال آخر وأجاد:

الأمر أعظمُ من مقالةِ قائلٍ إنْ رقَّقَ البُلغاءُ أو إنْ فخَّموا
ماذا يقولُ المادحون ومدْحُه حقاً به نطقَ الكتابُ المحكمُ

وقال غيره:

ماذا يقولُ الواصفون لفضلِهِ وبفضلِهِ نطقَ الكتابُ المنزلُ

وقيل:

أرى كلَّ مدحٍ في النبيِّ مقصِّراً وإنْ بَالَغَ المُثْنِي عَلَيْهِ وَأَكْثَرَا
إذا اللهُ أثنى بالذي هو أهلُه عليه فما مقدارُ ما تمدحُ الوَرَى

وقال آخر:

وما بلغتْ كفُّ امرئٍ متناولاً من المجدِ إلَّا والَّذِي نِلْتَ أَطْوَلُ
ولا بَلَغَ المُثْنُونَ في القولِ مِدْحَةً وإنْ صدَقُوا إلَّا الَّذِي فِيكَ أفضلُ

لكن لما كان من علامات محبَّته ﷺ الالتذاذُ بذكره الشريف، والطربُ

---

(١) الوَنِيمُ خُرْءُ الذباب ونَمَ الذُّبابُ وَنْماً ووَنِيماً وذَرَقَ، قال الجوهري: ونِيمُ الذباب سَلْحه.
وأنشد الأصمعي للفرزدق:
لقد وَنَمَ الذُّبابُ عليه حتى كأنَّ وَنِيمَه نُقَطُ المِدادِ
انظر: لسان العرب [١٥/٤٠٩ مادة: ونم].

(٢) انظر: خلاصة الأثر للمحبي [١/٢٠٩].

عند سماع اسمه المنيف، خصوصاً سماعَ الأصوات المطربة بالإنشادات بالصفات النبوية المُغْرِبَة، إسْتُحْسِنَ طَلَبُ الإنشادِ الحسنِ من صاحب صوت حسن، كما قال القائل:

ها قدْ وجدْتَ مجالَ القولِ ذا سعةٍ ... فإنْ وجدْتَ لساناً قائلاً فَقُلْ

وقال غيره:

لقد أخجلَ الأنوارَ نورُ نبيِّنا ... وفاقَ سنى الشمسِ المنيرةِ والبدرِ

هو المصطفى الهادي الشفيعُ صفاتُه ... كمالٌ بلا نقصٍ وفاءٌ بلا غَدْرِ

أَعِدْ ذكرَهُ يا منشدَ الجمعِ بيننا ... فإنَّ مُنىَ الأرواح في ذلك الذِّكْرِ

وعطِّر بذكر المصطفى كلَّ سامعٍ ... فذكرُ رسول الله من أعْطَرِ العِطْرِ

في مثل هذه الأيام العظام، وُلِدَ سيِّد الأنام، في مثل هذهِ الأزمانِ، أشرقتْ أقطارُ الأكوانِ، وفي مثلِ هذا اليومِ المنيفِ، كان ميلادُ المصطفى الشريف، فهذا شهرُ النورِ، هذا شهرُ الفرحِ والسرورِ، هذا شهرُ ولادةِ المصطفى، هذا شهرُ الأمنِ واليمنِ والصَّفا، كان مولدُه في شهر ربيع، وفي فصل الصيفِ معنى بديعٌ، وإشاراتٌ لطيفة وأمور غريبة ظريفة؛ فإنَّ الرَّبيعَ ناظرُ عَيْنَيِ الزمانِ، وروحُ جسدِ الأوانِ، ودرَّةُ تاجِ الأعوام، وواسطةُ عقدِ الليالي والأيام[1]، جعل الله فيه مولدَ حبيبِهِ وصفيِّهِ، ومظهرَ وجودِ صفوته من خلقه ونبيِّه، فحُقَّ علينا أن نلهى عنِ النَّظرِ فيه إلى الزَّهرِ والثِّمار بذكر النبي المختار، وأن نُشغَلَ عنِ الشُّغْلِ بالرَّوض النضير بنشرِ أوصافِ البشير النذير[2].

رُوِيَ أنه ﷺ خَطَب فقال: «أنا محمَّد بن عبد الله بن عبد المطلب بن

(١) إشارة إلى توقيت مولده ﷺ، حيث كانت في منتصف شهر ربيع الأوَّل.

(٢) انظر: سبل الهدى والرشاد [١/ ٤٠٢].

هاشم بن عبد مناف بن قُصَي بن كِلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَي بن غَالِب بن فِهْر بن مَالِك بن النَّضر بن كِنَانة بن خُزَيْمَة بن مُدْرِكَة بن إلياس بن مُضَرَ بن نِزَار[١]، وما افترق النَّاس فرقتين إلَّا جعل الله تعالى في خيرهما، فأخرجت من بين أبوي، فلم يصبني شيء من عهد الجاهلية، وخرجت من نكاح ولم أخرج من سِفاح، من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي، فأنا خيركم نفساً، وخيركم أباً»[٢]. روى ابنُ مَرْدَوَيْه عن أنسٍ ﷺ، قال: قرأ النبي ﷺ: «لقد جاءكم رسول من أنفَسِكُم»[٣] أي: بفتح الفاء[٤]. وقال: ([أنا])[٥] أنفَسُكم نَسَباً وحَسَباً وصِهْراً، ليس في آبائي من لدن آدم سِفاح كلُّنا»[٦]. ورُوِيَ: كلُّها نكاح.

فهو سيِّدنا محمَّد ابنُ عبد الله الذبيح، توفي وللحَمْلِ بالنَّبيِّ ﷺ شهران على الراجح المشهور فيهما[٧]، ورَثَته آمنة بقولها:

---

(١) من النَّزْر وهو القليل. انظر: الروض الأنف للسهيلي [١/ ٦٢].

(٢) انظر: مصنَّف ابن أبي شيبة [٧/ ٤٠٩]، عيون الأثر [١/ ٧٥]، والكامل في التاريخ لابن الأثير [٢/ ٥ ـ ٣٣]، وأخرج ابن سعد من حديث ابن عبَّاس (أنَّ النبيَّ ﷺ إذا انتسب لم يجاوز في نسبه مَعَدَّ بنَ عدنان). انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد [١/ ٥٨] وهو النسب المتفق عليه عند المحدِّثين كذلك. انظر: الحاشية السابقة. وانظر: فتح الباري لابن حجر [٧/ ١٦٣ ـ ١٦٤].

(٣) انظر تفسير الجيلاني سورة [التوبة: ١٢٨].

(٤) قال ابن جني في المحتسب [١/ ٣٠٦]: (قراءة عبد الله بن قُسيط المكي، بالفتح، معناه، من خياركم، ومنه قولهم: هذا أنفس المتاع، أي أجوده وخياره، واشتقه من النَّفْس، وهي أشرف ما في الإنسان).

(٥) ما بين معقوفتين ساقط من النسخة المخطوطة، والمثبت من نص الحديث.

(٦) الحديث رواه ابن مَرْدَوَيه عن أنس بن مالك ﷺ انظر: سبل الهدى والرشاد [١/ ٢٧٧].

(٧) وقد حقَّق السهيلي في الروض الأنف وفاة أبيه ﷺ [٢/ ١٦٠]، وانظر: السيرة النبوية =

عَفَا جانبُ البَطْحَاءِ من آلِ هَاشِمٍ وجَاوَرَ لَحْداً خَارِجاً في الغَمَاغِمِ[1]

دَعتْهُ المنايا دعوةً فأجابها وما تركتْ في النَّاس مثلَ ابنِ هَاشِمِ

عشيةَ راحوا يحملون سريرَه يُعَاوِرُهُ[2] أصحابُه في التَّزَاحُمِ

فإنْ تكُ غَالَتْهُ المَنَايَا وريْبُها فقدْ كانَ معطاءً كثيرَ التَّراحُمِ

وما أحسن قول من قال:

أَخَذَ الإلهُ أبَا الرَّسول وَلَمْ يزلْ برسوله الفَرْدِ اليَتيمِ رَحِيماً

نَفْسي الفداءُ لمفردٍ في يُتْمِه والدُّرُّ أحسنُ ما يكونُ يتيماً

ابن عبد المطلب، شَيْبَةِ الحَمْدِ سُمِّيَ به، لأنه ولد وفي رأسه شيبة ظاهرة، كنيته أبو الحارث، وقيل: أبو البطحاء، كان يفوح منه ريح المسك الأذفر، وكان يضيء نورُ النبي ﷺ في غُرَّتِهِ، وكانت قريش إذا أصابهم قحط شديد تخرج به إلى جبل ثَبِيرٍ[3]، لِمَا جرَّبوه من نجم الحوايج ببركة النُّور الَّذي معه، فيتقرَّبون به، ويسألون الله أن يسقيهم، فكانَ الله يغيثُهم غيثاً عظيماً[4]، وكان مجاب الدعوة، يقال له: الفيَّاض لجوده، ومطعم طير السَّماء؛ لأنه كان يرفع من مائدته للطير والوحش، كانَ يأمر بترك الظلم ويحثُّ على مكارم

= لابن هشام [١/ ١٥٨]، المواهب اللدنية للقسطلاني [١/ ١٢٣].

(١) الغماغم: بغينين معجمتين بعد كل واحدة ميم بعد الأولى ألف: الأغطية، ويراد بها في هذا البيت، الأكفان. انظر: سبيل الهدى والرشاد [١/ ٣٩٩].

(٢) أي: يتداولونه فيما بينهم.

(٣) ثَبِير: بالفتح ثم الكسر، وياء ساكنة، وراء، يقع على يسار الذاهب من مكة إلى منى، يقابل جبل حراء ويمتد منه إلى أن يصل أواخر منى، وجبل ثبير هو الذي أهبط عليه كبش الفداء لإسماعيل ﷺ، ومن ضمن جبل ثبير ما يسمَّى الآن جبل الرَّخم. انظر: معجم البلدان [٢/ ٧٢].

(٤) انظر: المواهب اللدنية للقسطلاني [١/ ٩٧].

الأخلاق، وينهى عن عبادة الأوثان، ودنيّات الأمور، ولما قَدِمَ أبرهةُ لهدم بيت الله الحرام، وبلغ عبد المطلب ذلك، قال: يا معشر قريش لا يصل إلى هدم هذا البيت، لأنَّ لهذا البيت ربّاً يحميه.

ابن هاشم، واسمه عمرو، وقيل له: هاشم لأنه كان يهشم الثَّريد لقومه في الجَدْب، وهو أوّل من هَشَمَ[1] الثَّريد لقومه بمكة، فإنَّ أهلَ مكةَ أصابهم جهدٌ، فرحلَ إلى فلسطين فاشترى منها دقيقاً كثيراً وكعكاً، وقدمَ مكّةَ وأمر بنَحْرِ جَزورٍ، وجعلها ثريداً عمَّ به أهل مكة، ولم يزل يفعل كذلك حتى استقلوا.

ابن عبدِ مَنَاف، واسمه المغيرة ابن قصي، تصغير قصى، واسمه مُجَمِّع أبوكم قصيّ، كان يدعى مجمّعاً به جمّع الله القبائل، من فهر بن كِلَاب[2] واسمه حكيم، وهنا يجتمع نسب أبي النبيّ ﷺ وأمّه.

ابن مُرَّة[3]، وكنيته أبو يقظة، وفيه يلتقي الصّديق مع النبيّ ﷺ.

---

(١) كان هاشم يكسر الخبز ويضعه مع المرق، ويُسمّى عند العرب حين ذاك الثريد ويطعم به الحجاج، وهو الذي سنَّ رحلتي الشتاء والصيف لقريش، وكان اسمه الحقيقي عمرو كما بينت، وقد قيل فيه:

عمروُ الذي هشَمَ الثريدَ لقومهِ ... قومٍ بمكةَ مسنتين عجافِ
سُنّت إليه الرحلتان كلاهما ... سفرُ الشتاءِ ورحلةُ الأصيافِ

انظر: سبيل الهدى والرشاد [١/ ٣١٥].

(٢) بكسر الكاف وتخفيف اللام منقول، وفي وجه نقله من الجمع قولان أحدهما إما من المصدر الذي في معنى المكالبة، نحو كالَبْتُ العدوَّ مكالبةً وكلاباً، وإما من الكلاب جمع كلب لأنهم يريدون الكثرة، كما سمّوا بسباع وأنمار. والثاني أنه كان محباً للصيد، مولعاً به بالكلاب، وجمع منها شيئاً كثيراً، فكان إذا مرَّ بكلاب قوم، قيل: هذا كِلاب بن مرّة، فبقي لقباً له. انظر: سبيل الهدى والرشاد [١/ ٢٣٦].

(٣) ومرّة منقول منة وصف الحنظلة والعلقمة، وكثيراً ما يسمّون بحنظلة وعلقمة، ويجوز أن =

ابن كعب وفيه يلتقي الفاروق معه، ابن لؤي بالهمز والواو، تصغير لأي، وكنيته أبو كعب، ابن غالب، وكنيته أبو تيم، ابن فهر، وكنيته أبو غالب، واسمه قريش، وإليه تنسب قريش، سأل معاويةُ ابنَ عباس رضي الله عنهما[١]، فقال: سُمّيتْ بدابة على البحر تأكل ولا تؤكل، وتعلو ولا تعلى، وأنشد قول تُبّع:

وقريشٌ هي التي تسكنُ البحـ ـر به سُمِّيَتْ قريشٌ قريشاً[٢]

ابن مالك، وكنيته أبو الحارث، ابن النضر، كنيته أبو يخلد، ابن كنانة، كنيته أبو النضر، ابن خُزَيْمَة[٣]، كنيته أبو أسد، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (مات خُزيمة على ملّة إبراهيم عليه الصلاة والسلام)[٤].

ابن مُدْرَكَة، اسمه عمرو أو عامر، وكنيته أبو هُذَيل، ويقال: أبو خُزَيْمَة،

= تكون الهاء للمبالغة، فيكون منقولاً من وصف الرجل بالمَرارة. انظر: الروض الأنف [١/ ٥٠].

(١) اشتقاق كلمة قريش، قيل من التقرش، وهو التجمع بعد التفرق، وذلك زمن قصي بن كلاب الذي جمعهم بالحرم، وكان يطلق عليه قريش، وقيل: التقرش هو التكسب للتجارة. انظر: البداية والنهاية لابن كثير [٢/ ٢٠١]، دلائل النبوة للبيهقي [١/ ١٨١].

(٢) هذا البيت من شعر الجمحي (وهب بن زمعة بن أسد، من أشراف بني جمح بن لؤي بن غالب). انظر: السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٨٨].

(٣) تصغير خَزَمَة، وهي واحدة الخَزَم، وهو شجر تتخذ من لحائه الحبال، ويجوز أن يكون تصغير خَزْمَة، وكلاهما موجود من أسماء الأنصار وغيرهم، وهي المرّة الواحدة من الخَزْم، وهو شدُّ الشيء وإصلاحه. انظر: الروض الأنف [١/ ٥٦].

(٤) رواه ابن حبيب بسند جيّد عن ابن عباس، قال البلاذريُّ: وكانت له على الناس مكارم أخلاق وأفضال بعدد الزمان، حتى قيل فيه:

أمّا خزيمة فالمكارم جمّةٌ سبقت إليه وليس ثم عنيةٌ

انظر: سبيل الهدى والرشاد [١/ ٣٣٩].

ابن إلْيَاسَ، يذكر أنه كان يسمع في صلبه تلبية النبي ﷺ أنه قال: (لا تسبُّوا إلياس، فإنه كان مؤمناً)[١].

ابن مُضَرَ[٢]، يؤثر عنه: (منْ يزرعْ شرّاً يحصدْ ندامةً، وخيرُ الخيرِ أعجلُه)[٣].

ابن مَعَدِ ابن عَدْنَانَ، وعدنانُ ممَّن كَـا الكعبة، رُوِيَ عن عُمَرَ ﷺ قال: (إنَّما ينسب إلى عدنان وما فوق، ذلك لا يدرى ما هو)، وقال عُرْوَةُ بنُ الزُّبير: (ما وجدنا أحداً يعرف بعد معدٍ بن عدنان). انتهى نعم نسب إبراهيم إلى آدم عليهما الصلاة والسّلام، صحيح مذكور في التوراة، وعن ابن عباس: (بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أباً لا يُعرفون).

نسب كأنَّ عليه من شمس الضحى ... نوراً ومن فَلَق الصباح عموداً
ما فيه إلَّا سيِّدٌ من سَيِّدٍ ... حازَ المكارمَ والتُّقى والجُودا

ويذكر أنه لما استقرّت النُّطفة الذكيَّة والدرَّة المحمديَّة، نودي في الملكوت[٤]، ومعالم الجبروت[٥]: أن عطّروا جوامع القُدْسِ الأسْنَى،

---

(١) ذكره السهيلي في الروض الأنف [١/ ٨]، بقوله: (ويذكر). وانظر: سبل الهدى والرشاد [١/ ٣٤١].

(٢) بضم الميم وفتح الضاد المعجمة، لقب بذلك كان يخبر قلبَ من رآه لحسنه وجماله، وقيل غير ذلك، واسمه عمرو، وكنيته أبو إلياس. انظر: سبل الهدى والرشاد [١/ ٣٤٢].

(٣) وتتمّة هذا الأثر كما أورده الحلبي في سبل الهدى والرشاد [١/ ٣٤٤]: (. . .فاحملوا أنفسكم على مكروهها فيما يصلحكم، واصرفوها عن هواها فيما أفسدها، فليس بين الصلاح والفساد إلَّا صبْر فُوَاق). والفواق: الوقت ما بين الحلبتين.

(٤) قال في كشف اللغات: الملكوت في اصطلاح الصوفية هو عالم الأرواح وعالم الغيب وعالم المعنى. انظر: كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي [٢/ ١٦٤٢].

(٥) عالم الجبروت: على وزن فَعَلوت من الجبر والقهر. روى أبو داود في السنن [١/ ٢٣٠ =

ويَمَّمُوا جهات الشَّرق الأعلى، وافرشوا سجّادات العبادات في صُفُفِ الصَّفَا لصُوفيَّة الملائكة المقرَّبين، أهل الصِّدق والوفا، فقد انتقل النُّورُ المكنونُ إلى بطنِ آمنةَ ذاتِ العقلِ الباهر والفخرِ المصونِ، قد خصَّها الله القريب المجيب بهذا السيِّد المصطفى الحبيب، لأنها أفضل قومها حسباً وأنجبُ، وأزكاهم أصلاً وفرعاً وأطيبُ، ولم يبق في تلك الليلة دارٌ إلّا أشرقت، ولا مكانٌ إلّا دخلَه النُّور، ولا دابةٌ إلّا نطقتْ، وكانت قريشٌ في جدبٍ شديدٍ وضيقٍ عظيم، فاخضرَّت الأرضُ، وحملتِ الأشجارُ، وأتاهم الرِّفْدُ من كل جانبٍ، فسمّيت تلك السنةُ سنةَ الفتحِ والابتهاجِ.

مَحَا ظلمَ الإشراكِ بعدُ ولادهِ ولا عجبٌ فالليلُ والقبحُ يهزمُ
مُنىً كلّ نفسٍ لثمُ آثارِ نعلِهِ وفي النَّاس منْ يُعطى مُناه ويُحرمُ

وكانت ولادته على المشهور وقول الجمهور في شهر ربيع الأوّل[1]، وفي ذلك يقول القائل:

لهذا الشهر في الإسلامِ فضلٌ ومَنْقَبَةٌ تفوقُ على الشُّهُورِ
فمولدُه به اسمٌ ومعنىً وآياتٌ بَهَرْنَ لدَى الظُّهُورِ

= رقم / ٨٧٣] باب: ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، وغيره عن عوف بن مالك الأشجعي قال: «قمت مع رسول الله ﷺ ليلة فقام فقرأ سورة البقرة لا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأله ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ قال: ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ثم سجد... الحديث». قال أبو الطيب الآبادي صاحب عون المعبود [٣/ ٨٨]: (قال الطيبي: وفي الحديث يكون ملك وجبروت أي عتو وقهر والملكوت فعلوت من الملك ظاهراً وباطناً والكبرياء العظمة والملك، أو كمال الذات الوجود، قولان ولا يوصف بها إلا الله). أهـ.

(١) لما أخرجه الحاكم في المستدرك [٢/ ٧٠٨/ رقم ٤٢٤١]، وانظر: دلائل النبوة للبيهقي [١/ ٧٤].

ربيعٌ في ربيعٍ في ربيعٍ ونورٌ فوقَ نُورٍ فوقَ نُورِ

والصَّحيح أنَّ اليوم يوم الإثنين، وأنه لاثنتي عشرة ليلة[١]، وقال ابن كثير: (هو المشهور عند الجمهور) انتهى.

وعليه الاجتماعُ الفعليُّ، خصوصاً من أهل مكّةَ، فإنهم يتباعَوْن بذلك ويتنافَسُون، ويقولون: هذا يومُ وجودِ من شُرِّفَتْ به مكّة وجميعُ الكائناتِ، هذا يومُ نزولِ الوحي، يومُ البعثةِ يومُ النبوةِ.

وفي كلِّ دار دَعوةٌ وضِيافةٌ وفي كلِّ سوق زينةٌ ومشاعِلُ
لميلاد خير المرسلين شريعةً فصلَّى عليه الله ما سَالَ سَائِلُ

وكونه يوم الإثنين؛ هو الموافق لحديث مُسْلِمٍ عن [أبي[٢]] قتادةَ الأنصاريّ ﷺ، أنه ﷺ سُئِلَ عن صيامِ يوم الإثنين، فقال: (ذاك يوم ولدت فيه، وأنزلت عليَّ فيه النبوة)[٣].

وفي هذا الجواب إرشاد إلى فضيلة الشُّكر على ما حدث من إسداء نعمة أو دفع نقمة في يوم معيَّن، ونظيره ما ثبت في الصَّحِيحَيْن أنَّ النَّبي ﷺ قَدِمَ المدينة، فوجد اليهودَ يصومون يومَ عاشوراء، فسألهم، فقالوا: هذا يومٌ أغرق

---

(١) قال محمد بن إسحاق: ولد رسول الله ﷺ يوم الإثنين عام الفيل، لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأوّل. انظر: السيرة النبوية ابن هشام [١/ ١٧١]. دلائل النبوة [١/ ٧٤]. الروض الأنف [٢/ ١٤٣].

(٢) ما بين معقوفتين ساقط من النسخة المخطوطة، والمثبت هو الموافق لما في رواية صحيح مسلم، وانظر الحاشية التالية.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، [٢/ ٨١٩/ رقم ١١٦٢] كتاب الصيام،باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصوم يوم عرفة وعاشوراء والإثنين والخميس، عن أبي قتادة الأنصاري، والبيهقي في السنن الكبرى [٤/ ٢٩٣]. والحاكم في المستدرك، [٢/ ٧٠٧/ رقم ٤٢٣٨].

الله فيه فرعونَ ونجّى موسى، فنحنُ نصومُه شكراً لله تعالى، فقال: «أنا أحقُّ بموسى منكم، فصامه وأمَرَ بصيامه»[1]. وأيُّ نعمةٍ أعظمُ من بروزِ هذا الحبيبِ العظيمِ، الذي هو السببُ في كلّ خيرٍ جسيمٍ، وفضلٍ عميمٍ، كما قال الشاعر:

وللدُّرَرِ والياقوتِ حسنٌ وزينةٌ ... ولكنَّه في جِيدِ حَسْنَاءَ أجملُ

فالاعتناء بمولدِهِ الشريفِ، وإظهارُ السُّرورِ في نظيرِ ذلك الزَّمن، وعملُ المولد وقراءةُ القرآن وروايةُ الأحاديث والآثار، والذكرُ والصَّلاة على النَّبي ﷺ، والإنشادُ للمدائح النبوية، وإطعامُ الطَّعام والصَّدقاتُ والإحسانُ إلى الفقراء والمساكين وأهلِ القرآن وأهلِ العلم، أمرٌ حسنٌ مستحسنٌ، ثوابُ فاعله الثَّواب الجزيل، ويزاد له الخيرُ على قصدِهِ الجميلِ، فهو بدعةٌ حسنةٌ عند من حقَّق العلمَ وأتقنه، لما في ذلك من إظهارِ الفرحِ والسُّرور بذلك النُّور، وإغاظةِ أهلِ الزَّيغ من الزنادقةِ والملحدينَ والكفرة والمُرائين، فلذا لم يزلْ أهلُ الإسلامِ خصوصاً أهلَ مكّةَ المشرّفةِ يحتفلون في هذا الشهرِ خصوصاً ليلةَ مولدِهِ الاحتفالَ التامّ، ويتصدَّقون بأنواعِ الصدقات، ويظهرون السُّرور ويكثرون من المبرّات، قال الشَّمسُ الحافظُ ابنُ الجَزَرِيّ الإمامُ الجليلُ[2]: (إنَّ ممّا جُرِّبَ من خواصِ عملِ المولدِ أنه أمانٌ لفاعلِهِ في ذلك العامِ،

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، [٢/٥٨/ رقم ٢٠٠٤] كتاب الصيام، باب صيام يوم عاشوراء، ومسلم في صحيحه، [٢/٧٩٦/ رقم١١٣٠] باب صيام يوم عاشوراء، عن ابن عبّاس رضي الله عنهما.

(٢) هو الحافظ الحجة، محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري الدمشقي العمري الشيرازي الشافعي، عُرِفَ بابن الجزري نسبة إلى جزيرة ابن عمر، توفي رحمه الله، سنة [٨٣٣هـ]. بمدينة شيراز. انظر ترجمته في: الضوء اللامع [٩/ ٢٥٥] شذرات الذهب [٩/ ٢٩٨].

وبُشرى عاجلة بنيلِ ما يُبْتَغى ويُرَام). وقد أكثرَ الإمامُ الحافظُ الكبيرُ أبو شَامَةَ[١] الثناءَ على الملكِ المظفَّر[٢] صاحبِ إِرْبِلَ[٣]، بسببِ عنايتِهِ بالمولدِ الشريفِ واهتمامِهِ بِهِ، وكثرةِ إطعامِهِ، وزيادةِ إعطائِهِ المالَ وإنعامِهِ، وقال: (مثلُ هذا الفعلِ الحسنِ يُندبُ إليه، ويشكرُ فاعلُهُ، ويثنى عليه). قال في (مرآة الزمان)[٤]: إنَّ المظفَّر كانَ يصرفُ على المولد في كلِّ سنةٍ ثلاثمئة ألفِ دينارٍ، ولما اجتازَ الحافظُ أبو الخطَّاب بن دِحْيَة[٥] بإِرْبِل، ووجدَ المظفَّر يعتني بالمولدِ النبوي، صنَّفَ كتابَ (التنوير في مولد البشيرِ النذير)[٦]، فقرأه عليه بنفسه، وأجازه على ذلك بألف دينارٍ[٧].

ولمَّا بشَّرت ثُوَيْبَةُ جاريةُ أبي لهب أبا لهب بولادته ﷺ أعتقها، وأمرَها بإرضاعِهِ، وقد رُؤِيَ أبو لهبٍ بعد موتِهِ في المنام، رآه العباس ﷺ بعد سنةٍ من موتِهِ بعدَ بدرٍ، فقيل له: ما حالُك؟ فقال: في النَّارِ إلَّا أنَّه يُخفَّف عنيَّ كلَّ ليلة اثنين[٨]، وأمصُّ من بين إصبعيَّ هاتين ماءً، وإنَّ ذلك بإعتاقي لثُوَيْبَةَ

---

(١) سبقت ترجمته. شذرات الذهب [٧/ ٥٥٣].

(٢) هو مظفر الدين أبو سعيد كوكبري بن زين الدين علي بن بكتكين، تملك إربل بعد وفاة والده، توفي سنة [٦٣٠هـ]. انظر: العبر للذهبي [٣/ ٢٠٨]، شذرات الذهب [٧/ ٢٤٣].

(٣) إِرْبِلُ: بالكسر ثم السكون وباء موحدة مكسورة ولام، بوزن إِثْمِد، قلعة حصينة ومدينة كبيرة من أعمال الموصل تبعد عنها مسيرة يومين، انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي [١/ ١٣٧].

(٤) كتاب (مرآة الزمان في تاريخ الأعيان) ألّفه سبط ابن الجوزي. انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة [١/ ١٦٤٧].

(٥) هو عمر بن حسن بن علي بن الجُميل الكلبي الداني ثمَّ السَّبتي، توفي سنة [٦٣٣ هـ]. انظر: العبر للذهبي [٣/ ٢١٧].

(٦) ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون [١/ ٥٠٢]. بعنوان (التنوير في مولد السراج المنير).

(٧) انظر: كشف الظنون [١/ ٥٠٢].

(٨) عند البخاري في صحيحه ما يفيد هذا المعنى، [٣/ ٣٦٢/ رقم ٥١٠١] كتاب النكاح، عن =

عندما بشَّرتني بولادةِ النبي ﷺ، وبإرضاعِها له؛ أي: بأمري، فإذا كان هذا حالَ أبي لهبٍ الكافرِ، الذي نزلَ القرآنُ بذمِّه، جُوزِيَ وهو في النَّار بفرحِهِ بولادته ﷺ، بهذا التَّخفيفِ، فكيفَ حالُ المؤمنِ المسرورِ الذي يُظهر السرورَ والفرحَ في مثل زمنِ وجودهِ ﷺ، ويبذُل ما تصلُ إليه قدرتُه محبةً له وفرحاً به وغيظاً لأعدائِه.

قال بعضُ أهلِ المعرفةِ والتعظيم: (إنما يكونُ جزاؤه من الله الكريمِ أن يدخلَه بفضلِهِ العميم جنَّاتِ النعيم)[1].

ولقد أحسنَ الحافظ ابنُ ناصر الدِّمشقي[2] بقوله:

إذا كانَ هذا كافراً جاءَ ذمُّه ... وتبت يداه في الجحيم مخلَّداً

أتى أنَّه في يومِ الاثنين دائماً ... يخفَّفُ عنه للسُّرور بأحمَدا

= عُرْوَةُ بْنَ الزُّبَيْرِ أَنَّ زَيْنَبَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ أَخْبَرَتْهَا أَنَّهَا قَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ انْكِحْ أُخْتِي بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ فَقَالَ «أَوَتُحِبِّينَ ذَلِكِ» فَقُلْتُ: نَعَمْ لَسْتُ لَكَ بِمُخْلِيَةٍ وَأَحَبُّ مَنْ شَارَكَنِي فِي خَيْرٍ أُخْتِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ ذَلِكِ لَا يَحِلُّ لِي» قُلْتُ: فَإِنَّا نُحَدَّثُ أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَنْكِحَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: «بِنْتَ أُمِّ سَلَمَةَ» قُلْتُ: نَعَمْ فَقَالَ: «لَوْ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ رَبِيبَتِي فِي حَجْرِي مَا حَلَّتْ لِي إِنَّهَا لَابْنَةُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ أَرْضَعَتْنِي وَأَبَا سَلَمَةَ ثُوَيْبَةُ فَلَا تَعْرِضْنَ عَلَيَّ بَنَاتِكُنَّ وَلَا أَخَوَاتِكُنَّ» قَالَ عُرْوَةُ وَثُوَيْبَةُ مَوْلَاةٌ لِأَبِي لَهَبٍ كَانَ أَبُو لَهَبٍ أَعْتَقَهَا فَأَرْضَعَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَلَمَّا مَاتَ أَبُو لَهَبٍ أُرِيَهُ بَعْضُ أَهْلِهِ بِشَرِّ حِيبَةٍ قَالَ لَهُ «مَاذَا لَقِيتَ» قَالَ أَبُو لَهَبٍ: لَمْ أَلْقَ بَعْدَكُمْ غَيْرَ أَنِّي سُقِيتُ فِي هَذِهِ بِعَتَاقَتِي ثُوَيْبَةَ).

(١) هذا من قول الإمام شمس الدين ابن الجزري توفي سنة [٨٣٣هـ]، وقد نقله الإمامُ القسطلاني في المواهب اللدنية. [١/ ٢٧].

(٢) هو حافظ دمشق، شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر عبد الله بن محمد، الشهير بابن ناصر الدمشقي. توفي سنة [٨٤٢هـ]. انظر ترجمته في: الضوء اللامع [٥/ ٣١٢]. وشذرات الذهب [٩/ ٣٥٤].

فما الظنُّ بالعبدِ الَّذِي كان عُمْرُه بأحمدَ مسروراً وماتَ موحِّدَا

ومن إظهار السُّرور بذلك الجناب الرَّفيع، إنشاد وسماع مديحه البديع:

يا واصف المصطفى قل ما استطعت ....؟

اعلم أيها المسرورُ بظهورِهِ مظهرَ كلِّ خير وحُبور، أنه لما آنَ مولدُ سيِّدِ ولدِ عدنانَ سيِّدنا ونبيِّنا محمَّد سيِّد السادات، وأبانَ ظهورُ موكبِهِ العزيز في الكائنات، ضربت خيمة نصره في إيوان[1] كِسْرَى، فانشقَّ وتساقطت الشرفات[2]، وقُرِئ توقيعُ رسالتِهِ المحمدية في قاب قوسين، وأظهر في الرتب العاليات، وانتشرَ ذكرُه المبين، وطار في الجهات والأقطارِ، وأكنافِ أشراقِ أهلِ السَّموات، ولم يولدْ كغيره منكوساً، بل وُلِدَ مسروراً مختوناً[3]، محروساً رافعاً بصره إلى الجنَّات، وبرزتْ ليلةَ ولادتِهِ الحورُ المخبَّآت مستبشراتٍ سافراتٍ، ووقعتْ أصنامُ الضَّلالات من هيبتِهِ ناكساتٍ صاغراتٍ، وخَمِدَت لِتَشَعْشُعِ أنوارِه نارُ فارس، ورُمِيَت بثَواقِبِ الشُّهب من المجالس الأبالسُ، صارخاتٍ مُعْوِلَاتٍ، وخرَّت الأصنامُ جميعُها؛ هُبَلُ الأعظمُ واللَّاتُ، رُوِيَ أنَّ نفراً من قريشٍ منهم عثمانُ بن الحُوَيْرِث، كانوا عندَ صنمٍ لهم يجتمعون ويعظِّمونه وينحرون له الجَزُور، فدخلوا عليه ليلاً فرأوه مكبوباً على وجهه، فردُّوه، فانقلب انقلاباً عنيفاً، فردُّوه، فانقلب الثالثة، فاغتموا

---

(١) والإوانُ والإيوانُ الصُّفَّةُ العظيمة، وفي المحكم شِبْهُ أَزَجٍ غير مسدود الوجه، وهو أعجمي، ومنه إيوانُ كِسْرى. انظر: لسان العرب [١/ ٢٧٣ مادة: أون].

(٢) جزء من قصة طويلة ذكرها ابن كثير عن مخزوم بن هاني المخزومي عن أبيه البداية والنهاية [٢/ ٢٩٦]. والمنتظم [٢/ ٢٥٠]. وتاريخ الطبري [٢/ ٤٥٩]. وعيون الأثر [١/ ٤١] وغيرهم.

(٣) انظر تاريخ مدينة دمشق [٣٨/ ٣٣٧]. والسيرة الحلبية [١/ ١١٦]. والبداية والنهاية [٢/ ٣٤١].

وأعظموا ذلك، وأنشد عثمانُ في ذلك أبياتاً[(١)]، فهتف بهم هاتفٌ بصوتٍ جهيرٍ، وهو يقول:

تـردّى لـمـولـودٍ أنـارت لـنـورِهِ ... جميعُ فِجَاجِ الأرض بالشَّرق والغربِ

وخرَّت لـه الأوثان طرًّا فـارْعَـدَتْ ... قلوبُ مُلوكِ الأرضِ طُرًّا من الرُّعْبِ

فَيَا لِقُصَيِّ ارْجِعُوا عن ضَلَالِكُمْ ... وَهُبُّوا الى الإسلام والمنزِلِ الرَّحْبِ

فتح به أبوابَ الطَّاعات والحسنات، وأغلقَ به أبوابَ المعاصي والسيِّآت، نطقَ الذئبُ برسالته[(٢)]، واعترف به الضبُّ حتى تكلَّم بعبارته[(٣)]، وانشقَّ القمرُ فِلقتين على أبي قُبَيْس[(٤)]..............................

---

(١) ذكرتها مصادر السيرة النبوية، من هذه الأبيات:

أيا صنمَ العيدِ الذي صُفّ حولَه ... صناديدُ وفدٍ من بعيد ومن قربِ

يُنكّسُ مقلوباً فما ذاك قلْ لنا ... أذاكَ سفيهٌ أم تنكّس للعتْبِ

فإنْ كانَ من ذنبٍ أسأنا فإنَّنا ... نبوءُ بإقرارٍ ونلوي على الذَّنْبِ

وإنْ كنتَ مغلوباً تنكّستَ صاغراً ... فما أنتَ في الأصنام بالسَّيد الربِّ

انظر: سبيل الهدى والرشاد [١/ ٤٩١].

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، [٦/ ٤١] باب ما في كلام الذئب وشهادته لنبيِّنا بالرِّسالة وما ظهر في ذلك من دلالات النبوّة. عن أبي سعيد الخدري، وانظر: سبيل الهدى والرشاد [١/ ١٦٩].

(٣) روى البيهقي عن عمر بن الخطاب، أن أعرابياً صاد ضباً، فقال: لا آمنت بك حتى يؤمن هذا الضب، فأقبل رسول الله ﷺ على الضب، فقال: «يا ضب»، قال: لبيك وسعديك يا رسول الله يا زين من وافى القيامة، قال: «من تعبد؟» قال: الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله، وفي الجنة رحمته، وفي النار عقابه، قال: «من أنا؟» قال: رسول رب العالمين وخاتم النبيين، قد أفلح من صدقك، وخاب من كذبك، فقال الأعرابي: والله لا أبتغي أثراً بعد عين، أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله). انظر: سبيل الهدى والرشاد [١/ ١٧٨].

(٤) أبو قبيس: بلفظ التصغير كأنه تصغير قبس النار، وهو اسم الجبل المشرف على مكة وجهه إلى قُعَيْقِعانَ ومكة بينهما أبو قُبيس من شرقيها وقعيقعان من غربيها. قيل: سمي

وَقُيَيْقِعَانُ[1] بإشارتِه، فكان ذلك وقدْ شُغِلَهُ من أعظم الآيات، كلَّمته الذراعُ المسمومَةُ[2]، وحنَّ إليه الجذعُ اليابسُ[3]، وانفجرَ الماءُ من بينِ

= باسم رجل من مَذْحِج كان يكنى أبا قبيس لأنه أول من بنى فيه قبة. انظر: معجم البلدان [١/ ٨٠].

(١) قُعَيقِعَانُ: بالضم ثم الفتح بلفظ تصغير، وهو اسم جبل بمكة قيل: إنما سمي بذلك لأن قطوراء وجُرهم لما تحاربوا قعقعت الأسلحة فيه، وعن السُّدي أنه قال: سمي الجبل الذي بمكة قعيقعان لأن جُرهم كانت تجعل فيه قسيها وجعابها ودَرَقَها، فكانت تقعقع فيه. انظر: معجم البلدان [٤/ ٣٧٩].

(٢) بوَّب البخاري في صحيحه، [٣/ ١٤٣/ رقم٤٢٤٩] في كتاب المغازي. باباً سمَّاه: (بَابُ الشَّاةِ الَّتِي سُمَّتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ بِخَيْبَرَ رَوَاهُ عُرْوَةُ عَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ). وروت كتب السيرة الحادثة بتفاصيلها منها: (لما افتتح خيبر، وقتل من قتل، واطمأن الناس، أهدت زينب ابنة الحارث امرأة سلام بن مشكم، وهي ابنة أخي مرحب ـ لصفية امرأته شاة مصلية، وقد سألت: أي عضو الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها الذراع، فأكثرت فيها من السم، ثم سمَّت سائر الشاء، فدخل رسول الله ﷺ على صفية ومعه بشر بن البراء بن معرور ـ بمهملات ـ فقدمت إليه الشاة المصلية، فتناول رسول الله ﷺ الكتف، وفي لفظ: الذراع، وانتهس منها فلاكها رسول الله ﷺ وتناول بشر ابن البراء عظما، فانتهس منه. قال ابن إسحاق: فأمَّا بشر فأساغها، وأما رسول الله ﷺ فلفظها، وقال ابن شهاب: فلما استرط رسول الله ﷺ لقمته استرط بشر بن البراء ما في فيه، فقال رسول الله ﷺ: «ارفعوا ما في أيديكم، فإنَّ كتف هذه الشاة تخبرني أني نعيتُ فيها». انظر: سبيل الهدى والرشاد [٥/ ٢٠٨].

(٣) الجذع: بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة وبالعين المهملة، واحد جذوع النخل. أخرج البخاري في صحيحه [١/ ٢٩١/ رقم ٩١٨] كتاب الجمعة، باب الخطبة على المنبر. عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ قَالَ: كَانَ جِذْعٌ يَقُومُ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمَّا وُضِعَ لَهُ الْمِنْبَرُ سَمِعْنَا لِلْجِذْعِ مِثْلَ أَصْوَاتِ الْعِشَارِ حَتَّى نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ قَالَ سُلَيْمَانُ عَنْ يَحْيَى أَخْبَرَنِي حَفْصُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَنَسٍ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ). وانظر في صحيح البخاري الأحاديث التالية [٢٠٩٥، ٣٥٨٤، ٣٥٨٥]،، ومنها أيضا: (أنَّ النبي ﷺ كان يخطب إلى جذع نخلة، فاتخذ له منبر، فلما فارق الجذع، وغدا إلى المنبر الذي صنع له جزع الجذع، فحن له كما تحن الناقة). =

أصابعهِ[1]، وأشبعَ الجمَّ الغفيرَ من القدرِ اليسيرِ[2]، فكان ذلك من أظهرِ البركات.

ضاءَتْ لمولده الآفاق واتَّصلت بشرى الهواتف في الإشراق والطَّفَلِ

وَصَرْحُ كسرى تداعى من قَوَاعِدِه انقضَّ منكسرَ الأرجاء ذا مَيَلِ

ونارُ فارسَ لم تُوقَد وقد خَمِدَت مُذْ ألف عامٍ ونَهْرُ القومِ لَمْ يَسِلِ

خرَّت لمبعثِهِ الأصنامُ وانبعثَتْ ثواقبُ الشُّهب تَرْمِي الجِنَّ بالشُّعُلِ[3]

وفي حديث أسماء بنت أبي بكرٍ رضي الله عنهما[4]: أنَّ ورقة بنت نوفل أخبر النجاشي أنه ليلة ولد ﷺ بات عند وَثَنٍ لهم، إذ سَمِعَ من جوفه هاتفاً يقول:

= روي عن الإمام الشافعي: حنين الجذع أكبر من إحياء الموتى، زاد البيهقي: (ما أعطى الله ﷻ نبياً ما أعطى محمداً ﷺ الجذع الذي كان يخطب إلى جنبه حتى هُيِّئ له المنبر حن الجذع حتى سمع صوته فهذا أكبر من ذاك). انظر: سبيل الهدى والرشاد [١٠/ ١١٤].

(١) قال أبو العباس القرطبي: قصة نبع الماء من بين أصابعه ﷺ تكرّرت منه في عدة مواطن في مشاهد عظيمة ووردت عنه من طرق كثيرة يفيد عمومها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي، قال: ولم يسمع بمثل هذه المعجزة العظيمة من غير نبينا ﷺ، حيث نبع الماء من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه. من الأدلة ما أخرجه الشيخان عن أنس: كان رسول الله ﷺ بالزَّوراء وحانت صلاة العصر والتمس الناس الوضوء فلم يجدوا ماء، فأتي رسول الله ﷺ بوضوء، فوضع رسول الله ﷺ يده في ذلك الإناء فحين بسط يده فيه فضم أصابعه فأمر الناس أن يتوضؤوا منه فرأيت الماء ينبع من بين أصابع النبي ﷺ فتوضؤوا من عند آخرهم. قال قتادة: قلت لأنس: كم كنتم؟ قال: كنا زهاء ثلاثمائة. انظر: سبيل الهدى والرشاد [١٠/ ١٣ ـ ٢٧].

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) قائل هذه الأبيات هو الإمام أبو محمد عبد الله بن يحيى بن علي الشقراطيسي، المتوفى سنة [٤٩٩هـ]. انظر: سبيل الهدى والرشاد [١/ ٤٣٠].

(٤) أسماء بنت أبي بكر الصديق، والدة عبد الله بن الزبير التيمية، أسلمت قديماً بمكة، قال ابن إسحاق: بعد سبعة عشر نفساً، تزوّجها الزبير بن العوام، وهاجرت معه وهي حامل

ولد النبي فذلَّت الأملاكُ ونأى الضَّلال وأدبرَ الإشراكُ[١]

ثم انتكسَ الصنمُ على رأسِه، وأنَّ زيدَ بن عمرو بن نُفَيل[٢] أخبَرَه أنَّه أتى تلكَ الليلةَ جبلَ أبي قُبَيْس، إذ فرأى رَجُلاً ينزلُ من السَّماءِ له جناحانِ أخضران، فأشرف على مكةَ واقفاً على أبي قُبيس، فقال: «ذلَّ الشيطانُ وبطلتِ الأوثانُ، وُولد الأمينُ المختارُ». ثمّ نشرَ ثوباً مَعه، وأهوى به نحوَ المشرقِ والمغربِ، فرأيته قد جلَّل ما تحتَ السَّماءِ، وسطعَ نورٌ كادَ أن يخطفَ بصَري، وخفقَ بجناحَيْهِ على الكعبةِ، فسطعَ له نورٌ أشرقتْ له تهامةُ، وقال: زكتِ الأرضُ وأدَّت ريعَها، وأومأ إلى الأصنامِ التي كانتْ على الكعبةِ فسقطتْ، فأخبرهُما النجاشيُّ فقالَ: (إني لنائمٌ في الليلةِ التي ذكرتُما في قُبَّتي، إذ خرَجَ عليَّ منَ الأرضِ عنقٌ ورأسٌ، وهو يقولُ: حَلَّ الويلُ بأصحابِ الفيلِ، رمتْهمْ طيرٌ أبابيلُ بحجارةٍ من سجيلٍ، وُلد النبيُّ الأميُّ الحرميُّ المكيُّ، من أجابَه سَعِدَ، ومن أبى عنِدَ، ثم دخلَ الأرضَ فغابَ)[٣].

وعن عثمانَ ابن أبي العاص عن أمِّه أم عثمان الثقفية؛ فاطمةَ بنتِ عبدِ

= بعبد الله، تلقَّب بذات النطاقين، قال أبو عمر: (سمَّاها رسول الله ﷺ لأنها هيأت له لما أراد الهجرة سفرة فاحتاجت إلى ما تشدها به فشقت خمارها نصفين فشدت بنصفه السفرة واتخذت النصف الآخر منطقاً). وعاشت إلى أن ولي ابنها الخلافة، ثمَّ إلى أن قتل وماتت بعده بقليل. انظر: الإصابة لابن حجر [٨/ ٧].

(١) انظر: السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٣٦٨].

(٢) هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى القريشي العدوي، أحد الحكماء، ابن عم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لم يدرك الإسلام، وكان يكره عبادة الأوثان، ولا يأكل مما ذبح عليها، وكان عدواً لوأد البنات، توفي قبل مبعث النبي ﷺ بخمس سنين. انظر: الروض الأنف [١/ ٣٧٩]، والسيرة النبوية لابن كثير [١/ ١٥٣]، وسبيل الهدى والرشاد [٢/ ١٤٩].

(٣) انظر: السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٣٦٨].

الله[1]، قالت: (لما حضرتُ ولادةَ رسولِ اللهِ ﷺ رأيتُ البيتَ حينَ وقعَ قد امتلأ نوراً ورأيتُ النجومَ تدنو، حتى ظننتُ أنها ستقعُ عليَّ). رواه البيهقي[2].

وفيما رُوِيَ عن كعبٍ، ورواه أبو نُعيم عن ابن عباسٍ: أنَّ آمنةَ كانتْ تحدِّث عن نفسِها وتقولُ: لقد أخذني يومَ الاثنين ما يأخذُ النساءَ من الألمِ، وإني لوحيدةٌ في المنزلِ، وعبدُ المطلبِ في طوافِهِ، فسمعتُ وَجْبةً عظيمةً، وأمراً عظيماً هالَني، ثم رأيتُ كأنَّ جناحَ طائرٍ أبيضَ قد مسحَ على فؤادي، فذهبَ عنّي الرّعبُ وكلُّ وَجَعٍ أجدُه، ثمّ التفتُّ فإذا أنا بِشَرْبَةٍ بيضاءَ، فتناولْتُها، فأصابَني نورٌ عالٍ، ثمّ رأيتُ نسوةً كالنّخلِ طِوالاً، كأنهنَّ من بناتِ عبد مناف يحدِّقْنَ بي، فبينما أنا أتعجبُ وأقول: واغوثاه، من أين عَلِمْنَ بي، فقلنَ لي: نحن آسِيةُ امرأةُ فرعونَ، ومريمُ ابنةُ عمرانَ[3]، وهؤلاءِ من الحورِ العينِ، واشتدَّ بي الأمرُ وأنا أسمعُ الوَجْبَةَ[4] في كلِّ مرَّةٍ أعظمَ وأهولَ مما تقدَّم، فبينما أنا كذلكَ إذا بديباجٍ أبيضَ قد مُدَّ بينَ السماءِ والأرضِ، وإذا قائلٌ يقولُ: خُذوه عن أعينِ الناسِ، ورأيتُ رِجالاً قد وقفُوا في الهواءِ بأيديهم أباريقُ من فضّةٍ، ثمّ نظرتُ فإذا أنا بقطعةٍ من الطير، قد أقبلَتْ حتى غطَّت حُجرتي مناقيرُها من

---

(١) قال ابن حجر في الإصابة [٨/ ٢٥٦]: (أم عثمان الثقفية، والدة عثمان بن أبي العاص الصحابي المشهور، روى حديثها عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان عن عثمان بن أبي العاص أنها شهدت آمنة لما ولدت النبي ﷺ في قصة طويلة أوردها ابن منده).

(٢) انظر: دلائل النبوة للبيهقي [١/ ١١١]، والروض الأنف [٢/ ١٤٩].

(٣) آسية بعد الهمزة ألف بكسر السين المهملة وفتح الياء المعجمة باثنتين من تحتها فهي آسية بنت مزاحم امرأة فرعون. عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «كمُلَ من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران...» الحديث. انظر: السيرة النبوية لابن كثير [٢/ ١٣٨].

(٤) الوَجْبَةُ: السَّقطةُ مع الهَدّةِ، أو صَوْتُ السَّاقِطِ.

الزُّمرُّد، وأجنحتُها من الياقوتِ، فكشفَ اللهُ عن بصري، فرأيتُ مشارقَ الأرضِ ومغاربَها، ورأيتُ ثلاثةَ أعلامٍ مضروباتٍ؛ علماً بالمشرقِ وعلماً بالمغربِ، وعلماً على ظهرِ الكعبةِ، فأخذَني المخاضُ، فوضعتُ محمّداً ﷺ[1].

تَوالتْ أمورُ العدلِ في خيرِ ساعةٍ ... لمولدِ خيرِ الخلقِ يَا سَاعِدَ السَّعْدِ
فَيَا طِيبَ مَا وَقْتٍ وَيَا طِيبَ مَوْلِدٍ ... وَيَا طِيبَ مَولودٍ حَوى غُرَرَ المَجْدِ
يـا خِـيـرةَ الـرُّسُـلِ وَيَـا مَـنْ لَـهُ ... فِي حضرةِ القدسِ المحلُّ الرَّفِيع
انـتَ الـمـرَجـى لـدفـاعِ الأذى ... وكـلُّ خـطـبٍ لـلـبَـرايَـا فَـظِـيـع
انـتَ الّـذِي لـيـلـةَ مـيـلادِه ... اضــاءت الأرضُ بـنـورٍ بـديـع
وانــشــقَّ الإيــوانُ وخــرَّت لـه ... الأوثانُ ذا مُـلـقـى وهـذا صـريـع
فَجُدْ عـلـى ذِي فـاقـةٍ ضَـايِعٍ ... مـنـكَ بـرؤيـا بـعـدَهـا لا يَـضِـيـع
يـكـون غَـفْـرَ الـذنـوبِ تـأويـلُـهـا ... فـي شـهـر مـيـلادك هـذا ربـيـع
صـلَّـى عـلـيـك الله مـا غـرَّدت ... قُـمْـرِيَّـةٌ تـشـدو بـقـلـب وَجِـيـع

وهذا القيامُ عندَ ذكرِ مولدِه ﷺ بدعةٌ حسنةٌ، وطريقةٌ مستحسنةٌ، وقد فعلَ ذلك شيخُ الإسلام، بقيةُ المجتهدين من الأعلام، التقيُّ السُّبْكِيُّ[2]، وتابعَه الحاضرون من العلماءِ والأعيانِ والقضاةِ في ختمِ درسِهِ عندَ سماعِ المنشدِ[3]، لقولِ أبي زكريا، يحي الصَّرْصَرِيِّ الحنبلي[4]:

---

(١) ذكره العصامي في سمط النجوم العوالي [١/ ١٢٤].

(٢) هو أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي السبكي، وهو والد الشيخ تاج الدين السبكي، توفي بمصر سنة [٧٥٦ هـ]. عن عمر [٧٣]. سنة. انظر ترجمته في: الدرر الكامنة [٣/ ٦٣]، شذرات الذهب [٨/ ٣٠٨].

(٣) انظر: سبل الهدى والرشاد، [١/ ٤١٥].

(٤) يحي بن يوسف بن يحيى بن منصور بن المعمر بن عبد السلام الصرصري. انظر البداية :

قليلٌ لمدح المصطفى الخطُّ بالذّهبْ   على ورق مِنْ خطِّ احسن مَنْ كَتَبْ
وأن تنهضَ الأشرافُ عندَ سماعِهِ   قياماً صفوفاً او جُثيّاً على الرُّكَبْ
اما الله تعظيماً لقدْ كتبَ اسمَه   على عرشِه يا رتبةً سَمَتِ الرُّتَبْ

فمنْ فَعَلَ ذلك تعظيماً لذلك الجَنَاب، فيُرجى له جزيلُ الثّواب من الملك الوهّاب.

ولمّا جاء البشيرُ إلى عبد المطلب سُرَّ سروراً عظيماً، وقامَ ومنْ كان معا من أشرافِ قريشٍ حتى دخَلَ عليها، وكانت وضعتْه تحت بُرْمَةٍ[1] كَفَأَتها عليه، كما هو عادتُهم فيمن يولدُ من قريش[2]، فوجدت البُرمةَ قد انفلقتْ عن فرقتين، وقد شُقَّ بصرُه ينظرُ إلى السماءِ، فأخذَه وأدخلَه الكعبةَ، وهو يدعو الله تعالى ويشكرُه على ما أعطاه، وقال في ذلك:

الحمدُ لله الذي أعطاني   هذا الغلامَ الطيِّبَ الأردان[3]

= والنهاية [٦/ ٢٩٩].
توفي سنة [٦٥٦هـ]. عند دخول التتار بغداد. انظر ترجمته في: البداية والنهاية [٦/ ٢٩٩]، النجوم الزاهرة [٧/ ٦٦]، كشف الظنون [١/ ١٣٤٠].

(١) البُرْمَةُ: قِدْر من حجارة، والجمع بُرَمٌ وبِرَامٌ وبُرْمٌ، وهي القدر مطلقاً، وهي في الأصل المتّخذة من الحجر المعروف بالحجاز واليمن. انظر: لسان العرب [١/ ٣٩٢ مادة: برم].

(٢) (كان المولود إذا ولد في قريش دفعوه إلى نسوة من قريش إلى الصبح يكفأن عليه برمة، فلما ولد رسول الله ﷺ دفعه عبد المطلب إلى نسوة فكفأن عليه برمة، فلما أصبحن أتين فوجدن البرمة قد انفلقت عنه باثنتين، ووجدنه مفتوح العينين شاخصاً ببصره إلى السماء). انظر: دلائل النبوة للبيهقي [١/ ٨٠]، والسيرة النبوية لابن كثير [١/ ٢١٠].

(٣) الأردان: جمع ردن وهو الخز وقيل الحرير، قال عديّ بن زيد:
ولقد ألهو ببكرٍ رَسِلٍ   مسُّها ألينُ من مسِّ الرُّدُن
وتقول العرب لغرس المولود: هذا مدرع الردن. انظر: أساس البلاغة للزمخشري [١/ ٢٨٥ مادة: ردن].

قد سادَ في المهد على الغِلْمَانِ — أُعِيذُهُ بالبيتِ ذي الأركانِ
[حتى يكون بلغة الفتيانِ[١] — حتى أراه بالغ البنيانِ
أعيذُه من شرِّ ذي شنآنِ[٢] — من حاسدٍ مضطربِ العِنانِ

وفي حديثٍ رواه ابن حبّان[٣] في صحيحه: (أنَّ أمَّه آمنةَ قالت: ثمَّ وضعتُه، فما وقعَ كما تقعُ الصبيانُ، وقعَ واضعاً يدَه بالأرض رافعاً رأسَه إلى السَّماء)[٤]. وفي رواية عند ابن سعد[٥]: وقبضَ قبضةً من التراب بيده، فبلغَ ذلك رجلاً من لهب، فقال لصاحبه: أَنْجِهْ أي: تَنبَّه، وأخلص من الغفلة، لئن صدق هذا الفالُ ليغلبنَّ هذا المولودُ أهلَ الأرضِ[٦].

أخرج البيهقي عن العبّاسِ ﷺ، قال: (قلتُ: يا رسولَ الله، دعاني للدخول في دينك أمارةٌ لنبوّتك رأيتُك في المهد تُناغي القمرَ، وتشيرُ إليه

(١) ما بين معقوفتين ساقط من نسخة المخطوط، والمثبت من المحقّق، وهو الصواب، والله أعلم.
(٢) الشنآن هو البغض، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾.. الآية.
(٣) هو الإمام محمد بن حبّان بن أحمد أبو حاتم التميمي البُسْتي السجستاني، كان عدَّة لأصحاب الحديث، وكان صاحب فنون وذكاء مفرط، وحفظ واسع إلى الغاية، وكانت الرحلة إليه لسماع كتبه، توفي ﷺ سنة [٣٥٤هـ]. انظر: سير أعلام النبلاء [١٦/ ٩٢]، والوافي بالوفيات [٢/ ٣١٧]، و شذرات الذهب [٣/ ١٦].
(٤) انظر: الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان [٨/ ٨٢]، والطبقات الكبرى لابن سعد [١/ ١٥٠]، و الروض الأنف [٢/ ١٥٠]، والسيرة النبوية لابن كثير [١/ ٢٠٧]، و سبيل الهدى والرشاد [١/ ٣٤٢].
(٥) هو أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع، اتصل ابن سعد بالواقدي محمد بن عمر، حتى لقب بـ (كاتب الواقدي) توفي سنة [٢٣٠هـ]. انظر: العبر للذهبي [١/ ٣٢٠]، البداية والنهاية [١٠/ ٣٠٣].
(٦) انظر: طبقات ابن سعد، في ذكر علامات النبوة في رسول الله ﷺ، قبل أن يوحى إليه، [١/ ١٥٠].

بإصبعك، فحيثُ أشرتَ إليه مال. قال: «إني كنتُ أحدثُه ويحدثُني ويُلهيني عن البُكاء، وأسمعُ وَجْبَتَه حين يسجد تحتَ العرشِ»[1].

وأوّلُ من أرضعه ﷺ ثُوَيْبَةُ أياماً قليلةً بلبن ابنها مَسْرُوحٍ[2]، وكان النبيُّ ﷺ يبعثُ إليها من المدينة بصِلَةٍ وكِسوة، حتى ماتت، ثمَّ أرضعتْه حليمةُ السَّعْدِيَّةُ رضي الله عنها[3]، واستقلَّت بإرضاعِه حتى فَطَمَتْه، قدمتْ عليه بمكةَ بعد تزوّجِه خديجةَ، فشكت إليه جَدْبَ البلادِ، فكلَّم لها خديجةَ، فأعطتها أربعين شاةً وبعيراً.

وقدمتْ عليه أيضاً يومَ حُنينٍ[4]، فقام إليها وبَسَطَ لها رداءَه، وقَبِلَ شفاعتَها في قومِها هوازنَ[5]، ثمَّ قدمتْ على الصِّديق رضي الله عنه، فأكرمَها كذلك.

ويُروى عنها: أنه لما بلغ شهرينِ كان يَتَحبَّرُ إلى كلِّ جانب، فلما بلغ

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، من قول العباس بن عبد المطلب [٢/ ٤١]. وانظر: السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٢١١].

(٢) اتفق أهل السير أنَّ أوّلَ من أرضع رسول الله ﷺ بعد أمّه، هي ثويبة الأسلمية مولاة عمّه أبي طالب، التي أعتقها حين بشّرته بولادته ﷺ، وقد أرضعته أربعة أشهر كما في بعض الروايات، توفيت ثويبة في السنة السابعة للهجرة، بعد فتح خيبر، ومات ابنها مسروح قبلها. انظر: السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٢٢٣]، الإصابة لابن حجر [٨/ ٣٦]، عيون الأثر [١/ ٤٧]، الروض الأنف للسهيلي [٢/ ١٤٤].

(٣) حليمة بنت أبي ذويب، وأبو ذويب: عبد الله بن الحارث من قبيلة بني سعد بن بكر، من بادية الحديبية بالقرب من مكة. توفيت حليمة السعدية رضي الله عنها بالمدينة المنورة، ودفنت بالبقيع. انظر: السيرة النبوية لابن هشام [١/ ١٦٠].

(٤) وهي غزوة هوازن، وحنين هو حنين بن قانية بن مهلايل الذي ينسب إليه الموضع.

(٥) لم تلتق حليمة السعدية برسول الله ﷺ بعد زواجه بخديجة رضي الله عنها إلا مرتين؛ الأولى عندما شكت الجدب وهلاك الماشية في بلادها، والثانية يوم غزوة حنين، فأكرمها رسول الله ﷺ في الحالتين. انظر: سبيل الهدى والرشاد [١/ ٣٨٣]، وذخائر العقبى [١/ ٢٥٩].

لثمانية أشهر كان يتكلَّم بحيثُ يسمعُ كلامُه، ولما بلغ تسعةَ أشهرٍ كان يتكلَّمُ بالكلامِ الفصيحِ، ولما بلغ عشرَةَ أشهرٍ كان يرمي السِّهامَ مع الصبيانِ. وعنها[(١)]: أوَّلَ ما فطمتُه تكلَّم فقال: «الله أكبر كبيراً والحمدُ لله كثيراً وسبحانَ الله بكرةً وأصيلاً». ورُوِيَ أنه تكلَّم بهذه الكلمات أوائلَ ما وُلِد[(٢)]، ورُوِيَ أنَّ أوَّل ما تكلَّم به: جلالُ ربي الرَّفيع[(٣)]. وكان لا يَمسُّ شيئاً إلَّا قال: بسم الله. قالت حليمة: ولَمَّا دخلتُ به منزلي لم يبقَ منزلٌ من منازلِ بني سَعْدٍ إلَّا شَمَمْنَا منه ريحَ المسكِ، وَأُلقيت محبَّتُه في قلوبِ الناسِ، حتى أنَّ أحدَهم كان إذا نزلَ به أذى في جسده، أخذَ كفَّه ﷺ فيضعُها على موضعِ الأذى، فيبرأ بإذن الله تعالى سريعاً، وكذا إذا اعتلَّ لهم بعيرٌ أو شاةٌ.

ولَمَّا بلغ رسولُ الله ﷺ اثنتي عشرة سنةً، خرجَ به عمُّه أبو طالبٍ إلى الشامِ، فلمَّا وصل بُصرى رأى بَحيرًا الرَّاهب[(٤)]، فأخذَ بيدِه، وقال: هذا سيِّد العالمين، ورسولُ الله هذا يبعثُه رحمةً للعالمين، فقيلَ له: من أينَ علمتَ

---

(١) أي: عن حليمة السعدية.

(٢) ذكره ابن عباس. انظر: سبيل الهدى والرشاد [١/٣٤٩].

(٣) روى الحاكم من حديث أنس أن آخر كلمة يتكلم بها: جلال ربي الرفيع. انظر: سبيل الهدى والرشاد [١٢/ ٢٥٨].

(٤) بَحيرَى بقصر ويُمَدّ، اسمه جرجيس بكسر الجيمين، وقيل: جرجس، كما قيل: سرجس، وهو راهب من أهل بُصرى، قرية في محافظة درعا بسورية اليوم، كانت لديه مؤشراتٌ مما عنده من كُتبٍ ومأثورات على قرب ظهورِ نبيٍّ في الجزيرةِ العربية، ولذلك كان يهتمّ بالقوافلِ القادمة إلى الشام، ولا يزال إلى يومنا دير الراهب بحيرا في قرية بُصرى التاريخية، ويقع الدير قرب موقع مبرك الناقة، وهو سوق تاريخي معروف على طريق الحرير في بُصرى. وخبره مع النبي ﷺ وعمّه أبي طالب مشهور في كتب السيرة النبوية وغيرها. انظر: السيرة النبوية لابن هشام [١/ ١٨٠]، والروض الأنف [٢/ ٢١٦]، و سبيل الهدى والرشاد [٢/ ١٨٩]، و الوافي بالوفيات [١/ ٦٣].

هذا؟ قال: إنكم حينَ أقبلتم إلى العقبةِ، لم يبق حجرٌ ولا شجرٌ إلا خرَّ ساجداً، ولا يسجدان إلَّا لنبيٍّ، وإنا نجدُه في كُتُبنا، وإنَّ بينَ كتفيه خاتمَ النبوةِ، وأمرَ عمَّه أن يردَّه من بُصرى خوفاً عليه من اليهود[1]. رُوِيَ عن أنسِ بن مالك ﷺ قال: كان أبو بكر الصديقُ ﷺ إذا رأى النبيَّ ﷺ مقبلاً يقول:

أمينٌ مصطفىً بالخيرِ يدعُو ... كضوءِ البَدرِ زَايَلَهُ الظَّلام[2]

ورُوِيَ عن أبي هريرة ﷺ قال: كان عمرُ بن الخطاب ﷺ ينشدُ قولَ زهير بن أبي سلمى[3] في هَرِمِ بنِ سِنَان[4]:

لَوْ كُنْتَ مِنْ شيءٍ سِوَى بشرٍ ... كُنْتَ المضيءَ لِليلةِ البَدْرِ

ثم يقول عمر وجلساؤه كذلك: كان رسول الله ﷺ ولم يكن كذلك غيره.

أَلَا يَا حَبِيبَ اللهِ مَالِي وَسِيلَةٌ ... سِوَاكَ إِلَّا مَوْلَايَ فَاشْفَعْ تُشَفَّعِ

عليكَ سلامُ اللهِ ما خبَّ في الفَلا ... نَعَامٌ وما هبَّت نُعَامَى بِمَرْبَعِ

---

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام [١/ ١٨٠]، والروض الأنف [٢/ ٢١٦]، وسبيل الهدى والرشاد [٢/ ١٨٩].

(٢) البيت من البحر الوافر. انظر: سبيل الهدى والرشاد [١٢/ ٢٧٧]، والوافي بالوفيات [١/ ٦٩].

(٣) زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني، من مُضَر، حكيم الشعراء في الجاهلية، قال ابن الأعرابي: كان لزهير من الشعر ما لم يكن لغيره: كان أبوه شاعراً، وخاله شاعراً، وأخته سلمى شاعرة، وابناه كعب وبجير شاعرين، وأخته الخنساء شاعرة، أشهر شعره معلقته التي مطلعها: (أمِنْ أمِّ أوْفَى دِمْنَةٌ لم تَكَلَّمِ)، توفي سنة [١٣ ق. هـ/ ٦٠٩ م]. انظر ترجمته في: خزانة الأدب للبغدادي [١/ ٣٧٥]، والأعلام للزركلي [٣/ ٥٢].

(٤) هرم بن سنان بن أبي حارثة المريّ، من مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان؛ من أجواد العرب في الجاهلية، يُضرب به المثل، وهو ممدوح زُهير بن أبي سُلمى، وهو الذي أصلح بين بني عبس وبني فزارة بعد أن كادوا يتفانون في الحرب التي كانت بينهم بسبب داحس والغبراء، مات قبل الإسلام. انظر: الإصابة لابن حجر [٤/ ٢٦٥].

الحمد لله ربِّ العالمين حمداً يوافي نعمه ويُكافِئ مزيدَه، اللَّهم صلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمَّد وعلى آل سيِّدنا محمَّد أفضلَ صلواتِك، عددَ معلوماتك، وعلى صاحبه الشَّفيق وخليفته الحَقِيق[١] أبي بكر الصِّدِّيق[٢]، وعلى صاحبه الفَارُوقِ المُلْهَمِ للصَّواب، والعادلِ المعظَّم المكرَّم عمرَ بنِ الخطَّاب[٣]، وعلى صاحبه ذي النُّورَين، صهرِه عثمـــان على الكَرِيمَتَين[٤]،

---

(١) هاتان صفتان لخليفة رسول الله أبي بكر الصديق، وكلاهما على وزن فعيل بمعنى فاعل، فالشفيق بمعنى مشفق، فقد كان خلقه كذلك، إذ اشترى بلال بن رباح حينما رآه يعذَّب وأعتقه، قال ابن عبد البر في الاستيعاب [ص ٣٧٩]: (فقام بقتال أهل الرِّدة، وظهر من فضل رأيه في ذلك وشدَّته مع لينه ما لم يحتسب). أما الحقيق، فهو الأجدر بخلافة رسول الله ﷺ.

(٢) هو عبد الله بن أبي قُحافة، كان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة فسمَّاه رسول الله ﷺ عبد الله، وسمِّي بالصديق لبداره إلى تصديق رسول الله ﷺ في كل ما جاء به، وقيل: لتصديقه له خبر الإسراء، بويع له بالخلافة في اليوم الذي مات فيه رسول الله ﷺ في سقيفة بني ساعدة، ومكث في خلافته سنتين وثلاثة أشهر وسبع ليال. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، [ص٣٧٣].

(٣) هو عمر بن الخطاب بن نُفَيل بن عبد العزّى بن رياح بن عبد الله بن قُرط بن رَزاح بن عَدِيّ بن كعب بن لؤي القرشي العدوي، أبو حفص، أسلم في السنة السادسة للهجرة. قال ابن شهاب: (بلغنا أنَّ أهل الكتاب كانوا أوَّل من قال لعمر: الفاروق). لأنه كما ورد: فرَّق الله به بين الحق والباطل، وقوله (الملهم للصواب)، يشرحه قول ابن عمر ﷺ: (ما نزل بالنَّاس أمر قط فقالوا فيه، وقال فيه عمر إلَّا نزل فيه القرآن على نحو ما قال عمر). كان عمر الخليفة الثاني لرسول الله بعد وفاة أبي بكر الصديق، وفتح الله على يديه البلاد، وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر، وخمس ليال، توفي عمر ﷺ وهو ابن ثلاث وستين سنة، حيث ضربه أبو لؤلؤة، فصلَّى عليه صهيب، ودفن جانب رسول الله ﷺ وأبي بكر ﷺ. انظر: أسد الغابة لابن الأثير [٤/ ١٣٧ ـ ١٦٨].

(٤) هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، أمير المؤمنين، أبو عبد الله وأبو عمرو، زوَّجه الرسول ﷺ ابنته رُقية، وماتت عنده أيام بدر، فزوَّجه بعدها أختها أم كلثوم، فلذلك كان يلقَّب ذا النُّورين، بويع بالخلافة بعد مقتل =

وعلى صاحبه البَطَل الهُمَام؛ أبي الحسن علي بن أبي طالب[(١)] الضَّرْغَام[(٢)]، وعلى سائر الآل والأصحاب والتابعين من الأحباب، صلاةً وسلاماً دائمين مستمرين، على ممرِّ الليالي والأيام.

اللهم حبِّب إلينا مداومة قراءةِ وسماعِ أحاديثِ نبيِّك وآثارِه، واجعلْنا من أهلِ متابعتِه، وأبعدْنا عن أهلِ مخالفةِ سنَّته، وأدخلْنا في سِلْكِ مستحقي شفاعتِه، وبلِّغنا نهايةَ مأمولِه فينا وإرادتِه، واجعلْ أحاديثَه نورَ أبصارِنا، وشفاء صدورِنا، وذهابَ هُمومِنا وغُمومِنا، وغفراناً لذنوبِنا، واتساعاً وبركةً في أقواتِنا وأرزاقِنا، واكفِنا ببركاتِها مهمَّاتِنا، ونَوِّر بها قلوبَنا، وسهِّل بها أمورَنا، واشرحْ بها صدورَنا، واشفِ بها مَرْضانا، وأطلقْ بها ألسنَتنا، واستعملْ بها أبدانَنا، اللّهم يسِّر لنا اليُسرى وجنِّبنا العُسرى، وأصلحْ بها أحوالَنا في الآخرة والأولى، اللهمْ احفظْنا وأحبابَنا وإخوانَنا من جميعِ بلاءِ الدنيا والآخرة،

= عمر بن الخطاب ﷺ، قال ابن اسحاق: قتل عثمان على رأس إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً واثنين وعشرين يوماً من خلافته، وهو ابن اثنين وثمانين سنة وأشهراً على المشهور الصحيح. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر [٤/ ٢٢٣].

(١) هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هشام بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي الهاشمي، ابن عمّ الرّسول ﷺ، أوّل النّاس إسلاماً في قول كثير من العلماء، استخلف علي كرّم الله وجهه، وبويع له بالمدينة في مسجد رسول الله ﷺ بعد مقتل عثمان، في ذي الحجة من سنة خمس وثلاثين. توفي عليٌّ ﷺ وهو ابن سبع وخمسين سنة، وكانت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير الجزري، [٤/ ٨٧].

(٢) الضِّرْغَمُ والضِّرْغامُ والضِّرْغامةُ: الأسد، وتَضَرْغَمَت الأبطالُ في حَرْبِها أي: في مَعْرَكتِها، ورجل ضِرْغامةٌ أي شجاع، فإما أن يكون شُبِّه بالأسد، وإما أن يكون ذلك أصلاً فيه وأنشد سيبويه:

فَتى الناسِ لا يَخْفَى عليهم مكانُهُ وضِرْغامةٌ إنْ هَمَّ بالأَمْرِ أَوْقَعا

انظر: لسان العرب [٨/ ٥٥ مادة: ضرغم].

وأعذنا وإيّاهم من الأعمالِ السيّئة، والإراداتِ الفاسدةِ، والاعتقاداتِ الرّديّة[١].

اللّهم إنا نسألك الهدى والتُّقى والعَفافَ والغِنى[٢]، اللّهم آتِ نفوسَنا تقواها وزكّها أنتَ خيرُ من زكّاها، اللّهم إنا نعوذُ بكَ من سُوء القضاء وشَماتة الأعداءِ ودَرَك الشّقاء[٣]، اللّهمّ إنّا نعوذُ بك من زَوال نِعمتك، وفُجاءةِ نِقْمَتِك، ومِنْ جَميعِ سَخَطِك[٤]، اللّهم خُذْ بأزِمّة[٥] قلوبِنا إليك، واجعلنا مِمّن توكّل عليك، وعُمّنا بالرّحمة التي في يديك ولَدَيك، واجعلنا هادين ومهتدين غيرَ مضلّينَ ولا ضالّين، واجعلنا ممّن دعاك فأجبته، ورَغِبَ إلى خيرك

---

(١) الرّدى الهلاك، والرّدي الهالك، وفي التنزيل (إن كدت لتردين) قال الزجاج معناه: لتهلكني، انظر: لسان العرب [٥/ ١٩٥ مادة: ردي].

(٢) أخرج الإمام مسلم في صحيحه: عن أبي الأحْوَصِ عن عبد الله عن النبي ﷺ أنّه كان يقول: «اللهم إنّي أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى» صحيح مسلم [٤/ ٢٠٨٧/ رقم٢٧٢١ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار].

(٣) أخرج الإمام مسلم في صحيحه: عن أبي هريرة أنّ النبي ﷺ كان يتعوّذ من سوء القضاء ومن دَرَك الشقاء، ومن شماتة الأعداء، ومن جَهد البلاء. قال عمرو في حديثه: قال سفيان: أشكُّ أنّي زدت واحدة منهاصحيح مسلم [٤/ ٢٠٨٠/ رقم٢٧٠٧ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار].

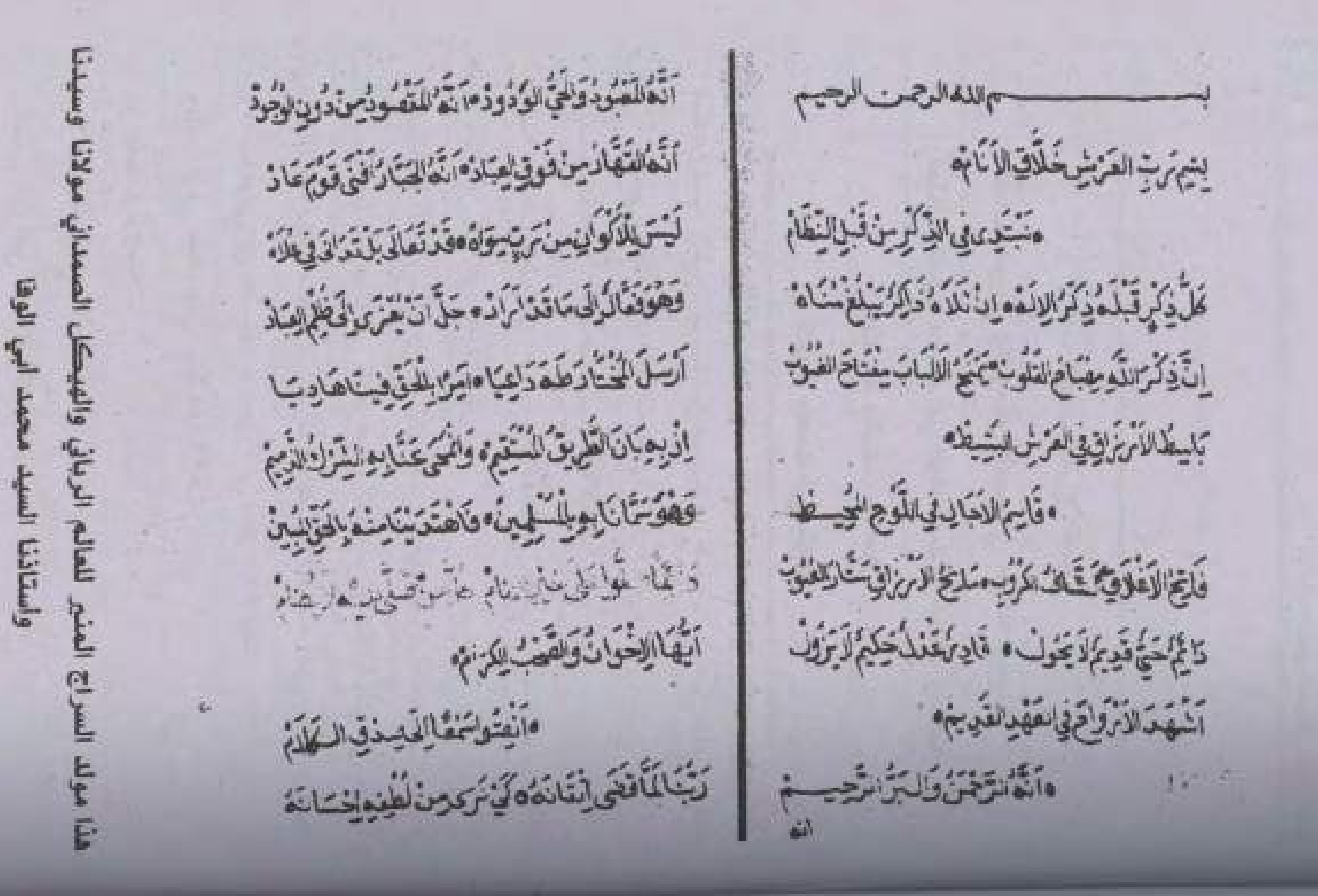
(٤) أخرج الإمام مسلم في صحيحه: عن عبد الله بن عمر قال: كان من دعاء رسول ﷺ: «اللهم إنّي أعوذ بك من زوالِ نِعْمَتِك، وتحوُّلِ عافيتك، وفُجَاءَةِ نقمتك، وجميع سَخَطِك» صحيح مسلم [٤/ ٢٠٩٧/ رقم ٢٧٣٩ كتاب الرقاق].

(٥) زَمَّ الشيءَ يَزُمُّه زَمّاً فانْزَمَّ شده والزّمامُ ما زُمَّ به والجمع أزِمَّةٌ والزّمامُ الحبل الذي يجعل في البُرَةِ والخشبة وقد زمّ البعير بالزّمام الليث الزّمُّ فعل من الزّمام تقول زَمَمْتُ الناقة أزُمُّها زَمّاً، قال ابن السّكّيت: الزّمُّ مصدر زَمَمْتُ البعير إذا علّقت عليه الزّمام. لسان العرب [٦/ ٨٤ مادة: زمم].

فأعنتَه، واستهداك فهديتَه، واستنصَرك فنصرْتَه، وتوكَّلَ عليك فكفيتَه، وتضرَّع إليكَ فرحمْتَه، يا اللهُ، يا ربَّ العالمين، واغفرِ اللَّهم لنا وارحمْنا، ولوالدينا ولمشايخِنا، ولكلِّ المسلمين أجمعين، والحمدُ لله ربِّ العالمين.



هذا مولد السراج المنير للعالم الرباني والهيكل الصمداني مولانا وسيدنا
وأستاذنا السيد محمد أبي الهدى



بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ رَبِّ العَرْشِ خَلَّاقِ الأَنَامْ
نَبْتَدِي فِي الذِّكْرِ مِنْ قَبْلِ النِّظَامْ

كُلُّ ذِكْرٍ قَبْلَهُ ذِكْرُ الإِلَهْ
إِذْ بِلَاهُ ذِكْرُنَا يَبْلُغْ مُنَاهْ

إِنَّ ذِكْرَ اللهِ مِفْتَاحُ القُلُوبْ
مَهْيَعُ الأَلْبَابِ مِفْتَاحُ الغُيُوبْ

بَاسِطُ الأَرْزَاقِ فِي العَرْضِ البَسِيطْ
قَاسِمُ الآجَالِ فِي اللَّوْحِ المُحِيطْ

فَالِقُ الأَفْلَاقِ كَشَّافُ الكُرُوبْ
مَانِحُ الأَرْزَاقِ سَتَّارُ العُيُوبْ

دَائِمٌ حَيٌّ قَدِيمٌ لَا يَحُولْ
قَادِرٌ مُعْطٍ حَكِيمٌ لَا يَزُولْ

أَشْهَدَ الأَرْوَاحَ فِي العَهْدِ القَدِيمْ
أَنَّهُ الرَّحْمَنُ وَالبَرُّ الرَّحِيمْ

أنه

أَنَّهُ المَعْبُودُ وَالحَيُّ الوَدُودْ
أَنَّهُ المَقْصُودُ مِنْ دُونِ الوُجُودْ

أَنَّهُ القَهَّارُ مِنْ فَوْقِ العِبَادْ
أَنَّهُ الجَبَّارُ يُفْنِي قَوْمَ عَادْ

لَيْسَ لِلْأَكْوَانِ مِنْ رَبٍّ سِوَاهْ
قَدْ تَعَالَى بَلْ تَدَانَى فِي عُلَاهْ

وَهُوَ فَعَّالٌ لِمَا قَدْ أَرَادْ
جَلَّ أَنْ يُعْزَى إِلَى ظُلْمِ العِبَادْ

أَرْسَلَ المُخْتَارَ طَهَ دَاعِيَا
أَمْرُهُ بِالحَقِّ فِينَا هَادِيَا

إِذْ بِهِ بَانَ الطَّرِيقُ المُسْتَقِيمْ
وَانْمَحَى عَنَّا بِهِ الشِّرْكُ الذَّمِيمْ

فَهُوَ [illegible] لِلْمُرْسَلِينْ
فَاهْتَدَيْنَا مِنْهُ بِالحَقِّ المُبِينْ

دَائِمًا صَلُّوا عَلَى خَيْرِ الأَنَامْ [illegible]

أَيُّهَا الإِخْوَانُ وَالصَّحْبُ الكِرَامْ
أَنْصِتُوا تَسْمَعُوا الحَدِيثَ فِي الكَلَامْ

رَبُّنَا لَمَّا قَضَى إِتْيَانَهُ
كَيْ يُرَى مِنْ لُطْفِهِ إِحْسَانَهُ

هذا مولد السراج المنير
للعالم الرباني والهيكل الصمداني مولانا وسيدنا
وأستاذنا السيد محمد أبي الوفا تمت بركاته ونفعنا
الله به والمسلمين آمين
الشيخ محمد أبي الوفا

اسمه ونسبه ولقبه: محمد بن محمد بن عمر بن شاهين، أبو الوفاء، الرّفاعي، الحلبي، كان يقال له: الشيخ وفا، أو وفائي.

مولده ونشأته: ولد في حلب سنة (١١٩٧هـ) ونشأ فيها.

علمه: شاعر متصوّف، من شيوخ العلم في حلب، كانت لم موشحات ونظم، تغنى بين يديه في حلقة الذكر.

مصنَّفاته: ألّف رسالة في (أركان الدين الخمسة)، و(الفصول الوفية في السادة الصوفية)، ورسالة في (الجوامع والمدارس والتكايا التي في حلب)، وعدة موالد، أحدها منظوم، ورسالة ضبط بها (أسماء أهل بدر)، و(أسماء الأولياء المدفونين في حلب)، وأرجوزة في نحو ٥٠٠ بيت.

وفاته: توفي ﷺ بحلب سنة (١٢٦٤هـ).

من مصادر ترجمته:

- الأعلام للزركلي [٧/ ٧٣].
- معجم المؤلفين لكحالة [٣/ ٦٦٤].

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسمِ رَبِّ العَرشِ خَلَّاقِ الأَنَام ... نَبتَدِي فِي الذِّكرِ مِن قَبلِ النِّظَام

كُلُّ ذِكرٍ قَبلَهُ ذِكرُ الإِلَه ... إِنْ تَلَاهُ ذَاكِرٌ يَبلُغْ مُنَاه

إِنَّ ذِكرَ اللهِ مِصبَاحُ القُلُوبِ ... يَمنَحُ الأَلبَابَ مِفتَاحَ الغُيُوبِ

بَاسِطُ الأَرزَاقِ فِي العَرشِ البَسِيط ... قَاسِمُ الآجَالِ فِي اللَّوحِ المُحِيط

فَاتِحُ الأَغلَاقِ كَشَّافُ الكُرُوبِ ... مَانِحُ الأَرزَاقِ سَتَّارُ العُيُوبِ

دَائِمٌ حَيٌّ قَدِيمٌ لَا يَحُولُ ... قَادِرٌ عَدلٌ حَكِيمٌ لَا يَزُولُ

أَشهَدَ الأَروَاحَ فِي العَهدِ القَدِيمِ ... أَنَّهُ الرَّحمَنُ وَالبَرُّ الرَّحِيمِ

أَنَّهُ المَعبُودُ والحَيُّ الوَدُود ... أَنَّهُ المَقصُودُ مِن دُونِ الوُجُود

أَنَّهُ القَهَّارُ مِن فَوقِ العِبَاد ... أَنَّهُ الجَبَّارُ أَفنَى قَومَ عَاد

لَيسَ لِلأَكوَانِ مِن رَبٍّ سِوَاه ... قَد تَعَالَى بَل تَدَانَى فِي عُلَاه

وَهوَ فَعَّالٌ إِلَى مَا قَد أَرَادَ ... جَلَّ أَنْ يُعزَى إِلَى ظُلمِ العِبَاد

أَرسَلَ المُختَارَ طَهَ دَاعِيًا ... آمِرًا بِالحَقِّ فِينَا هَادِيًا

إِذ بِهِ بَانَ الطَّرِيقُ المُستَقِيم ... وَانمَحَى عَنَّا بِهِ الشِّركُ الذَّمِيم

وَهوَ سَمَّانَا بِهِ بِالمُسلِمِين ... فَاهتَدَينَا مِنهُ بِالحقِّ المُبِين

دَائِمًا صَلُّوا عَلَى خَيرِ الأَنَام ... كُلُّ مَن صَلَّى عَلَيه لَا يُضَام

أَيُّهَا الإِخوَانُ وَالصَّحبُ الكِرَام ... أَنصِتُوا سَمعًا إِلَى صِدقِ الكَلَام

رَبُّنَا لَمَّا قَضَى إِتقَانَهُ ... كَي نَرَى مِن لُطفِهِ إِحسَانَهُ

شَرَّفَ الإِنسَانَ بِالخَلقِ الوَسِيم ... فِطرَةً مِنهُ عَلَى خُلقٍ عَظِيم

نُورُ طَهَ المُصطَفَى خَيرِ البَشَر ... وَابتِدَاءُ الخَلقِ مِنهُ قَد ظَهَر

وَهوَ لَمَّا شَاءَ خَلقَ الكَائِنَات ... فَاضَ مِنهُ النُّورُ فِي كُلِّ الجِهَات

فَاصطَفَى سُبحانَهُ وَهوَ الجَلِيل ... آدَمًا مِن قَبلِ شِيثٍ وَالخَلِيل

وَاستَضاءَ الطُّورُ بِالنُّورِ العَمِيم ... قَبلَ بَدءِ الصَّعقِ فِي مُوسَى الكَلِيم

وَاستَمرَّ النُّورُ يَسرِي فِي الوُجُود ... نُورُ طهَ مُرسَلِ الرَّبِّ الوَدُود

صَالِحٌ نُوحٌ وَإدرِيسُ الرَّفِيع ... يُونسٌ أيُّوبَ دَاودُ المُطِيع

يُوشَعٌ يَحيَى وإليَاسُ الوَقُور ... يُوسفٌ يَعقوبُ إسحَاقُ الصَّبُور

ثُمَّ رُوحُ اللهِ عِيسَى ابنُ الَّتي ... احصَنَت فَرجًا بِقَولٍ مُثبَتِ

وَالكِرامُ الأنبِيَا أهلُ السَّلام ... وَالعِظامُ الغُرُّ والرُّسلُ الكِرام

بُشِّروا مِن رَبِّهِم ربِّ العُلَا ... بِالضِّياءِ المُجتَلَى بَينَ المَلَا

وهوَ فِي أصلابِهِم مِسكُ الخِتَام ... ذِروَةُ الإكلِيلِ إقلِيدُ النِّظَام

النَّبِيُّ المُصطَفَى هَادِي الوَرَى ... خَيرُ مَن يَمشِي عَلى ظَهرِ الثَّرَى

مُظهِرُ الإسلَامِ بِالأمرِ المُصِيب ... حَيثُ كانَ النَّاسُ عُبَّادَ الصَّلِيب

كَانَ قَبلَ العرشِ نُوراً فِي الظُّهور ... ثُمَّ فِي الأصلَابِ وَافَى وَالظُّهور

إذ سَرَى فِي حُجبِ أصلَابٍ كِرَام ... مِثلَ مَا يَسرِي هِلالٌ فِي غَمَام

وَاختَفَى فِي الحُجبِ مِن حِينِ النُّطَف ... كَاختِفاءِ الدُّرِّ فِي طَيِّ الصَّدَف

وَاجتَنَتهُ قُدرةُ الرَّبِّ الجَلِيل ... كَاجتِناءِ الطَّلِّ مِن رَطبِ النَّخِيل

سَيِّدُ الكَونَينِ فَخرُ العَالَمِين ... جَامِعُ العَليَا إمَامُ القِبلَتَين

دائماً صلوا على خير الأنام ... كل من صلى عليه لا يضام

واستَوَى فِي ظَهرِ عَبدِ المُطَّلِب ... ثُمَّ عَبدِ اللهِ حَقاً لا كَذِب

قَالَتِ الأنعَامُ بِالنُّطقِ الفَصِيح ... قَد بَدا الإنعَامُ بِالدِّينِ الصَّحِيح

أنطَقَت جَهراً وَقالَت آنَ آن ... يَظهَر الهَادِي عَلى أهلِ الوَثَن

آنَ أن تُجلَى يَواقِيتُ الهُدَى ... آنَ أنْ تُجلَى يَواقِيتُ الرَّدَى

كُلُّ ذِي رُوحٍ يُنادِي بِاللِّسَان ... آن يَبعثُ المُصطَفَى ظِلُّ الأمَان

يومَ كانَ الحَملُ حَملَ المُصطفَى ... وَاستَفادَت آمِنَه مِنهُ الصَّفَا

مَا رَأت فِيهِ سِوى حَملٍ خَفِيف ... وَانقِلابٍ فِي الحَشَا مِنهُ لَطِيف

ثُمَّ أنوَاعِ التَّهاني والنَّشَاط ... وَارتِفاعِ القَدرِ مِن كُلِّ انحِطَاط

وَاعتَرى الأحبَارَ أحبَارَ اليَهُود ... فِكرَةٌ ضَلَّت وهَل سادَ الحَسُود

حَقَّقُوا مَن سَمِعُوا نُطقَ الجِمَال ... أنَّهُ حَقٌّ وَضَلُّوا فِي ضَلَال

وَاستَشَاطُوا حَسرةً مِن قَهرِهِم ... وَاستَزادُوا خَيبةً مِن مَكرِهِم

وَابتَغَوا أنْ يُطفِئوا نُورَ الإلَه ... فَابتَغاهُ طَائِفاً فِي كُلِّ جَاه

قَائِلِيَ المِقدارِ مَسموعَ الكَلام ... وَاجِبَ الإجلَالِ مَرعِيَّ المقَام

لاحَتِ الآيَاتُ فِي كُلِّ الصِّفات ... دَلَّتِ الفَحوى عَلى خَيرِ الذَّوَات

دائما صلوا على خير الأنام ... كل من صلى عليه لا يضام

إنَّ خيرَ الخلقِ أضحَى مِن مُضَر ... بِانتِسَابٍ لِلأعَالِي مُعتَبَر

هاشِمِيُّ الأصلِ قد حازَ الفَخار ... وَاكتَسَت مِنهُ قُرَيشٌ بِالوقَار

أحمدُ الخَلقِ خِتامُ المُرسَلين ... نَجلُ عَبدِ اللهِ شَمسُ النَّاظِرِين

ابنِ عَبدِ المُطَّلب شيخِ الحرَم ... ابنِ هاشِم مَنْ بهِ خُصَّ الكَرَم

ابنِ عَبدِ لِمنافٍ يا أخَي ... ابنِ جَمَّاعِ الوَرَى الزَّاكِي قُصَي

ابنِ مَن يُدعَى كِلاباً فِي اللَّقَب ... واسمُهُ الحقُّ حَكِيمٌ ذو النَّسَب

وَأبوهُ مُرَّةُ السَّامي المقَام ... ابنُ كَعبٍ سَادِنِ البيتِ الحَرام

ابنِ رَاقِي ذِروَةِ العَليَا لُؤَي ... وأبُوهُ غَالِبُ الشَّهمُ الكَمِيّ

ابنُ فِهرٍ وقُرَيشٌ تَنتَمي ... لِاسمِهِ كالشَّمسِ فوقَ العَلَمِ

ابنِ مَن أضحَى مَلِيكاً في الملا ... مَالِكِ بنِ النَّضرِ مِعراجِ العُلا

ابنِ مَولانَا كِنانَه مَن غَدَا ... خَيرِ نَجلٍ لِخُزَيمَةَ ذِي النَّدَا

وَأبوهُ مُدرِكَه غَوثُ الفَقِير ... ابنُ إليَاسَ أمانِ المُستَجِير

ابنِ حَامي الكعبةِ الغَرّا مُضَر ... مَن مُحيَّاهُ غَدا يَحكي القَمَر

ابنِ ذِي العَزمِ الّذي يُدعَى نِزَار ... وَهوَ للمَغبونِ أمسَى خيرَ جَار

وَأبو هَذا مَعدٌّ ذُو المقَام ... إبنُ عَدنانَ المُقدَّم والسَّلام

نِسبةٌ عَليَا وفَرعٌ مُستطِيل ... زَانهُ الإقبالُ والظِّلُّ الظَّليل

أبطَحيٌّ قُرشيٌّ قَد نَشَا ... قَائِماً في لَيلِهِ طاوي الحَشا

لا طَويلٌ لا قَصيرٌ بَل أنِيق ... في اعتِدالِ القَدِّ والوجهِ الطَّليق

انفُهُ اقنَى ازَجُّ الحَاجبَين ... أحمرُ الخدَّينِ أحوَى المُقلتَين

قَد زَكت أحسابُهُ ذَاتُ الكمَال ... قَد نَمت انسابُهُ ذاتُ الجَلال

كُلُّ عِلمٍ في جَميعِ المُرسَلين ... فَهوَ فيهِ العَلَمُ الفردُ اليَقِين

المنُادَى في العُلى طَهَ الأمِين ... أحمدُ المُختارُ يَاسينُ المكِين

إنّهُ الدّاعي إلى دَارِ الفَلَاح ... إذ هُوَ الهادِي إلى طُرقِ النَّجاح

الشَّفيعُ المُرتَضى يومَ الزِّحام ... يَا هنَا مَن زَارهُ في كُلِّ عَام

دائماً صلوا على خير الأنام ... كل من صلى عليه لا يضام

مَا نَجا لولاهُ نوحٌ في السَّفِين ... مَا انطَرَد لولاهُ إبليسُ اللّعِين

مَا نَجا لولاهُ موسَى والخَليل ... لا وَلا سَارَ عَلى دِينِ الجَليل

حَيثُ خَاضَ البَحرَ مُوسَى نَاجيًا ... وَالخَليلُ ارتَاضَ رَمضًا حَامِيًا

مَا غَدا لولاهُ عَرشٌ او مَلَك ... مَا بَدا لولاهُ شَمسٌ في فَلَك

لَم يَكُن لَولاهُ لَوحٌ او كِتَاب ... لَم يَكُن لولاهُ بَعثٌ أو حِساب

لَم يَكُن لولاهُ نارٌ وجِنَان ... لَم يَكُن لولاهُ كونٌ او مَكان

يَا رسولَ اللهِ يا كنزَ العُلوم ... يَا مَدارَ الكَونِ يا مَغنَى الرُّسُوم

يَا نَجيبَ العُربِ يَا عَالي السَّنَام ... يَا قَديمَ العَهدِ يَا رَاعِي الزِّمَام

يَا طَبيبَ القَلبِ يا جَبْرَ الكَسير ... يَا حَبيبَ الرَّبِّ يَا ذُخرَ الفَقِير

أنتَ لِلرَّاجي غَدوتَ المَطلبَا ... فَامنحِ العبدَ الصَّلاحَ المُذنِبَا

نَاظمَ الميلادِ عَن فِكرٍ كَليل ... رَاجياً مِن رَبِّهِ الأجرَ الجَزِيل

يَسألُ الرَّحمنَ حالاً صَالِحَة ... لِلَّذي يُهدِي إليهِ الفَاتِحَة

يَا أمينَ اللهِ كُن لي شَافِعًا ... يَومَ لا مَالٌ أراهُ نَافِعًا

يَا مَلاذِي لَيسَ لي هَادٍ سِوَاك ... يَا مَعَاذِي لا هُدَى إلَّا هُدَاك

يَا نَبيَّ اللهِ لا يُنجِي الفَقِير ... فِيهِ إلَّا أنتَ مِن حَرِّ السَّعِير

ضَرَّنِي كَسرِي وأنتَ المُرتَجَى ... فَاغتَنِم جَبرِي إليكَ المُلتَجَا

أنتَ مَطلوبي إذا عَزَّ النَّصِير ... أنتَ مَرغوبي إذا قَلَّ المُجِير

مِن أيَادِيكَ الأمانِي تُجتَنَى ... مِن مَعَانِيكَ المعَانِي تُقتَنَى

كُلُّ مَجدٍ في المعَالي والثَّرى ... فَهوَ يُروَى عَنكَ يَا خَيرَ الوَرَى

كَيفَ لا أُهدِي تَحيَّاتي إلَيك ... دَائِماً والرَّبُّ قَد صَلَّى عَلَيك

دائماً صلوا على خير الأنام ... كل من صلى عليه لا يضام

استَمِع يَا صَاحِ ذِكرَ المُعجِزَات ... مِن حَبيبِ اللهِ مَحمودِ الصِّفَات

جَاءتِ الأشجَارُ تَسعَى في سُجُود ... نَحوهُ لمَّا دَعَاهَا كَي تَعُود

وانشِقَاقُ البَدرِ مِن بَعدِ الكَمَال ... مُشعِرٌ بِالنَّقصِ مِن أهلِ الضَّلَال

وَارتجَاعُ الشَّمسِ مِن بَعدِ المَغِيب ... وَحَدِيثُ الشَّامِ بِالأمرِ العَجِيب

وَحَنينُ الجِذعِ شَوقاً والبَعِير ... نَاطِقاً عَن حَالِهِ كَالمُستَجِير

وَارتدَادُ العَينِ مِن بَعدِ العَمَى ... وَارتوَاءُ الجَيشِ مِن بَعدِ الظَّمَا

مِن صَفَا مَاءٍ بِكَفَّيهِ جَرَى ... وَهوَ فَيضُ الخيرِ مِنهُ في الوَرَى

شَاهدَاتٌ أنَّهُ بَينَ المَلا ... مُرسَلٌ بِالحقِّ مِن رَبِّ العُلَا

بَل لَهُ القُرآنُ إعجَازٌ مُقِيم ... بَينَنَا يَهدِي الصِّرَاطَ المُستَقِيم

مُعجِزَاتُ الرُّسلِ آلَت للأفُوْل ... وَهوَ آيَاتٌ عِظَامٌ لا تَزُوْل

بَاقِيَاتٌ دَائِمَاتٌ لِلْمَعَاد ... مُخْبِرَاتٌ عَنْ بَقَايَا قَوْمِ عَاد

قَدْ حَوَى أَشْيَاءَ لَيْسَتْ فِي السِّوَى ... يَالَهُ مِنْ فَائِزٍ فِيمَا حَوَى

يَنْظُرُ الأَشْيَاءَ حَقًّا مِنْ وَرَى ... مِثْلَ مَا قَدْ أَمَّهُ حَتْمًا يَرَى

وَلَهُ التَّأْثِيرُ فِي وَطْيِ الحَجَر ... وَلَهُ فِي الرَّمْلِ لَمْ يَظْهَر أَثَر

وَهْوَ مَرْعِيٌّ بِتَظْلِيلِ الغَمَام ... مِنْ هَجِيرِ الحَرِّ مَحْفُوظُ المَقَام

شُقَّ مِنْهُ الصَّدْرُ غَسْلاً بِالزُّلَال ... حَيْثُ لا إِيلامَ فِيهِ أَوْ مَلَال

فَوْقَ ظَهْرٍ مِنْهُ أَضْحَى خَتْمُ نُور ... يَتَرَاءَى النُّورُ مِنْهُ فِي الظُّهُور

لَيْلَةَ المِعْرَاجِ مِعْرَاجِ الرَّسُول ... حَارَتِ الأَلْبَابُ فِيهَا وَالعُقُول

وَإِلَى الأَقْصَى مِنَ البَيْتِ الحَرَام ... قَدْ سَرَى كَالبَدْرِ يَسْرِي فِي الظَّلَام

وَاجْتَلَى الآفَاقَ إِشْرَاقٌ وَنُور ... وَالجِهَاتِ السِّتَّ إِطْلَاقُ السُّرُور

فَرَأَى مَا لا رَأَتْ عَيْنٌ وَلَا ... خَاطِرٌ قَدْ مَرَّ فِيهِ مَا اجْتَلَى

فَامْتَطَى خَيْرُ الوَرَى ظَهْرَ البُرَاق ... رَاقِيًا يَعْلُو إِلَى السَّبْعِ الطِّبَاق

جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ وَالمَأْوَى وَمَا ... كَانَ مِنْ عَرْشٍ وَمَلْكٍ فِي السَّمَا

وَالتَقَى الهَادِي بِرُوحِ الأَنْبِيَا ... فِي السَّمَوَاتِ العُلَا وَالأَصْفِيَا

كُلُّ رُوحٍ مِنْهُمُ تُبْدِي السَّلَام ... نَحْوَهُ وَانْقَادَ أَمْلَاكٌ كِرَام

بَلْ بِهِمْ صَلَّى إِمَامًا فِي العُلَا ... وَاقْتَدَوْا طُرًّا بِهِ لَمَّا تَلَا

صَارَتِ الأَمْلَاكُ صَفًّا بَعْدَ صَفّ ... خَلْفَ طَهَ المُصْطَفَى لَمًّا وَقَف

ثُمَّ سَارَ المُجْتَبَى فَوْقَ الحِجَاب ... مِثْلَ مَا سَارَ هِلَالٌ فِي سَحَاب

قَالَ جِبْرَائِيلُ عِنْدَ المُنْتَهَى ... إِنَّمَا هَذَا مَكَانِي وَانْتَهَى

لَمْ أُجَاوِزْ عَنْهُ حَدًّا فِي السُّرَى ... هَيْبَةً لله يَا خَيْرَ الوَرَى

إِنْ أُجَاوِزْهُ أَكُنْ فِي الاحْتِرَاق ... مِنْ سَنَا الأَنْوَارِ هَلْ هَذَا يُطَاق

يَا حَبِيبِي سِرْ عَلَى حُجْبِ الجَمَال ... وَتَدَرَّجْ فِي مَقَامَاتِ الكَمَال

أنتَ مَخطُوبٌ لأسرَارِ المَغيبِ … لَيسَ يَدري كَشفَهَا إلّا الحَبيب

أنتَ تَدعَوُّ إلى أعلَى مَقَام … لَيسَ فِيهِ مِن رَقيبٍ أو زِحَام

تَمضي في السَّيرِ وارتَاحَ الفُؤاد … بِــراهُ كَي يَرى رَبَّ العِبَاد

وتخطَّى الحُجبَ إذ عَادَ الأمِين … رَاجِعًا عَنهُ وقَد زَادَ اليَقِين

مِن مَقامِ الرَّفرَفِ الأعلى دَنَا … لَم يَجِن قَولاً بِهِ إلّا أنَا

إذ أتَى مِن رَبِّهِ حُسنُ النِّدَا … دُسْ بِسَاطَ النُّورِ قَد حُزتَ النِّدا

دُس بِنعلِيكَ عَلى هَذا البِسَاط … وَتَمَتَّع في سُرورٍ واغتِبَاط

وانظُرِ الأملاكَ والعَرشَ الرَّفيع … وانظُرِ الكُرسِيَّ والصُّنعَ البَدِيع

مِنكَ قَد أبدَعتُ خَلقَ الكَائِنات … مِنكَ قَد أوقَعتُ كُلَّ المُمكِنَات

فَادنُ مِنّي يا رَسُولي يَا حَبِيب … وَاسألِ المَطلُوبَ واستَقصِ النَّصِيب

وَارغَ مِنّي يا مُحَمَّد مَا تُرِيد … ثُمَّ سَل وَاطلُب فَإعطَائي يَزِيد

قَالَ مَا المَطلُوبُ إلّا أُمَّتي … أُمَّتي يَا رَبِّ ارجُوا أُمَّتي

قَالَ يَاطهَ تُنَادِي أُمَّتي … وأنَا يَدْمًا أُنَادِي رَحمَتِي

أنتَ خَيرُ الرُّسلِ هُم خَيرُ الأُمَم … رَحمَتِي عَمَّت عَلَيكُم والنِّعَم

فَاهتَدَى الهَادِي وَمَا زَاغَ البَصَر … بَل رَأى لِبَارِي يَقِينًا بِالنَّظَر

وَاستَفَادَ المُجتَبَى كُلَّ العُلوم … مِنهُ تَتمِيمًا عَلى وَجهِ العُمُوم

ثُمَّ قَد عَادَ النَّبِيُّ المُصطَفَى … مُخبِراً عَن كُلِّ سِرٍّ في الخَفَا

فَارتَضَى الصِّدِّيقُ تَصدِيقاً بِمَا … قَد رَأى لَمّا أتَاهُ مُعلِمَا

فَلِذَا سَمَّاه صِدِّيقَ الكَلام … وَاصطَفَاهُ خِلفَةً دُونَ الأنَام

بَعدَهُ الفَارُوقُ ذُو العَدلِ الجَلي … ثُمَّ عُثمَانٌ وتَالِيهِ عَلي

ثُمَّ شَاعَ القَولُ مَا بَينَ الوَرَى … أنَّهُ حَقٌّ جَرَى لا يُفتَرى

دائماً صلوا على خير الأنام … كلُّ مَن صلّى عليه لا يضام

قَال رَاوِي مَولِدِ الهَادِي النَّجِيب ... نَاقِلاً عَن يَومِهِ الأمرَ العَجِيب

إنَّ فِيهِ النَّارَ صَارَت مُخمِدَة ... وَهيَ كَانَت ألفَ عَامٍ مُوقَدَة

وَالتَوَى إيوَانُ كِسرَى فِي ارتِجَاج ... وانزَوَى عَنهُ سَرِيرٌ ثُمَّ عَاج

وَاعتَرَى أصحَابَهُ خَوفٌ شَدِيد ... وارتِمَادٌ مَا عَلَيهِ مِن مَزِيد

ثُمَّ غَاضَ النَّهرُ غَيضًا بَعدَ فَيض ... واغتَدَى الكُهَّانُ فِي غَيظٍ وقَبض

وَاقتَفَت إثرَ الشَّيَاطِينِ النُّجُوم ... فَهيَ فِي إقصَائِهِم عَنهَا رُجُوم

حَيثُمَا الأصنَامُ خَرَّت لِلنُّكُوس ... وابتُلِي إبلِيسُ مِنهَا بِالعُكُوس

نَادِباً بِالوَيلِ لَمَّا أنْ بَدَا ... بَدرُ طَه فِي سَمَاءِ الإهتِدَا

وَكَذَاكَ الشُّومُ قَد عَمَّ اليَهُود ... واعتَرَاهُم عِندَ ذَا دَاءُ الخُمُود

ثُمَّ دَاعِي الحَقِّ نَادَى مُعلِنَا ... حَيثُ مِيلادُ التَّهَانِي قَد دَنَا

عَطِّرُوا بِالمِسكِ بَيتَ المَقدِسِ ... وابسُطُوا فَرشَ الهَنَا مِن سُندُسِ

إنَّ نُورَ المُصطَفَى قَد نُقِلَا ... لِحَشَا آمِنَةٍ ذَاتِ العُلَا

بَعدَ هَذَا جَاءهَا حَالَ الرُّقَاد ... هَاتِفُ البُشرَى بِمَن يَسمُو العِبَاد

إنَّهَا قَد حَمَلَت بِالمُجتَبَى ... أحمَدَ المَنصُورِ فَضلاً بِالظُّبَا

ثُمَّ فِي لَيلَةِ حَملِ الهَاشِمِي ... كُلُّ مَا دَبَّ مِن البَهَائِمِ

اعرَبَت بِالقَولِ والنُّطقِ الفَصِيح ... حُمِلَ الآنَ بِذِي النَّبِينِ الصَّحِيح

كُلُّ شَهرٍ يَنقَضِي مِن حَملِهِ ... فِي عُلُوِّ الكَونِ أو فِي سُفلِهِ

يُرسِلُ المَولَى خَطِيبًا بِالنِّدا ... أبشِرُوا قَد بَزَغَت شَمسُ الهُدَى

وَقُرَيشٌ جَاءهَا الرِّفدُ المُبِين ... بَعدَ أنْ كَانُوا بِقَحطٍ مُستَبِين

بَينَمَا بُهمُ الصَّحَارِي والبُحُور ... أعلَنُوا البُشرَى وقَد نَالُوا الحُبُور

وَهيَ إرهَاصَاتُ خَيرِ المُرسَلِين ... مُظهِرَاتٌ أنَّهُ الحَقُّ المُبِين

مُشعِرَاتٌ بِالَّذِي يَمحُوا الرَّدَى ... خَيرُ مَن يَدعُو إلى دِينِ الهُدَى

دائماً صلوا على خير الأنام ... كلُّ من صلَّى عليه لا يضام

قالتِ الغَرَّاءُ يَعني آمِنَه ... وهيَ مِن كُلِّ البَلايَا آمِنَهْ

كُنتُ لمَّا حَانَ مِيلادُ النَّبي ... في مَكانٍ ليسَ فيهِ مِن غَبِي

كُنتُ وَحدي ليسَ عِندِي مِن أحَد ... فِيهِ إلّا الوَاحدُ الفَردُ الصَّمَد

حَيثُ تَمَّ الحَملُ إذ جَاءَ المَخَاض ... وازدَهى وَقتي كأنّي في رِيَاض

فَاستَضَاءَ البَيتُ وانشَقَّ الجِدَار ... إذ أتَاني نِسوَةٌ والطَّلقُ ثَار

بَاسِقاتُ القَدِّ كالنَّخلِ الطِوال ... رِيحُهُنَّ المِسكُ قَد فَاقَ الغَزَال

قُلنَ لي مِن بَعدِ إفشَاءِ السَّلام ... اصبِري لا تَحزَني زَالَ السَّقَام

أبشِري حَقاً بِمولودٍ عَظيم ... يَالهُ نَجلاً كَريماً مِن كَريم

أبشِري بِالسَّيدِ العَالي المَقَام ... أبشِري بِالمصطفى خَيرِ الأنَام

فَهوَ مَولودٌ لهُ البَاعُ الطَّويل ... مَالهُ مِن كُلِّ مَولودٍ مَثيل

دِينُهُ يَعلو عَلى كُلِّ المِلَل ... نَاسِخُ الأديَانِ مَا فِيهِ خَلَل

كُنَّ لي في وَضعِهِ تِلكَ النِّسَا ... مُؤنِسَاتٍ مُذهِبَاتٍ للأسَى

مَاسِكاتٍ عَضُدِي يَعضُدنَني ... رَاعيَاتٍ خِدمَتي يُسعِدنَني

فَرأيتُ النُّورَ مِن أرضِ الشَّآم ... والقُصُورَ الشُّمَّ مِن بُصرَى تُشَام

وَاحدٌ في الشَّرقِ والثَّاني عَلَى ... جَانِبِ الغَربِ تَراءَى واعتَلَى

ثَالثُ الأعلامِ في البَيتِ الحَرَام ... لاحَ مَنصُوباً عَليهِ واستَقَام

أيُّها الإخوَانُ والجَمعُ الغَفير ... إنَّ هذا الحِينَ وقتُ المُستَجِير

كُلُّ مَن قَد رَامَ مِن ربٍّ مُجيب ... حَاجةً يَسألهُ حَالاً لا يَخيب

مَدَّتِ الأملاكُ فَرشاً قَد سَمَا ... سُندُساً لاحَ مَابينَ السَّمَا

وَاعتَرَاني عِندَ ذَا حَرُّ الحَشَا ... وفُؤادي مِنهُ أضحَى مُعطَشَا

فَإذا بِالطَّائرِ العَالي المَطَار ... في يَدَيهِ شَربَةٌ ذاتُ اعتِبَار

مِلؤهَا مَاءٌ حلَا يُروِي العِطَاش ... فَسَقَانِيهَا وقَلبِي مِنهُ ظَا

وَعَلى بَطنِي لهُ مَسحُ الجَنَاح ... فَوضَعتُ البدرَ مِصبَاحَ النَّجَا

دائماً صلوا على خير الأنام ... كلُّ من صلَّى عليه لا يضا

مَرحباً أهلاً وسهلاً بِالرَّسُول ... مَرحبًا بِالقُربِ مِنهُ والوصُو

مَرحباً بِالنُّورِ والبَدرِ التَّمَام ... مَرحباً بِالغَيثِ واللَّيثِ الهُمَا

مَرحباً بِالرُّكنِ والقدرِ الرَّفِيع ... مَرحباً بِالحصنِ والطَّودِ المني

أقبَلَ البَدرُ اختَفَت مِنهُ البُدُور ... وانجَلَى بِالنُّورِ في ثَوبِ السُّرو

زُيِّنَت أكنَافُ سَلعٍ والعقِيق ... زَانَهَا مِن بَارِقٍ نورٌ بَري

فُتِحت في الحَالِ أبوابُ الجِنَان ... واستَزادَت زِينَةً حُورٌ حِسَا

كَانَتِ الأملاكُ لمَّا أنْ وُضِع ... حَولهُ والنُّورُ فِيهِ تُجتَني

فَاصطَفَقُوا أنْ يَأخذوهُ ظَاهِرا ... وَيَدُوروا فِيهِ دَوراً وَافِـرا

أو يَطُوفُوا سَائرَ الدُّنيَا بِهِ ... وَيُؤدُّوا حَقَّهُ مِن ر

كَي يَرَاهُ كُلُّ مَخلوقٍ وُجِد ... في جَمِيعِ الكَونِ لمَّا أنْ وُلِـ

إنَّهُم لِلأمرِ كَانُوا فَاعِلِين ... لامتِثَالِ الأمرِ مِن رَبٍّ مُعِي

دائماً صلوا على خير الأنام ... كلُّ من صلَّى عليه لا يضا

إلى هنا انتهى مولد الشيخ محمد أبي الوفا



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواجب الوجود، الواسع الكرم والجود، المنزه
عن الوالد والمولود، الذي بعث فينا نبيه وحبيبه محمدا
صلى الله عليه وسلم بالآيات البينات والمعجزات الباهرات،
فأظهر به دينه القويم، وهدى به إلى الصراط المستقيم،
وخصه بالشفاعة العظمى، والمقام الأسنى، وأخذ على أنبيائه
المواثيق والعهود، لئن جاءكم رسول مصدق لما معكم
لتؤمنن به ولتنصرنه حتى يبلغ رسالة الملك المعبود،
فلما أقروا بذلك قال اشهدوا وأنا معكم من الشهود،
فدل ذلك على أنه أفضل خلق الله، وأشرف رسل الله،
من أطاعه أطاع الله، ومن عصاه فقد عصى الله، قال تعالى

قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآية وقال
صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وقال صلى
الله عليه وسلم أنا حبيب الله، والمصلي على حبيبي، فمن
أراد أن يكون حبيب الحبيب فليكثر من الصلاة على الحبيب،
ويكفي العاقل اللبيب، والحاذق النجيب، في بيان عظم هذا
النبي الكريم، وبيان قدر الصلاة عليه والتسليم، قول
الله العظيم: إن الله وملائكته يصلون على النبي
يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما.

[illegible]

فأنت رسول الله أعظم كائن ... وأنت لكل الخلق بالحق مرسل
عليك مدار الخلق إذ أنت قطبه ... وأنت منار الحق تعلو وتفضل

هذا مولد العارف بربه القدير
ابي البركات سيدي احمد الدردير ﷺ
الشيخ أحمد الدردير المالكي

اسمه ولقبه ونسبه: هو أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي حامد العدوي أبو البركات، المصري، الأزهري، الفقيه المالكي، الشهير بـ(الدردير).

مولده: ولد سنة (١١٢٧ هـ).

ما قيل عنه: وصفه الشهاب المرجاني في (وفيات الأسلاف) بأنه شيـ الطريقة الخلوتية وأحد المنسوب لهم التجديد على رأس المائة الثانية عشـ من المالكية.

مصنفاته: له من التصانيف: (أقرب المسالك إلى مذهب مالك في شرـ مختصر الشيخ خليل) في الفروع، و(تحفة الأخوان في آداب أهل العرفان) ـ التصوف، و(التوجه الأسنى بنظم أسماء الله الحسنى)، و(رسالة في متشابهاـ آيات القرآن)، و(رسالة في المعاني والبيان)، و(شرح آداب البحث)، و(شرـ رسالة التوحيد من كلام دمرداش)، و(شرح رسالة القاضي عبد الله التاثار ـ الآيات القرآنية)، و(شرح صلوات السيد أحمد البدوي)، و(شرح ورْد كـ الدين الخلوتي)، و(المورد البارق في الصّلاة على أفضل الخلائق ﷺ)، وغـ ذلك من الرسائل والكتب المفيدة.

وفاته: توفي ﷺ سنة (١٢٠١ هـ).

من مصادر ترجمته:

- هدية العارفين للباباني [١/ ١٨١].
- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني [١/ ٣٩٣].
- شجرة النور الزكية [ص: ٣٥٩].
- الأعلام للزركلي [١/ ٢٣٢].



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ الواجبِ الوجودِ، الواسعِ الكرمِ والجودِ، المنزهِ عن الوالدِ والمولودِ، الذي بعث فينا نبيَّهُ وحبيبَه محمداً ﷺ بالآيات البيناتِ والمعجزاتِ الباهراتِ، فأظهرَ به دينَه القويمَ، وهدى به إلى الصراطِ المستقيمِ، وخصَّه بالشفاعة العُظمى[1] والمقام الأسنى[2]، وأخذَ على أنبيائهِ المواثيقَ والعهودَ لئنْ جاءكم رسولٌ مصدقٌ لما معكُم لتؤمنُنَّ به ولتنصُرُنَّه حتى يبلِّغَ رسالةَ الملكِ المعبود، فلما أقرّوا بذلك قال اشهدُوا وأنا معكمْ من الشُّهود[3] فدلَّ ذلك على أنه أفضلُ خلقِ اللهِ، وأشرفُ رسل الله، من أحبَّه أحبَّه الله ومن عصاهُ فقد عصى الله قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] وقال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»[4] وقال ﷺ: «أنا حبيبُ

---

(١) المقام المحمود: هو الشفاعة العظمى في فصل القضاء؛ عن ابن عمر رضي الله عنهما: (إنَّ النَّاس يصيرون يوم القيامة جثياً، كل أمّة تتبع نبيّها، يقولون: يا فلان اشفع، يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود). صحيح البخاري [٣/ ٢٥٢/ رقم ٤٧١٨] كتاب التفسير.

(٢) المقام الأسنى: هو المقام المحمود.

(٣) المقصود بذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: ٨١].

(٤) جزء من حديث طويل أوله: قال خَطَبَنَا ابن عبَّاسٍ على مِنْبَرِ البَصْرَةِ فقال قال رسول الله ﷺ: «إنه لم يكُنْ نبي إلّا له دَعْوَةٌ قد تنجَّزَها في الدُّنيا وإني قد اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي وأنا سيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يوم القيامَةِ ولا فَخْرَ وأنا أوَّلُ من تنشَقُّ عنه الأرْضُ ولَا فَخْرَ......» انظر مسند الإمام أحمد [١/ ٢٨١رقم ٢٥٤٦]. ، والمستدرك [٢/ ٦٦٠]، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة [٤/ ٣٦]، والطبراني في المعجم الأوسط [٥/ ٢٠٢].

الله والمصلِّي عليَّ حبيبي»[1] فمنْ أرادَ أن يكونَ حبيباً للحبيبِ فليُكثر من الصلاة على الحبيبِ، ويكفي العاقلَ اللبيبَ والحاذق النجيبَ في بيان عِظَم هذا النبيِّ الكريم، وبيانِ قدرِ الصلاة عليه والتسليم قول الله العظيم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[2] [الأحزاب: ٥٦] وقد أحسَنَ من قال.

فأنتَ رسولُ اللهِ أعظمُ كائنٍ ... وأنتَ لكلِّ الخلقِ بالحقِّ مرسلُ

عليكَ مدارُ الخلقِ إذ أنتَ قطبُه ... وأنتَ منارُ الحقِ تعلُو وتعدِلُ

فؤادُك بيتُ الله دارُ علومِه ... وبابٌ عليه منهُ للحقِّ يُدخلُ

ينابيعُ علمِ الله منهُ تفجَّرَتْ ... ففي كلِّ حيٍّ منه للهِ منهلُ

منحتَ بفيضِ الفضلِ كُلَّ مفضّلٍ ... فكلٌّ له فضلٌ بهِ منكَ يَفْضُلُ

نظمتَ نثارَ الأنبياءِ فتاجُهم ... لديك بأنواعِ الكمالِ مكمَّلُ

فيا مَدَّةَ الإمدادِ نُقطةَ خطِّهِ ... ويا ذُروةَ الإطلاقِ إذْ يتسلسَلُ

محالٌ يحولُ القلبُ عنكَ وإنَّني ... وحقِّكَ لا أسلو ولا أتحوَّلُ

عليكَ صَلاةُ الله مني تواصلَتْ ... صلاةَ اتصالٍ عنكَ لا تَتَنصَّلُ

ولما كان أفضلَ خلقِ الله كان أولَ خلقِ الله وآخرَ أنبياءِ الله، روى عبدُ الرزاق[3] بسنَدِه عن جابرِ بن عبدِ الله الأنصاريِّ قال: قلتُ يا رسول الله

---

(١) رواه البغوي في شرح السنة بلفظ: عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال أنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر. شرح السنة للبغوي [١٣/ ٢٠٣] باب فضل سيد الأولين والآخرين].

(٢) انظر تفسير الجيلاني.

(٣) هو عبد الرزاق بن همام الصنعاني، العلّامة الحافظ، روى عن معمر وابن جريج ومن في

بأبي أنت وأمي أخبرني عن أوّل شيءٍ خلقَه الله تعالى قبلَ الأشياء. قال: يا جابرُ إنَّ اللهَ خلقَ قبلَ الأشياءِ نورَ نبيِّك من نورِه فجعلَ ذلكَ النورُ يدورُ بالقدرةِ حيثُ شاء الله، ولم يكنْ في ذلكَ الوقتِ لوحٌ ولا قلمٌ، ولا جنةٌ، ولا نارٌ ولا ملكٌ، ولا سماءٌ ولا أرضٌ، ولا شمسٌ ولا قمرٌ، ولا جنٌ ولاإنسٌ، فلما أرادَ الله تعالى أن يخلقَ الخلقَ قسَم ذلك النورَ أربعةَ أجزاءٍ فخلقَ من الجزءِ الأوّلِ القلم ومن الثاني اللوحَ ومن الثالث العرشَ ثم قسَم الرابعَ أربعةَ أجزاءٍ فخلقَ من الأول السمواتِ ومن الثاني الأرضين ومن الثالثِ الجنةَ والنارَ ثم قسمَ الرابعَ أربعةَ أجزاءٍ فخلقَ من الأولِ نورَ أبصارِ المؤمنينَ ومن الثاني نورَ قلوبِهم وهي المعرفةُ بالله تعالى ومن الثالثِ نورَ أنسِهم»[1] وهو التوحيدُ لا اله إلا الله محمد رسول الله، ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «كنت نوراً بين يدي ربي قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام»[2] وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنهم قالوا: (يا رسول الله متى وجبت لك

= طبقتهما، صاحب المصنفات، رحل الأئمة إليه إلى اليمن، عاش بضعاً وثمانين، توفي سنة [٢١١هـ]. انظر ترجمته في: العبر للذهبي [١/ ٢٨٣]. وشذرات الذهب [٣/ ٥٥].

(١) جزء من حديث طويل أوله: أن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال سألت رسول الله عن أول شيء خلقه الله فقال: (هو نور نبيك يا جابر خلقه الله ثم خلق منه كل خير وخلق بعده كل شر فحين خلقه أقامه قدامه في مقام القرب اثني عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أقسام فخلق العرش من قسم والكرسي من قسم وحملة العرش وخزنة الكرسي من قسم وأقام القسم الرابع في مقام الحب اثني عشر ألف سنة ثم جعله أربعة. ...... هكذا كان بدء خلق نبيك يا جابر). انظر بلغة السالك [٤/ ٤٤٣]. والسيرة الحلبية [١/ ٢٤٠]. (قلت): وفي إسناد الحديث نظر. انظر: المواهب اللدنية [١/ ٧١]. والآثار المرفوعة [١/ ٤٢].

(٢) الحديث بلفظ: عن ابن عباس رضي الله عنه قال إن قريشا كانت نورا بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم بألفي عام يسبح ذلك النور فتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم جعل ذلك النور في صلبه قال رسول الله ﷺ فأهبطه الله إلى الأرض في صلب آدم فجعله في صلب نوح في السفينة وقذف في النار في صلب إبراهيم ولم يزل ينقلني من أصلاب الكرام إلى =

النبوة قال: «وآدم بين الروح والجسد»[١] رواه الترمذيُّ وحسَّنه واختلفوا في أول المخلوقات بعد النور المحمدي، والصحيح أنه الماءُ، ثم العرشُ، ثم القلمُ، ثم لما خلقَ اللهُ آدمَ من طينٍ، ونفخَ فيهِ الروحَ جعلَ ذلكَ النورَ في ظهرهِ، فكان يلمعُ في جبينهِ فيغلبُ على سائرِ نورهِ. قال جعفرُ بن محمدٍ: مكثتِ الروحُ في رأسِ آدمَ مئةَ عامٍ، وفي صدرهِ مائةَ عامٍ، وفي ساقيهِ وقدميهِ مائةَ عامٍ، ثم علَّمه اللهُ تعالى أسماءَ جميعِ المخلوقاتِ، ثمَّ أمرَ الملائكةَ بالسجودِ له سجودَ تحيةٍ وتعظيمٍ، لا سجودَ عبادةٍ، فسجدوا إلا إبليسَ استكبرَ وأبى فكانَ أول مَنْ عصى اللهَ، وأوّل حاسد لمن فَضَّله الله تعالى؛ فطردَه اللهُ تعالى ولعَنه وأهبَطه من الجنةِ مذموماً مخذولاً، ثمَّ خلقَ اللهَ حواءَ زوجتَه من ضِلَعٍ من أضلاعِه اليُسرى وهو نائمٌ، ولم يشعرْ بذلك فلما استيقظَ ورآها سكَنَ إليها ومدَّ يدَه إليها فقالَتِ الملائكةُ: مَه يا آدمُ قالَ: ولِم وقد خلقَها الله تعالى لي فقالوا: حتى تُؤَدّيَ مهرها قال وما مهرُها؟ قالوا: أن تصلّيَ على محمدٍ ﷺ ثلاثَ مراتٍ، وفي رواية: أنه لما رامَ القربَ منها طلبتْ منهُ المهرَ، قالَ: ياربُّ وماذا أُعطيها؟ فقالَ: يا آدمُ صلِّ على محمدِ بن عبدِ الله عشرين مرةً ففعل[٢]. وأباحَ اللهُ لهما نِعَمَ الجنةِ إلا

= الأرحام حتى أخرجني من بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط. المطالب العالية [١٧/ ١٩٥رقم ٤٢٠٩]، وسبيل الهدى والرشاد [١/ ٦٩].

(١) الحديث رواه الترمذي بلفظ: عن أبي هُرَيْرَةَ قال: (قالوا: يا رَسُولَ اللهِ مَتَى وَجَبَتْ لك النُّبُوَّةُ؟ قال: «وَآدَمُ بين الرُّوحِ وَالْجَسَدِ») قال أبو عِيسَى هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ من حديث أبي هُرَيْرَةَ لا نَعْرِفُهُ إلا من هذا الْوَجْهِ وفي الْبَاب عن مَيْسَرَةَ الْفَجْرِ. انظر سنن الترمذي [٥/ ٥٨٥/ رقم ٣٦٠٩] باب في فضل النبي ﷺ وعند الحاكم بلفظ: عن أبي هريرة ﷺ قال: قيل للنبي ﷺ متى وجبت لك النبوة قال: «بين خلق آدم ونفخ الروح فيه». انظر المستدرك للحاكم [٢/ ٦٦٥/ رقم٤٢١٠] ذكر أخبار سيد المرسلين وخاتم النبيين، وانظر: المقاصد الحسنة للسخاوي [١/ ١٧٤].

(٢) ذُكِرَ في بعض الأخبار أن آدم ﷺ رفع رأسه فنظر فرأى على ساق العرش لا إله إلا الله

شجرةَ الحنطةِ فنهاهُما عن الأكلِ منها، فتحيّلَ إبليسُ حتى دخلَ الجنةَ، وأتى إليهما، ووقفَ وناحَ نياحةً أحزنتهما، فقالا له ما يُبكيك؟ فقال: أبكي عليكُما تموتان وتفقدِان النعيمَ المقيمَ ألا أدلُّكما على شجرةِ الخلدِ وملكٍ لا يَبْلى؟ فكُلا من هذهِ الشجرةِ فإنّها شجرةُ الخلدِ وقاسَمهما إنّي لكُما لمنَ النّاصِحين فلما أغواهما وأكلا منها وظنَّا أن أحداً لا يحلف بالله كاذباً، قال الله تعالى: ألم يكنْ فيما أبحتُ لكما من الجنةِ مندوحةٌ عن هذهِ الشجرةِ؟ قالا بَلى يا ربِّ وعزّتِك وجلالِك، ولكنْ ظننّا أنَّ أحداً لا يحلفُ بِكَ كاذباً، فأهبطَهما إلى الأرضِ. قال وهب بن منبه[1]: لما أُهبِطَ آدمُ إلى الأرضِ مكثَ يَبكي ثلثمائةِ عامٍ لا يَرْقى له دمعٌ، ثم إنَّ حواءَ وَلدتْ لآدمَ أربعينَ ولداً في عشرينَ بطناً، ووضعتْ شيثاً وحدَه كرامةً لمنْ أطلع اللهُ بالنبوةِ سَعْدَهُ، ولما تُوفّي آدمُ ﷺ كان شيثُ وصِيَّه على أولادِه ثم إنَّ شيثاً عليه السلام أوصى ولدَه بوصيةِ آدمَ أن لا يضعَ هذا النورَ إلا في المطهَّرات من النساءِ[2] ولم تزلْ هذه الوصيةُ جاريةً تنتقلُ من قرنٍ إلى قرنٍ إلى أنْ وصَلَ هذا النورُ إلى عبدِ الله بنِ عبدِ المطلبِ، و طهّر الله تعالى هذا النسبَ الشريفَ من سفاحِ الجاهليةِ قال ﷺ: «ما وَلَدَني من سفاحِ الجاهلية شيءٌ

= محمد رسول الله فقال آدم: يا رب من هذا الذي كتبت اسمه مع اسمك فقال الله تعالى: يا آدم هو نبيي وصفيي وهو حبيبي ولولاه ما خلقتك ولا خلقت جنة ولا نارا فلما خلق الله سبحانه حواء نظر آدم إليها فقال: يا رب زوجني منها فقال الله تعالى: وما مهرها يا آدم فقال: يا رب ما أعلم قال: الله تبارك وتعالى يا آدم صل على محمد عشر مرات فصلى آدم عليه كما أمره الجبار جل جلاله فزوجه الله سبحانه منها. انظر بستان الواعظين [١/ ٣٠٧ رقم ٤٧٨]. وقد ذكرها ابن الجوزي في كتابه: (سلوة الأحزان)، كما ورد في المواهب اللدنية للقسطلاني. انظر: المواهب [١/ ٧٦].

(١) وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن سيحان من أبناء فارس كنيه أبو عبد الله توفي سنة [١١٣هـ]. انظر الثقات [٥/ ٤٨٨ رقم الترجمة ٥٨٦٣].

(٢) انظر: السيرة الحلبية [١/ ٦].

ما وَلَدَني إلا نكاحُ الإسلام»[1] وقال ﷺ: «خرجتُ من نكاحٍ غيرِ سفاحٍ»[2] فهو سلالةُ الطيبين الطَّاهرين ونتيجةُ الكرامِ الموحِّدين، النبيُّ العربيُّ الهاشميُّ القرشيُّ المنتخبُ من خيرِ بطونِ العربِ وأعرَقِهَا في النسب محمد بن عبدِ الله بن عبدِ المطلبِ بن هاشمٍ بنِ عبدِ منافٍ بنِ قصيٍّ بنِ كلابٍ بنِ مرَّةَ بنِ كعبٍ بن لؤيٍّ بنِ غالبٍ بنِ فهرٍ وهو قريشٌ وإليه تنسب قريش، فمن كان فوقَه فكِنَانِيٌّ لا قُرَشِيٌّ، ابنُ مالك بنِ النَّضرِ بنِ كنانةَ بنِ خزيمةَ بنِ مُدرِكَةَ بنِ إلياسَ بنِ مضرَ بنِ نزارٍ بنِ معدٍ بنِ عدنانٍ[3]. هذا هو النسبُ المتفَقُ عليه وما بعده لا يُعَوَّلُ عليه. ولما أرادَ الله تعالى إبرازَ هذا السرِّ المصونِ الساري في الظهور والبطون من عالم الخفاء إلى عالم الظهور ليتمَّ بذلك كمالُ الصَّفا ومزيدُ السرور ألهمَ عبدَ المطلبِ بأن يذهبَ إلى وهبٍ بنِ عبدِ مناف بن زهرةَ، وهو يومئذٍ سيِّدُ بني زهرة نسباً وشرفاً، فخطب منه بنتَه آمنةَ لولدِهِ عبدِ الله وهيَ يومئذٍ أفضلُ امرأةٍ من قريشٍ نسباً وموضعاً فزوَّجها له، وبنى بها في شعب أبي طالب، فحملَتْ برسول الله ﷺ وظهَر لحمله عجائبُ ولوضعِه غرائبُ. وعن كعبِ الأحبارِ أنه نُودي تلك الليلةَ في السماءِ وصِفَاحِهَا والأرضِ وبِطَاحِهَا أنَّ النورَ المكنونَ الذي منه رسولُ الله ﷺ يستقرُّ الليلةَ في بطنِ آمنةَ فيا طُوبى لها ثمَّ يا طُوبى، وأصبحَتْ أصنامُ الدنيا منكوسةً وكانت قريشٌ في جَدْبٍ شديدٍ وضيقٍ عظيم، فاخضرَّتِ الأرضُ وحملتِ الأشجارُ وجاءهم الرَّفَدُ من كلِّ جانبٍ فسمِّيَتْ تلكَ السنةُ التي حملَ فيها رسولُ اللهِ ﷺ سنةَ الفتحِ والابتهاجِ، وأتاها آتٍ حينَ حملتْ به في منامِها فقالَ لها: «أنتِ حملتِ بسيدِ هذهِ الأمةِ»؟ قالتْ آمنةُ: ما شعرتُ بأني حملتُ به ولا وجدْتُ له ثِقَلاً ولا وَحَماً كما تجدُ النساءُ إلا أنّي أنكرتُ

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة [١/ ١٧٤] ذكر شرف أصل رسول الله ونسبه، وانظر كنز العمال [١١/ ١٨١].

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر شرح هذا النسب في «فيض القدير» [٣/ ٣٦].

حيضتي، وأتاني آتٍ وأنا بينَ النومِ واليقظةِ، فقالَ: «هلْ شعرتِ بأنَّكِ حملتِ بسيدِ الأنامِ؟» ثم أمهلني حتى إذا دَنَتْ ولادتي أتاني فقالَ لي: قُولي إذا وَضَعْتِيه أُعِيذُهُ بالواحدِ من شرِّ كُلِّ حاسدٍ ثم سَمِّيه محمداً»[1] ورُوِي أنَّ كُلَّ دابةٍ لقريشٍ نطقتْ تلكَ الليلةَ وقالت: حُمِلَ برسولِ الله ﷺ وربِّ الكعبةِ وهو إمامُ الدنيا وسراجُ أهلها، ولم يبقَ سريرٌ لملِكٍ من ملوك الدنيا إلا أصبحَ منكوساً، وفرَّتْ وحوشُ المشرقِ إلى وحوشِ المغربِ بالبشاراتِ، وكذا حيتانُ البحارِ يُبَشِّر بعضُها بعضاً، وله في كُلِّ شهرٍ نداءٌ في الأرضِ ونداءٌ في السماءِ أنْ ابشرُوا فقدْ آنَ أنْ يظهرَ أبو القاسمِ ﷺ ميموناً مباركاً، ولما تمَّ لها من حملِها شهرانِ توفي عبدُ الله وهو راجعٌ من الشام مع جماعةٍ من قريشٍ سافروا للتجارةِ، فمرُّوا بالمدينة فتخلَّف مريضاً عند أخوالهِ بني عدِّي بن النجّار، فأقامَ عندَهم مريضاً شهراً، ثم تُوفِّي ﷺ تعالى. قيلَ لما حضرتْ ولادةُ آمنةَ قال الله تعالى للملائكة:

---

(١) روى البيهقي عن إسحاق بن يسار قال حدثت أنه كان لعبد الله بن عبد المطلب امرأة مع آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة فمر بامرأته تلك وقد أصابه أثر من طين عمل به فدعاها إلى نفسه فأبطأت عليه لما رأت من عمل الطين فدخل فغسل عنه أثر الطين ثم دخل عامدا إلى آمنة ثم دعته صاحبته التي كان أراد إلى نفسها فأبى للذي صنعت به أول مرة فدخل على آمنة فأصابها ثم خرج فدعاها إلى نفسه فقالت لا حاجة لي بك مررت بي وبين عينيك غرة فرجوت أن أصيبها منك فلما دخلت على آمنة ذهبت بها منك قال ابن إسحاق: فحملت برسول الله ﷺ قال فكانت آمنة بنت وهب تحدث أنها أتيت حين حملت بمحمد ﷺ فقيل لها إنك قد حملت بسيد هذه الأمة فإذا وقع بالأرض فقولي: أعيذه بالواحد من شر كل حاسد في كل بر عاهد وكل عبد رائد يرود كل رائد فإنه عبد الحميد الماجد حتى أراه قد أتى المشاهد قال وآية ذلك أن يخرج معه نور يملأ قصور بصرى من أرض الشام فإذا وقع فسميه محمدا فإن اسمه في التوراة أحمد يحمده أهل السماء وأهل الأرض واسمه في الإنجيل أحمد يحمده أهل السماء وأهل الأرض واسمه في القرآن محمد فسميه بذلك فلما وضعته بعثت إلى عبد المطلب جاريتها وقد هلك أبوه عبد الله وهي حبلى. انظر شعب الإيمان [٢/ ١٣٦/ رقم ١٣٨٨] فصل في شرف أصله وطهارة مولده ﷺ.

افتحوا أبوابَ السماءِ كلَّها وأبوابَ الجنانِ كلَّها، وألبستِ الشمسُ يومئذٍ نوراً عظيماً، وكان قدْ أذنَ اللهُ لنساءِ الدنيا أنْ يحملنَ ذكوراً كرامةً لسيدنا محمدٍ ﷺ. قالتْ آمنةُ لما أخذَني الطلقُ ولم يعلمْ بي أحدٌ لا ذكرٌ ولا أنثى، وإني لوحيدةٌ في المنزل، وعبد المطلب في طوافه فسمعتُ وجْبةً[1] عظيمةً وامراً عظيماً هالَني ثم رأيتُ كأنَّ جناحَ طيرٍ أبيضَ قدْ مسحَ على فؤادي فذهبَ عنّي الرعبُ وكلُّ وجعٍ أجدُه ثم التفتُّ فإذا أنا بشَرْبةِ ماءٍ بيضاءَ فتناولْتُها فأصابَني نورٌ عالٍ، ثم رأيتُ نسوةً طوالاً كأنهنَّ من بنات عبدِ منافٍ يُحدقنَ بي فبينَما أتعجبُ وأقولُ من أين علمنَ بي فقُلنَ لي نحن آسيةُ امرأةُ فرعونَ ومريمُ ابنة عمرانَ وهؤلاءِ من الحورِ العين، فبينما أنا كذلك إذ بديباجٍ أبيض قد مُدَّ بين السماءِ والأرضِ، وإذا بقائلٍ يقول: خُذوه عن أعين الناظرين. قالت: ورأيتُ رجالاً قد وقفوا في الهواءِ بأيديهم أباريقُ من فضةٍ، ثم نظرتُ فإذا أنا بقِطعَةٍ من الطير قد أقبلتْ حتى غطّتْ حُجْرتي مناقيرُها من الزُّمُرُّدِ وأجنحتُها من الياقوتِ، فكشف اللهُ عن بصري فرأيتُ مشارقَ الأرضِ ومغاربَها ورأيتُ ثلاثةَ أعلامٍ مضروباتٍ علماً بالمشرقِ وعلماً بالمغربِ وعلماً على ظهر الكعبةِ فأخذَني المخاضُ فوضعتُ محمداً ﷺ فنظرتُ إليه فإذا هو ساجدٌ قد رَفَعَ أصْبُعَهُ إلى السماء كالمتضرِّع المبتهلِ، ثم رأيتُ سحابةً بيضاءَ قد أقبلتْ من السماء حتى غشيتْه فغيّبَتْه عنّي فسمعتُ منادياً ينادي: طوفوا به مشارقَ الأرضِ ومغاربَها وأدخلُوه البحارَ ليعرفوهُ باسمه وصورته ونعتِهِ ويعلموا أنه فيها الماحِي لا يَبْقَى شيءٌ من الشرك إلا مُحيَ في زمنه ثم انجلتْ عنه في أسرعِ وقتٍ[2] وفي روايةٍ أنَّ آمنةَ قالتْ: لما فصلَ مني

---

(١) الوَجْبةُ: السَّقْطةُ مع الهَدَّةِ، أو صَوْتُ السَّاقِطِ.

(٢) انظر القصة بتمامها في سمط النجوم العوالي [١/ ٢٩٩].

(فائدة): قال ابن الجوزي في «التلقيح» والسهيلي في كتاب «الروض الأنف» لا يعرف في العرب من تسمى بهذا الاسم قبله ﷺ إلا ثلاثة طمع آباؤهم حين سمعوا بذكر محمد

خرج معه نورٌ أضاء له مابين المشرقِ والمغربِ، ثمْ وقعَ على الأرض معتمداً على يديه، ثم أخذ قبضةً من التراب وقَبَضَها ورفع رأسَهُ إلى السماء[1] وأخرجَ أبو نعيمٍ عن عطاء بن يسار عن أمّ سلمةَ عن آمنة قالت: رأيتُ ليلةَ وضعهِ نوراً أضاء لي قصورَ الشامِ حتى رأيتُها[2] وأخرج أيضاً عن عبد الرحمن بن عوفٍ عن

= ﷺ ويقرب زمانه وأنه يبعث في الحجاز أن يكون ولدا لهم ذكرهم ابن فورك في كتاب الفصول وهم محمد بن سفيان بن مجاشع جد جد الفرزدق الشاعر والآخر محمد بن أحيحة بن الجلاح وهو أخو عبد المطلب جد رسول الله ﷺ لأمه والآخر محمد بن حمران من ربيعة وكان آباء هؤلاء قد وفدوا على بعض الملوك وكان عنده علم الكتاب الأول فأخبرهم بمبعث رسول الله ﷺ وباسمه وكان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملا فنذر كل واحد منهم إن ولد له ذكر أن يسميه محمدا ففعلوا ذلك.

وبلغ بهم القاضي عياض عد ستة لا سابع لهم وعد فيهم محمد بن مسلمة وله صحبة ولد بعد النبي ﷺ بعشر سنين وكل من تسمى بهذا الاسم لم يدع النبوة ولم يدعها له أحد والله أعلم حيث يجعل رسالته.

انظر وفيات الأعيان [٦/ ٩٨]، وسمط النجوم العوالي [١/ ٢٩٩]، وطرح التثريب في شرح التقريب [١/ ٢١]، والسيرة الحلبية [١/ ١٣١].

(١) الحديث في حادثة شق الصدر للنبي ﷺ عن حليمة السعدية قالَتْ: (خَرَجْتُ فِي نِسْوَةٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ نَلْتَمِسُ الرُّضَعَاءَ بِمَكَّةَ. ......(إلى أن قالت) فَرَجَعْنَا بِهِ فَقَالَتْ مَا يَرُدُّكُمَا بِهِ فَقَدْ كُنْتُمَا حَرِيصَيْنِ عَلَيْهِ قَالَتْ فَقُلْتُ لا وَاللَّهِ إِلا أَنَّا كَفَلْنَاهُ وَأَدَّيْنَا الْحَقَّ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْنَا ثُمَّ تَخَوَّفْنَا الأَحْدَاثَ عَلَيْهِ فَقُلْنَا يَكُونُ فِي أَهْلِهِ فَقَالَتْ: أُمُّهُ وَاللَّهِ مَا ذَاكَ بِكُمَا فَأَخْبِرَانِي خَبَرَكُمَا وَخَبَرَهُ فَوَاللَّهِ مَا زَالَتْ بِنَا حَتَّى أَخْبَرْنَاهَا خَبَرَهُ قَالَتْ فَتَخَوَّفْتُمَا عَلَيْهِ كَلا وَاللَّهِ إِنَّ لابْنِي هَذَا شَأْنًا ألا أُخْبِرُكُمَا عَنْهُ إِنِّي حَمَلْتُ بِهِ فَلَمْ أَحْمِلْ حَمْلا قَطُّ كَانَ أَخَفَّ عَلَيَّ وَلا أَعْظَمَ بَرَكَةً مِنْهُ ثُمَّ رَأَيْتُ نُورًا كَأَنَّهُ شِهَابٌ خَرَجَ مِنِّي حِينَ وَضَعْتُهُ أَضَاءَتْ لَهُ أَعْنَاقُ الإِبِلِ بِبُصْرَى ثُمَّ وَضَعْتُهُ فَمَا وَقَعَ كَمَا يَقَعُ الصِّبْيَانُ وَقَعَ وَاضِعًا يَدَهُ بِالأَرْضِ رَافِعًا رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ دَعَاهُ وَالْحَقَا بِشَأْنِكُمَا). انظر الحادثة بطولها في صحيح ابن حبان [١٤/ ٢٤٤] ذكر شق جبريل صدر المصطفى ﷺ ومسند أبي يعلى [١٣/ ٩٧] حديث حليمة ومجمع الزوائد [٨/ ٢٢١].

(٢) الحديث عن عن العرباض بن سارية قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنا عبد الله وخاتم =

أمه الشفاء قالت: لما وُلِدَ رسولُ الله ﷺ وقع على يديَّ فاستهلَّ فسمعتُ قائلاً يقول رحمكَ الله. وغيضتْ بحيرة طبرية وأُخمدتْ نارُ فارسٍ وكان لها ألف عام لم تخمدْ[١] ووُلِدَ ﷺ مختوناً مسروراً أي مقطوعَ السرَّةِ[٢] واختُلف في عام ولادتِه والصحيحُ أنه وُلد في شهر ربيعٍ الأول يوم الاثنين[٣] والأصحُّ لثمان

= النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأخبركم عن ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات النبيين يرين وإن أم رسول الله ﷺ رأت حين وضعته نورا أضاء لها قصور الشام». انظر حلية الأولياء لأبي نعيم [٦/ ٩٠]، ومسند الشاميين [٣/ ١٣٣]. وكنز العمال [١١/ ١٧٣/ رقم ٣١٨٣٥]. وتفسير ابن كثير [١/ ١٧٥].

(١) الحديث: عن مخزوم بن هانئ المخزومي عن أبيه قال وكان قد أتت عليه خمسون ومائة سنة قال لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ انكسر إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرافة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وغاضت بحيرة ساوة ورأى الموبذان إبلاً صعاباً تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها فلما أصبح كسرى أفزعه ما وقع فسأل علماء أهل مملكته عن ذلك فأرسلوا إلى سطيح فذكر القصة بطولها أخرجها ابن السكن وغيره في معرفة الصحابة. انظر فتح الباري [٦/ ٥٨٤] باب علامات النبوة في الإسلام ودلائل النبوة للأصبهاني [١/ ١٣٤رقم ١٤٧] علامات النبوة والسيرة الحلبية [١/ ١٢٢]. وغيرهم.

(٢) أخرج الطبراني في الأوسط وأبو نعيم والخطيب وابن عساكر من طرق عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال من كرامتي على ربي أني ولدت مختوناً ولم ير أحد سوأتي. وصححه الضياء في المختارة وقال ابن سعد عن ابن عباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب قال ولد النبي ﷺ مختوناً مسروراً وعجب ذلك عبد المطلب وحظي عنده وقال ليكونن لابني هذا شأن فكان له شأن أخرجه البيهقي وأبو نعيم وابن عساكر. انظر الخصائص الكبرى [١/ ٩٠] وكنز العمال [١٢/ ٢٠٠ رقم ٣٥٥١٩]. والمختصر الكبير في سيرة الرسول لعز الدين بن جماعة [١/ ٢٢]. وأضواء البيان [٨/ ٨٣٨]. والوافي بالوفيات [١/ ٨٢]. وغيرهم.

(٣) عن ابن عباس قال ولد نبيكم ﷺ يوم الاثنين ونبيء يوم الاثنين وخرج من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وفتح مكة يوم الاثنين ونزلت سورة المائدة يوم الاثنين ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ورفع الحجر يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين. كنز العمال [١٢/ ٢٠٠] باب ولادته ﷺ.

خلتْ منه، والمشهورُ أنّه وُلد يومَ الاثنين ثاني عشر ربيع الأول والمشهورُ أنه يوم الاثنين نهاراً بعد الفجر، وقِيل ليلاً، ولمّا ولد ﷺ خرج معه نورٌ أضاءَ له قصورَ الشامِ وخرج من بطنِ أمّه نظيفاً ظريفاً ما به قذر كما أشار لذلك عمه العباس رضي الله عنه بقوله:

وأنتَ لما وُلدْتَ أشرقتِ الأر ... ضُ وضاءتْ بنورِك الأفُقُ

فنحنُ في ذلك الضياءِ وفي النُّـ ... ور وسبلَ الرشادِ نخترِقُ

ولله در البوصيري رضي الله عنه حيث قال:

ومُحَيًّا كالشمسِ مِنكَ مُضيءٌ ... أسفرتْ عنه ليلةٌ غراءُ

ليلةُ المولدِ الذي كان للدِّيـ ... نِ سرورٌ بيومه وازدهاءُ

وتوالَتْ بُشرى الهواتفِ أنْ قَدْ ... وُلِدَ المُصطفى وحُقَّ الهناءُ

وتداعى إيوانُ كِسرى ولولا ... آيةٌ منك ما تداعى البناءُ

وغدا كلُّ بيتِ نارٍ وفيه ... كربةٌ من خمودها وبلاءُ

وعيونٌ للفرس غارتْ فهل كا ... نَ لنيرانِهم بها إطفاءُ

مولدٌ كانَ منهُ في طالعِ الكفـ ... رِ وبالٌ عليهم ووباءُ

فهنيئاً بهِ لآمنةَ الفضـ ... لُ الذي شُرِّفَتْ به حواءُ

مَنْ لحواءَ إنها حملتْ أحـ ... مداً وأنها به نُفَسَاءُ

يومَ نالتْ بوضعه ابنةُ وهبٍ ... من فخارٍ ما لم تَنَلْهُ النساءُ

وأتتْ قومَها بأفضلَ مما ... حملتْ قبلُ مريمُ العذراءُ

شمَّتَتْهُ الأملاكُ إذ وضعتْه ... وشفتْنَا بقولِها الشفاءُ

رافعاً رأسَه وفي ذلك الرفـ ... عِ إلى كلِّ سُؤدَدٍ إيماءُ

جعلنا الله من خير أتباعه وختم لنا بالوفاة على أكمل حالات اتِّبَاعِهِ آمين

الى هنا انتهى مولد الدردير



حمدا لمن اطلع من مطالع الغيوب طوالع الأنوار
المحمدية وأبرز في عالم الظهور أشعتها
فاستنارت بها الأكوان الدنيوية والأخروية
وشكرا لمن دبج أفواه أهاضيب أنديته المحافل
والمشاهد بأنوار تحبوه في مساجد السجود
وسائر المعاهد وأشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة أفرغتها في قالب الإخلاص
وألبستها من الصدق حلة الاختصاص وأشهد
أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم نور الوجود
والسبب في جميع الموجودات وأشرف مولود شهدته

من مجالي فيوضات الجود والكرم وأبلغ بها إن شاء
الله تعالى آماله وأصلي به منه عليه صلاة تحاكي
عرفها النفحات المسكية ويتعطر بنشرها ذوو النفوس
الزكية القدسية والمنقطعين أنفسهم عن
تناول ثمار الشهوات من العجب والاستكبار
وأصحابه القاطفين بأنامل التقوى من روض
نوار الفخار واستمد من ذرى مزن فخيم الهطال
المنيف هداية أستعين بها على نشر أعلام المولد
الشريف وتطريز حبيره المحبرة بالتحبير والإجلال
على ممر الأيام والليالي جاليا خمرته المبهجة

هذا مولد شيخنا وأستاذنا الشيخ محمد بن عبد الكريم السماني الخلو[illegible]

هذا مولد شيخنا وأستاذنا
الشيخ محمد بن عبد الكريم السماني الخلوتي ﷺ
الشيخ محمد بن عبد الكريم السمّان

اسمه ونسبه ولقبه: هو محمد بن عبد الكريم القرشي المدني البكري الشهير بالسمان ﷺ وهو من سلالة الخليفة الراشد سيدنا أبي بكر الصديق ﷺ.

مولده ونشأته: ولد بالمدينة المنورة سنة (١١٣٠هـ)، وقد أكرمه الله تعالى في صغره بآيات تدل على عظم شأنه عند ربه، ومن ذلك أنه كان إذا أخذ إلى المواجهة الشريفة، لا يستطيع أحد حمله بعد الفراغ من الزيارة النبوية حتى يشير لهم بذلك.

ولما دخل المكتب للدراسة كان شيخه يقول: إني لا أشك في هذا الولد أنه من أولياء الله تعالى وأخشى من الله إن ضربته أن يعاقبني.

وحفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين، ودرس الفقه على مذهب الإمام الشافعي ﷺ وكان مذهبه، وقد تبحر فيه ولم يتجاوز عمره التاسعة. وكان مجتهداً في طلب العلوم الشرعية بالمسجد النبوي، فتفنن في المعارف والعلوم النقلية والعقلية.

مشايخه: أخذ العلوم على عدد من علماء المدينة المنورة في عصره، منهم الشيخ محمد الدقاق المغربي تلميذ الشيخ محمد بن عبد الرحمن

الفاسي، والشيخ محمد بن إبراهيم السندي، والشيخ محمد بن سليمان الكردي، وكذلك أخذ من والده الشيخ عبد الكريم بن أحمد الشافعي وغيرهم من العلماء.

مصنفاته: ألَّف الشيخ السمان رحمه الله لتلامذته وغيرهم كتبا عديدة في علم السلوك، ومن تلك المؤلفات: (النصيحة العلوية للسادة الأحمدية)، و(تحفة القوم في مهمات الرؤيا والنوم)، و(عنوان الجلوة في شأن الخلوة)، و(إغاثة اللهفان ومؤانسة الولهان)، و(الفتوحات الإلهية في التوجهات الروحية للحضرة المحمدية)، و(كشف الأستار فيما يتعلق بالاسم القهار)، و(المواهب الأقدسية في شرح المنحة المحمدية)، وغيرها.

وفاته: توفي رحمه الله في الثاني من ذي الحجة من عام (١١٨٩هـ) ودفن بالبقيع.

من مصادر ترجمته:

ـ سلك الدرر للمرادي [٤/ ٦٠ ـ ٦١].

بسم الله الرحمن الرحيم

حَمداً لِمَنْ أَطلَعَ مِن مَطَالِعِ الغُيُوبِ طَوالِعَ الأنوَارِ المُحَمَّدِيَّة، وَأَبرَزَ في عَالَمِ الظُّهُورِ أَشِعَّتَهَا فَاستَنَارَت بِهَا الأكوَانُ الدُّنيَوِيَّةُ والأخرَوِيَّة، وَشُكراً لِمَن تَبَعَ أقوَاهُ[1] أهاضِيبِ[2] أَندِيَةِ المَحَافِلِ وَالمَشَاهِد بِأَنوَارِ مَحبُوبِهِ في مَسَاجِدِ السُّعُودِ وَسَائِرِ المَعاهِد، وَأَشهَدُ أن لَا إلهَ إلَّا اللهُ وَحدهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً أُفرِغَت في قَالِبِ الإخلَاص، وَأُلبِسَت مِنَ الصِّدقِ حُلَّةَ الاختِصَاص، وَأَشهَدُ أنَّ سَيِّدَنَا مُحمَّداً ﷺ نُورُ الوجُودِ وَالسَّبَبُ في جَمِيعِ المَوجُودَاتِ وَأَشرَفُ مَولُود شَهَادَةً أرقَى بِهَا عَن دَنِيِّ الهِمَمِ إلَى أَوجِ المَعَالي، وَأكرَعُ بِهَا مِن بِحَارِ فُيُوضَاتِ الجُودِ وَالكَرَمِ، وَأَبلُغُ بِهَا إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى آمَالي، وَأُصلِّي بِهِ مِنهُ عَلَيهِ صَلَاةً يُحَاكِي عَرفُهَا النَّفَحَاتِ المِسكِيَّة، وَيُقرِّرُ تُحَفَهَا ذَوُو النُّفُوسِ الزَّكِيَّةِ القُدسِيَّة وَآلِهِ الفَاطِمِينَ أَنفُسَهُم عَن تَنَاوُلِ ثِمَارِ الشَّهَوَاتِ بِيَدِ العُجبِ وَالاستِكبَارِ، وَأَصحَابِهِ القَاطِفِينَ بِأَنَامِلِ الفُتُوَّةِ مِن رَوضِ نُوَّارِ الفَخَارِ، وَأَستَدِرُّ مِن دَرِّ مُزنِ فَتحِهِمُ الهَطَّالِ المُنِيفِ هِدَايَةً استَعِينُ بِهَا عَلَى نَشرِ أعلَامِ المَولِدِ الشَّرِيفِ، وَتَطرِيزِ حِبرِهِ المُحَبَّرَةِ بِالتَّحبِيرِ وَالإجلَالِ عَلَى مَمَرِّ الأيَّامِ وَاللَّيَالِ، جَالِياً خَمرَتَهُ المُهَيِّجَةَ لِلنُّفُوسِ لِيَحسُوهَا السَّامِعُونَ بِأكوَابِ الآذَانِ عِوَضاً عَن الكُؤُوسِ العُسر وبعد، نقول: صَدَقَ اللهُ العَظِيمُ وَبَلَّغَ رَسُولُهُ الكَرِيمُ وَنَحنُ عَلَى مَا قَالَ رَبُّنَا وَخَالِقُنَا وَرَازِقُنَا مِنَ الشَّاهِدِينَ قَالَ اللهُ تعالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ

---

(١) شرحها في هامش المخطوط بقوله: «هو من باب ضَرَبَ أي سقى».

(٢) الأهاضيب: واحدها هضاب وواحد الهضاب هضب وهي حلبات (٣) القطر بعد القطر وتقول أصابتهم أهضوبة من المطر والجمع الأهاضيب وهضبتهم السماء أي مطرتهم. لسان العرب [١/ ٧٨٥ مادة: هضب].

رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨] أيْ مِن جِنسِكُم عَرَبِيٌّ مِثلُكُم وَقُرَشِيٌّ ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾ شَدِيدٌ شَاقٌّ ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ أيْ عَنَتُكُم وَلِقاؤكُمُ المَكرُوهَ ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ حَرِيصٌ بالمؤمِنينَ مِنكُم وَمِن غَيرِكُم ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨][1] رَؤُفٌ رَحِيمٌ عَلَيكُم أيْ عَلَى أبدَانِكُم وَصَلاحِ شَانِكُم نَاظِماً نَسَبهُ الشَّرِيفَ في سِلكِ عِقدِ اللآلي رَاوِياً بَعدَهُ إسنَادَ خَبَرِ مِيلَادِهِ الصَّحِيحِ العَالي فأقُولُ:

إنْ لَتَبِيكَ الهُمُومُ بِالضَّمِّ ثَاوِياً ... أو جَفَاكَ الصَّفِيُّ والأصدِقَاءُ

أو يَشُوخُ الفُؤَادُ مِنكَ امتِحَاناً ... حَلَّ رَكبُ الخُطُوبِ وَالابتِلاءُ

ثُمَّ سُحَيراً بِذِلَّةٍ أو بِطَرفٍ ... عَلَّهُ الشُّهدُ والبُكَا وَالحَيَاءُ

وَتَوَسَّلْ بِمَنْ لَهُ فِي المَعَالي ... نَسَبٌ دُونَ شَأوِهِ الاعتِلاءُ

وَابسُطِ الكَفَّ فِي الدُّجَا بِانكِسَارٍ ... وتَمَلَّقْ وَقُلْ لِتُعطَى المُنَاءُ

يَا إلَهِي بِخَاتَمِ الرُّسلِ طَهَ ... مَنْ بِهِ كَانَ لِلوُجُودِ ابتِدَاءُ

ابنِ عَبدِ اللهِ بنِ عَبدِ المُطَّلِبِ ... الشَّهمِ مَن لَهُ الانتِهَاءُ

ابنِ هَاشِمٍ ابنِ عَبدِ مَنَافٍ ... مَن لِعَليَاءُ يَنتَمِي الارتِقَاءُ

ابنِ ذُخرِي قُصَيٍّ بنِ كِلَابٍ ... وَحَكِيمٌ اسمُهُ لَهُ الانتِمَاءُ

ابنِ لَيثِ النِّدَارِ مُرَّةَ أعنِي ... ابنِ كَعبٍ نَزِيلُ ذَا الأبنَاءُ

ابنِ ذِي السُّؤدَدِ الأثِيلِ لُؤَيٍّ ... مَن لَهُ الحَزمُ شِيمَةٌ وَالجَدَاءُ

ابنِ ذِي الفَضلِ غَالِبِ ابنِ فِهرٍ ... وَقُرَيشٌ لَهَا بِهَذَا احتِبَاءُ

ابنِ ذِي الفَخرِ مَالِكِ ابنِ شُولى ... عَبدِكَ النَّضرِ مَن بِهِ الاكتِفَاءُ

ابنِ ذُخرِي كِنَانَةٍ مَن أبُوهُ ... ذُو الأيَادِي خُزَيمَةُ المِعطَاءُ

---

(١) انظر تفسير الجلالين.

ابنِ حَامِي الذِّمام مُدرِكةَ الخيرِ — ابنِ اليَاسَ مَن قِرَاهُ الفِدَاءُ

ابنِ ذِي الرَّأيِ وَالنَدَا مُضَرَ الجُو — دِ الَّذِي تَنتَهِي لَهُ الحَمرَاءُ

ابنِ حِبِّي نِزَارٍ بنِ مَعَدٍ — ابنِ عَدنَانَ مَن لَهُ الانتِهَاءُ

نَسَبٌ دُونَهُ السِّمَاكُ سُمُوّاً — وَالثُّرَيَّا وَدُونَهُ الجَوزَاءُ

طَاهِرُ الذَّيلِ مِن سِفَاحٍ نَقِيٌّ — وَمِنَ الرِجسِ لَم يُصِبهُ الرِّدَاءُ

نَقلُهُ جَاءَ في الحَدِيثِ وَأَيضَا — المَبَاحِثُ عَن ثَنَائِهِ الشُّعَرَاءُ

كَيفَ يَا صَاحِ لَيسَ يَسمُو وَحَسبِي — فِيهِ طَهَ اليَتِيمَةُ العَصمَاءُ

تَظهَرُ الحَقُّ مَن مَعَانِيهِ كَلَّتْ — عَن عُلاهَا وَحَصرِهَا البُلَغَاءُ

رُوحُ مِشكَاةِ عَالَمِ الكَونِ طُرّاً — مَن عَلَيهِ تُعَوِّلُ الأَنبِيَاءُ

رَبِّ زِدنَا بِجَاهِهِ فِيهِ شَوقاً — كُلَّمَا ازدَادَ وَجدُنَا وَالعَنَاءُ

وَأَرِنَا جَمَالَهُ حِينَ يُجلَى — عَلَّ يُجلَى بِهِ الجَفَا وَالعَنَاءُ

يَا الَهِي بِمَولِدٍ فِيهِ يُتلَى — تَعشَقُ الرُّوحُ ذِكرَهُ وَالحَشَاءُ

مُنَّ مَنّاً بِأَمنٍ مِن مِنكَ يَرجُو — مِنَنَ العَفوِ حِينَ يَدنُو الوَفَاءُ

وَامنَحِ الكُلَّ مِنكَ يَارَبِّ سِتراً — فَلكَ الكُلُّ مِنكَ بِالفَقرِ جَاؤُوا

وَصَلاةٌ مَعَ السَّلامِ دَوَاماً — مَا تَغَنَّت بِأَيكِهَا الوَرقَاءُ

تَغشَ طَهَ وَآلَهُ ثُمَّ صَحباً — مَا تَرَاءَت لِنَحوِهِ النُّجَبَاءُ

اللهم صلي وسّلم وبارك عليه.

وَلَمَّا أَرَادَ الاله ظُهُورَ شَمسِ الحَقِيقَةِ العَلِيَّةِ المِقدَارِ مِن مَطَالِعِ الخَفَا والإستِتَارِ، أَمَرَ جِبرِيلَ الأَمِينَ بِقَبضِ الطِّينَةِ مِنَ المَحَلِّ المَكِينِ الَّذِي هُوَ أَشرَفُ مِنَ السَّمَوَاتِ وَمَا فِيهَا وَالأَرضِينَ، فَأَخَذَهَا وَوَلَجَ بِهَا جِنَانَ الإِطَاعَةِ وَالتَّسلِيمِ وَاقِفاً بِهَا بَينَ يَدَيِ العَلِيِّ العَظِيمِ بَعدَ غَمسِهَا في أَنهَارِ السَّعَادَةِ وَالتُّقَى، ثُمَّ في

بِحَارِ الْبُشْرَى بِالظُّهُورِ وَالبَقَا، ثُمَّ تَجَلَّى عَليهَا الحَقُّ فَانتَقَلَتْ مِنْ صُورَةِ الطِّينِ إِلَى هَيَاكِلِ النُّورِ، وَلَمْ يَزَلْ مِنْ قَبلِ خَلقِ آدم وَالكَائِنَاتِ ذَاكِراً مَن عَلَيهِ بِالظُّهُورِ[1] وَأَلهمَتِ المَلَائِكَةُ ذَلِكَ التَّسبِيحِ، فَلَم تَبرَح تَحذو حَذوَهُ بِلِسَانٍ طَلِيقٍ فَصِيحٍ، فَوُضِعَ فِي طِينَةِ آدم وَكَانَ لَهُ رُوحًا وَحَياةً فَوَقَعَتِ المَلَائِكَةُ سُجَّداً لَهُ عَلَى صُورَةِ الرُّكُوعِ لَا عَلَى الجِبَاهِ، وَأُهبِطَ فِي صُلبِهِ إِلَى الأرضِ، وبِهِ كَانَ خَلِيفَةً فِي طُولِهَا وَالعَرضِ، وَحُمِلَ فِي السَّفِينَةِ فِي صُلبِ نوحٍ الجَلِيلِ، وبِهِ أُعِيذَ مِنَ النَّارِ الخَلِيلِ، وَبِبرَكَاتِهِ فُدِيَ بِالذَّبحِ العَظِيمِ إِسماعيل، وَكَافَّةُ الأنبياءِ خُلِقُوا مِن نُورِهِ[2]، وَهُوَ الرَّسُولِ إِليهم والدَّلِيل. اللهم صلى وسلم وبارك عليه.

وَلَمْ يَزَلْ سَارِيًا فِي أَسَارِيرِ غُرَرِ السَّرَاةِ مِن آبَائِهِ ذَلِكَ النُّورِ إِلى أنْ أَذِنَ اللهُ تَعَالَى بِإِبرَازِهِ فِي مَظَاهِرِ الظُّهُورِ، نُشِرَت أَعلَامُ الفُتُوَّةِ عَلَى أَبِيهِ عَبدِ اللهِ، وَنُودِيَ مِن قِبَلِ الحَقِ تَهَيَّأ لِمَا سَيَبرزُ مِنكَ مِن نُورِ اللهِ، فَانكَحَتهُ القُدرَةُ البَاهِرَةُ لِلعُقُولِ مَخطُوبَتَهُ مِن غَيرِ سِفَاحٍ آمِنَةَ المَأمُونَةَ سُلَالَةَ الفُحُولِ، فَظَهَرَتِ الأنوارُ سَاطِعَةً فِي حُرِّ وَجهِهَا، وَتَمَكَّنَ بَدرُ النُّطفَةِ المُحَمَّدِيةِ فِي أَودِيةِ رَحِيمِهَا، وَاستَبشَرَتِ الكَائِنَاتُ بِوفُودِ نَجَائِبِ السُّرُورِ، وَابتَهَجَتِ المخلوُقَاتُ بِتَسبِيحِ سَحَابِ غَيثِ الحُبُورِ، ولَم تَزَلِ الأنبِيَاءُ تَتَرَدَّدُ عَلَى أُمِّهِ فِي أَشهُرِ حَملِهِ[3] إِعلَاناً

(١) انظر: سبيل الهدى والرشاد [١/ ٦٨].

(٢) انظر بلغة السالك [٤/ ٤٤٣]. والسيرة الحلبية [١/ ٢٤٠]. والمواهب اللدنية [١/ ٧١] والآثار المرفوعة [١/ ٤٢]. وقد تقدم الحديث عنه.

(٣) إشارة لما ذكره أهل الأخبار أنه: «في أول شهر من شهور آمنة أتاها في المنام آدم وأعلمها أنها قد حملت بخير العالم، ثم أتاها في الشهر الثاني إدريس وأعلمها أنها قد حملت بصاحب القدر النفيس ثم أتاها في الشهر. . .» انظر سمط النجوم العوالي للعصامي [١/ ٢٢٤] والسيرة الحلبية [١/ ١٠٣].

بإظهارِ المَزيَّةِ التي لَهُ عَلَيهم وَفَضلِهِ وَكُلٌّ يَقُولُ لَهَا في عَالَمِ المِثَالِ والمَنَامِ يَا آمِنةُ إذَا وَضَعتِهِ فَسَميهِ مُحمداً عَلَيهِ أفضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ، اللهم صلى وسلم وبارك عليه. وَاستَمرَّ حَملُهَا إلى تَمَامِ تِسعَةِ أشهُرٍ عَلَى الخِلَافِ، وَلَمْ تَجِد ثِقلاً وَلَا وَجَعاً مِن حَملِ سَيدِ الأشرافِ، وفي وَقتِ مِيلادِهِ حَضَرَ عِندَهَا آسِيَةُ امرَأةُ فِرعَونَ، وَمَريَمُ ابنَةُ عِمرَانَ، وَبَعضٌ مِن حِسَانِ حُورِ الجِنَانِ[1] فَأخَذَهَا المَخَاضُ وَشَدَّ بِها نِطَاقُ الألمِ فَوَضَعتهُ نُوراً عَلَيهِ أفضَلُ الصلاةِ والسَّلامِ، وَبَرزَ ﷺ واضعًا عَلَى الأرضِ يَدَيهِ إشَارَةً إلىَ التَّواضُعِ مِنهُ لِمولَاهُ؛ رَافِعاً رَأسَهُ إلى السَّماءِ إيمَاءً إلى أنَّ مَن تَواضَعَ رَفَعَهُ اللهُ، فَأرسَلَت أمُّهُ لِجَدِهِ عَبد المُطَّلِبِ ذِي المَهَابَةِ وَالنُّورِ، لِتُخبِرَهُ بِبُزوغِ شَمسِ ابنِهِ في سَمَاءِ الظُّهُورِ، فَأقبَلَ مُسرِعاً سَاحِباً ذَيلَ فَرَحِهِ وَالسُّرورِ، فَنَظَرَ إلى سَمَاءِ طَلعَتِهِ البَهِيَّةِ، فَاندَهَشَ مِن سَطَعَاتِ هَاتِيكَ الأنوَارِ المُحمَّدِيَّةِ، فَأخَذَهُ وَدَخَلَ بِهِ جِنَانَ الكَعبةِ الغَرَّاءِ، وَحَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى مَا أولَاهُ، وَأردَفَ الحَمدَ شُكرَاً اللهم صل وسلم وبارك عليه، وَوُلِدَ ﷺ نَظِيفاً كَحِيلاً دَهِيناً مَقطُوعَ السُّرَّةِ مَختُوناً، وَخَفَقَتْ في الأكوَانِ أعلَامُ ظُهورِ سِرِّهِ المَكنُونُ، فَرمَقَتهُ أمُّهُ بِعَينِ البَصِيرَةِ فَإذَا سَطَعَاتُ أنوَارِهِ أضوَأُ مِن شَمسِ الظَّهِيرَةِ قَد أضَاءَتْ بِهِ الحَنَادِسُ[2] وَقُصُورُ بُصرَى وَالشَّامِ وَخَرَّتْ؛ هَيبَةً لَهُ الأوثَانُ وَالأصنَامُ، وأصبَحَتِ الجَبَابِرَةُ مَكسُورَةَ الجَنَاحِ، وَمُنِعَتِ الشَّاطِينُ مِن استِرَاقِ السَّمعِ الَّذِي كَانَ قَبلَهُ لَهَا مُبَاحاً. وَانشَقَّ إيوَانُ كِسرَى وَسَقَطَ مِنهُ أربَعَةَ عَشَرَ مِنَ الشُّرافَاتِ، وَتَوَالَتْ بُشرَى الهَوَاتِفِ، وتَظَاهَرَتِ الآيَاتُ

---

(١) انظر: ذخائر العقبى [١/ ٤٥]، عيون الأثر [١/ ٣٩]، السيرة النبوية لابن كثير [١/ ١٩٨].

(٢) الحنادس: ثلاث ليال من الشهر لظلمتهن ويقال دحامس وأسود حنكس شديد السواد كقولك أسود حالك. لسان العرب [٦/ ٥٨ مادة: حندس].

وَغَاضَتْ بُحَيرةُ سَاوَةَ، وَهوَ مَوضِعٌ بينَ قُم وَهَمدَان، وَفاضَ وَادِي سَمَاوةَ، وَهوَ مَغارةٌ لَم يَكُن بِهَا قَطرٌ نَدى يَبُلُّ صَدَى الظَّمآنِ، وَخَرِسَتْ ٱلسُّنُ نُوبِ وَذَهلَتْ مِنهُم العُقُول، وَخَمَدتْ نَارُ فَارِسَ وَلَم تَخمُد بُرهَةً مِنَ الزَّمَنِ كَمَا هُوَ مَنقُولٌ[1]، وَزُخرِفَتِ الجِنَانُ بِالحُورِ والوِلدَانِ، وَالعَرشُ والكُرسِيُّ بِأفخَرِ الحُلِيِّ إظهَاراً لِعظِيمِ الشَّانِ، وَانبَلَجَتْ سِدرَةُ المُنتَهَى بِبُدوِّ بَدرِ السُّرورِ وَمَعشَرُ المَلائكَةِ بِتَرَادُفِ أنوَارِ الحُبورِ، وَأمرَ رَضوانُ بِفَتحِ بَابِ الجِنَانِ، وَمَالِكٌ بِغَلقِ بَابِ النِّيرَان إكرَاماً لإظهَارِ هَذا النُّورِ وبَرَزَتِ الحَيَوانَاتُ مِنَ النَّادِرِ والفَنَا لابِسَةً خِلَعَ السُّرُورِ وَالهَنَا، وَخَرجَتْ كَافَّةُ الأطيارِ مِنْ سَائِرِ الأوكَارِ لِتَشُمَّ عَرفَ عَبيرِ سَيدِ السَّادَاتِ الأبرار، اللهم صَلِ وسلم وبارك عليه. وَمَولدُهُ ﷺ مَعرُوفٌ بِأعلى بِقَاعِ مَكَّةَ المَحمِيَّة، وَكَانَ لِثِنتَي عَشَرةَ مِن رَبِيعِ الأول عَامَ الفِيلِ يومَ الاِثنَينِ عَلى أصحِّ الأقوَالِ المَروِيَّة، ثُمَّ أرضَعَتهُ ﷺ أمُّهُ سبعةَ أيامٍ سَوِيَّة، ثُمَّ ثُوَيبَةُ مولاةُ أبي لهبٍ الأسلَمِيَّة، ثُمَّ حليمةُ السعدية بَعدَ مَا دَرَّ ثَديَهَا غِلمانُ ذَوِي النُّفوسِ الزكيَّة، وكَانَ قد حَلَّ بِفنَاءِ دَارِها جُيُوشُ الضَّنَا وَالبُؤسِ في المَأكَلِ وَالمَشرَبِ وَالملبُوس، فَاخضَرَّ غُصنُ عَيشِهَا بَعدَ الذُّبول، وَظهرَ كَوكَبُ سَعدِهَا في سَمَاءِ الحَياةِ بَعدَ الاستتَارِ والأفُول، فَأخذَتهُ وَدَخلتْ بِهِ عَلى الأصنَام فَخرَّتْ سُجّداً لَهُ وقبلَ هُبلُ رَأسَهُ عَلَيهِ الصلاةُ والسلام، وَجَاءَتْ بِهِ إلى الحَجَرِ الأسوَدِ لِتُسلِّمَ عَلَيه فَخَرج مِن مَكَانِهِ وَالتَصقَ بِوَجهِهِ الشَّرِيفِ وَسَلَّمَ عَلَيهِ، وَدَرَّ سَحَائِبُ دَرِّ ثَديهَا بِدَرٍّ وَابِلِ اللَّبَنِ الغَزِيرِ، وَقَد كَانَ قَبلُ جَافاً لَمْ يَسمَح بِقَطرِ طَلَلٍ لابنِهَا الصَّغِيرِ، وَنَادَى مُنَادِي الفَلاح بُشرَاكِ يا حَلِيمةُ بِسَيِّدِ المِلاحِ، فَرَكِبَتْ دَابتَهَا العَجفَاءَ بَطِيئَةَ السَّيرِ فَاستَسنَمَتْ[2] وَسَبقَتْ دَوابَّ

(١) انظر: البداية والنهاية [٢/٢٩٦]. والمنتظم [٢/ ٢٥٠]. وتاريخ الطبري [٢/ ٤٥٩].

(٢) أي ارتفعت وسمت على ما حولها من الدواب فخراً بمن على ظهرها ﷺ. انظر لسان

القَافِلَةِ لِمَا نَالَتْهُ مِنَ الخَيْرِ، فَوَصَلَتْ بِهِ إِلى المُقَامِ وَمَسَحتْ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ عَلى ضَرعِ الأَغنَامِ، فَتَجَادتْ سَمَاءُ ذَوَايَاهَا بِمُزنِ الأَلبَانِ الغِزَارِ، وَلَم يَكُفّ وَاكِفُ وَبلِهِ الهَطَّالِ آنَاءَ اللَيلِ وأطرَافَ النَّهارِ، وَلَم يَكن لهَا مِصبَاحٌ فِي حَنادِسِ الظَّلامِ إلا نُورُ وَجهِهِ الوَضَّاحِ عَلَيهِ الصلاةُ والسلامُ. اللهم صل وسلم وبارك عليه. وَلَم يَزَل عِندَهَا مُدَّةً مِنَ الزَّمنِ وَهيَ تَرفعُ مِقدَارَ مُشَاهَدَةِ مَا مُنِحَهُ مِنَ المِنَنِ، وَهُوَ يَشِبُّ فِي اليومِ شَبَابَ الصبيِ فِي الشَّهرِ عَلَى الدَّوامِ، حَتى قَامَ عَلَى قَدَمَيهِ فِي ثَلاثٍ وَمَشَى فِي خَمسٍ وفِي تِسعَةِ أشهُرٍ أعرَبَ بفَصِيحِ الكَلَامِ، وَفِيهَا شَقَّ صَدرَهُ الشَّرِيفَ المَلَكَانُ، وَنَزَعَا مِنهُ حَظَّ الشَّيطَانِ، وَمَلآهُ بِالحِلمِ وَالعِلمِ واليَقِينِ والعِرفَانِ، وَالتَحَمَ مِن غَيرِ ألمٍ بِقُدرةِ العزيزِ الرحمنِ[1]. اللهم صل وسلم وبارك عليه وكانَ ﷺ لَا يَشتَكِي حَرَّ جُوعٍ ولَا ألمَ عَطَشٍ كالصِبيانِ إظهَاراً لِتَميُّزِهِ عَلَى الأقرانِ، ثُمَّ رَدَّتهُ إلى أمِهِ وهوَ ابنُ خَمسِ سِنِينَ وَشَهرٍ عَلَى المُختارِ، فخَرجَتْ بِهِ إلى المَدِينةِ لِزِيارَةِ أخوالِ أبيه بَنِي النَّجارِ، وفِي رُجُوعِهَا غَادَرَتهَا بِالأبواءِ أو بِشِعبِ الحَجُونِ المَنيَّةُ وَحَضَنَتهُ بَعدَهَا الجَارِيةُ أمُ أيمنَ الحبَشيةُ، ثُمَّ كَفَلَهُ جَدهُ عَبدُ المطلبِ وَأحسنَ إليهِ وَقالَ إنَّ لابنِي هذا شَأناً عَظِيماً فَطُوبَى لِمن صَدَّقَهُ وانتَمَى إليهِ، ثُمَّ عَمُّهُ الشَّقِيقُ أبو طالبٍ ذُو الشَّهامَةِ وَالشَّرفِ، وَقَدَّمهُ عَلى البَنِينَ وأحسنَ مَثواهُ وَبحقهِ اعتَرَفَ، وَرَحلَ بِهِ وهوَ ابنُ ثِنتَي عَشرةَ سَنةً إلى الشَّامِ، وَفِيهَا عَرَفَهُ بَحيرَا الرَّاهِبُ بِمَا شَاهدَهُ فِيهِ مِن أوصَافِ النبوَّةِ، فَشهدَ لَهُ بِعلوِّ المقَامِ وقَالَ لِعمهِ: إحتَفِظ عَلَيه مِنَ الحُسَّادِ

= العرب [١٢/ ٣٠٦ مادة: سنم].

(١) قصة شق الصدر ثابتة في الأحاديث الصحيحة: انظر: صحيح مسلم [١/ ٨٧، رقم: ٢٦١] وصحيح ابن حبان، [١٤/ ٢٤٢، رقم: ٦٣٤٣] ودلائل النبوة للبيهقي [١/ ٨٨] والسيرة النبوية لابن كثير [١/ ٢٣١].

واليهود، فإنَّ ابنكَ هَذا نبيٌّ وذكرهُ محمودٌ. اللهم صل وسلم وبارك عَلَيه. لـ
سَافَرَ في تِجارةٍ للسيدةِ خديجةَ مع ميسرةَ غلامِهَا إلى الشامِ المحميَّةِ وَفيه
عَرفَهُ الرَّاهِبُ نَسطورَا[1] بِما حَواهُ مِن كَمَالِ النُّبوةِ وقالَ لميسرةَ: عَليكَ بخد
بالصدقِ وَالحَيَا، فستجنى مِن أفنانِ نورِ نُبوتهِ ثِمارَ الايمانِ، وعَادَ إلى مكّ
والتِجَارةُ مُتجافيةٌ عَن مَضَاجعِ الخُسرَانِ بِقيامِهَا عَلَى سُوقِ التَّمَا في سُوقِ الر
والأمَانِ، وَشَاهدتْ خديجةُ في إقبالهِ عَلَيها مِنهُ الآياتِ، وَزَادهَا مَيسرةُ بإخبا
لَهَا بِما رآه في سَفرهِ مِنَ الإرهَاصَاتِ، فَرغِبتْ في رُكُوبِ جَوادِ السَّيرِ إل
قُربِهِ، وَخطبَته لِتَقتبسَ مِن أنوارِ مِشكاةِ صُحبَتِهِ، فَزوَّجَهَا مِنهُ أبُوهَا بِحَض
أكابرِ قريشٍ، وخطبَ وأثنَى عَلَيهِ بِالثناءِ الحَسَنِ عَمُّهُ الشقيقُ أبُو طالب
فَاتصلتْ بِهِ ونَالتْ بِبَركتهِ أسنَى المَطَالبِ، وكانَ دُخولُهُ بِها لِخمسٍ وعشر
سنةً مَضَتْ مِن عُمرهِ وَثلاثةِ أشهرٍ إلّا خَمسةَ أيام عَلى الأشهرِ، وَأولَدَهَا جمي
البنينَ والبناتِ سِوَى المُسمى بِإسمِ الخليلِ المُعتبَرِ اللهم صل وسلم وبار
عليه. وَلمَّا بَلغَ ﷺ خَمسًا وَثلاثينَ بَنتْ قريشٌ الكعبةَ واختلفُوا فِمَنْ يَرف
الحجرَ الأسود، وكلٌّ مِن القبائلِ أراد ذلكَ وفي طلبِهِ شَدَّدَ، ثُمَّ اتفقُوا عَل
تَحكِيمِ أولِ شَخصٍ يدخلُ مِن بابِ السَّلامِ، فَكانَ أولَ قَادمٍ مِنهُ مُحمَّدٌ عَلي
أفضلُ الصلاةِ والسلامْ، فَقالُوا: هَذا مُحمَّدٌ الأمينُ لَقد رَضينَا بِحُكمِهِ وَعَدل
فَوضعَ الحَجرَ في ثَوبٍ وأمرَ جَميعَ القبائلِ بِحملهِ فَرفعوهُ إلى مَكانهِ الرَّفي
فَوضعهُ بِيدهِ الشَّريفَةِ في مَوضعِهِ الرَّفيعِ، وَلما تَمَّ مِن عُمرِهِ أربَعُونَ مِنَ السنـ
بَعثَهُ اللهُ رسولًا إلى الخلقِ أجمَعِينَ، وَهُو خَاتَمُ الأنبياءِ والمرسَلين بَلْ هم
الحَقيقَةِ نُوَّابُهُ كَمَا هُوَ مُقرَّرٌ عِندَ العَارفِينَ المُحققِينَ؛ كَيفَ لَا وَهوَ أعظَمُهُمْ

(١) انظر: عيون الأثر لابن سيد الناس [١/ ٧٠ ـ ٧١]، السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٢٦٢]،
الروض الأنف للسهيلي [١/ ٣٢١].

الدَّارَيْنِ قَدْرًا وَأَكْثَرُهُمْ هِمَّةً وَفَخْرًا؛ إِذْ لولاهُ مَا خُلِقَ مَلَكٌ في الأرضِ وَالسَّمواتِ، وَلَا طَلَعَ بَدرٌ ولَا دَارَ فَلَكٌ في الكَائِنَاتِ. أسرِيَ بِهِ مِنهُ إليه لِيَظْهَرَ فَضلُهُ المُخلَعُ عَلَيهِ، ثُمَّ فَرَضَ بَعدَهَا خَمسِينَ صَلَاةً عَلَيهِ وَعَلى أُمَّتِهِ، وَلَم تَزَلْ تَهلُّ سَحَائِبُ رَحمتِهِ بِالتَّخفِيفِ إلى خَمسٍ بِثَوابِ خَمسِينَ في كُلِّ يَومٍ وَلَيلَتِهِ، بَعدَ دُنُوهِ إلى قَابِ قَوسَينِ وَرُؤيَتِهِ العَجَائِبَ وَالأديَان، وَالتَّمتُّعِ بِالنَّظَرِ إلى وَجهِ الكَرِيمِ بِعَينَي رَأسِهِ، وَشُهُود الذَّاتِ، وَعَادَ مِن لَيلَتِهِ، وَصَدَّقَهُ الصِّدِّيقُ بِمَا أخبَرهُ فَكَانَ مِن أكَابِرِ الصَّحَابةِ وَأشهَرِهم[١]. ثُمَّ هَاجَرَ إلى المَدِينَةِ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَخَمسِينَ، وَتَبِعهُ مَن أنهَلَ أودِيةَ جَنَانِهِ وَشَاهَدَ عَينَ اليَقِينِ[٢]، وَبعدَ حَجَّةِ الوَدَاعِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَستِّينَ مَضَتْ مِن عُمرِهِ نُقِلَ مِن دَارٍ إلى أُخرَى بَعدَ انقِضَاءِ وَطَرِهِ اللهم صل وسلم وبارك عليه وَكَانَ وَجهُهُ ﷺ يَقتَبِسُ مِن ضَوءِ الشَّمسُ وَالقَمَر، وَشَعرُهُ كَاللَّيلِ إِذَا سَجَا وَاعتَكَر، وَحَواجِبُهُ سَوَابِغَ مِن غَيرِ قَرَن، وَعَيناهُ وَاسعَتَينِ مَكحُولَتَينِ بِكُحلِ الشُّهُودِ وَالعَيَان، وَاسِعَ الجَبِينِ، مُفلَّجَ الأسنَان[٣]، أهدَبَ الأشفَار، أقنَى العِرنِينِ[٤]، كَثُّ اللِّحيَةِ[٥] قَد عَلَتْهَا

(١) انظر: صحيح البخاري [٢/ ٤٣٠، رقم: ٣٢٣٨]، وصحيح مسلم [١/ ٨٤، رقم: ٢٥٤].

(٢) انظر الروض الأنف [٤/ ١٨٦]، السيرة النبوية لابن كثير [٢/ ٢٤٢]، دلائل النبوة للبيهقي [٢/ ٤٨٣].

(٣) المفلَّج: بالجيم كمعظَّم، أي: مفلَّج الثنايا وهو المتباعد ما بين الأسنان. انظر: عيون الأثر، لابن سيِّد النَّاس [٢/ ٤١٤]، سبل الهدى والرشاد [١/ ٥١٨]، الشفا للقاضي عياض [١/ ١٥٦].

(٤) العرنين: بكسر العين وسكون الراء المهملة وكسر النون: الأنف. والقنا فيه: طوله ودقة أرنبته مع ارتفاع في وسطه. والشَّمَمُ ارتفاعٌ في قصبة الأنف مع استواء أعلاه وإشراف الأرنبة قليلاً فإن كان فيها احديدابٌ فهو القَنا انظر: لسان العرب [١/ ٣٣٠، مادة: قنا] سبيل الهدى والرشاد [٢/ ٢٩].

(٥) الكثوثة أن تكون اللحية غير دقيقة ولا طويلة ولكن فيها كثافة من غير عظم ولا طول. =

سَحَائِبُ الأنوَارِ، عُنُقُهُ كَجِيدِ غَزَالٍ بَعيدَ مَا بَيْنَ المَنكِبينِ، سَبْطَ الكَفَّينِ، ضَخمَ الكَرَادِيسِ، مَسِيحَ القَدَمَينِ، شَعرهُ إلى شَحمَةِ أُذُنَيهِ، لَمْ يَبلُغْ شَيبُهُ مِنَ الرَّأسِ وَاللِّحيَةِ عِشرِين، وَعَرقُهُ كَاللُّؤلُؤِ المُتَنَاثِرِ الثَّمِينِ يُصَافِحُ المُصَافِحَ فَيجِدُ مِنهَا سَائِرَ اليَومِ رَائِحَةَ المِسكِ الأذفَرِ، وإذا وَضَعَ يَدهُ عَلَى رَأسِ صَبِيٍّ عُرِفَ مِنْ بَينِ الصِّبيانِ بِشَذَى العَرفِ أنَّهُ مَسَّه النَّبِيُّ الأعطَرُ[١]، اللهم صل وسلم وبارك عليه وَكَانَ ﷺ أحسَنَ النَّاسِ خَلقاً وَخُلقاً، وَأهداهُم إلى الحَقِّ طُرُقاً، مَنْ رَآهُ بَدِيهةً هَابَهُ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعرِفةً أحبَّهُ، وكانَ يخدِمُ أهلَهُ، وَيعودُ المرضَى، وَيجبُرُ خَاطِرَ المُنكَسِرينَ، وَيُجيبُ مَن دَعاهُ مِن غَنِيٍّ وفقِيرٍ، ويحبُّ المسَاكِينَ ولَا يَحتَقِرُ الفُقَرَا ولَا يَهابُ الأُمَرا وَلَا يُقَابِلُ أحداً بِما يَكرَهُ، وَيقبَلُ الاعتِذارَ وَيقِيلُ العِثَارَ، وَيركَبُ البَعيرَ وَالفَرسَ وَالبَغلَةَ وَالحِمارَ، وَيُردِفُ خَلفَهُ وَالأمَامَ، وَيمشِي مَعَ الأصحَابِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلام؛ وَيَقولُ دَعُوا ظَهرِي لِلملَائِكَةِ الكِرَام[٢]. وَعَصبَ على بَطنِهِ الحَجَرَ مِنَ الجُوعِ[٣]، وَأحرَمَ عَينَهُ غَالِبَ اللَّيلِ

= انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم [ص: ٣٦]، عيون الأثر [٢/ ٤١٤]، سبيل الهدى والرشاد [٢/ ٣٤]، الشفا [١/ ٦٠].

(١) انظر: جمع الوسائل شرح الشمائل، للقاري [١/ ٢] هدية العارفين، للباباني، [٢/ ١٩]، كشف الظنون، لخليفة [٢/ ١٠٥٩].

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده [٢٣/ ٤٢١، رقم: ١٥٢٨١] عن جابر بن عبد الله في حديث طويل، والدرامي في سننه، [١/ ١٩١/ رقم باب ما أكرم به النبيُّ ﷺ في بركة طعامه ٤٦] وانظر: زاد المعاد، لابن قيم [١/ ١٦١].

(٣) روى مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيرَه إلى دار من يثق برضاه بذلك ويتحقَّقه تحقُّقًا تامًّا واستحباب الاجتماع على الطَّعام [٢/ ٩٨١، رقم: ٢٠٤٠]، عن أنس ﷺ قال: «جئت رسول الله ﷺ يوماً فوجدته جالساً مع أصحابه يحدِّثهم، وقد عصب على بطنه بعصابة، قال أسامة: أنا أشك على حجر، فقلت لبعض أصحابه: لم عصب رسول الله ﷺ بطنه؟ قالوا: من الجوع...».

بنَ لَذَّةِ الهُجُوعِ، وآتَاهُ اللهُ تَعالَى مَفاتِيحَ خَزَائِنِ الأرضِ فِضَّةً وَذَهَباً، وَرَاودتهُ الجِبالُ الشُّمُّ مِن ذَهَبٍ عَن نَفْسِهِ فَأبَى[(١)]، وكَانَ صلى الله تعالى عليه سلم يُكثِرُ الذِكرَ، وَيُقلُّ اللغوَ وَيَبدأ مَن لَقِيَهُ بالسَّلامِ[(٢)]، وَيُطيلُ الصلاةَ ويَقصُرُ الخُطبةَ، وَيمشِي معَ الأرمَلَةِ وَالخُدَّامِ، وَيكرَهُ الرَّائِحةَ الكَرِيهَةَ، وَيُحبُّ الطِّيبَ، وَيألفُ أهلَ الشَّرفِ، ويُكرِمُ أهلَ الفَضلِ، ومَنْ يَعلُوَّ المِقدارِ كُلٌّ لَهُ اعتَرَفَ، ولَا يَكرهُ اللعبَ المُباحَ ويمزحُ قائلاً حقًّا وهوَ أشدُّ حَيَاءً مِن العذراءِ في خِدرِهَا[(٣)] صِدقًا، وكانَ خُلُقُهُ القُرآنَ يَرضَى بِرِضَاهُ وَيَغضبُ لِغَضَبِهِ وَيَصفحُ عنِ الذَّنبِ إذَا كَانَ في حَقِّهِ وَشِبْهِ، وَوقَعَ الاتفاقُ عَلَى مَولِدِه وَمِعرَاجِهِ وَقُدُومِهِ المدِينَةَ وَوَفاتِهِ وَهجرَتِه يَومَ الاثنينِ المبَاركِ مِن ربيعِ الأَوَّلِ وَليلتِه اللهم صل وسلم وبارك عليه. هَذَا وَبثُّ حَديثِ مَولِدِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ ﷺ لَا تَكِلُّ مِن سَمْعِ عَرفِهِ الأَسمَاعُ، ولكِن مِنَ التطوِيلِ كَلَّتِ الهِمَمُ وَقلَّ الانتِفَاعُ، فَلنَرفعْ بَعدَ كَمَالِ تَعطِيرِ تَحبِيرِ طَرْسِي[(٤)] المَولِدِ الشَّرِيفِ بِغَالِيَةِ الأقلامِ وَالتَّحبِيرِ، وحُسنِ تَطرِيزِ نَهارِ قِرطَاسِهِ المنِيفِ بِطِرَازِ رِدَاءِ ظَلَامِ الإملاءِ وَالتَّحبِيرِ أكُفَّ الابتِهَالِ

---

(١) روى عبد الرزاق بسند جيد قوي عن طاووس مرسلاً قال: قال رسول الله ﷺ: «نصرت بالرعب وأعطيت الخزائن، وخيرت بين أن أبقى حتى أرى ما يفتح على أمتي وبين التعجيل فاخترت التعجيل». انظر: السيرة النبوية لابن كثير [٤/ ٤٤٤]، سبيل الهدى والرشاد [١٢/ ٢٣٤].

(٢) انظر: زاد المعاد لابن قيم [٢/ ٣٨٣]، عيون الأثر [٢/ ٢٢٤]، سبيل الهدى والرشاد [٧/ ٣٣].

(٣) حديث متفق عليه انظر: صحيح البخاري، باب صفة النبي ﷺ، [٢/ ٥١٨، رقم: ٣٥٦٢]، صحيح مسلم، باب كثرة حيائه ﷺ، [٢/ ١٠٩٥، رقم: ٢٣٢٠]. وانظر: الشمائل المحمدية للترمذي [ص: ٢٩٧].

(٤) الطرس: الصحيفة ويقال هي التي محيت ثم كتبت وكذلك الطلس. لسان العرب [٦/ ١٢١ مادة: طلس].

والانكِسَار، نَاصِبِينَ عَلَمَ حَاجَتِنَا بَيْنَ يَدَيِ العَزِيزِ الغَفَّار، جَازِمِينَ بِوا
نَجَائِبِ بُشْرَى الإِجَابَه، مُتَوَسِّلِينَ بِمَنْ شَرُفَتْ بِهِ رَحَارِحُ[1] طَابَه فَنَقُولُ: اللهُ
يَا مَنْ هُوَ المحُيطُ الجامِع، يَا مَنْ لا يمنَعُهُ عَنِ العَطَاءِ مَانِعٌ، يَامَنْ لا يَنفَدُ
عِندَه، وَأَرسَلَ عَلى جَمِيعِ الخَلَائِقِ جُودَهُ وَرِفدَه، نَسألُكَ بِجاهِ نَبِيكَ المُصطَ
وَبِآلِهِ أهلِ الصِّدقِ والوفَا: كُنْ لَنَا مُعِيناً وَمُسعِفاً وَبَوِّئنَا مِنَ الجَنَّةِ غُرَفًا، وَارزُ
بِبَرَكَتِهِ قَبُولاً وَعِزًّا وَشَرَفًا، اللهم انظُر إلينَا بِعَينِ الرَّحمَةِ وَالعِنَايَةِ وَالحِ
وَالرِّعَايَةِ وَالِاختِصَاصِ والوِلايَة، ونسألك اللهم بِنَبِيِّكَ المُختَار وَآلِهِ الأطهَ
وَأَصحَابِهِ الأخيَار أن تكَفِّرَعَنَّا الذُّنوبَ والأوزَار، وأن تحرُسَنَا مِنْ جَمِي
المَخَاوِفِ وَالأخطَار في السِّرِّ وَالإجهَار، وَمَتِّعنَا بِرؤيتِهِ في دارِ القرار، وتَلَ
بِنَا مَا قَدَّمنَاهُ مِنْ يَسِيرِ أعمالِنا في اللَّيلِ والنَّهار، وَارحمنَا بِقُدرتكَ وَاغفِر
إِنَّكَ غَفورٌ رَحِيمٌ غَفَّار بِرحمتكَ يَا أرحمَ الرَّاحمينَ، اللهمَّ واجعَلْ مُطرِّزَ
مَولِدِ سَيِّدِ وَلَدِ عَدنانَ عَلَيه الصَّلاةُ والسَّلام خَادِمَ الفُقراءِ سَيِّدي وَأستا
مُحَمَّدَ بْنَ عَبدِ الكَرِيمِ القُرشِي القَادِرِي السَّمَان مُشَاهِد جَمَالِ ذَاتِكَ العَلِيَّةِ بِا
بِكَ عَلَى الدَّوام وَعُمَّ مَنِ انتَمَى إليه بِالهِدَايةِ وَالرضوان وَأخدَانِهِ وَأحبَا
وَأَرحَامِهِ وَتَابعيهِ وَمحبِّيهِ يَاذَا الجلالِ وَالإِكرَام، اللهم وَنَتَوَسَّلُ إليكَ في قُبُو
ذَلكَ بِسيدِنَا مُحمَّدٍ عَبدِكَ وَمُختارِكَ وَآلِهِ وَصَحبِهِ وَالحمدُ لِكَ مِنكَ يَا رَ
العَالَمينَ. وَصَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَى سَيِّدِنَا وَمَولاَنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ وَسَلَّ
تَسلِيماً كَثِيراً إِلَى يَومِ الدِّين. آمين آمين آمين برحمتكَ يا أرحم الراحمين.

إلى هنا انتهى مولد شيخنا السمان

---

(١) رحح عيش رحراح أي واسع والرحح انبساط الحافر في رقة. لسان العرب [٢/٤١٦
مادة: رحح].

هذا مولد الشيخ العالم العلامة الشيخ عقيل افندي ابن الشيخ مصطفى افندي الزويتيني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي دبر وحكم، واظهر الحكم، وخط
خط القلم بما جرى على الامم، في لوح علمه قديمه
صور وخلق ورتق وفتق وانعم ورزق وقسم رزقه
بين خلقه تقسيمه، كون الاكوان ودبر الزمان
وعلم الانسان ما لم يعلم تعطفا بلطفه وتعليمه، لا
يقال متى كان ولا في اي مكان سبق المكان والزمان
وهو الآن على ما عليه كان قديمه، بث بديع عظمته
في خلق العبد وتصويره نسمته وما زال في صنعه
حكيمه، حقق بيانه انطق لسانه اسمعه ترجمانه
انشقه نسيمه، ركبه من ماء وتراب ونار وهواء
فلزم

فلزم كل ضد ضده كما يلزم الغريم غريمه، ثم اعاده
بعد عظيم قدرته الى ظلمات قبره، فصار عظما رميمه
ثم اذا نفخ في الصور خرج من ظلمات القبور من كان
فيها سقيمه، فمن كان لربه طائعا ولاوامره تابعا
قربه واعطاه نعيمه، ومن كان بالوحدانية كافرا وعن
باب الطاعة نافرا ابعده واصلاه جحيمه، فسبحان العظيم
الذي لم يزل قديمه، وفي سلطانه عظيمه، وبعباده رؤوفا
رحيما، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
ولا ضد له ولا ند له ولا شبيه له ولا عديل له ولا
صاحبة له ولا ولد له ولا والد له ولا ناصر له ولا
مساعد له ولا معارض له ولا معاند له شهادة

هذا مولد الشيخ العالم العلامة
الشيخ عقيل افندى ابن الشيخ مصطفى افندى
الزويتيني غفر الله لهما ولجميع المسلمين آمين

اسمه ولقبه وكنيته: هو عقيل بن مصطفى العمري، الشهير بالزويتيني وهي أسرة منتشرة في حلب يقال: إنَّ نسبها يعود إلى الخليفة الراشد عمر ب الخطاب ﷺ.

علمه: كان يفتي على المذاهب الأربعة المشهورة، وتولَّى رئاسة الكتا في المحكمة الشرعية مدة، ثمَّ تركها ولزم بيته.

مصنفاته: له كتب، منها: (فتاوى عقيل)، وهو مخطوط في المكت الظاهرية بدمشق، وكتاب (راحة الأرواح في الحشيش والخمر والراح).

وفاته: توفي بحلب سنة (١٢٨٧هـ).

من مصادر ترجمته:

ـ الأعلام لخير الدين الزركلي [٤/ ٢٤٣].

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمدُ لِلَّهِ الَّذي دَبَّرَ وحَكَمَ، وأظهَرَ الحِكمَ وخَطَّ خَطَّ القَلَمِ بِمَا جَرَى عَلَى الأُمَمِ في لَوحٍ عَلَّمهُ قَدِيمَا صَوَّرَ وخَلقَ ورَتَقَ[1] وفَتَقَ وأنعَمَ ورَزَقَ وقَسَمَ رِزقَهُ بَينَ خَلقِهِ تَقسِيماً، كَوَّنَ الأكوَانَ ودَبَّرَ الزَّمانَ وعَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَم يَعلَمْ تَعَطُّفَ بِلُطفِهِ تَعلِيمَا، لا يُقَالُ مَتَى كَانَ ولا في أيِّ مَكانٍ سَبقَ المَكَانَ والزَّمانَ وهُوَ الآنَ عَلَى مَا عَليهِ كَانَ قَدِيمَا بَينَ بَدِيعَ عَظَمتِهِ في خَلقِ العَبدِ وتَصوِيرِ نَسَمَتِهِ[2] ومَا زَالَ في صُنعِهِ حَكِيماً، حَقَّقَ بَنَانَهُ أنطَقَ لِسانَهُ أسمَعَهُ تَرجُمانَهُ انشَقهُ نَسِيمَا، رَكَّبَهُ مِن مَاءٍ وتُرابٍ ونَارٍ وهَوَاءٍ فَلزِمَ كُلُّ ضِدٍّ ضِدَّهُ كَمَا يَلزَمُ الغَرِيمُ غَرِيمَا، ثُمَّ أعَارَهُ بَعدَ عَظِيمِ قَدْرِهِ إلى ظُلُماتِ قَبرِهِ فَصارَ عَظْماً رَمِيماً[3]، ثُمَّ إذَا نُفِخَ في الصُّورِ خَرَجَ مِن ظُلُماتِ القُبورِ مَن كَانَ فِيهَا مُقِيماً، فَمَنْ كَانَ لِرَبِّهِ طَائِعاً ولأوَامِرِهِ تَابِعاً قَرَّبَهُ وأعطَاهُ نَعِيماً، ومَن كَانَ بِالوَحدَانِيَّةِ كَافِراً وعَنْ بَابِ الطَّاعةِ نَافِراً أبْعَدهُ وأصْلاهُ جَحِيمَا، فَسُبحَانَ العَظِيمِ الَّذي لَم يَزَلْ قَدِيماً، وفي سُلطَانِهِ عَظِيمَا، وبِعبَادِهِ رَؤُفاً رَحِيماً، وأشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا

---

(١) رتق: الرتق ضد الفتق ابن سيده الرتق إلحام الفتق وإصلاحه رتقه يرتقه ويرتقه رتقا فارتتق أي التأم الرتق المرتوق وفي التنزيل (أولم ير اللذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما) قال بعض المفسرين كانت السموات رتقا لا ينزل منها رجع وكانت الأرض رتقا ليس فيها صدع ففتقهما الله تعالى بالماء والنبات رزقا للعباد. لسان العرب [١٠/ ١١٤ مادة: رتق].

(٢) النسمة نفس الروح وما بها نسمة أي نفس يقال ما بها ذو نسم أي ذو روح والجمع نسم. لسان العرب [١٢/ ٥٧٣ مادة: نسم].

(٣) الرمة بالكسر العظام البالية والجمع رمم ورمام قال الله تعالى: (قال من يحيي العظام وهي رميم). لسان العرب [١٢/ ٢٥٣ مادة: رمم].

اللهُ وَحدَهُ لا شَريكَ لهُ ولا ضِدَّ[١] لهُ وَلا نِدَّ[٢] لهُ ولا شَبِيهَ لهُ ولا عَديلَ[٣] لهُ وَلا صَاحِبَةَ لهُ وَلا وَلَدَ لهُ وَلا وَالِدَ لهُ وَلا نَاصِرَ لهُ وَلا مُسَاعِدَ لهُ وَلا مُعارِضَ لهُ وَلا مُعَانِدَ لهُ شَهادَةً أرجو بِهَا نَعِيماً مُقِيماً، وَأَشهَدُ أنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُولُهُ وحَبِيبُهُ وخَليلُهُ وأمِينُهُ ودَليلُهُ الَّذي حَقَّبَهُ[٤] بِالآياتِ البَاهِرَةِ والمُعجِزاتِ الظَّاهِرَةِ وشَفَّعَهُ فِيمَن صَلَّى عَلَيهِ في الدَّارِ الآخِرَةِ وقَالَ في حَقِّهِ إجلالاً لهُ وتَــكـريـمًـا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦] تَوَّجَهُ بِتاجِ الجَمَالِ، وألبَسَهُ لِبَاسَ الكَمَالِ، وَزَيَّنَهُ بِأشرَفِ الخِصَالِ، فإنْ سَألتَ عَن فَرقِهِ[٥] فَكانَ صُبحاً مُنِيراً، وإنْ سَألتَ عَن فَضلِهِ فَكانَ عَزِيزاً، وإنْ سَألتَ عَن شَعرِهِ فَكانَ لَيلاً بَهِيماً[٦]، وإنْ سَألتَ عَن طَرفِهِ فَكانَ أدعَجَ[٧] ....

---

(١) الضد قال الليث الضد كل شيء ضاد شيئاً ليغلبه، والسواد ضد البياض والموت ضد الحياة والليل ضد النهار إذا جاء هذا ذهب ذلك. لسان العرب [٣/ ٢٦٣ مادة: ضدد].

(٢) الأنداد جمع ند بالكسر وهو مثل الشيء الذي يضاده في أموره ويناده أي يخالفه ويريد بها ما كانوا يتخذونه آلهة من دونه تعالى الله وفي التنزيل العزيز (يتخذ من دون الله أندادا). لسان العرب [٣/ ٤٢٠ مادة: ندد].

(٣) العدل والعديل سواء أي النظير والمثيل وقيل هو المثل وليس بالنظير عينه وفي التنزيل (أو عدل ذلك صياما). لسان العرب [١١/ ٤٣٢ مادة: عدل].

(٤) الحقب حبل تشد به الحقيبة والحقيبة الرفادة في مؤخر القتب والجمع الحقائب. لسان العرب [١/ ٣٢٥ مادة: حقب].

(٥) فرق الشعر بالمشط يفرقه ويفرقه فرقا وفرقه سرحه والفرق موضع المفرق من الرأس. لسان العرب [١٠/ ٣٠١ مادة: فرق].

(٦) البهيم ما كان لوناً واحداً لا يخالطه غيره سواداً كان أو بياضاً. لسان العرب [١٢/ ٥٨ مادة: بهم].

(٧) دعج الدعج والدعجة السواد وقيل شدة السواد وقيل الدعج شدة سواد العين وشدة بياضها وقيل شدة سوادها مع سعتها. لسان العرب [٢/ ٢٧١ مادة: دعج].

نجيماً[1]، وإنْ سَألتَ عَنْ حَاجِبِهِ فَكَانَ نُوناً[2]، وإنْ سَألتَ عَنْ فِيهِ فَكَانَ ميماً[3]، وإنْ سَألتَ عَنْ وَجهِهِ فَكَانَ بَدراً تُمِّمَ بِالحُسنِ تَتميماً، وإنْ سَألتَ عَنْ صَدرِهِ فَكَانَ سَليماً، وإنْ سَألتَ عَنْ قَلبِهِ فَكَانَ رَحيماً، وإنْ سَألتَ عَنْ خُلُقِهِ فَكَانَ عَظيماً، وإنْ سَألتَ عَنْ كَفِّهِ فَكَمْ أغنَى عَديماً[4]، وإنْ سَألتَ عَنْ قَلبِهِ فَكَمْ قَدَّمَ إلى طَاعَةِ اللهِ تَقديماً، وإنْ سَألتَ عَنْ أصلِهِ فَكَانَ شَريفاً كَريماً، قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨][5] قَالَ العَلَّامةُ الرَّازيُّ[6] رَحمَةُ اللهِ عَليهِ ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أيْ مُشِقٌّ عَليهِ مَا تكرَهُونَهُ وقِيلَ يَشِقُّ عَليهِ ضَلالَتُكُمْ[7] قَالَ العَلَّامِيُّ[8] في التَّفسِيرِ كَانَ عُمَرُ بنُ

---

(١) كناية عن اتساع العين.

(٢) نونا: نتن قال الأزهري في أواخر باب النون النن الشعر الضعيف. لسان العرب [١٣/ ٤٢٧ مادة: نتن]. والمعنى أنه ﷺ كان رقيق الحاجب.

(٣) أي صغيراً معتدلاً.

(٤) العديم الفقير الذي لا مال له وجمعه عدماء وفي الحديث: «من يقرض غير عديم ولا ظلوم» العديم الذي لا شيء عنده فعيل بمعنى فاعل وأعدمه منعه ويقول الرجل لحبيبه عدمت فقدك ولا عدمت فضلك ولا أعدمني الله فضلك أي لا أذهب عني فضلك. لسان العرب [١٢/ ٣٩٣ مادة: عدم].

(٥) انظر تفسير الجيلاني.

(٦) هو الإمام فخر الدين حجة الحق محمد بن عمر بن الحسين القرشي الطبري الأصل الرازي المولد توفي بهراة يوم الاثنين يوم عيد الفطر سنة [٦٠٦]. ودفن في جبل قريب من هراة. طبقات الفقهاء [١/ ٢٦٣]. والبداية والنهاية [١٣/ ٥٥]. وسير أعلام النبلاء [٢١/ ٥٠٠].

(٧) انظر التفسير الكبير «مفاتيح الغيب» تأليف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي [١٦/ ١٨٦ سورة التوبة: ١٢٨].

(٨) هو قطب الدين الشيرازي محمود بن مسعود بن مصلح العلامة أبو الثنا قطب الدين =

الخطَّابِ ﷺ لا يُثبِتُ آيَةً في المُصحَفِ حتَّى يَشْهَدَ عليها رَجُلانِ لم
خُزيمَةُ بنُ ثابتٍ الأنصارِيِّ (١) ﷺ بِهذِهِ الآيَةِ فقالَ عُمَرُ: واللهِ لا أسألُكَ عليـ
بيِّنَةً قالَ القُرطُبيُّ (٢) عاشَ النَّبيُّ ﷺ بَعدَ هَذِهِ الآيَةِ خمسةً وثلاثينَ يوماً. قا
العَلَّامِيُّ جاءَ الشِّبليُّ (٣) ﷺ إلى أبي بَكرِ بنِ مُجاهِدٍ (٤) فقامَ إليهِ وقَبَّلَهُ بَينَ عَيـ
فَقيلَ لهُ في ذلكَ؟ فقالَ رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ فعلَ ذلكَ فقلتُ يا رَسولَ الله
أتفعَلُ هَذا بالشِّبليِّ قالَ نَعَم إنَّهُ يَقولُ بَعدَ صَلاتِهِ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ
أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٥)
[التوبة: ١٢٨] ثُمَّ يُتبِعُها بالصَّلاةِ عَلَيَّ قالَ في الجَوهَرَةِ النَّيِّرَةِ: (٦) مُحمَّدٌ اسـ
عَرَبيٌّ أي مُستغرِقٌ لِجميعِ المَحامِدِ، والرَّسولُ هُوَ الَّذي يتبع أخبارَ الَّذي بَعـ

= الفارسي توفي بها سنة [٧١٠هـ]. هداية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين [٦/ ٤٠٦]، وكشف الظنون [٢/ ١٢٣٥]. وطبقات الشافعية الكبرى [١٠/ ٣٨٦]. والبدر الطالع [٢/ ٢٩٩].

(١) الصحابي الجليل.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي صاحب تفسير «الجامع لأحكام القرآن».

(٣) شيخ الطائفة أبو بكر الشبلي البغدادي قيل اسمه دلف بن جحدر توفي ببغداد سنة [٣٣٤هـ]. انظر سير أعلام النبلاء [١٥/ ٣٦٧]. وتاريخ دمشق [٦٦/ ٥٢]. وتاريخ بغداد [١٤/ ٣٨٩]. وتاريخ الإسلام [٢٥/ ١١٦].

(٤) هو أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد أبو بكر المقرئ كان شيخ القراء في وقته توفي يوم الأربعاء ودفن في يوم الخميس لعشر بقين من شعبان سنة [٣٢٤هـ]. انظر تاريخ بغداد [٥/ ١٤٥].

(٥) انظر تفسير الجيلاني.

(٦) كتاب الجوهرة النيرة هو مختصر لكتاب السراج الوهاج الموضح لكل طالب محتاج، وكل من الكتابين للإمام أبي بكر بن علي المعروف بالحدادي العبادي المتوفى في حدود سنة ثمانمئة. انظر كشف الظنون [٢/ ١٦٣١]. وأسماء الكتب [١/ ١٣١].

مَأخوذٌ مِن جَاءتِ الإبلُ رُسُلاً أيْ مُتَتَابعةً واعلَم أنَّ ذِكرَ اللهِ تعالَى يَليهِ ذِكرُ نَبيِّهِ ﷺ قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝﴾[1] [الشرح: ٤] أي لا أُذكَرُ إلّا وتُذكَرُ مَعي، فَهوَ ﷺ يُذكَرُ في الشَّهادَتينِ وفي الأذانِ والخُطبَةِ والإقامةِ والتَّشهُّدِ وقَالَ حَسانُ بنُ ثَابتٍ الأنصارِيُّ[2] يَمدحُ النَّبيَّ ﷺ

وَضَمَّ الإلهُ اسمَ النَّبيِّ مَعَ اسمِهِ ... إذَا قَالَ في الخَمسِ المُؤَذِّنُ أشهَدُ

وَشَقَّ لهُ مِنْ اسمِهِ ليُجِلَّهُ ... فَذو العَرشِ مَحمودٌ وهَذا مُحمَّدُ

قَالَ ابنُ هِشامٍ[3] في السِّيرةِ[4] إنَّ أبَا يَاسرِ ابنَ أخطبَ[5] مَرَّ بالنَّبيِّ ﷺ وهُوَ يَقرأُ ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝﴾[6] [البقرة: ١ - ٢] فَأخبَرَ حُيَيَّ بنَ أخطبَ فَجاءهُ وقَالَ: يَا مُحمَّدُ جَاءكَ جِبريلُ بِالفٍ لامٍ ميمٍ قَالَ: «نَعمْ» قَالَ: الألِفُ بِواحدٍ واللّامُ بِثلاثينَ والمِيمُ بِأربَعينَ، ثُمَّ قَالَ: لِقومِهِ أتَدخُلونَ في دِينٍ مُلكُهُ أحدٌ وسَبعونَ سَنةً ثُمَّ قَالَ: يَا مُحمَّدُ هَل مَعَ هَذا غَيرهُ؟ قَالَ: «نَعمْ (المص) قَالَ هَذا أثقلُ وأطوَلُ الألِفُ بِواحِدٍ واللّامُ بِثلاثِينَ والمِيمُ بِأربَعينَ والصَّادُ بِتِسعينَ»، ثُمَّ قَالَ هَل مَعَ هَذا غَيرهُ؟ قَالَ: «نَعمْ (الر) قَالَ هَذا أثقَلُ وأطوَلُ الألِفُ بِواحِدٍ واللّامُ بِثَلاثينَ والرَّاءُ بِمائَتينِ»، ثُمَّ قَالَ يَا مُحمَّدُ لَبِسَ عَلينَا أمرُكَ، فَلا نَدرِي أقَليلاً أُعطيتَ أم كَثيراً فَذَلكَ قَولهُ تعالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ

---

(١) انظر تفسير الجيلاني.

(٢) الصحابي الجليل شاعر النبي ﷺ.

(٣) هو أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري توفي بمصر في سنة [٢١٣هـ] رحمه الله تعالى. انظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان [٣/ ١٧٧]. والوافي بالوفيات [١٩/ ١٤٢].

(٤) كتاب السيرة النبوية.

(٥) هو أخو حيي بن أخطب لعنه الله.

(٦) انظر تفسير الجيلاني.

عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾(١) [آل عمران: ٧] قال في الشفا: قال الله تعالى: «يا محمدُ إني مُنزِّلٌ عليكَ توراةً حديثةً تفتحُ بها أعيناً عُمياً وآذاناً صُمّاً وقلوباً غُلفاً، فيها ينابيعُ العلمِ وفهمُ الحكمةِ وربيعُ القلوبِ»(٢) ومعنى حديثةٍ أي في النُّزولِ بخلافِ غيرِه مِنَ الكُتبِ فإنَّهُ أقدمُ لأنَّ النبيَّ ﷺ آخِرُ الأنبياءِ، وكِتابُهُ آخِرُ الكُتبِ المُنزلةِ، وورَدَ أنَّ أبا جهلٍ اشترى جملاً مِن رجلٍ وماطَلهُ بثمنِهِ فأخبرَ قريشاً فدلُّوهُ على مُحمّدٍ ﷺ استِهزاءً، فجاءَهُ وأخبرَهُ الخبرَ، فذهبَ النبيُّ ﷺ معهُ فطرقَ بابَهُ فخرجَ أبو جهلٍ، فقالَ ﷺ: «أعطِ هذا الرَّجلَ حقَّهُ» فبادرَ وأعطاهُ فسُئلَ عن ذلكَ فقالَ: رأيتُ على رأسِهِ ثُعباناً لو امتنعتُ منهُ لالتقمني(٣). قالَ النيسابوري رحمه الله في تفسيرِه:(٤) جاءَ يهوديٌّ إلى عُمرَ رضي الله عنه فقالَ صِفْ لي أخلاقَ مُحمّدٍ فقالَ بلالٌ أعلمُ منّي بذلكَ فسألَهُ فقالَ فاطِمةُ أعلمُ منّي بذلكَ فسألَها فقالَتْ عليٌّ أعلمُ منّي بذلكَ فسألهُ فقالَ صِفْ متاعَ الدُّنيا وهُوَ قليلٌ فكيفَ أصِفُ لكَ أخلاقهُ العظيمةَ ﷺ؟ ولقد شارَكَ الأنبياءَ في مُعجزاتِهم وفضائلِهم، وانفردَ بِما لَم يُشارِكْ فيهِ، فممَّا انفردَ بهِ عنهُم عليهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ

---

(١) انظر سبب نزول هذه الآية في: تفسير ابن كثير [١/ ٣٩]. وتفسير الطبري [١/ ٩٢] وتفسير العز ابن عبد السلام [١/ ٩٤].

(٢) الحديث بتمامه: عن كعبٍ قال عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فإنه فَهْمُ الْعَقْلِ وَنُورُ الْحِكْمَةِ وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَأَحْدَثُ الْكُتُبِ بِالرَّحْمَٰنِ عَهْدًا وقال في التَّوْرَاةِ يا محمد إني مُنَزِّلٌ عَلَيْكَ تَوْرَاةً حَدِيثَةً تَفْتَحُ فيها أَعْيُنًا عُمْيًا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا. أخرجه الدارمي في سننه [٢/ ٥٢٥ رقم ٣٣٢٧].

(٣) جزء من حديث طويل انظر دلائل النبوة للأصبهاني [١/ ١٩٦]. وسيرة ابن إسحاق [٤/ ١٧٦].

(٤) كتاب «الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» لعلي بن أحمد الواحدي النيسابوري أبو الحسن رحمه الله تعالى.

القرآنُ المُقدَّمُ على سائرِ الكُتبِ، فَأُعطِيَ السَّبعَ الطِّوالَ[١] مَكانَ التَّوراةِ والمئينَ[٢] مَكانَ الإنجيلِ، والمثانيَ[٣] مَكانَ الزَّبورِ، وفُضِّلَ بِالمُفصَّلِ[٤]، وأُحِلَّت لهُ الغَنائِمُ، ونُصِرَ بِالرُّعبِ، وجُعِلَت لهُ الأرضُ مَسجِداً وطَهوراً، وبُعِثَ إلى الخَلقِ عامَّةً[٥]، وخُتِمَ بهِ الأنبِياءُ، وأُعطِيَ جَوامِعَ الكَلِمِ[٦]، وكُلُّ الأنبِياءِ نُعِتَ بِذَهابِهِم مُعجِزاتهُم، ومُعجِزةُ الأكبرِ على مُنادٍ ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾[٧] [الأنعام: ١٩] وكُلُّ الكُتبِ نُسِخَت بِكِتابِهِ، وكِتابُهُ لا ناسِخَ لهُ، ولَقَدْ أَعرَبَ على مَن تَقدَّمهُ بِإيضاحِ «آدَمُ ومَن دُونَهُ تَحتَ لِوائِهِ»[٨] «و لو كانَ مُوسَى

---

(١) وهي سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال مع براءة.

(٢) وهي كل سورة تزيد على نحو مائة آية.

(٣) التي آيها أقل من مائة وقد تطلق على الفاتحة وتطلق على القرآن كله.

(٤) وآخره سورة الناس اتفاقاً والأصح أنّ أوّله الحجرات. وفيه إشارة إلى الحديث: عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «أَتَانِي رَبِّي السَّبْعَ الطِّوَالَ مَكَانَ التَّوْرَاةِ وَالْمِئِينَ مَكَانَ الإِنْجِيلِ وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ». المعجم الكبير [٨/ ٢٥٨ رقم ٨٠٠٣].

(٥) إشارة إلى الحديث المتفق عليه: عن جابر بن عبد الله أنّ النبي ﷺ قال: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لم يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا فَأَيُّمَا رَجُلٍ من أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ ولم تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ وكان النبي يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إلى الناس عَامَّةً». صحيح البخاري [١/ ١٢٨ رقم ٣٢٨]. وصحيح مسلم [١/ ٣٧٠ رقم٥٢١].

(٦) إشارة إلى الحديث الذي أخرجه مسلم: عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «فُضِّلْتُ على الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا وَأُرْسِلْتُ إلى الْخَلْقِ كَافَّةً وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ». صحيح مسلم [١/ ٣٧١ رقم٥٢٣].

(٧) انظر تفسير الجيلاني.

(٨) جزء من حديث طويل وقد تقدم ذكره انظر مسند الإمام أحمد [١/ ٢٨١رقم ٢٥٤٦]، والمستدرك [٢/ ٦٦٠]، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة [٤/ ٣٦]، والطبراني =

وعيسى حَيَّيْنِ مَا وسِعَهُمَا إِلَّا اتِّبَاعِي»(١). وقَطَعَ تَوهُّمَ مَنْ يَتلوهُ عَن لحَاقهِ بِحُسادِ أصلهُ وخَاتَمُ النَّبيِّينَ ونَصلهُ «لا نَبِيَّ بَعدي»(٢) فإذَا نَزلَ عِيسى صلَّى مَأموماً لِئلا يُدنِسَ بِغُبَارِ الشُّبَهِ وَجهَ «لا نَبيَّ بَعدي» وهُوَ أوَّلُ النَّاسِ خُروجاً إذَا بُعثُوا وهُوَ خَطيبُ الكُلِّ إذَا وفَدوا وهُوَ مُبَشِّرُ القَومِ إذَا يَئِسوا وهُوَ أوَّلُ شَافعٍ وأوَّلُ مُشفَّعٍ وله المَقَامُ المَحمودُ واللِّواءُ المَعقودُ(٣) والحَوضُ المَورودُ(٤) ولهُ الوَسِيلةُ والشَّفاعةُ(٥)، الأنبياءُ قَد سَكتوا لِنُطقِهِ والأملاكُ قَد اعتَرفوا بِحقِّهِ والجَنَّةُ والنَّارُ تَحتَ أمرهِ والخُزَّانُ دَاخلُونَ في دَائِرةِ حُكمِهِ والخَلائِقُ صَائِرونَ عَن بَحرِ رَأيهِ، وآدَمُ ومَن دُونَهُ تَحتَ لِوائِهِ وكَلامُ غَيرِهِ قَبلَ قَولِهِ لا يَنفَعُ وجَوابُ الحَبيبِ قُل يُسمَع(٦)، فَسبحَانَ مَن فَضَّلَهُ مِنَ الفَضلِ مَا فَضَّلهُ وكَساهُ مِن الحُللِ الفَخرِ الجَمِّ

= في المعجم الأوسط [٥/ ٢٠٢].

(١) الحديث بهذا اللفظ ذكره ابن كثير في تفسيره [١/ ٣٧٩].

(٢) الحديث متفق عليه ولفظ البخاري: عن فُرَاتٍ القَزَّازِ قال سمعت أبَا حَازِمٍ قال: قاعدتُ أبَا هُرَيْرَةَ خَمْسَ سِنِينَ فَسَمِعْتُهُ يحدث عن النبي ﷺ قال: «كانت بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمْ الْأَنْبِيَاءُ كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ» قالوا: فما تَأْمُرُنَا قال: «فُوا بِبَيْعَةِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ». صحيح البخاري [٣/ ١٢٧٣ رقم ٣٢٦٨]، وصحيح مسلم [٣/ ١٤٧١ رقم ١٨٤٢].

(٣) الذي تحشر تحته جميع الرسل صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين.

(٤) الذي ترده أمته يوم القيامة، وهو المذكور في قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: ١]، والحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام مسلم: عن أبي حازم قال: سمعت سهلاً يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «أنا فَرَطُكُم على الحوض، من ورد شرب، ومن يشرب لم يظمأ أبداً، وليَرِدَنَّ عليَّ أقوامٌ أعرفهم ويعرفونني، ثُمَّ يُحَالُ بيني وبينهم» صحيح مسلم [٤/ ١٧٩٣/ رقم ٢٢٩٠] كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا وصفاته.

(٥) سبق تخريجه انظر مسند الإمام أحمد [١/ ٢٨١ رقم ٢٥٤٦].

(٦) أي جواب الله تعالى له بعد أن يسجد تحت العرش طالباً الشفاعة من العلي القدير.

ما جمّلهُ وحاطَ بحايطِ حرمِ حرمتهِ، فالحمدُ للهِ الَّذي جعلنا من أمّتهِ قالَ شرفُ الدينِ عيسى السّهروردي[1] ﷺ تعالى: لمّا ركبَ النبيُّ ﷺ الرَّفرفَ مِنَ النّورِ الأزهرِ تقدّمَ هُوَ وجبريلُ تأخّر، فزُجَّ في النّورِ ورُفعتْ لهُ الأستار، وسمعَ شِفاهاً كلامَ الجبّار: يا عروسَ المملكةِ يا تاجَ منصّةِ الوجودِ، يا شمسَ الهدايةِ والسّعودِ، أنتَ أكرمُ النّاسِ علينا سَل ما تُريد فمنكَ السّؤالُ ومنّا العطا، وما علَى عطائي مَزيد، فقالَ «ما الّذي اسألُ وقد اسجدتَ لآدمَ الملائكةَ واصطفيتهُ وزوجتهُ حوّاءَ وفي الجنّةِ أسكنتَهُ؟» جاءَ الخِطابُ يا مُحمّدُ لَولا ما أشرقَ عليهِ نُورك الّذي تقادمَ ما قُلنا للملائكةِ اسجدُوا لآدم، قالَ يا إلهي: «ما الّذي اطلُبُ وقد جعلتَ إدريسَ نبيّاً ورفعتهُ مكاناً عليّاً؟» جاءَ الخِطابُ إنّما رُفعَ إدريسُ إلى السّماءِ لِينظرَ إليكَ ويَسيرَ في هذهِ اللّيلةِ بينَ يديكَ، قالَ يا إلهي: «ما الّذي اطلُبُ وقد استجبتَ دعوةَ نُوحٍ على أهلِ الطّغيانِ ونجّيتهُ في السّفينةِ مِنَ الطّوفانِ؟» قالَ: لَولا أنّهُ اقسمَ علينا بجاهِكَ ما نجا هُوَ ومَن معهُ مِنَ المهالِكِ. سَل تُعطَ. قالَ يا إلهي: «ما الّذي اطلُبُ وقد اصطفيتَ إبراهيمَ خليلاً وجعلتَ النّارَ عليهِ برداً وسَلاماً وفديتَ ابنهُ بِذبحٍ عظيمٍ؟» جاءهُ النّدا يا أعزَّ المخلوقاتِ ويا أشرفَ الموجوداتِ لَولا ما أشرقَ عليهِما نُورُ وجهكَ الكريمِ ما نجى مِن نارِ النّمرود، ولا فُديَ ابنهُ بِذبحٍ عظيمٍ أُدعُ تُجَب. قالَ: «سيّدي وما ادعُو وقد جعلتَ مُوسَى كليماً، وكرّمتهُ تكريماً؟» جاءهُ النّدا يا أكرمَ مَن تمنّى يا صاحبَ قوسينِ او أدنَى مُوسَى هُديَ بالأسرارِ إلى النّارِ، وخُوطبَ على جبلٍ ذي أحجارٍ[2]، وانتَ

---

(١) عيسى بن محمد بن محمد بن قراجا سليمان بن ياروق السهروردي الواعظ شرف الدين أبو الرضى ذكره أبو حيان في مجاني العصر وقال انشدني لنفسه بالقاهرة وكان سهروردي الخرقة له أدب كثير مات في ربيع الآخر سنة [٧٢٩هـ]. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة [٤/ ٢٤٦].

(٢) أي جبل الطور الذي بجانب الوادي المقدس في صحراء سيناء بمصر.

• خُوطبتَ على بِساطِ الأنوَارِ في حَضرَةِ المَلِكِ الغفَّارِ، قُل يُسمَع. قَالَ يَا إلهِي «مَا الَّذي أقولُ وقَد ألَنتَ الحَديدَ لِدَاوودَ وسَيَّرتَ معهُ الجِبالَ، وأعطَيتَ سُلَيـ مُلكاً لا يَنبغِي لأحدٍ مِن بَعدِهِ؟» جَاءهُ النِّدا يَا أعلَى مَوجودٍ سَأسيِّرُ مَعكَ جـ النَّصرِ والرُّعبِ في الوجُودِ وألِينُ لكَ قُلوباً كَالجُلودِ، وأخُصُّكَ يَومَ القيـ بِالمَقامِ المَحمودِ. تَدَلَّل ولا تَتَذَلَّل، سَل تُعطَ. قالَ يَا إلهِي: «مَا الَّذي أسألُ و أيَّدتَ عِيسَى بِروحِ القُدسِ[1] وأظهَرتَ لهُ المُعجِزاتِ يُبرِئُ الأكمَهَ[2] والأبرَصَ[3] ويُحيي المَوتَى بإذنِكَ؟» جَاءهُ النِّدا أنتَ طَبيبٌ تُداوي أمرَا الذُّنوبِ ويَحيَى بِكَ أموَاتُ القُلوبِ قالَ: «يَا رَبِّ فَاقبَل شَفاعَتي في عُصاةِ أُمَّ جَاءهُ الخِطابُ يَا أعزَّ الأحبَابِ وعِزَّتي إنْ عَصَوني سَترتُهُم، وإنْ استَغفَرو غَفرتُ لهُم، وإنْ استَنصَروني نَصَرتُهُم، وإنْ دَعَوني أجَبتُهُم، ولأُسَامِحَنَّهُم بِـ مَضَى ولأجُودَنَّ عَليهِم بِالرِّضَا قالَ صاحبُ البردةِ[4] يمدحُ النبيَّ ﷺ:

---

(١) أي جبريل ﷺ.
(٢) الأكمه الأعمى الذي لا يبصر.
(٣) البرص داء معروف نسأل الله العافية منه ومن كل داء، وهو بياض يقع في الجسد.
(٤) هو: البوصيري محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله ابن حياني بن صنهاجـ ملال الصنهاجي شرف الدين أبو عبد الله كان أحد أبويه من بوصير والآخر من دلا فركب له نسبة منهما وقال الدلاصيري ولكن اشتهر بالبوصيري وكانت له أشياء مثل ذ يركبها من لفظين مثل قوله في كساء له كساط فقيل له لما ذا سميته بذلك قال: لأني أجلس عليه فهو بساط وتارة أرتدي به فهو كساء وأهل العلم تسمى مثل هذا منحـ كقولهم عبشمي نسبة إلى عبد شمس وروى عنه الشيخ أثير الدين فحينئذ لي رواية جـ شعره عن أثير الدين عنه وقال الشيخ أثير الدين: كان البوصيري شيخاً مختصر الـ وكان فيه كرم قلت وأظن وفاته كانت في سنة ست وتسعين أو سبع وتسعين وست مـ ما حولهما وللبوصيري في مديح النبي ﷺ قصايد طنانة منها:
قصيدة مهموزة أولها: ليس ترقا رقيك الأنبياء.
وقصيدة على وزن بانت سعاد أولها:

مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الكَوْنَيْنِ والثَّقَلَيْنِ ... والفَرِيقَيْنِ مِن عُرْبٍ وَمِن عَجَمِ

فَاقَ النَّبِيِّينَ في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ ... ولَمْ يُدانُوه في عِلْمٍ ولا كَرَمِ

دَعْ مَا ادَّعَتْهُ النَّصارَى في نَبِيِّهِم ... واحكُم بِما شِئتَ مَدحاً فِيهِ واحتَكِمِ

وانْسُبْ إلى ذَاتِهِ مَا شِئتَ مِن شَرَفٍ ... و انسُبْ إلى قَدرِهِ ما شِئتَ مِن عِظَمِ

= إلى متى أنت باللذاتِ مشغولُ ... وأنت عن كل ما قدمتَ مسؤولُ

ومنها في ذكر كفار قريش:

وأصبحت أيماتٍ محصناتهُم ... وأيمانهم هنَّ المثاكيلُ

لا تمسكُ الدمعَ من حزنٍ عيونهم ... إلا كما تمسكُ الماء الغرابيلُ

وقصيدته المشهورة بالبردة التي أولها:

أمِنْ تذكرِ جيرانٍ بذي سلمِ ... مزجتَ دمعاً جرى من مقلةٍ بدمِ

قال البوصيري كنت قد نظمت قصايد في مدح رسول الله ﷺ منها ما كان اقترحه علي الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير ثم اتفق بعد ذلك أنه أصابني فالج أبطل نصفي فتكرت في عمل قصيدتي هذه البردة فعملتها واستشفعت بها إلى الله ﷻ في أن يعافيني وكررت إنشادها وبكيت ودعوت وتوسلت به ونمت فرأيت النبي ﷺ تمسح على وجهي بيده الكريمة وألقى علي بردة فانتبهت ووجدت فيّ نهضة فخرجت من بيتي ولم أكن أعلمت بذلك أحداً فلقيني بعض الفقراء فقال: أريد أن تعطيني القصيدة التي مدحت بها رسول الله ﷺ فقلت: أيها فقال: التي أنشأتها في مرضك وذكر أولها وقال: والله لقد سمعنا البارحة وهي تنشد بين يدي رسول الله ﷺ ورأيته ﷺ يتمايل وأعجبته وألقى على من أنشدها بردة فأعطيته إياها وذكر الفقير ذلك فشاع المنام إلى أن اتصل بالصاحب بهاء الدين وزير الظاهر فبعث إلي واستنسخها ونذر أن لا يسمعها إلا قائماً حافياً مكشوف الرأس وكان يحب سماعها هو وأهل بيته ثم إنه بعد ذلك أدرك سعد الدين الفارقي المُوَقِّع رمدٌ أشرف منه على العمى فرأى في المنام قائلاً يقول له اذهب إلى الصاحب وخذ البردة واجعلها على عينيك تعافَ بإذن الله تعالى فأتى الصاحب وذكر منامه فقال: ما أعرف عندي من أثر النبي ﷺ بردة ثم فكر ساعة وقال: لعل المراد قصيدة البردة يا ياقوت قل للخادم يفتح صندوق الآثار ويخرج القصيدة من حق العنبر ويأتي بها فأتى بها فأخذها سعد الدين ووضعها على عينيه فبرئتا ومن ثم سميت البردة. انظر الوافي بالوفيات [٣/ ٨٨]، وشذرات الذهب [٥/ ٤٣٢]، وفوات الوفيات [٢/ ٣٤١].

فَمبلغُ العِلمِ فيهِ أنَّهُ بَشرٌ ... وأنَّهُ خيرُ خلقِ اللهِ كُلِّهِم
جاءت لِدعوتِهِ الأشجارُ ساجدةً ... تَمشي إليهِ علَى ساقٍ بِلا قَدَمِ
هُوَ الحَبيبُ الَّذي تُرجى شَفاعتهُ ... لِكلِّ هَولٍ مِنَ الأهوالِ مُقتحِمِ
يَا أكرمَ الخَلقِ مَا لي مَن ألوذُ بهِ ... سِواكَ عِندَ حُلولِ الحَادثِ العَمِمِ
ولنْ يَضيقَ رَسولَ اللهِ جَاهُكَ بي ... إذَا الكَريمُ تَحلَّى بِاسمِ مُنتقِمِ
فَإنَّ مِن جُودكَ الدُّنيا وضَرَّتَهَا ... ومِن عُلومِكَ عِلمَ اللَّوحِ والقَلَمِ

قالَ عليٌّ رضي الله عنه: لمَّا شاءَ اللهُ تَقديرَ الخَليقةِ وذَرَاءةَ البَريَّةِ قَبلَ دَحوِ الأرضِ ورَفعِ السَّماءِ وهُوَ في انفرادِ مَلكوتِهِ وتَوحُّدِ جَبروتِهِ لَمعَ نُورٌ مِن نُورِهِ، ثُمَّ اجتَمعَ ذَلكَ النُّورُ في تِلكَ الصُّورةِ الخَفيَّةِ فَوافَقَ صُورةَ مُحمَّدٍ ﷺ، فَقالَ تَعالَى: أنتَ المُختارُ المُنتخبُ عِندكَ مُستودَعُ نُورِي وكُنوزُ هِدايتي، مِن أجلِكَ أصطَحُ البَطحاءَ[1] وأرفعُ السَّماءَ وأجعلُ الثَّوابَ والعِقابَ والجنَّةَ والنَّارَ، ثُمَّ أخفَى اللهُ الخَليقةَ في غَيبِهِ وغَيَّبَها في مَكنُونِ عِلمِهِ، ثُمَّ نَصبَ العَوالِمَ وبَسطَ الزَّمانَ وقَرنَ بِتَوحيدِهِ نُورَ مُحمَّدٍ ﷺ. وعَنهُ أيضاً قُلتُ: يَا رَسولَ اللهِ مِمَّ خُلقتَ؟ قالَ: «لمَّا أوحَى إليَّ رَبِّي مَا أوحَى» قُلتُ: يَا رَبِّ مِمَّ خَلقتَني؟ قالَ: يَا مُحمَّدُ نَظرتُ إلى صَفاءِ بَياضِ نُورِي الَّذي خَلقتُهُ بِقُدرتي، وأبدَعتُهُ بِحِكمَتي، وأضَفتُهُ تَشريفاً إلى عَظمتي فَاستَخرجتُ مِنهُ جُزءاً فَقَسمتُهُ ثَلاثةَ أقسَامٍ، فَخَلقتُكَ وأهلَ بَيتِكَ مِنَ القِسمِ الأوَّلِ، وخَلقتُ أزوَاجَكَ وأصحَابَكَ مِنَ القِسمِ الثَّاني، وخَلقتُ مَن أحبَّكَ مِنَ القِسمِ الثَّالثِ، فَإذَا كَانَ يَومُ القِيامةِ رَدَدتُ النُّورَ إلى نُورِي وأدخَلتُكَ وأهلَ بَيتِكَ ومَن أحبَّكَ إلى جَنَّتي بِرَحمتي فَأخبِرهُم بِذلكَ عنِّي. قالَ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنه: لمَّا أرادَ اللهُ تَعالَى خَلقَ المَخلوقاتِ

(١) أي الأرض.

وخفضَ الأرضِ ورَفْعَ السَّمواتِ قَبضَ قَبضةً مِن نُورِه، ثُمَّ قالَ لها: كوني حبيبي مُحمَّداً، فطافَ نُورُ مُحمَّدٍ ﷺ بالعَرشِ قبلَ خَلقِ آدم بخَمسمائةِ عامٍ وهُوَ يقولُ الحمدُ للهِ، فقالَ اللهُ تَعالَى: لأجلِ ذلكَ سَمَّيتُكَ مُحمَّداً، ثُمَّ خَلقَ نُورَ آدم عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ مِن نُورِ مُحمَّدٍ، وخَلقَ جَسدَ مُحمَّدٍ مِن طِينةِ آدم، ثُمَّ أسكنَ نُورَ مُحمَّدٍ في ظَهرِ آدم، فصارتِ المَلائِكةُ تَقفُ خَلفهُ يَنظرونَ إلى النُّورِ فقالَ: «يَارَبِّ مَا لِهَؤلاءِ يَقفُونَ خَلفي؟» قالَ: يَنظرونَ إلى نُورِ مُحمَّدٍ ﷺ فقالَ: «يَا رَبِّ اجعَلهُ في جَبهَتي فَصارتِ المَلائِكةُ تَقفُ أمامهُ»، ثُمَّ قالَ: «يَارَبِّ اجعَلهُ في مَوضعٍ أرَاهُ فَجعلهُ في أصبعِهِ المُسَبِّحَةِ، فرَفعَهَا آدم وقالَ: أشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنَّ مُحمَّداً رَسولُ اللهِ»، ثُمَّ قالَ: «يَا رَبِّ هَل بَقِيَ مِن هَذا النُّورِ شَيءٌ؟» قالَ: نُورُ أصحَابِهِ؛ قالَ: «يَا رَبِّ اجعَلهُ في بَقيَّةِ أصَابِعي»، فَجعلَ نُورَ أبي بَكرٍ في الوُسطَى، ونُورَ عُمرَ في البِنصَرِ، ونُورَ عُثمانَ في الخِنصَرِ، ونُورَ عَليٍّ في الإبهَامِ، فلمَّا هَبطَ آدم إلى الأرضِ انتَقلَتِ الأنوَارُ إلى ظَهرِهِ، فلمَّا قَدَّرَ اللهُ تَعالَى الاجتِماعَ بَينَ آدم وحَوَّاءَ عَليهِمَا السَّلامُ عَلى عَرفاتٍ أرسَلَ اللهُ تَعالَى إليهِ نَهراً مِنَ الجَنَّةِ فَاغتَسلَ وغَشِيَ أي جَامَعَ حَوَّاءَ، فَانتقلَتِ الأنوَارُ إليهَا، ثُمَّ لَم يَزلْ نُورُ مُحمَّدٍ ﷺ يَنتقِلُ مِن صُلبٍ إلى صُلبٍ وبَطنٍ طاهرٍ إلى صُلبِ إبرَاهيمَ، فَأخرَجهُ اللهُ تَعالَى مِن أفضَلِ المَعادِنِ وأكرَمِ المَغارِسِ شَجَرةً مُشرِقةَ الضِّياءِ أصلُهَا في الأرضِ ثَابتٌ وفَرعُهَا في السَّماءِ نَابتٌ، أصلُهَا أصيلٌ وفَرعُهَا طَويلٌ، غَارِسُهَا الرَّبُّ الجَليلُ وسَاقِيهَا إبرَاهيمُ الخَليلُ، وخَادمُهَا الأمينُ جِبريلُ، ومُلقِّحُ ثِمارِهَا إسمَاعيلُ، ثُمَّ قَصدَ خَزائِنَ النِّعمِ إلى شَجرةِ المَحبَّةِ فَاستَخرجَ مِنهَا حَبَّةً فَأوَّلُ مَا غَرسهَا في بَحرِ الرَّحمةِ فَخرجَت بِمَنشورِ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[1]، [الأنبياء: ١٠٧] ثُمَّ

(١) انظر تفسير الجيلاني الأنبياء [آية: ١٠٧].

غَمسـهَا في بَحرِ الرِّضى فَخرجَت بِخلعَةِ ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾[١] [الضحى: ٥] ثُمَّ غَمسـهَا في بَحرِ الكَرامةِ فَخرجَت بِمَنشورِ ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾[٢]، [النساء: ٨٠] ثُمَّ غَمسهَا في بَحرِ القُربةِ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾[٣]، [النجم: ٩] ثُمَّ اختَارَ لِتلكَ الخـ أرضاً مُقدَّسةً لا مُدنَسةً[٤]، فَانبتَت شَجرةً مُباركَةً زَيتونةً لا شَرقيَّةً ولا غَربيَّ لا يَهوديَّةً ولا نَصرانيَّةً. فَهيَ شَجرةُ النُّورِ أصلُهَا نُورٌ وفَرعُهَا نُورٌ. فَكانَ صُلـ الخَليلِ نَاديهَا وظَهرُ إسمَاعيلَ شَاطئَ واديهَا. سُقيَ بِالخَليلِ عُودهَا واخضـ بإسمَاعيلَ عَمودُهَا، وتَمَّ بِمحمَّدٍ سُعودُهَا[٥] فَلمَّا قَويَ أصلُهَا ونَبتَ وشَبَّ فَرعهـ ونَبتَ تَشعَّبت شُعوباً، وتَضرَّبَت ضُروباً فَالحَقُّ زَهرتُهَا والصِّدقُ ثَمرتُهَا والتُّـ أغصَانُهَا والهَديُ قِنوانُهَا مُعلَّقةٌ بِالعَرشِ. مَن تَمسَّكَ بِهَا سلِمَ ومَن تَأخَّرَ عَنهَا نَدِ ثُمَّ انتقَلَ النُّورُ إلى صُلبِ عَبدِ المُطَّلبِ فَرأى في مَنامهِ كَأنَّ سِلسلةً خَرجَت مِـ ظَهرِهِ حتَّى لَحِقَت بِعَنانِ السَّماءِ ثُمَّ رَجعَت فَصارَت شَجرةً خَضراءَ، ورَأى شَيـ قَد تَعلَّقَ بِهَا فَقالَ: مَن أنتَ؟ قالَ: نُوحٌ، فَأرادَ عَبدُ المُطَّلبِ أنْ يَتعلَّقَ بِغُصـ مِنهَا فَقيلَ لَهُ: لَيسَ لكَ فِيهَا نَصيبٌ[٦] فَلمَّا تَزوَّجَ وُلِدَ عَبدَ العُزَّىٰ وهُوَ أبو لهـ ثُمَّ أبا طَالبٍ واسمهُ عَبدُ مَنافٍ ثُمَّ العبَّاسَ ثُمَّ عَبدَ اللهِ ثُمَّ حَمزةَ فَهوَ عَمُّ النَّـ

---

(١) انظر تفسير الجيلاني الضحى [آية: ٥].

(٢) انظر تفسير الجيلاني النساء [آية: ٨٠].

(٣) انظر تفسير الجيلاني النجم [آية: ٩].

(٤) دنس الدنس في الثياب لطخ الوسخ ونحوه حتى في الأخلاق والجمع أدناس. لسـ العرب [٦/ ٨٨ مادة: دنس].

(٥) سعد: السعد اليُمن وهو نقيض النحس السعودة خلاف النحوسة السعادة خلاف الشقا يقال يوم سعد ويوم نحس. لسان العرب [٣/ ٢١٣ مادة: سعد].

(٦) انظر شرح الزرقاني [٤/ ٥٥٨]، والسيرة الحلبية [١/ ١٣٠].

وأخوهُ مِنَ الرَّضاعةِ أرضعتهُمَا ثُويبةُ مولاةُ أبي لهبٍ، فَعلِمتْ أحبارُ الشَّامِ بعبدِ اللهِ لأنَّ في كُتُبِهِمْ إذَا قَطرَتْ جُبَّةُ يَحيى عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ دَماً فقد وُلِدَ وَالِدُ رسولِ اللهِ ﷺ، فَلمَّا كَبُرَ قَصدوا قَتلهُ فَأرسَلَ اللهُ تَعالَى مَلائِكةً فَقَتلتهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ، وكَانَ وَهبٌ وَالِدُ آمِنةَ يَنظرُ علَى رَأسِ جَبلٍ إلى هَذهِ الكَرامةِ لِعبدِ اللهِ فَأخبَرَ زَوجتهُ بَرَّةَ بِنتُ عَبدِ العُزى أمَّ آمِنةَ بِذلكَ، وقالَ: هَل لكِ أنْ تُزوِّجَ عَبدَ اللهِ آمِنةَ فَقالتْ نَعمْ فَتوجَّهَا إلى عَبدِ المُطَّلبِ، واسمُهُ شَيبةُ الحَمدِ فَخطَبَا مِنهُ عَبدَ اللهِ لآمِنةَ فَزوَّجهُ بِهَا في رَجبَ لَيلةَ الجُمعَةِ فَانتَقلَ النُّورُ إليهَا، لَكنْ قالَ الشَّيخُ العَارفُ وَليُّ اللهِ تَقيُّ الدِّينِ الحِصنِي[1] ﷺ: كَانتْ آمِنةُ في حِجرِ عَمِّهَا وُهَيبٍ فَمشَى إليهِ عَبدُ المُطلبِ بِابنهِ عَبدِ اللهِ فَزوَّجهُ بِهَا ثُمَّ خَطبَ في المَجلسِ هَالةَ بِنتَ وُهيبٍ فَزوَّجهُ بِها فَتزوَّجَ عَبدُ المُطلبِ وابنُهُ عَبدُ اللهِ في لَيلةٍ وَاحدَةٍ قالَ في كِتَابِ شَرفِ المُصطَفَى، هَالةُ[2] هِيَ أمُّ حَمزةَ ﷺ. قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ ﷺ: لَم يَبقَ تِلكَ اللَّيلةَ دَابَّةٌ لِقريشَ إلَّا نَطقَتْ وقَالت: قَد حُمِلَ بِمحمَّدٍ وَربِّ الكَعبَةِ فَهوَ أمَانُ الدُّنيَا وسِراجُ أهلِهَا وصَاحَ إبليسُ علَى جَبلِ أبي قُبيسٍ[3] فاجتَمعتْ إليهِ الشَّياطينُ فَقالوا: مَا الَّذي أصَابكَ؟ قالَ: قَد استقرَّ مُحمَّدٌ في بَطنِ أُمِّهِ يَبعثهُ اللهُ بِالسَّيفِ

---

(١) هو أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن الإمام العالم الرباني الزاهد الورع تقي الدين الحصني الدمشقي الحسيني ثبت نسبه على قاضي حسان متأخراً مولده في أواخر سنة اثنين وخمسين وسبعمائة توفي في جمادى الآخرة سنة [٨٢٩هـ]. ودفن بالقبيبات في أطراف العمارة على جادة الطريق عند والدته رحمهما الله تعالى. طبقات الشافعية [٤/ ٧٦].

(٢) تزوّج هالة بنت وهيب بن عبد مناف، فولدت له حمزة وصفية. انظر: السيرة الحلبية [١/ ٥١].

(٣) قال ياقوت الحموي: أبو قبيس بلفظ التصغير كأنه تصغير قبس النار وهو اسم الجبل المشرف على مكة وجهه إلى قعيقعان ومكة بينهما أبو قبيس من شرقيها وقعيقعان من غربيها. انظر معجم البلدان [١/ ٨٠]. ورحلة ابن بطوطة [١/ ١٦٥].

القَاطِعِ بِعَزِّ الأديَانَ ويَكسِرُ الأوثَانَ قالَ: في «رَوضِ الأفكَارِ»[1] لماً أرادَ الله خَلقَ مُحمّدٍ في بَطنِ أمِّهِ أمَرَ رِضواناً بَوّابَ الجَنّةِ أنْ يَفتحَ تِلكَ اللّيلَةَ أبوابَ الفِردَوسِ، وأمَرَ مُنادياً يُنادِي في السّمواتِ والأرَضِينَ، ألا وإنّ النّورَ المَكنُونَ المَخزونَ في هَذِه اللّيلةِ قَد استقَرّ في بَطنِ أمِّهِ قالَ حَسانُ بنُ ثَابتٍ: كُنتُ غُلاماً وأنَا ابنُ سَبعِ سِنينَ وإذَا بِيَهُوديٍّ يُنادِي في المَدينةِ يَا مَعشرَ اليَهودِ قَد طَلعَ اللّيلةَ نَجمُ مُحمّدٍ ﷺ.قالَ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنه ليْسَ قَبيلَةٌ مِنَ العَربِ إلّا ولَهُ ﷺ فِيهَا نَسَبٌ وعَن ابنِ عُمرَ رضي الله عنه عَنِ النّبيِّ ﷺ قالَ: «إنَّ اللهَ اختَارَ خَلقهُ فَاختَارَ مِنهُم بَني آدمَ ثُمّ اختَارَ بَني آدم، فَاختَارَ مِنهم العَربَ، ثُمّ اختَارَ العَربَ فَاختَارَ مِنهم بَني هَاشِمٍ، ثُمّ اختَارَ بَني هَاشمٍ فَاختَارَني مِنهمْ»[2] قالَ ابنُ عَبّاسٍ رضي الله عنه: إنّ قُريشاً كَانتْ نُوراً بَينَ يَديِ اللهِ تعالَى قَبلَ أنْ يَخلُقَ آدمَ بِألفَي عامٍ[3] وعَنِ النّبيِّ ﷺ قالَ: «إنّ اللهَ تَعالَى لماً خَلقَ بَني آدم جَعلَني في خَيرِهِمْ أباً، ثُمّ لماً جَعلَهُم قَبائلَ جَعلنِي في خَيرِهِمْ قَبيلَةً، ثُمّ لماً جَعلهُم بُيُوتاً جَعلَني في خَيرِهِم بَيتاً»[4] فَلِذلِكَ

(١) هو كتاب روض الأفكار في غرر الحكايات والأذكار ألفه شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي المعروف بابن الزكي الشافعي المتوفى سنة [٨٠٣هـ]. ثلاث وثمانمائة رتبه على ستة وعشرين باباً في أحوال السلف من حكمة بليغة وعظة لطيفة. انظر كشف الظنون [٩١٧/١].

(٢) انظر: المواهب اللدنية للقسطلاني [٨٩/١]. وفي معنى هذا الحديث ما أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، [رقم ٣٦٨٥]. وسبيل الهدى والرشاد [١/ ٢٦٩]. وكنز العمال [١٢/ ٢٢ رقم ٣٣٩٢٧].

(٣) انظر المطالب العالية [١٧/ ١٩٥رقم ٤٢٠٩].

(٤) الحديث بلفظ: عن العباس قال: قلت يا رسول الله إن قريشاً إذا التقوا لقي بعضهم بعضاً بالبشاشة وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها فغضب رسول الله عند ذلك غضباً شديداً ثم قال: «والذي نفس محمد بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ورسوله» فقلت: يا رسول الله إن قريشاً جلسوا تذاكروا أحسابهم فجعلوا مثلك مثل نخلة في كبوة من الأرض فقال رسول الله: «إن الله ﷻ يوم خلق الخلق جعلني في خيرهم ثم خ...

قرأ ابنُ عبّاسٍ وفاطمةُ ﷺ (لقد جاءكُم رسولٌ من أنْفَسِكُم)[١] أيْ مِن أفضلِكُم وأشرفِكُم فهوَ ﷺ مُحمّدُ بنُ عبدِ اللهِ واسمُ أمّهِ فاطمةُ بنِ عبدِ المطّلبِ واسمُ أمّهِ سلمَى بنِ هاشمٍ واسمُ أمّه عاتِكةُ بنِ عبدِ مَنافٍ واسمُ أمّهِ أيضاً عاتكةُ بنِ قُصَيِّ بنِ كلابِ بنِ مُرّةَ بنِ كعبِ بنِ لُؤيِّ بنِ غالبِ بنِ فِهرِ بنِ مالكِ بنِ النّضرِ بنِ كِنانةَ بنِ خزيمةَ بنِ مُدركةَ بنِ إلياسَ بنِ مُضرَ بنِ نِزارِ بنِ مَعدِّ بنِ عدنانَ. قالَ الإمامُ النّوويُّ ﷺ في «تهذيبِ الأسماءِ واللّغاتِ»، نقلاً عَن القاضي أبي بكرٍ ابنِ العَربي[٢] عَن

= قرنهم جعلني في خير الفريقين ثم حين جعل القبائل جعلني في خير قبيلة ثم حين جعل البيوت جعلني في خير بيوتهم فأنا خيرهم نسباً وخيرهم بيتاً». دلائل النبوة [١/ ١٦٨]، والمواهب اللدنية للقسطلاني [١/ ٨٩]. وفي معنى هذا الحديث ما أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، [رقم ٣٦٨٥]. وسبيل الهدى والرشاد [١/ ٢٦٩]، وكنز العمال [١٢/ ٢٢ رقم ٣٣٩٢٧].

(١) قال ابن الجوزي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ قرأ الجمهور بضم الفاء وقرأ ابن عباس وأبو العالية والضحاك وابن محيصن ومحبوب عن أبي عمرو بفتحها وفي المضمومة أربعة أقوال:
أحدها من جميع العرب قاله ابن عباس وقال ليس في العرب قبيلة إلا وقد ولدت رسول الله ﷺ.
والثاني ممن تعرفون قاله قتادة.
والثالث من نكاح لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية قاله جعفر الصادق.
الرابع بشر مثلكم فهو آكد للحجة لأنكم تفقهون عمن هو مثلكم قاله الزجاج وفي المفتوحة ثلاثة أقوال:
أحدها أفضلكم خلقا.
والثاني أشرفكم نسبا.
والثالث أكثركم طاعة لله ﷻ. زاد المسير [٣/ ٥٢٠ سورة التوبة: ١٢٨].

(٢) هو الحافظ أبو بكر ابن العربي: أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن العربي المعافري الأندلسي الإشبيلي توفي بالعدوة ودفن بمدينة فاس في شهر ربيع الآخر سنة [٥٤٣هـ] .ﷺ تعالى انظر وفيات الأعيان [٤/ ٢٩٧رقم ١٨١].

بَعضِ الصُّوفِيَّةِ: إنَّ النَّبِيَّ ﷺ لهُ ألفَ اسمٍ قالَ كَعبُ: الأَحبَارِ اسمُ النَّبِيِّ ﷺ عِندَ أهلِ الجَنَّةِ عَبدُ الكَرِيمِ، وعِندَ أهلِ النَّارِ عَبدُ الجَبَّارِ، وعِندَ حَملَةِ العَرشِ عَبدُ المَجيدِ وعِندَ سَائِرِ المَلائِكَةِ عَبدُ الحَمِيدِ، وعِندَ الأَنبِيَاءِ عَبدُ الوَهَّابِ، وعِندَ الشَّيَاطِينِ عَبدُ القَهَّارِ، وعِندَ الجِنِّ عَبدُ الرَّحِيمِ، وفي الجِبَالِ عَبدُ الخَالِقِ، وفي البرِّ عَبدُ القَادِرِ وفي البَحرِ عَبدُ المُهيمِنِ، وعِندَ الحِيتَانِ عَبدُ القُدوسِ، وعِندَ الهَوامِّ عَبدُ الغِياثِ وعِندَ الطُّيورِ عَبدُ الغَفَّارِ، قالَ في كِتابِ: «العَقَايِقِ» في اللَّيلَةِ التي وُلِدَ فِيهَا مُحمَّدٌ ﷺ انطَفأتِ النِّيرانُ إشارةً لِطَفيِهَا عَن أُمَّتِهِ، وفي اللَّيلَةِ الَّتي وُلِدَ فِيهَا عِيسى اشتَعلَتِ النَّارُ إشَارةً لتَوقُّدِهَا علَى مَنِ اتَّخَذَهُ إلهاً مِن دُونِ اللهِ، وكَانَ مَولدُ النَّبِيِّ ﷺ بِمكَّةَ بَعدَ قُدومِ أصحَابِ الفِيلِ بِخَمسِينَ يَوماً قَالَت عَائِشَةُ ﵂: رَأيتُ قَائدَ الفِيلِ أعمَى يَسألُ النَّاسَ[1] قالَ ابنُ عبَّاسٍ ﵄ نَادَى مُنادِي الرَّحمنِ مَعاشِرَ الخَلائِقِ هَذَا مُحمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ طُوبَى لِثدي أرضَعهُ، فقالَت الطَّيرُ: إلهَنَا نَحنُ نَحمِلهُ إلى أعشَاشِنَا ونُطعِمهُ مِن طَيِّبَاتِ الأرضِ، وقالتِ السَّحابُ: إلهَنَا نَحنُ نَحمِلهُ في مَشَارِقِ الأرضِ ومَغارِبِهَا ونُربِّيهِ أحسَنَ تَربِيةٍ وقالتِ المَلائكَةِ: إلهَنَا نَحنُ أحقُّ بِتربِيَتِهِ، فقالَ اللهُ تعالَى: قَد أجرَيتُ ذَلكَ علَى يَدِ حَليمةَ السَّعدِيةِ[2] قالَ: في كِتابِ «شَرفِ المُصطَفَى» كانَت حَليمةُ ﵂ في ضِيقٍ مِنَ العَيشِ وكَانَت تُكثِرُ مِنَ الحَمدِ للهِ فَلمَّا أرادَ اللهُ بِهَا السَّعادَةَ أقحَطَ بِلادَهَا فَكانَت تَأكُلُ مِن نَبَاتِ الأرضِ، ثُمَّ ولَدَت غُلاماً وقَد مَضَى عَلَيهَا سَبعةُ أيَّامٍ لَم تَأكُلْ إلَّا قَليلاً فَأضرَّهَا الجُوعُ، فَرأت في مَنَامِهَا رَجلاً فَأخذَ بِيدِهَا إلى نَهرٍ

(١) عن عائشة زوجة النبي ﷺ قالت: لقد رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان بمكة قال الهيثمي: رواه البزار ورجاله ثقات. انظر مجمع الزوائد [٣/ ٢٨٥]. ودلائل النبوة [١/ ١٢٥].
قال ابن كثير: سائس الفيل كان اسمه أنيسا فأما قائده فلم يسم والله أعلم. البداية والنهاية [٢/ ١٧٤].

(٢) تقدمت ترجمتها.

أبيض مِن اللَّبنِ وأحلَى مِنَ العسَلِ وقالَ: «اشرَبِي يَا حَليمةُ» فشربت كثيراً ثُمَّ قالَ: «أتعرِفينَني؟» قالت: لا، قالَ: «أنَا الحَمدُ الَّذي كُنتِ تَحمدينَ اللهَ بِهِ في الشِّدَّةِ والرَّخاءِ يَا حَليمةُ انطَلقِي إلى مَكَّةَ فإنَّ لكِ فيهَا الرِّزقَ الوَاسِعَ، واكتُمي شَأنكِ» فاستَيقَظتُ وأنَا مِن أجملِ النِّساءِ، ولا أُطيقُ أنْ أحمِلَ ثَديِيَّ مِنَ اللَّبنِ، فتعجَّبَ النِّساءُ مِنِّي، ثُمَّ خرجنَا يَوماً نَطلبُ النَّباتَ فَسمعنَا قائلاً يَقولُ: ألا وإنَّ اللهَ قد أخرجَ مَولوداً بمكَّةَ طُوبَى لِمنْ أرضَعهُ فلمَّا سَمِعَ النِّساءُ ذلكَ رَجَعنَ وأخبَرنَ أزواجهنَّ فخرَجنَ إلى مكَّةَ وكُنَّ عَشرةً وخرجتُ معهنَّ على أتانٍ ضَعيفٍ. فَبينَما أنَا في بَعضِ الطَّريقِ إذ خَرجَ رَجلٌ مِن شَجرةٍ ومَعهُ حَربةٌ فوكزَ الأتانَ ـ وهيَ الأنثى مِنَ الحَميرِ ـ وقالَ أسرعْ بمُرضِعَةِ سيِّدِ المُرسلينَ فسبقنَا القومَ ودخلنَا مكَّةَ فرآني عبدُ المُطلبِ فسألتُهُ عن رَضيعٍ، فقالَ عِندي غُلامٌ يَتيمٌ لَم يَبقَ امرَأةٌ إلَّا وقد عُرِضَ عَليها لكنْ لِعَدمِ سَعدِهَا تأباهُ إذا قِيلَ لهَا قد توفَّى اللهُ أباهُ، فقالتْ رَضيتُ بِجمالِهِ ولَيسَ لي رَغبةٌ في غَيرِ وِصالِهِ فقالَ مَا اسمُكِ؟ قُلتُ حَليمةُ السَّعديَّةُ. فقالَ مِنْ حِلمٍ وسَعدٍ فِيهمَا عِزُّ الأبدِ فأدخَلني إلى مَنزلِ آمنةَ فرَأيتهُ نَائماً فوضعتُ يَديَّ على صَدرهِ ففتحَ عَينيهِ فخرجَ منهمَا نُورٌ لَحِقَ بِعنانِ السَّماءِ ـ والعَنانُ بِفتحِ العَينِ هُوَ السَّحابُ ـ فنَاولتُهُ ثَديِي الأيمنَ فشربَ حتَّى رَويَ، ثُمَّ نَاولتُهُ الأيسَرَ فامتَنعَ وذلكَ مِن عَدلِهِ وإنصَافِهِ لأنَّهُ عَلِمَ أنَّ لهُ في اللَّبنِ شَريكاً فلمَّا أخذنَاهُ مِن أُمِّهِ قَالتْ:

أُعِيــــذُهُ بِــــاللهِ ذِي الـــجَـــلالِ ... مِـنْ شَـرِّ مَـا مَـرَّ عَـلـى الـجِـبَـالِ

حـتَّـى أرَاهُ كَـامِـلَ الـكَـلالـي(١) ... وَيَـفـعـلُ الـخَـيـرَ مـعَ الـمَـوَالـي

قالتْ: فخرجتْ أُمُّهُ وَودَّعتهُ ثُمَّ قالتْ حَليمةُ: لمَّا وَضعتُهُ بَينَ يَديَّ على الأتانِ استَقبلَ بِوجهِهِ الكَعبةَ، وسَجدَ ثلاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ مَرَّتِ الأتانُ كالجَوادِ، فقالتِ النِّساءُ: يَا حَليمةُ ألَيسَ هَذا أتانُكِ إنَّ لكَ لَشأناً عَجيباً قالتْ: فَسمعتُهُ

---

(١) أي كامل القوة. لسان العرب [١١/٥٩١ مادة: كلل].

يقول: أي والله يَا نِساءَ بَني سَعدٍ إنَّ لي شَاناً عجيباً أنتُنَّ في غَفلةٍ عنّي عل ظَهري رَاكبُ البُراقِ فَبينَمَا أنَا في أثناءِ الطَّريقِ وإذَا بأربَعينَ نَصرانياً يَتذاكرو مُحمّداً ومَعهُم سُيوفٌ فلمَّا نَظرَ إليهِ كَبيرهُم قالَ وَيحكُمْ هَذا هُوَ الغُلامُ فَانظرو فَهوَ المَطلوبُ فَقلتُ وَا مُحمَّداهُ فَفتحَ عَينيهِ ورَمَقَ بطرفِهِ إلى السَّماءِ، وإذَا بنا نَزلتْ مِنَ السَّماءِ فَأحرَقتهُم عَن آخِرهِم فَقالَ زَوجِي: إنَّ لِهذَا المَولودِ شَأ وسَوفَ يَعلو أمرُهُ فَلمَّا دَخلنَا حَيَّنا اخضرَّ الوَادِي عَلى كُلِّ حَاضرٍ وبَادي، وَأد اللهُ لنَا الضَّرعَ، وأنبتَ لنَا الزَّرعَ، وصَارَ مُحمَّدٌ ﷺ يَكبُرُ في اليَومِ كَالشَّهرِ وفي الشَّهرِ كَالسَّنةِ[1]، فَلمَّا بَلغَ عَامينِ، وقيلَ أكثرَ؛ قَدِمَت بِهِ حَليمةُ عَلَى أُمِّهِ زَائر وأخبَرتهَا بمَا رَأت مِن بَركاتِهِ فَقالت لهَا ارجِعي بِهِ فَإنّي أخَافُ عليهِ وبَاءَ مَكّ وفي السَّنةِ الثَّالثةِ وُلِدَ أبو بَكرٍ الصِّديقُ رضي الله عنه وفي الرَّابعةِ قالَ يَا أُمَّاهُ: مَالي لا أرَى إخوَتِي في الحَيِّ نَهاراً؟ قُلتُ: إنّهُم يَرعَونَ الأغنَامَ التِي رَزقنَا الل بِبَركتِكَ فَقالَ دَعِيني أخرُجْ مَعهُم إلى المَرعَى، وأقسَمَ عَليَّ فَلمَّا كَانَ مِنَ الغ تَحزَّمَ وأخذَ عَصاهُ ومِزوَدَهُ بِأغنَامِهِ. شعر:

سَارَ الحَبيبُ إلى المَرعَى ... فَيَا حُسنَ ذَا رَاعٍ قُلوبَ الوَرَى يَرعَ
فَمَا أحسَنَ الأغنَامَ وهُوَ يَسوقُهَا ... لقَد آنسَ الصَّحرا وقَد أوحَشَ الرِّبا
جَميلٌ عَلَى مَعنَى مَحاسِنِ وَجهِهِ ... كَأنَّ بُدورَ التِّمِ قَد طُبِعَت طَبعً
أقُولُ لهُ مُذ سارَ في البرِّ مَاشياً ... وأغنَامُهُ مِن حَولِهِ تَطلبُ المَرعَ
عُيونُكَ يَا راعي الحِمَى فَتكت بِنَا ... فَقومٌ بهَا قَتلَى وقَومٌ بهَا صَرعَ
وحُزتَ جَمالاً حَيَّرَ الخَلقَ وَصفُهُ ... وسِرّاً خَفياً أنبتَ العُشبَ والمَرعَ
فَلولاكَ يَا رَاعي الحِمَا مَا تَشوَّقَت ... قُلوبٌ إلى وَادِي العَقيقِ ولا الجَرعَا

(١) انظر سمط النجوم العوالي [١/ ٣٠٧].

حَبِيبِي طَبِيبِي أَنْتَ رَاعِي قُلُوبِنَا   فَلَوْلَاكَ يَا مُخْتَارُ مَا ذُكِرَ الْمَسْعَى

قَالَتْ حَلِيمَةُ ﷺ: وغابَ رَسولُ اللهِ ﷺ يَومهُ ذَلِكَ فَلمَّا قَرُبَ المَساء خرجنَا لمُلاقاتِهِ عَلى طَريقِ المَرعَى، فَإذا بِهِ قَد أقبلَ والأنوارُ تَسبقهُ، والأغنامُ تلوذُ بهِ، وكانَ في الغَنمِ شاةٌ رَماهَا أخوهُ حَمزةُ بِحَجرٍ فَكسرَ سَاقهَا فَجعلَت تلوذُ بِهِ كَالشَّاكيةِ فَقبضَ بِيدِهِ الكَرِيمةِ عَليهَا، فكَأنَّ الوَجعَ لَم يَكن ثُمَّ قَالت لِوَلدِهَا كَيفَ وجَدتَ أخاكَ القُرشيّ؟ قالَ: «يَا أُمَّاهُ مَا مرَّ بِحجرٍ ولا مدرٍ ولا شجرٍ ولا سهلٍ ولا جبلٍ ولا وحشٍ ولا طيرٍ إلَّا ويقولُ السَّلامُ عَليكَ يَا رسولَ اللهِ ولا يطأُ مَوضعاً إلَّا ونَبتَ العُشبُ فيهِ» قالَ ابنُ أبي جَمرة[1] في شَرحِ البُخاريّ حتَّى مَوضعَ دَابتِهِ التي يَركبُهَا يخضرُّ في الحَالِ، وإذَا استَقينَا مِن بِئرٍ فارَ الماءُ مِن أعلاهُ ولقَد دَخلنَا وادِي الوَحشِ فإذَا نَحنُ بِسبُعٍ عَظيمٍ قَد جَمعَ نَفسهُ لِيَثِبَ علينَا فَلمَّا نَظرَ إلى أخِينَا مُحمَّدٍ خضعَ لهُ ورَمَى نَفسهُ عَلى الأرضِ وتَكلَّمَ بِكلامٍ فَصيحٍ وقالَ: السَّلامُ عَليكَ يَا مُحمَّدُ، فَتقدَّمَ إليهِ وكَلَّمهُ في أذنِهِ فَلعبَ الأسدُ يَعدو فَقالَت: يَا بُنيَّ أكتُم هَذا عَن أهلِكَ، ثُمَّ عَطفتِ الأغنامُ عَليهِ تَشخُبُ لبناً كَالعَرايسِ، وكانَ محمَّدٌ ﷺ يَخرجُ معَ إخوتهِ كعَادتهِ فَمَا يَرجعونَ إلَّا وقَد رَأوا لهُ مُعجزَاتٍ بَاهِراتٍ بَيِّناتٍ، ثُمَّ في بَعضِ الأيَّامِ جَاءَ أخوهُ يَشتدُّ عَدواً وقالَ: «يَا أُمَّاه قَد قُتلَ أخِي القُرشِي فَخرَجَ القَومُ وأنَا في أوَّلِهِم فَوجدنَاهُ عَلى صَخرةٍ يَبتسمُ» فَقلتُ مَا شَأنكَ يَا بُنيَّ؟ «قالَ جَاءني ثَلاثةُ نَفرٍ فَشقُّوا صَدرِي وأخرجوا قَلبي وغَسلوهُ في طَستٍ مِن ذَهبٍ ومَلؤوهُ حِكمةً وأخرجُوا مِنهُ حظَّ الشَّيطانِ وخَتموا بَينَ كَتفيَّ بِخاتَمِ النُّبوَّةِ». وقالَ العَلامَيُّ

---

(١) هو العارف بالله القدوة عبد الله بن سعد بن أبي جمرة بالجيم الأندلسي توفي سنة [٦٧٥هـ]. انظر الحطة في ذكر الصحاح الستة [١/ ١٩٠].

مكتوبٌ في بَطنِ الخَاتمِ اللهُ وحدهُ لا شريكَ لهُ، وفي ظَاهرهِ توجّه حيثُ شئتَ فإنّكَ منصورٌ، وهُو لحمٌ مِثلُ البُندقَةِ. وفي صَحيحِ مُسلمٍ كبيضةِ الحَمامةِ وفي «جَامعِ التِّرمذيِّ» كالتُّفاحةِ قَالت عَائشةُ كالثّنيةِ الصّغيرةِ فلمّا مَاتَ ﷺ لمستُهُ فلم أجِدهُ.

قالَ السُّبكيُّ[1] خلقَ اللهُ في قُلوبِ البَشرِ عَلقةً قابلةً لما يُلقيهِ الشَّيطانُ فأزيلَت مِن قَلبِ النَّبيِّ ﷺ. قالَت حَليمةُ: فَاحتَملنَا وقَدمنَا بِهِ عَلى أمّهِ في السّنةِ الخَامسةِ فَقالت مَا أقدَمكِ بِهِ وقَد كُنتِ حَريصةً عَلى مُكثهِ عِندكِ؟ فَقالَت: أتيتُ جِدمتهُ وكَتمتُ قِصّتهُ، فَقالَت: أتخوّفتِ عليهِ الشّيطانَ قالت: نَعم فَقالَت: كلّا واللهِ مَا للشَّيطانِ عليهِ مِن سَبيلٍ دَعيهِ عنكِ وانطَلقِي رَاشدةً فَخرجَت حَليمةُ ولِسانُ حَالهَا يَقولُ:

دَعوني عَلى الأحبَابِ أبكي وأندبُ ... فَفي القَلبِ مِن نَارِ الفِراقِ تَلهُّبُ
ولا تَعتبُوا إنْ جَرتْ ادمُعي دماً ... فَليسَ لِصبٍّ فَارقَ الإلفَ مَعتبُ
لقَد جَرحَ التّفريقُ قَلبي بِنَبلِهِ ... فَمنْ دَمهَا دَمعي عَلى الخَدِّ يُسكبُ
أحبَابُنَا مَا بِاختيَارِي فِراقكُم ... ولكِن قَضاءُ اللهِ مَا مِنهُ مَهربُ
ومَا كانَ ظَنّيَ أنْ يُفرّقَ الدّهرُ بَيننَا ... وسُرعةُ هَذا البَينِ مَا كُنتُ أحسبُ
أجولُ بِطرفِي بَعدكُم في دِيَاركُم ... فَأرجعُ والنّيرانُ في القَلبِ تَلهبُ

ثُمّ جَاءتهُ حَليمةُ ﷺ بَعدَ النُّبوّةِ فَأكرمَهَا، ثُمّ في خِلافةِ أبي بَكرٍ وعُمرَ ﷺ فَأكرمَاهَا قالهُ في «الشّفاءِ»[2]. وفي السّتُّ سِنينَ مِن عُمرهِ ﷺ مَاتتْ أمّهُ

---

(١) هو عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف الأنصاري الخزرجي السبكي المصري أنقى القضاة زين الدين أبو محمد والد الشيخ تقي الدين. توفي في رجب سنة [٧٣٥هـ] طبقات الشافعية [٢/ ٢٦٥ رقم ٥٤٥].

(٢) كتاب الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض. انظر اكتفاء القنوع [١/ ١٣٣٠].

لَبِثَ بَيْنَ مَكَّةَ والمَدينةِ ودُفِنَتْ بِمكَّةَ وفي ثَمانِ سِنينَ ماتَ جَدُّهُ عَبدُ المُطَّلِبِ، وفي اثني عَشرَ رَآهُ بَحيرا الرَّاهِبُ لمَّا خَرجَ مع عَمِّهِ أبي طَالبٍ إلى الشَّامِ، وفي خمسٍ وعشرينَ خَرجَ في تِجارةِ خَديجةَ إلى الشَّامِ وتَزوَّجَ بِهَا ﷺ، وفي الأربَعينَ أرسَلهُ اللهُ تعالَى رَحمةً للعَالمينَ، وأطلعَ في أُفقِ السَّعادةِ نَجمهُ، وشَرحَ بالرِّسالةِ صَدرهُ ورَفعَ في الشَّهادتينِ ذِكرهُ ورَفعهُ إلى المَحلِّ الأسنَى فكانَ قَابَ قَوسينِ أو أدنى، وكانَ ﷺ عَظيمَ الهَامةِ[1] مُعتدلَ القَامةِ[2] طَيّبَ الرِّيحِ والاسمِ نَظيفَ البَدنِ والجِسمِ أطيبَ رِيحاً مِنَ العَنبرِ وألذُّ مِنَ المِسكِ الأذفرِ، يَرى الشَّياطينَ والمَلائكةَ ويَرى في النُّورِ كمَا يَرى في الظُّلمةِ الحَالكةِ. جَوامعُ كَلمهِ مَأثورةٌ وبَدايعُ حِكمهِ مَشهورةٌ، عُيونُ مَعانيهِ مُنسجمةٌ ودررُ ألفاظهِ مُنتظمةٌ. أنزلَ اللهُ تَعالى القُرآنَ بِلسانهِ تَعظيماً لأمرِهِ وشَأنهِ، يَصلُ مَنْ قَطعهُ ويُعطِي مَنْ مَنعهُ، ويَبذلُ لِمن حَرمهُ ويَعفُو عَمَّنْ ظَلمهُ، لا يَنتقمُ معَ القُدرةِ ويَصبرُ عَلى مَا يَكرهُ، أوضحَ اللهُ لهُ الطَّريقَ وأطلعهُ عَلى الحَقائقِ، وأودَعهُ الأسرارَ المَكنونةَ وأطلعهُ عَلى الغَرايبِ المَخزونةِ، وأشهَدهُ عَجايبَ سُلطانهِ ومَلكوتهِ وأفردهُ بِالنَّظرِ إلى عَظمةِ كِبريائه وجَبروتهِ، وشَملَهُ بِالطَّافهِ الخَفيَّةِ وأدناهُ دُنواً تَنقطعُ عنهُ الكَيفيَّةُ[3]، ومهَّد لهُ بِساطَ التلطُّف والتَّأنيس، وأعلاهُ عَلى المقرَّبين مِن أهلِ التَّسبيحِ التَّقديس.

محمدٌ صاحبُ الفتحِ المبينِ نعم وكم له نبأٌ في نونٍ والقلم[4]

خيرُ النَّبيِّينَ تَاليهِم وسَابِقُهُم مَنْ جَاءَ بِالصِّدقِ والمُوفي بِعهدِهِم

---

(١) الهامة أعلى الرأس وفيه الناصية والقصة وهما ما أقبل على الجبهة من شعر الرأس وفيه المفرق وهو فرق الرأس بين الجبينين إلى الدائرة. لسان العرب [١٢/ ٦٢٤ مادة: هوم].

(٢) أي ليس بالطويل البائن ولا بالقصير.

(٣) أي دُنُو يليق بجلالة المولى سبحانه وتعالى.

(٤) أي أوصافه الجليلة التي وصَفه بها رب العزة في سورة [نون والقلم وما يسطرون].

حَبيبُ رَبِّ العُلَى مِفتاحُ رَحمتِهِ ... رَسولُهُ المُجتَبى ذو الجُودِ والكرمِ

مَنْ خاطبَ القمرَ البَاهي(١) فَشُقَّ لهُ ... ويَومَ بَدرٍ بِأملاكِ السَّماءِ حُمِي

ولا يُرى ظِلُّهُ إذَا مَشى ولهُ ... ظِلُّ الغَمامِ إذا حَرُّ الوَطيسِ حَمِي

مَن ذَا الَّذي كانَ إنْ نَامت نَواظرُهُ ... [فقلبه الطاهر الأوصافِ لم ينمِ](٢)

مَن ذا الَّذي سَبَّحتْ في وَسطِ راحتِهِ ... صُمُّ الحَصاةِ وأهلُ الشِّركِ في صَمَمِ(٣)

سِوى مُحمَّدٍ المُختارِ مِن مُضرٍ ... [الطاهر الشيم ابن الطاهر الشيمِ](٤)

سَقياً لِروضتِهِ كَم قَد حَوت شَرفاً ... أدناه مِن حلها يُشفى من السَّقمِ

مَا خابَ مَن جَاهُكَ العَالي وسِيلتُهُ ... لأنَّ فَضلَكَ فَضلٌ غَيرُ مُنصرِمِ

لكَ الوَسيلةُ في القُرآنِ قَد ثَبتَتْ ... فَكيفَ يُنكرُهَا قَومٌ بِجَهلِهِمِ

اللهُ قالَ ولو جَاؤكَ إذ ظَلمُوا ... واستَغفروا وجَدوا الرَّحمنَ ذَا كرمِ

وَاعلَم أنَّ القِيامَ عِندَ وِلادتِهِ ﷺ لا إنكارَ فيهِ؛ فَإنَّهُ مِنَ البِدعِ المُستَحبةِ، وقد أفتَى جَماعةٌ بِاستِحبابِ القِيامِ لهُ عِندَ وِلادتِهِ، وقالَ جَماعةٌ بِوجوبِ الصَّلاةِ عليهِ عِندَ ذِكرِهِ؛ لأنَّهُ مِنَ الإكرَامِ والتَّعظيمِ لهُ ﷺ، وإكرَامهُ وتعظِيمهُ واجبٌ علَى كُلِّ مُؤمنٍ، ولا شَكَّ أنَّ القِيامَ عِندَ وِلادتِهِ مِن بابِ التَّعظيمِ والإكرامِ قَالت أمُّهُ: مَا شَعرتُ أنّي حَملتُ بِوليدي مُحمَّدٍ؛ لأنّي مَا وَجدتُ لهُ وَحماً ولا ثِقلاً كَمَا تجدُ الحَوامِلُ، ولَكِنِ أنكرتُ انقطَاعَ حَيضتِي، ولقَد رَأيتُ وأنَا حَاملٌ بِهِ نُوراً أضاءَ لهُ المَشرِقُ والمَغرِبُ حتَّى رَأيتُ قُصورَ بُصرى مِن أرضِ الشَّامِ(٥)، وفي الشَّهرِ

---

(١) إشارة إلى معجزة شق القمر.

(٢) مابين قوسين ساقط من المخطوط.

(٣) إشارة إلى تسبيح الحصا في كفه ﷺ.

(٤) مابين قوسين ساقط من المخطوط.

(٥) انظر المستدرك على الصحيحين [٢/ ٧٠٥/ رقم٤٢٣٤] كتاب تواريخ المتقدمين من

الأولِ رأيتُ رَجلاً طَويلاً فقالَ: أبشري فَقد حملتِ بِسيِّدِ المُرسلينَ. فَقلتُ: مَن أنتَ؟ قالَ أبوهُ آدم، وفي الشَّهرِ الثَّاني قالَ: أبشري فَقد حملتِ بِسيِّدِ الأوَّلينَ والآخرينَ. فَقلتُ لهُ: مَن أنتَ؟ قالَ: شيثُ. وفي الثَّالثِ قالَ: أبشري فَقد حملتِ بِالنَّبيِّ الكَريمِ. فَقلتُ: مَن أنتَ؟ قالَ نُوحُ. وفي الرَّابعِ قالَ: أبشري فَقد حملتِ بِالسيِّدِ الشَّريفِ والنَّبيِّ العَفيفِ. فَقلتُ: مَن أنتَ؟ قالَ: إدريسُ، وفي الخامسِ قالَ: أبشري فَقد حَملتِ بسيدِ البَشرِ. فقلتُ: مَن أنتَ؟ قالَ هُودٌ. وفي السَّادسِ قالَ: أبشري فَقد حَملتِ بالنَّبيِّ الهَاشميِّ. فَقلتُ مَن أنتَ؟ قالَ إبراهيمُ. وفي السَّابعِ قالَ: أبشري فَقد حَملتِ بِحبيبِ رَبِّ العَالمينَ. فَقلتُ: مَن أنتَ؟ قالَ إسماعيلُ. وفيهِ انشَقَّ إيوانُ كِسرى، وسَقطَ منهُ أربعَ عشرَ شُرَّافَةً، وأخبرَني مَن أثقُ بهِ إلى الآنَ بِبغدادٍ، وفي الثَّامنِ قالَ: أبشري بِخاتَمِ النَّبيِّينَ. فَقلتُ: مَن أنتَ؟ قالَ مُوسَى. وفيهِ خَمدَت نِيرانُ فَارسَ. وفي التَّاسعِ قالَ: أبشري فَقد حَملتِ بِمُحمَّدٍ. قلتُ مَن أنتَ؟ قالَ: عِيسى وفيهِ سقطَ التَّاجُ عَن رَأسِ كِسرى. وقيلَ في الرَّابعِ ماتَ أبوهُ عَبدُ اللهِ ودُفنَ في المَدينةِ المُشرَّفةِ وهُو ابنُ خمسٍ وعِشرينَ سنةً، وخلَّفَ خمسَ أبعرةٍ وقِطعةً مِنَ الغَنمِ وجَاريةً هِيَ أمُّ أيمنَ واسمُهَا بَركَةُ ﵂، فَحضنَتِ النَّبيَّ ﷺ، فَلمَّا مَاتَ عَبدُ اللهِ قالتِ المَلائكةُ رَبَّنا بَقيَ نَبيُّكَ يَتيماً فَقالَ اللهُ تَعالَى: أنا وليُّهُ وحَافظُهُ. قالَت: آمِنةُ فَلمَّا كَانتِ لَيلةُ الوِلادةِ أي وهِيَ لَيلةُ الاثنينِ معَ طُلوعِ الفَجرِ وقيلَ لَيلةُ الجُمعةِ[1] رأيتُ جَماعةً قَد نَزلوا مِنَ

= الأنبياء والمرسلين وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة [١/ ٨٠] باب ذكر مولد المصطفى ﷺ، والآيات التي ظهرت عند ولادته وقبلها وبعدها، والإمام أحمد في مسنده [٤/ ١٢٧]، ولسان الميزان [٤/ ٣٥٤]، ومسند الشاميين [٣/ ١٣٣].

(١) الحديث: عن أبي قَتادَةَ الأنصارِيِّ ﵁ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عن صَوْمِ الإثنين فقال فيه وُلِدْتُ وَفِيهِ أُنْزِلَ عَلَيَّ. صحيح مسلم [٢/ ٨٢٠ رقم١١٦٢]. وصحيح ابن خزيمة [٣/ ٢٩٨ رقم ٢١١٧]. وسنن أبي داوود [٢/ ٣٢٢ رقم ٢٤٢٦]. وغيرهم.

السَّماءِ مَعهُم ثَلاثةُ أعلامٍ بِيضٌ فَرَكزوا عَلماً عَلى ظَهرِ الكَعبةِ وعَلماً عَلى سَطحِ دَارِي وعَلمًا عَلى بَيتِ المَقدسِ، ودنَت مِنّي النُّجومُ حتّى أنّي أقولُ لَيقعنَّ عليّ، وامتَلأتِ الدُّنيا نُوراً وفُتحَت أبوابُ السَّماءِ وعَكفَ علَى مَنزلي طُيورٌ كَثيرةٌ مَناقيرُهَا مِنَ الزَّبرجدِ وأجنِحتُهَا مِنَ اليَاقوتِ، ورأيتُ الدِّيباجَ قَد بُسِطَ بَينَ السَّماءِ والأرضِ ورأيتُ رِجالاً في الهَوَى بِأيديهِم أبَاريقُ الفِضَّةِ بِسلاسِلِ الذَّهبِ، وكُنتُ عَطشَانةً فَشربتُ مِن أحدِهَا، فَبينمَا أنَا أفكِرُ في أمرِي وقَد ضَاقَ مِنَ الوَحدةِ صَدرِي، إذ دَخلَ جَماعةٌ مِنَ النِّساءِ لَم أرَ أحسَنَ مِنهنَّ مَعهنَّ آسيةُ امرأةُ فِرعونَ وكَانتِ القَابلةَ ـ لكِن في «الشِّفَا» عَنِ الشِّفَاءِ[1] أمِّ عَبدِ الرَّحمنِ بنِ عَوفٍ ﷺ قَالت لمَاّ سَقطَ مُحمَّدٌ علَى يَدَيَّ مِن بَطنِ أمِّهِ واستَهلَّ سَمعتُ قائلاً يقولُ: رَحِمَكَ رَبُّكَ[2] ـ وأضَاءَ لي مَا بَينَ المَشرقِ والمَغربِ ثُمَّ اشتَدَّ بيَ الطَّلقُ فَرأيتُ طَائِراً عَظيمَ الخِلقةِ حَسنَ الهَيئةِ فَمسحَ بِجناحِهِ علَى بَطنِي فَوضعتُ مُحمَّداً ﷺ.

انتهى مولد الشيخ عقيل افندي الزويتيني



(١) الشفاء بنت عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة قال الزبير هي أم عبد الرحمن بن عوف، ماتت في حياة النبي ﷺ فقال عبد الرحمن يا رسول الله أعتق عن أمي قال نعم فأعتق عنها. انظر الاصابة في معرفة الصحابة [٧/ ٧٢٩].

(٢) وعن عبد الرحمن بن عوف ﷺ عن أمه الشفاء أي بكسر الشين المعجمة وتخفيف الفاء، وقيل بفتحها وتشديد الفاء مقصورا قالت لما ولدت آمنة رسول الله ﷺ وقع على يدي أي فهي دايته ﷺ ووقع في كلام ابن دحية أن أم أيمن دايته ﷺ. انظر السيرة الحلبية [١/ ١٠٣].

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنار حنادس الظلام بأنوار نور درة عقد الأنبياء الكرام، وشرف هذا الوجود بوجود مولود حاز الرسالة أفضل ختام، ورفع قدر هذه الأمة المحمدية بأن بعث فيهم رسولاً من أنفسهم فصدع بما أمر به واستقام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أنجو بها يوم الزحام، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله نبي أتى بخوارق المعجزات وخوارق الأحكام، ورضي الله تبارك وتعالى عن ساداتنا وأئمتنا سيدنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن بقية الآل والصحابة الكرام، اللهم صل وسلم وشرف وعظم وبارك على سيدنا ومولانا وذخرنا وملاذنا وحبيبنا وقرة أعيننا محمد سيد الأولين والآخرين وسلم تسليماً كثيراً يا ذا الجلال والإكرام أما بعد

فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز وأعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾ قال بعض المحققين من أرباب القلوب من أهل التفسير هذا التشريف الذي شرف الله تعالى به نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بقوله إن الله

هذا مولد النبي الكريم ﷺ
لشيخنا الشيخ الحَلَوِيّ
رحمه الله تعالى الشيخ أحمد الحَلَوي

اسمه ونسبه ولقبه: هو أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن زين الدي
الشهير بـ(الحَلَوي) - بفتح الحاء المهملة واللام نسبه إلى المدرسة الحلو
المعروفة بحلب، وكل من أقام الذكر نسب إليها ومنهم المترجم - الـ
الشَّريف، القادري، الحموي الأصل، الحلبي المولد والمنشأ، الحنفي، أ
الفتوح، نجيب الدين.

مولده ونشأته: ولد الحَلَوي بحلب يوم عاشوراء سنة سبع وعشرين وما
وألف (١١٢٧هـ)، ونشأ بها في حِجر أبيه، وقرأ العلوم والفنون على الشي
عبد اللطيف المكتبي الحلبي، والشيخ عبد الغني، والشيخ حسن بن علـ
الحموي، والوجيه عبد الرحمن بن مصطفى البكفالوني وغيرهم.

ما قيل عنه: وصفه المرادي في (سلك الدرر) بـ (الشيخ العالم الأديـ
القدوة المتفوق الأريب البارع).

مصنَّفاته: ألف المؤلفات النافعة؛ منها: (مطالب السَّعادات في الصَّلا
والسَّلام على سيِّد السادات)، و(التوضيح والتبيان في أحكام سجدات التلاو
وتعظيم القرآن) و(سعادة الدارين في بر الوالدين)، و(الفوائد البهية في مو

خير البرية)، و(المعاطر الأنسية في الفضائل القدسية)، و(منظومة في شفاعة النبي ﷺ)، و(منظومة في الخصال الموجبة للضلال). وغيرها .

وفاته: توفي في حلب الشهباء في ليلة الخامس والعشرين من جمادى الثانية سنة خمس وتسعين ومائة وألف (١١٩٥هـ).

من مصادر ترجمته:

- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر للمرادي [١/ ١٦٧].
- الأعلام للزركلي [١/ ٢٤٤].
- معجم المؤلفين لكحالة [٢/ ١٣٤].

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي أنارَ حَنَادِسَ الظَّلام[١] بإبراز نور درَّة عِقْدِ الأنبياء الكرام[٢]، وشرَّف هذا الوجودَ بوجود مولود، جاء للرسالة أفضلَ خِتَام، ورفع قدرَ هذه الأمةِ المحمديةِ بأن بعث فيهم رسولاً من أنفسهم[٣]، فَصَدَعَ بما أُمِرَ به[٤] واستقام[٥]، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً أنجو بها يومَ الزِّحامِ، وأشهد أن سيِّدنا محمداً عبده ورسوله، نبيٌّ أتى بخوارق المعجزاتِ، وشوارقِ الأحكام، ورضي الله تبارك وتعالى عن سادتنا، وأئمَّةِ ديننا أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعلي، وعن بقية الآل والصحابةِ الكرام، اللَّهم صلِّ وسلِّم

---

(١) الحِنْدِسُ: الظُّلْمَة، وفي الصحاح الليل الشديد الظلمة، والحَنَادِسُ ثلاث ليالٍ من الشهرْ لظلمتهنّ، انظر: أساس البلاغة للزمخشري، [١/ ١٧٤ مادة: حلس]، لسان العرب، [٣/ ٣٥٦ مادة: حندس].

(٢) أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ مَثَلي ومَثَل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلَّا موضع لبنة من زاوية، فجعل النَّاس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلَّا وضعت هذه اللبنة، قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين».[٢/ ٥١٣/ رقم ٣٥٣٤ كتاب المناقب]. وعند مسلم في صحيحه، [رقم (٢٢٨٦)، ٢/ ١٠٨٥/ رقم٢٢٨٦ باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين].

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨].

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٩٤﴾ [الحجر: ٩٤]. قال ابن عباس: أَظْهِرْه، ويروى عنه: أمضه، وقال الضحاك: أَعْلِم، وقال الأخفش: افْرُقْ، أي: افرق بالقرآن بين الحق والباطل، وقال سيبويه: اقض بما تؤمر، وأصل الصَّدْع: الفصل، والفرق: أمر النبي ﷺ في هذه الآية بإظهار الدعوة. انظر: معالم التنزيل، للبغوي [٤/ ٣٩٥].

(٥) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢].

وشرِّف وعظِّم وبارك على سيّدنا ومولانا وذُخرنا وملاذنا وحبيبنا وقرّة أعيننا محمَّد، سيّد الأولين والآخرين، وسلِّم تسليماً كثيراً يا ذا الجلال والإكرام.

أما بعد، فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: أعوذ بالله من الشيطان الرَّجيم، بسم الله الرَّحمن الرَّحيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦].

قال بعض المحقِّقين من أرباب القلوب من أهل التفسير[١]: هذا التشريف الذي شرَّف الله تعالى به نبيّه محمَّداً ﷺ بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]، أتمّ وأجمع من تشريف آدم ﷺ بأمر الملائكة بالسجود له[٢]؛ لأنه لا يجوزُ أن يكونَ الله عزَّ وجل مع الملائكة في هذا التشريف، فتشريفٌ يصدر عنه أبلغ من تشريفٍ تختصُّ به الملائكةُ.

وقال الإمام أبو اللَّيث السَّمرقندي رحمه الله تعالى[٣]: (إذا أردت أن تعرف أنَّ الصلاة على النبي ﷺ أفضلُ من سائر العباداتِ، فانظر هذه الآية، فأمَرُ الله تعالى عبادَه بسائر العبادات وصلَّى عليه أوّلاً بنفسه، وأمَرَ الملائكة بالصَّلاة عليه، ثمَّ أمر المؤمنين بأنْ يصلُّوا عليه)[٤]. انتهى.

---

(١) رواه الواحدي عن أبي عثمان الواعظ سماعاً، قال: سمعت الإمام سهل بن محمَّد بن سليمان. انظر: القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، للسخاوي، [ص٤٠].

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٣٤﴾ [البقرة: ٣٤].

(٣) هو أبو الليث، نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي توفي سنة [٣٧٥هـ]، انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء [١٦/ ٣٢٢]، الجواهر المضيَّة في طبقات الحنفية [٣/ ٥٤٤]، هدية العارفين [٢/ ٤٩٠].

(٤) وذكر هذا المعنى في تفسيره (بحر العلوم)، بقوله: (ويقال: ليس شيء من العبادات أفضل

وفي تقديم الإعلام بصلاته تعالى هو وملائكته على أمر المؤمنين بالصلاة عليه، إشارةٌ إلى الاقتداء والتخلّق، أي: إذا كان ربُّكم سبحانه يصلّي عليه، فتخلّقوا أنتم بذلك، فصلُّوا عليه، فلا شكَّ ولا ريبَ أنَّ الصَّلاة على النَّبيّ المختار من أفضل أعمال الأبرار، ومن أسباب الفوز بدار القرارِ، والنَّجاة من النَّار، ولها فوائد لا تُحصى وعوائد لا تُستقصى؛ فمن فوائدها ما نصَّ عليه أئمة الدِّين وجهابذة المسلمين[1]:

أنها تقومُ مقامَ الشيخ المرشِد لمن فَقَدَ المرشِدَ في عصره، وأنها تفرِّج الهموم[2]، وتزيل الغُمومَ، وتكشف الكُروبَ، وتقضي الحوائج[3]، وتوسِّع

= من الصلاة على النبي ﷺ، لأن سائر العبادات أمر الله تعالى بها عباده. وأما الصلاة على النبي ﷺ فقد صلى عليه أولاً هو بنفسه، وأمر الملائكة بذلك، ثم أمر العباد بذلك). انظر: تفسير بحر العلوم [٣/ ٦٩].

(١) منهم: أحمد بن فارس اللغوي، المتوفى سنة (٣٩٥هـ)، في كتابه: (فضل الصلاة على النبي ﷺ)، وابن قيم الجوزية، المتوفى سنة (٧٥١هـ)، في كتابه: (جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسَّلام على خير الأنام)، وشمس الدين السخاوي، المتوفى سنة (٩٠٢هـ)، في كتابه: (القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع)، وأبو العبَّاس القسطلاني، المتوفى سنة (٩٢٣هـ)، في كتابه: (مسالك الحنفا إلى مشارع الصلاة على النبي مصطفى ﷺ)، وابن حجر الهيتمي المتوفى سنة (٩٧٤هـ)، في كتابه: (الدر المنضود في الصلاة على صاحب اللواء المعقود). وغيرهم. انظر على الترتيب: كشف الظنون لحاجي خليفة [٢/ ١٢٧٩ ـ ١٣٧٢ ـ ١٦٦٢ ـ ١/ ٥٩٢]. وهدية العارفين للباباني [١/ ١٤٦].

(٢) فقد قال رجل للرسول ﷺ: (أرأيت إن جعلت صلاتي كلها عليك؟ قال: «إذاً يكفيك الله تبارك وتعالى ما أهمَّك من دنياك وآخرتك» رواه الإمام أحمد في مسنده [٣٥/ ١٦٦/ رقم٢١٢٤٢].

(٣) للحديث: «من صلَّى عليَّ كل يوم مئة مرَّة قضى الله له مئة حاجة، سبعين منها لآخرته وثلاثين منها لدنياه». رواه الحافظ ابن منده، في الفوائد، باب فضل الصلاة على النبي ﷺ، عن أنس بن مالك ﷺ. [١/ ٨٢].

الرزقَ، وتنوِّر الوجه، وتشرح الصدرَ، وتؤنِسُ في القبر[(١)]، وتهوِّن العسير، وتَجْبُرُ الكسيرَ، وتجيز على الصراط[(٢)]، وتدفع الإصر، وتشفي الأسقام، وتذهب الآلامَ، وتسهِّل الصَّعب، وتقرِّب إلى الرَّب، وتدفع الشَّدائدَ، وتوصل إلى المقاصدِ.

وقال بعضُ المحقِّقين: لو قيل للعاقل: أيُّما أحبُّ إليك أن تكونَ جميع أعمالِ الخلائق في صحيفتك، أو صلاةٌ من الله عليك؟ لَمَا اختار غيرَ الصلاة من الله ﷻ، فما ظنُّك بمن يصلِّي عليه ربُّنا ﷻ، وعلا بكل صلاة صلَّاها على النبي ﷺ عشر صلوات، فكيف يُحسن بالمؤمن أن لا يُكثر من الصَّلاة والسَّلام عليه، أو أن يغفُل عنها، وقد جاء عنه ﷺ: «من صلَّى عليَّ مرة واحدةً صلَّى الله عليه عشراً»[(٣)].

وقال أبو عبد الله السَّكَّاك[(٤)]: (اعلمْ أنَّ الصَّلاة من الله تعالى رحمةٌ

---

(١) عن عائشة ﵂ قالت: قال رسول ﷺ: «ما من عبدٍ صلَّى عليَّ صلاةً إلَّا عرج بها ملك حتَّى يجيَّ بها وجه الرحمن ﷻ، فيقول ربنا تبارك وتعالى: اذهبوا بها إلى قبر عبدي تستغفر لقائلها، وتقرُّ بها عينُه». انظر القول البديع، [ص ١٧٤].

(٢) عن عبد الرحمن بن سمرة ﵁ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، فقال: «إنِّي رأيت البارحة عجباً، رأيت رجلاً من أمَّتي يزحف على الصراط مرَّةً ويحبوا مرَّةً، ويتعلَّق مرَّةً، فجاءته صلاته عليَّ، فأخذت بيده، فأقامته على الصِّراط حتى أجازته». انظر القول البديع [ص١٨٣].

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثمَّ صلُّوا عليَّ، فإنَّه من صلَّى عليَّ صلاة صلَّى الله عليه بها عشراً...»، كتاب الصلاة، باب القول مثل ما يقول المؤذن لمن سمعه، ثمَّ يصلِّي على النبي ﷺ، ثم يسأل له الوسيلة. [١/ ١٨٠، رقم ٣٨٤].

(٤) هو محمَّد بن أبي غالب بن أحمد المكناسي، أبو عبد الله، المعروف بابن السَّكَّاك، توفي بفاس، سنة [٨١٨هـ]. انظر ترجمته في: معجم المؤلفين، لكحالة [٣/ ٥٧٦ ـ ٥٧٧]، الأعلام، للزركلي [٦/ ٣٢٤].

ومَنْ رَحِمَهُ الله تعالى رحمةً واحدةً، فهي خيرٌ له من الدنيا وما فيها، فما الظنُّ بعشر رحماتٍ، كم يدفع الله تعالى بها من البلايا والمحن، ويستجلب ببركاتها من المنن). وقال الشيخ ابنُ عطاء الله[١]: (من صلَّى عليه صلاةً واحدةً كفاه الله تعالى همَّ الدنيا والآخرة، فكيف بمن يصلي عليه عشراً). وقال ابنُ شافع ﷺ[٢]: (انبسط جاهُه ﷺ حتَّى بلغ المصلَّى عليه لهذا الأمر العظيم، وإلَّا فمَتَى كان يحصل لك أن يصلِّيَ الله عليك، فلو عملت في عمرك كلَّ طاعة، ثم صلَّى الله تعالى عليك صلاةً واحدة، رجحتْ تلك الصَّلاةُ الواحدة كلَّ طاعة ممَّا عملت في عمرك كلِّه من جميع الطاعات، فكيف إذا صلَّى الله تعالى عليك عشراً بكلِّ واحدةٍ). ومن فوائد الصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّد خير الأنام، أنها من الطَّاعات التي لا يدخُلها الرِّياء، وفوائدُ الصَّلاة على النبي ﷺ كثيرةٌ جليلة ﷺ[٣].

وأما مولده الشَّريف، وقراءتُه، وخواصُّه، وفرحُ أهل السنة به، وسرورُهم بذلك، واجتماعُهم له، وقيامُهم عند ذكرِ اسمهِ الشَّريف، وما قيل في ذلك؛

---

(١) ابن عطاء الله: هو أحمد بن محمد بن عبد الكريم، أبو الفضل، تاج الدين، المعروف بـ(ابن عطاء الإسكندراني)، توفي بمصر سنة [٧٠٩ هـ]. انظر ترجمته في: العبر للذهبي، [٤/ ٢١]، الوافي بالوفيات، للصفدي [٨/ ٣٨ - ٣٩]، شذرات الذهب، لابن العماد [٨/ ٣٦ - ٣٩].

(٢) هو الإمام العلَّامة الحافظ المفيد، محدِّث بغداد، أبو الفضل، أحمد بن صالح بن شافع بن صالح بن حاتم، الجليلي، ثم البغدادي توفي سنة [٥٦٥هـ]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء، للذهبي [٢٠/ ٥٧٢ - ٥٧٣]، شذرات الذهب، لابن العماد [٦ - ٣٥٦ - ٣٥٧].

(٣) انظر: جلاء الأفهام، لابن قيم [ص٢٧٣ وما بعدها]، والقول البديع، للسخاوي [ص١٥١ وما بعدها].

فقد قال الإمام شيخُ أهلِ السنَّةِ، وفخرُ هذه الأمَّةِ النّورُ علي الحلبي[(١)] صاحبُ السيرةِ النبوية[(٢)] على صاحبِها ألفُ ألفِ تحيَّةٍ، في باب تسميتِه ﷺ مُحمَّداً ما نصُّه: قال إمامُنا الشافعي(ﷺ): ما أحدثَ وخالفَ كتاباً أو سنةً أو إجماعاً أو أثراً، فهو البدعةُ الضَّالة، وما أحدث من الخير ولم يخالف شيئاً من ذلك، فهو البدعةُ المحمودة، وقد وُجِد القيامُ عندَ ذكرِ اسمه الشريف ﷺ من عالِم الأئمة ومقتدى الأئمّة ديناً وورعاً وعلماً وعملاً؛ الإمامِ الهُمام تقي الدّين السُّبْكيّ[(٣)]، ﷺ، وتابعه على ذلك مشايخ الإسلام في عصره، فقد حكي أن الإمام السُّبْكيّ اجتمع عنده جمعٌ كثيرٌ من علماء عصرِه، فأنشد قول الصَّرْصَرِيّ[(٤)] في مدحه ﷺ:

قليلٌ لمدْحِ المصطفى الخطُّ بالذّهب ... على وَرَقٍ من خطِّ أحسنِ منْ كَتَبْ

---

(١) هو الإمام العلامة علي بن برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن علي بن عمر، الحلبي، ثم القاهري، نور الدين الشافعي، صاحب السِّيرة، توفي سنة [١٠٤٤ هـ]. انظر ترجمته في: هدية العارفين، للباباني [١/ ٧٥٥] كشف الظنون، لخليفة [١/ ١٨٠]، الأعلام، للزركلي [٤/ ٢٥١].

(٢) المسمَّاة: (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون)، من الكتب المشهورة في السيرة النبوية، جمعها مؤلفها علي الحلبي [٩٧٥هـ/١٠٣٣هـ]. انظر: كشف الظنون [١/ ١٨٠]، هدية العارفين [١/ ٧٥٥].

(٣) هو أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي السُّبْكي، (بضم السين المهملة، قرية من قرى منوف بمصر)، هو والد الشيخ تاج الدين السبكي، توفي بمصر سنة [٧٥٦ هـ]. انظر ترجمته في: الدرر الكامنة [٣/ ٦٣]، شذرات الذهب [٨/ ٣٠٨]، هدية العارفين، للباباني [١/ ٧٢٠ ـ ٧٢٢].

(٤) هو يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور بن المعمر بن عبد السلام الصرصري، نسبة لـ(صرصر)، وهي قرية على فرسخين من بغداد تعرف بـ (صرصر الدين)، توفي سنة [٦٥٦هـ] عند دخول التتار بغداد. انظر ترجمته في: البداية والنهاية [٦/ ٢٩٩]، النجوم الزاهرة [٧/ ٦٦]، كشف الظنون [١/ ١٣٤٠].

وأنْ تنهضَ الأشرافُ عند سماعِه ... قياماً صفوفاً أو جُثِيّاً على الرُّكَبْ

فعند ذلك قام الإمام السُّبْكِيّ وجميعُ من في المجلس إجلالاً لرسول الله ﷺ وتعظيماً لذكر اسمه الشريف، ويكفي مثل ذلك في الاقتداء، وقد قال ابنُ حَجَر الهَيْتَمِيُّ[1]: والحاصلُ أنَّ البدعةَ الحسنةَ اتفق على ندبها، وعَمل على المولد الشريف، واجتماعُ الناس له كذلك، أي: بدعةٌ محمودةٌ حسنةٌ وخصلةٌ حميدةٌ مستحسنةٌ[2]. قال ابنُ الجَوْزِي[3] روَّح الله تعالى روحَه: (من خواص المولد الشريف أنه أمان في ذلك العام، وبشرى عاجلة بنيل البُغيةِ والمرام)[4].

وأما مكان مولده الشَّريف ومكانُ دفنهِ، وذكر نسبه الشريف المبارك المتيمَّن به[5]، فقد قال الشِّهابُ ابنُ حَجَر في شرح الهمزية[6]، ونَقل ذلك عن

---

(١) هو أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر (نسبة إلى أحد أجداده كان ملازماً للصمت فشبِّه بالحجر) الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين، أبو العباس، توفي سنة [٩٧٤هـ]. انظر ترجمته في: الكواكب السائرة [٣/ ١١١]، شذرات الذهب [١٠/ ٥٤١ ـ ٥٤٢]، معجم المؤلفين [٢/ ١٥٢].

(٢) إلى هنا انتهى النقل من كتاب العلامة الحلبي. انظر: السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون)، [١/ ١٢٨].

(٣) في المخطوط [قال ابن الجزري] و الصواب هو: [قال ابن الجوزي] وقد تقدمت ترجمته، وعبارته هذه مشهورة أنظر: إعانة الطالبين [٣/ ٣٦٤] والسيرة الحلبية [١/ ١٣٧].

(٤) انظر: السيرة الحلبية [١/ ١٢٨].

(٥) قال الليث: اليمن نظير البركة، يقال: يَمُنَ الرجل، فهو ميمون، ويقال: فلان يتيمَّن برأيه، أي يتبرَّك به. انظر: تهذيب اللغة، للأزهري [١٥/ ٥٢٥ ـ ٥٢٨، مادة: يمن].

(٦) شرح الهمزية للإمام ابن حجر الهيتمي [٩٠٩ ـ ٩٧٤هـ]، سمّاه: (المنح المكيّة شرح الهمزية)، ثمّ سمّاه: (أفضل القِرى لقرّاء أمّ القرى)، و يعدُّ هذا الكتاب من أحسن الشروح وأغزرها، فهو شرح وافٍ، وشافٍ، وكافٍ، وهو كتاب مطبوع متداول، ولهذا =

بعضُ أئمة الدِّين: أنه أوّلُ واجبٍ على الأولياء أي: الآباء؛ أنْ يعلِّموا صغـارهم أنَّ نبيَّنا محمَّداً ﷺ ولد بمكَّة المشرَّفة[١]، ودُفِنَ بالمدينة المنوَّرة[٢]، بل قيل: إنّ إنكار ذلك كفرٌ، أعاذنا الله تعالى منه، لاستلزامه إنكار وجود نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ، وينبغي لكلِّ مسلِم أيضاً أن يحفظ نسب مولانا وسيِّدنا محمَّدٍ ﷺ، وأن يحفظوه لصبيانهم وصغارهم، وأن يدمنوا تلاوته وحمله في الرؤوس والعمائم، ليكون ذلك حِرْزاً لهم من كلِّ مخوْف، وحفظاً من أمِّ الصِّبيان[٣]، وكلِّ ضارٍّ، أو طارق من إنْسٍ وجانٍّ، يُرجى كلُّ ذلك

= الشرح حاشية للشيخ الجمل المتوفى سنة (١٢٠٤هـ)، وأخرى للفيومي المتوفى سنة [١٠٧١هـ]، انظر: كشف الظنون [٢/ ١٣٤٩]، هدية العارفين [١/ ١٤٦].

(١) مكة المكرَّمة: بيت الله الحرام، ومهبط الوحي الكريم، ومولد الرسول ﷺ، يقال: مكَّة اسم المدينة، وبكَّة اسم البيت، وقال آخرون: مكَّة هي بكَّة، والميم بدل الباء، وفي اشتقاقها فيه أقوال، منها: إنَّما سمِّيت مكة، لأنها تمُك الجبارين أي تذهب نخوتهم، ويقال إنما سميت مكة لازدحام الناس بها من قولهم: قد امتك الفصيل ضرع أمه، إذا مصَّه مصّاً شديداً، وسميت بمكة لازدحام الناس بها، وقيل غير ذلك. انظر: معجم البلدان [٤/ ١٨١ ـ ١٨٢].

(٢) المدينة المنوَّرة: (فالمدينة علم بالغلبة على تلك القرية كالنجم للثريا إذا أطلق فهي المرادة، وإن أريد غيرها قيد، والنسبة إليها مدني، ولغيرها من المدن مديني للفرق بينهما. ويثرب: اسم محل فيها سميت كلها به، ولعل ذلك المحل سمي بذلك لأنه نزل به يثرب من نسل نوح، قيل: وإنما سميت طيبة لطيب رائحة من مكث بها وتزايد روائح الطيب بها، ولا يدخلها طاعون ولا دجال، ولا يكون بها مجذوم: أي لأن ترابها يشفي من الجذام، وتسميتها يثرب في القرآن إنما هو حكاية لقول المنافقين أي بعد نهيهم عن ذلك). انظر: السيرة الحلبية [٢/ ٢١٥].

(٣) وردت أم الصبيان في أثر أخرجه ابن السُّني من حديث الحسين بن علي بلفظ: (من ولد له مولود فأذّن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، لم تضرّه أم الصبيان، وأم الصبيان هي التابعة من الجنّ). انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، لشمس العظيم أبادي [١٤/ ٩]، العرف الشذي شرح سنن الترمذي، للكشميري [٣/ ١٩٨].

بركة اسم أفضل الخلق على الإطلاق، وصفوةِ الملك الخلّاقِ، فهو ﷺ: (محمّد بن عبد الله بن عبد المطلّب، بن هاشِم، بن عبد مَناف، بن قُصَي، بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب، بن لُؤي بن غَالِب بن فِهر بن مَالِك، بن النَّضر، بن كِنانة، بن خُزَيْمَة، بن مُدْرِكَة، بن إِلْيَاس، بن مُضَرَ، بن نِزار، بن مَعَد، بن عَدْنان). إلى هنا انتهى النسب الشريف المجمَعُ عليه عند علماء الأنساب[١]، ووراء ذلك أقوال متباينة لا يثبت منها شيء.

وقد شرَّف الله تعالى نبيَّه ورسولَه ﷺ بسبق نبوّته في سابق أزليته، وذلك أنه تعالى لما تعلّقت إرادته العليّة بإيجاد الخلق، أبرز الحقيقة المحمّدية من محض النُّور قبل كلّ شيء من المخلوقات، ثمّ سلخ منها العوالم كلّها، ثمّ أعلمه سبحانه وتعالى بسبق نبوته وبشّره بعظيم رسالته، كلّ ذلك وآدم لم تُنفخ فيه الرُّوح[٢]. قال الشاعر:

يا مصطفى من قبلِ نشأةِ آدم ... والكونُ لم تُفْتح له أغلاقُ
أيَرُومُ مخلوقٌ ثناءكَ بعدما ... أثنى على أخلاقك الخلّاقُ[٣]

وقال غيره:

له النَّسبُ العالي فليس كمثله ... حبيبٌ نسيبٌ محسنٌ متكرِّم
ألذّمّه في كلّ مدحٍ لأنّه ... إذا كان مدحٌ فالنَّسيبُ المقدَّم

---

(١) انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير [٢/ ٥ ـ ٣٣]، وأخرج ابن سعد من حديث ابن عبّاس «أنّ النبيّ ﷺ إذا انتسب لم يجاوز في نسبه مَعَدَّ بن عدنان». انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد [١/ ٥٨]. وهو النسب المتفق عليه عند المحدّثين كذلك. انظر: فتح الباري لابن حجر [٧/ ١٦٣ ـ ١٦٤].

(٢) انظر: السيرة الحلبية [١/ ٢٢٩].

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝﴾ [القلم: ٤]. وانظر البيتين في: نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب [٥/ ١٦٧].

جليلٌ بتاج المكرُمَات مخصّصٌ   جميلٌ بآلاء البَهاء معمّ

فما الكونُ إلّا حلّةٌ ومحمّدٌ   طرازٌ بأنوار النبوّة معلّ

ألا قلْ لقومٍ نازعوا إن أردتُمُ   نجاةَ الرّضا صلّوا عليه وسلّم

ثمّ انبجَسَت[1] منه ﷺ عيونُ الأرواح، فظهر بالملأ الأعلى أصلاً مُبدِ للعوالم كلِّها، ونادى منادٍ من الحضرة الإلهية في المرتبة المحمّدية أن تخطّ بي، ولا تجهلوني كنت كنزاً مخفياً لم أعرف، فأحببت أن أُعرَف فخلقت خلقاً فتعرَّفت إليهم، فَبِي عرفوني؛ يعني فبمُحمَّد عرفوني، فهو ﷺ[2] نبيُّ خلق الله سبحانه وتعالى لا أعلى، ولا أغلى، ولا أجمل، ولا أجلّ، ولا أفضلَ، ولا أكملَ، ولا أعدلَ، ولا أرحم، ولا أفقه، ولا أنزه، ولا أوفى، ولا أصفى، ولا أبهى، ولا أزهر، ولا أزهى، ولا أخير، ولا أخبر، ولا أصبر، ولا أطهر، ولا أظهر، ولا أشهر، ولا أفخر، ولا أنضر، ولا أعطر، ولا أنور، ولا أجود، ولا أحمد، ولا أوحد، ولا أزهد، ولا أعبد، ولا أحسب، ولا أنسب، ولا أطيب، ولا أهْيَبَ، ولا أقرب، ولا أحبَّ، ولا أسمح، ولا أنجح، ولا أفصح، ولا أصلح، ولا أعرف، ولا أنظف، ولا ألطف، ولا أشرف، ولا أشجع، ولا أرفع، ولا أقنع، ولا أنفع، ولا أسمع، ولا أطوع، ولا أعرف، ولا أشرق، ولا أرْفَقَ، ولا أصدق، ولا

---

(١) النَّجْسُ: انشقاق في قِرْبة أو حجر أو أرض يَنْبُعُ منه الماء، فإن لم يَنْبُعْ فليس بانبجاس، وانبجس الماء من السّحاب والعين انفجر. قال الله تعالى: ﴿فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [الأعراف: ١٦٠]. انظر: أساس البلاغة للزمخشري [١/ ٤٦ مادة: بجس]، لسان العرب، [١/ ٣١٨ مادة: بجس].

(٢) انظر: القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، للسخاوي [من ص١١١ إلى ص١١٥]، حيث عرض الإمام السخاوي وجمع صفات وأسماء النبي ﷺ.

خلق، ولا أوفق منه ﷺ تسليماً كثيراً، فهو ﷺ النور الأوّل في النور الثاني، نورٌ على نورٍ، وقد أتاه الله قرآناً والسبع المثاني[١].

أما قلبه الشّريف، فخزانة التقوى يتلألأ نوراً وجوداً وكرماً. وأمَّا نَفْسُه الشريفة، فطاهرة من الأهواء والشَّيْن والكظم. وأما لسانه، فقلم المعارف والحكم. وأمّا ريقُه العذبُ، فشفاء من كل ألمٍ[٢]. وأمّا وجهُه الشريف، فسراج الظُّلَم[٣]. وأما يمينه، فسحابة فضل ونعم. وأمّا يساره، فإنها تفتح أبواب اليُسر وتُنجي من النِّقم. وأمّا قدماه الشريفتان، فطالما وقف بهما في طاعة مولاه حتى ظهر فيهما الوَرَم[٤]. وأمّا قوامُه الغُصْنُ، فقد كَمُل نورُه وتمّ.

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر: ٨٧]: والمراد بالسبع المثاني، كما قرَّره ابن جرير الطبري في جامع البيان أنّها فاتحة الكتاب، وهو تفسير الرّسول ﷺ، ومرويّ عن علي بن أبي طالب، وابن مسعود، وابن عباس، وأبيّ بن كعب، والحسن وابن سيرين، وعطاء وغيرهم. انظر: جامع البيان للطبري [١٧/ ١٣٣ ـ ١٣٩].

(٢) ورد ذلك في وقائع كثيرة، منها ما أخرج البيهقي في دلائل النبوة، باب ما جاء في تَفْله في فم عبد الله بن عامر بن كُرَيْز، وما أصابه من بركته، عن عمرو بن شيبة، قال: أخبرني أبو عبيدة النحوي أنَّ عامر بن كُرَيْز أتى بابنه النبيَّ ﷺ وهو ابن خمس سنين، أو ست سنين، فتفل النبي ﷺ في فيه، فجعل يَزْدَرِدُ ريق النبي ﷺ ويتملَّظُ، فقال النبي ﷺ: «إنَّ ابنك هذا مُسقى؟» قال: فكان يقال: لو أنَّ عبد الله قدح حجراً أماهه، يعني يخرج من الحجر الماء من بركته. انظر: دلائل النبوة للبيهقي [٦/ ٢٢٥]. المواهب اللدنية للقسطلاني [٢/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦].

(٣) كان رسول الله ﷺ يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر. انظر: الشمائل المحمدية للترمذي [ص٣٥].

(٤) تشير إلى ذلك الأحاديث الصحيحة، منها ما أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب قيام الليل، باب قيام النبي ﷺ الليل، قالت عائشة ﵂: كان يقوم حتّى تتفطّر قدماه، =

فصفاتُ كمالاته جلَّتْ من أنْ يضبطَها خَيْشُوبٌ بلسان، أو كاتبٌ بقلم ﷺ، فقد كان ﷺ من اعتدال الخِلْقَة في كمال الأمر ما بعدَه كمالٌ، وز حُسْنٍ وجمالٍ لا زيادةَ عليه[1]، لأنَّ الأمرَ الإلهيَّ إنما أبرزَه للكمال للنقصان، فقد كمَّل الله ﷻ به الوجودَ، وجعله من الخلق أشرفَ موجو فظهر ﷺ في نهايةٍ من حسن الصورة وغاية اعتدال الخِلْقَة من كمال الأعض وتناسبها، ولطافةِ البشرة وزيادةِ البهجة، وحسنِ الصوت، وبشاشةِ الوجه وسوادِ الشَّعر، وبياضِ اللَّون المشرَّب بالحُمْرة[2]، وطيب الرَّائحة[3] وفصاحةِ الكلام[4]، وطيبِ المكالمة، وحسنِ العِشْرة في سائر حركا وسكناته، وتوسُّط القامة بين الطَّويل والقصير، وتسوية البطن، وبُعْ المنكبين[5]، وذَرْعِ المَشية[6]، وحسنِ الالتفات، وخَفْضِ الطرف، كاملاً

= والفطور الشقوق، انفطرت: انشقت. عن زياد قال: سمعت المغيرة ﷺ يقول: «إنْ كا النبي ﷺ ليقوم الليل ـ أو ليصلّي ـ حتى ترِمَ قدماه ـ أو ساقاه ـ فيقال له، فيقول: «أفلا أكون عبداً شكوراً»». انظر: صحيح البخاري [رقم١١٣٠، ١/ ٣٥٢].

(١) انظر: الشمائل المحمدية، للترمذي، باب ما جاء في خَلْق رسول الله ﷺ، وفيه خمسة عشر حديثاً. [ص٢٨ ـ ٤١].

(٢) انظر: دلائل النبوة للبيهقي [١/ ٢٠١ ـ ٢٠٦]، سبل الهدى والرشاد [٢/ ١٥].

(٣) أخرج مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النبي ﷺ، ولين مسه والتبرك بمسحه، [رقم ٢٣٣٠، ٢/ ١٠٩٨] قال أنس: «ما شممت عنبراً قط ولا مسكاً ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله ﷺ، ولا مسست قط ديباجاً ولا حريراً ألين مسّاً من رسول الله ﷺ».

(٤) انظر: الشمائل المحمدية للترمذي [ص١٨٣ ـ ١٨٥].

(٥) انظر: الشمائل المحمدية للترمذي [ص٣٠].

(٦) أي: يمشي هوناً، وذَريع المشية، أي: واسع الخطوة خلقة لا تكلفاً. انظر: الشمائل المحمدية للترمذي [ص٣٨].

جميع ما يُنسب إليه من خَلْقِه وخُلُقِه، فهو ﷺ أفضل الخلق على الإطلاق[١]، وأعلاهم قدراً، وأشهرهم ذكراً، وأحلاهم كلاماً، وأرفعهم مقاماً، وأكثرهم فضلاً، وأوسعهم عقلاً، وأغزرهم حِلماً، وأكملهم علماً، وأرحبهم صدراً، وأسناهم فخراً، وأطيبهم عطراً، وأزكاهم نشراً، وأكرمهم يداً، وأعظمهم سَناً، وأبهاهم ذاتاً، وأزكاهم صفاتاً، وأغزرهم تقىً، وأوفرهم نقىً، وأوفاهم عهداً، وأصفاهم وداً، وأفخرهم فعلاً وإحساناً، وأظهرهم بياناً، وأجودهم سماحاً، وأعزّهم نجاحاً، وأفصحهم نطقاً، وأنداهم بناناً، وأثبتهم جَناناً، وألينهم عطفاً، وأشرفهم لطفاً. فلا شكَّ ولا ريبَ أنه استوعب جميع الكمالات، وأحرز كمال الفضيلات[٢].

كلُّ فضلٍ في العَالمِينَ فَمِنْ فَضْـ ... ـلِ النَّبِيِّ استَعَارَهُ الفُضَلاءُ[٣]

زاده الله تعالى شرفاً وتعظيماً، صلّوا عليه وسلّموا تسليماً، قال كَعْبُ الأحْبَار[٤]: لَمَّا أراد الله تعالى أن يخلق محمَّداً ﷺ أمرَ جبريل ﷺ أن يأتيه بالطينة التي هي قلبُ الأرض، فهبط في ملائكة الفردوس وملائكة الرَّفيق

---

(١) من أسماء رسول الله ﷺ (الفائق)، بالهمزة كقائد وصائن فاعل، يقال: فاق الرجل أقرانه يفوقهم أي علاهم بالشرف والفضل، وسمي ﷺ بذلك، لأنه خيار الخلق وخيرة الخلق، أو لأنه أفضل الخلق نسباً وأكثرهم فضلاً وأدباً. انظر: سبل الهدى والرشاد [١/ ٤٩٤].

(٢) انظر: المواهب اللدنية للقسطلاني [٢/ ٢١٧ ـ ٢١٨].

(٣) هذا البيت من أبيات القصيدة الهمزية، لناظمها الإمام أبي عبد الله محمد بن سعيد ابن حمّاد البوصيري ﷺ، والمسمّاة: (أم القرى في مدح خير الورى). انظر: القصيدة الهمزية، [ص١٩].

(٤) هو: كعب بن ماتع الحميري، اليماني، العلامة، الحبر، كان يهودياً، فأسلم بعد وفاة النبي ﷺ، وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر ﷺ، توفي سنة [٣٥ هـ] بحمص ذاهباً للغزو في أواخر خلافة عثمان ﷺ وقد جاوز المائة، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي [٣/ ٤٨٩]، شذرات الذهب لابن العماد [١/ ٢٠١].

الأعلى، فقبضها من محلّ قبره الشريف، أي: وأصلها من محلّ الكعبة ثمّ [illegible]
الطوفانُ إلى هناك، فعُجِنَت بماء التَّسنيم، ثم غُمِسَت في أنهار الجنة حتى
صارت كالدُّرَّة البيضاء، ثمّ طافت بها الملائكة حول العرش والكرسي، و[illegible]
السّموات والأرض والبحار، فعرفت الملائكة وجميع الخلق سيدنا محمّداً ﷺ
قبل أن تعرف آدم ﷺ[1]، ورأى آدم ﷺ نورَ محمّد ﷺ في سرادق العرش
واسمه مكتوباً عليه مقروناً باسمه ﷻ، فسأل ربَّ العزة جلّ وعلا عنه، فقال
ربُّه: هذا النبي من ذريتك، اسمه في السّماء أحمد، وفي الأرض محمّد
ولولاه ما خلقتك، ولا خلقت سماءً ولا أرضاً[2]، وسأله أن يغفر له متوسلاً
بمحمّد ﷺ فغَفرَ له، ولمّا ظهر آدمُ لَمَع نورُ محمّد ﷺ في جبينه، ثمّ لم يزل
ينتقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطّاهرات إلى أبيه عبد الله بن عبد
المطلب، فطهّر الله هذا النّسب الشّريف من قبائح الجاهلية وما كانوا عليه[3]
وإلى ذلك يشيرُ صاحبُ الهَمْزِيّة[4]:

لم تزلْ في ضمائرِ الكونِ تُخْتَا   رُ لكَ الأمّهاتُ والآباءُ[5]

والمختار هو الله ﷻ، ومختار الله لا يكون إلّا طيّباً طاهراً، وكان ذلك

---

(١) انظر: السيرة الحلبية [١/ ٢٢٩]، وسبيل الهدى والرشاد [١/ ٦٨].
(٢) انظر: المستدرك للحاكم [٢/ ٧٢٢]، السيرة الحلبية [١/ ٢٩٨].
(٣) ففي الحديث: «أنا أنفسُكم نَسَباً وحَسَباً وصِهراً، ليس في آبائي من لدن آدم سِفاح كلّها نكاح»
الحديث رواه ابن مَرْدَوَيه عن أنس بن مالك ﷺ. انظر: سبيل الهدى والرشاد [١/ ٢٧٧].
(٤) هو الإمام البوصيري، محمد بن سعيد بن حماد، شرف الدين، أبو عبد الله البوصيري
تقدمت ترجمته انظر: الوافي بالوفيات، للصفدي [١/ ١٠٥ ـ ١١٣]، شذرات الذهب
لابن العماد [٥/ ٤٣٢].
(٥) انظر: القصيدة الهمزية، [ص٧].

النور يتلألأ في جبهة جدّه عبد المطلب، وببركاته توجّه به إلى أصحاب الفيل[١] الذين قصدوا مكّة، ليخرّبوها، فأهلكهم الله تعالى ببركة نور نبيّنا محمّد ﷺ، ثم ظهر ذلك النور في جبهة أبيه عبد الله الذّبيح[٢]، الذي فداه الله تعالى من إرادة أبيه ذبحه، ونجّاه الله تعالى ببركة ذلك النور، فخطبته [فَاطِمَةُ بِنْتُ مُرٍّ الخَثْعَمِيَّةُ][٣] لنفسها وتعطيه المائة التي فدي بها، فأبى حتى يأذن له أبوه[٤]، فذهب به إلى وهب بن عبد مناف بن زُهْرَةَ، وهو يومئذ سيّد بني زهرة نسباً وشرفاً، فزوّجه لوقته ابنته آمنة؛ أفضل امرأةٍ في قريش، فوقع عليها من نوره، فحملت بسيّد الخلائق من ساعتها[٥]، ففارقه أعظم ذلك النور، ولما انتقل ذلك النور منه إلى آمنة، وأصبحت ببركته من كلّ سُوء وخَوْفٍ آمنةً، فعرض نفسه على الأولى فأبت، وقالت: فارقكَ ما كنت أؤمّل انتقاله إليّ من النور الذي كان معك[٦]، ونودي ليلةَ حملهِ، وهي ليلةُ الجمعة في شهر رجب في السّماء والأرض: أنّ النُّورَ المكنونَ الذي منه محمّد ﷺ يكون يستقرُّ الليلةَ

---

(١) قال الله تعالى في سورة الفيل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ١ ـ ٥].

(٢) وكان أصغر ولد أبيه عبد المطلب، وهو الذبيح الثاني المفدّى بمائة من الإبل. انظر: السيرة النبوية لابن كثير [١/ ١٨١].

(٣) سقطت من الأصل، وقد مر الحديث عنها سابقاً.

(٤) بقوله: (أنا معي أبي، ولا أستطيع فراقه ولا خلافه). انظر: السيرة النبوية لابن هشام [١/ ١٥٦]، دلائل النبوة للبيهقي [١/ ١٠٢].

(٥) انظر: السيرة النبوية لابن كثير [١/ ١٧٧]، الروض الأنف [١/ ٢٧٣]، سبيل الهدى والرشاد [١/ ٣٢٦].

(٦) وهي امرأة من أهل تبالة، يقال لها: فاطمةُ بنتُ مُرٍّ الخَثْعَمِيَّةُ، وكانت من أجمل النّساء، وأشبّها وأعفّها، قرأت الكتب فظنّت أنّ ذلك النّبيّ يكون من هذا النُّور. انظر: الروض الأنف [٢/ ١٤١].

في بطنِ أمّه، ويخرج للناس بشيراً ونذيراً[١]، صلّوا عليه وسلّموا تسليما وأمر رِضوان أن يفتحَ بابَ الفردوسِ[٢]، ونطقتْ كلُّ دابةٍ لقريشٍ تلك الليلةَ[٣]، وقالت: حُمل بمحمّد وربِّ الكعبةِ، وهو إمامُ الدنيا وسراجُ أهلها وصاحَ إبليسُ على جبلِ أبي قُبَيس، فاجتمعتْ إليه الشياطينُ، فقالوا: ما الذي أصابَكَ؟ قال: قد استقرَّ محمّدٌ في بطنِ أمّه، يبعثهُ اللهُ بالسَّيفِ القاطعِ، يبيدُ الأديانَ ويكسرُ الأوثانَ، ولم يبقَ سريرٌ لملكٍ من ملوكِ الأرضِ إلّا أصبح منكوساً، وأصبحَ كلُّ مَلِكٍ أخرسَ لا ينطق يومَه ذلك[٤]، ومرَّتْ وحوشُ المشرقِ إلى وحوشِ المغربِ تبشّرها به، وكذا أهلُ البحارِ يبشّر بعضُهم بعضاً[٥]، قال في المواهب اللَّدُنيّة[٦]: (ولَمّا حملتْ آمنةُ برسول الله ﷺ ظه

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [فاطر: ٢٤].
(٢) للجنة كما ورد في الأحاديث الصحيحة ثمانية أبواب، انظر صحيح البخاري [رقم ٣٤٣٥ ـ ٢/ ٤٨٧]، باب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١].
(٣) عن ابن عباس ﷺ: (كان من دلالة حمل آمنة برسول الله ﷺ أن كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة، أي: التي حمل فيها). انظر: السيرة الحلبية [١/ ٧٥].
(٤) انظر: المرجع السابق [١/ ٧٥].
(٥) أخرج أبو نعيم في دلائل النبوة، عن ابن عباس ﷺ قال: (كان من دلالة حمل آمنة برسول الله ﷺ أن كلَّ دابة لقريش نطقت تلك الليلة، وقالت: حُمِلَ برسول الله ﷺ ورب الكعبة وهو إمام الدنيا وسراج أهلها، ولم يبقَ سرير لملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوسًا، وفرّت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالبشارات، وكذلك أهل البحار يبشر بعضهم بعضاً، وله في كل شهر من شهور حمله ﷺ نداء في الأرض ونداء في السماء أن أبشروا فقد آن أن يظهر أبو القاسم ﷺ ميمونًا مباركًا). انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم [٢/ ٦٠١].
(٦) صاحب المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، الإمام العلّامة شهاب الدين أبو العباس

لحمله عجائبُ، وَوجدَ لإيجاده غرائبُ، فذكروا أنه لما استقرّت نطفتُه الزَّكيَّةُ ودرّته المحمّديةُ في صدفةِ آمنةَ القرشيةِ، نُودِيَ في الملكوتِ ومعالمِ الجبروتِ أن عطّروا جوامعَ القدسِ الأعلى، وبخّروا جهاتِ الشّرفِ الأعلى، وافرُشوا سجّاداتِ العباداتِ في صفوف الصفا، لصوفيةِ الملائكة المقرّبين، أهلِ الصّدق والوفا، فقد انتقل النورُ المكنون إلى بطن آمنةَ ذاتِ العقلِ الباهرِ والفخرِ المصون.

وقال سهلُ بن عبد الله التُّستَريّ[1]، فيما رواه الخطيبُ البغداديُّ الحافظُ[2]: لمّا أراد الله أن يخلق محمّداً ﷺ في بطنِ أمّه ليلةَ الجمعةِ في شهر رجبَ أمر الله تعالى في تلك الليلة رضوانَ خازنَ الجِنّان، أن يفتحَ بابَ الفردوس، ونادى منادٍ في السّماوات والأرض: ألا إنَّ النّور المخزونَ المكنونَ الذي يكون منه النبيُّ الهادي في هذه الليلة يستقرُّ في بطن آمنةَ الذي يتمُّ فيها خلقُه، ويخرُج للنّاس بشيراً ونذيراً، وفي رواية كعب الأحبار: (أنه نودي تلك اللّيلة في السّماء وصِفَاحِها والأرض وبِقَاعِها أنَّ النّورَ المكنونَ الذي منه ﷺ يكونُ يستقرّ الليلة في بطن آمنةَ، فيا طُوبَى[3]، ثمّ يا طُوبى،

= أحمد بن أبي بكر بن عبد الملك بن أحمد القسطلاني توفي سنة [٩٢٣هـ]. انظر ترجمته في: الكواكب السائرة [١/ ١٢٦]، شذرات الذهب [١٠/ ١٦٩].

(١) هو القدوة العارف الزاهد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التُّستَري، نسبة إلى تُستَر. [٢٨٣هـ]. انظر ترجمته في: العبر للذهبي [١/ ٤٠٧]، الوافي بالوفيات [١٦/ ١١ ـ ١٢]، شذرات الذهب [٣/ ٣٤٢].

(٢) هو أبو بكر، أحمد بن علي بن ثابت، الإمام الحافظ، المعروف بـ (الخطيب البغدادي)، محدث الشام والعراق، توفي سنة [٤٦٣هـ]. انظر ترجمته في: العبر للذهبي [٢/ ٣١٤]، شذرات الذهب لابن العماد [٥/ ٢٦٢ ـ ٢٦٤].

(٣) قوله: (طوبى) فُعلى من الطيب، قلبوا الياء واواً للضمة قبلها. وتقول: طوبى لك. قال الزجاج: جاء في التفسير عن النبي ﷺ أن طُوبى شجرة في الجنة، وقيل: طُوبى لهم =

وأصبحت يومئذ أصنامُ الدُّنيا منكوسةً[١]، وكانت قريشٌ في جَدْبٍ شديد وضيقٍ عظيمٍ، فاخضرَّت الأرضُ وحملتِ الأشجارُ، وأتاهم الرِّفدُ من كل جانبٍ[٢]، فَسُمِّيَت تلك السنة التي حُمِل فيها برسول الله ﷺ بسنة الفتح والابتهاج)[٣]. ورأت أمُّه آمنةُ حينئذٍ بينَ النومِ واليقظةِ قائلاً يقول لها: أشعرتِ بأنَّك حملتِ بسيِّد هذه الأمّة ونبيِّها؟ ورأَتْ مراتٍ أنه يخرج منها نورٌ أضاءَ له المشرقُ والمغربُ[٤].

وقد اختُلف في مولِده الشريف ﷺ هلْ كان ليلاً أو نهاراً، ولا تَخالفَ لاحتمالِ أنَّه ﷺ ولد بُعيد الفجر، وإلى هذا أشار صاحبُ الهَمْزِيّةِ[٥]، بقوله:

= حُسْنَى لهم، وقيل: خَيْرٌ لهم، وقيل: خِيرةٌ لهم، وفي التنزيل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ۝٢٩﴾ [الرعد: ٢٩]. انظر: الصحاح، [١/ ٢١٨ مادة: طيب]. لسان العرب، [٨/ ٢٤٣ مادة: طيب].

(١) عن كعب الأحبار ﷺ: (أنَّ في صبيحة تلك الليلة أصبحت أصنام الدنيا منكوسة). قال علي الحلبي: (أي: ولعل ذلك كان من علامة حمل أمه في الكتب القديمة، وقول الصادق لا يتخلف، وسيأتي أنه عند ولادته أيضاً تنكست الأصنام، ولا مانع من التعدد)، وقال: (وعند ولادته تنكست الأصنام أي أصنام الدنيا، وتقدم أيضاً أنها تنكست عند الحمل به، وتقدم أنه لا مانع من تعدد ذلك). انظر: السيرة الحلبية [١/ ٧٥].

(٢) انظر: السيرة الحلبية [١/ ١٧٢].

(٣) إلى هنا انتهى كلام الإمام القسطلاني.انظر: المواهب اللدنية، للقسطلاني [١/ ١١٧- ١١٩].

(٤) انظر: المستدرك للحاكم [(٤٢٣٤)، ٢/ ٧٠٥]، دلائل النبوة للبيهقي [١/ ٨٠].

(٥) صاحب القصيدة الهمزية في مدح خير البرية، سبق الإشارة إليه، هو الإمام البوصيري، رحمه الله تعالى، ولهذه القصيدة شروح عديدة منها: لأبي المعالي القوي، المتوفى سنة [١١٧٦هـ]، والخادمي، المتوفى سنة [١١٩٢هـ]، والأسعردي، المتوفى سنة [١٢٥٩هـ]، وغيرها.

لَيلةُ المولِدِ الَّذي كان للدِّين | سُرورٌ بيومِه وازدهاءُ

وصحّح الشّارح ابنُ حجر أنه كان نهاراً، وهو ما صرّح به النّاظِمُ بقوله:

يومَ نالت بوضعِه ابنةُ وهبٍ | من فخارٍ ما لم تنلْه النساءُ

قال: وهذا الأصحُّ، كما صرّح به حديثُ مسلم وغيرِه[1]، هذا ولم تزلْ أمُّه ﷺ ترى وهي حاملٌ به، ما يدلُّ على عظيمِ قَدْرِه، ممّا تواترت به الأخبارُ من نقلِ العلماءِ الأخيارِ من الكرامات الظاهرةِ والآياتِ الباهرةِ إلى أن مرَّت تلك الشهورُ، وأشرقَ الوجودُ بهذا النُّورِ، فأخذَها ما يأخذُ النساءَ من الألمِ، ولم يعلمْ بها أحدٌ، فسمعتْ شيئاً أهالَها، فرأت جناحَ طائرٍ أبيضَ قد مسحَ على فُؤادِها، فذهبَ رَوْعُها، ثمَّ التفتت فإذا هي بشَرْبَةٍ بيضاءَ فيها لبنٌ، وكانت عطشى فشربَتْها، ثم رأتْ نسوةً كالنَّخلِ طُولاً، فقلنَ لها: نحنُ آسيةُ ومريمُ وهؤلاء من الحور العين، فاشتدَّ الأمرُ، وتكرَّر سماعُها لذلك المهولِ، وإذا هي بديباجٍ أبيضَ مُدَّ بينَ السماءِ والأرضِ، وإذا بقائلٍ يقولُ: خذوه عن أعينِ النّاس، ورأتْ أيضاً رجالاً وقوفاً في الهواءِ بأيديهم أباريقُ من فضةٍ، وأنّها يرشح منها عَرَقٌ أطيبُ من المسكِ الأذفرِ، ورأتْ أيضاً قطعةً من الطَّيرِ أقبلتْ حتى غطَّت حجرتَها، مناقيرُها الزُّمرُّد وأجنحتُها الياقوتُ، وأبصرتْ حينئذٍ مشارقَ الأرضِ ومغاربَها، فرأت ثلاثةَ أعلامٍ مضروباتٍ؛ علماً بالمشرق وعلماً بالمغربِ وعلماً على ظهر الكعبة، فأخذها المخاضُ، واشتدَّ الأمر

---

(١) انظر: المواهب اللدنية للقسطلاني [١/ ١٤٣ ـ ١٤٥]؛ السيرة الحلبية [١/ ٨٦].

(٢) في المخطوط [الحسناء] وهو تصحيف واضح، والصواب ما أثبتناه.

(٣) في المخطوط [كثرت] وهو تصحيف واضح أيضاً، والصواب ما أثبتناه.

بها، وكأنها مستندةٌ [إلى نساء][1]، و[كثرن][2] عليها حتىً كأنهن معها في البيت، فحينئذٍ أشرقتِ الأرضُ بنور ربِّها، وانجلى نورُ محمَّد ﷺ، فولدتْه[3] ﷺ صلاةً وسلاماً دائمَيْنِ إلى يومِ الدين، والحمد لله رب العالمين، آمين.

إلى هنا انتهى مولد الحلوي



(١) انظر: سمط النجوم العوالي، للعصامي [١/ ١٢٤]، وذخائر العقبى [١/ ٤٥]، وعيون الأثر [١/ ٣٩]، والسيرة النبوية لابن كثير [١/ ١٩٨].

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل شهر ربيع الأول غرة شهور
العام والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي
بمولده عم السعود على جميع الأنام وعلى آله وصحبه
التابعين لسنته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم
القيام وبعد فيقول أضعف الورى وأحقر الفقراء
والخدام محمد بن محمد المغربي التافلاتي الأزهري
لطف به مولاه على الدوام هذا مولد لطيف اختصرته
من مولدي المسمى بالإسعاف ذوي الوفا بمولد
النبي المصطفى لأنه استطاله بعض الأصحاب
فالتمس اختصاره منه حتى لا تسأمه الألباب
فأجبته

فأجبته لذلك سلك الله بنا وبه أحسن المسالك
وسميته النفح المعنوي في المولد النبوي قال ابن
الجوزي من خواص قراءة المولد أنه أمان في ذلك
العام وبشرى معاجلة بنيل البغية والمرام وينبغي
إظهار التجمل بالثياب الفاخرة والفرح والسرور
ليلة المولد والأكثرون على أنه ولد عام الفيل ونحوه
بخمسين يوما والأصح أنه ولد في ربيع الأول والفضل
على أنه في الثاني عشر منه إذا تمهد هذا فنقول اعلم
يا ذا العقل السليم المتصف بأوصاف الكمال والتتميم
وفقني الله وإياك بالهداية إلى الصراط المستقيم أنه
لما تعلقت إرادة الحق بإيجاد الخلق وتقدير الرزق

النفح المعنوي إلى المولد النبوي للشيخ العالم العلّامة الشيخ محمّد بن محمد المغربي التافلاتي الأزهري

النَّفح المعنوي إلى المولد النبوِّي
للشيخ العالم العلَّامة
الشيخ محمَّد بن محمد المغربي التافلاتي الأزهري
لطف الله به على الدَّوام
الشيخ محمد التافلاتي

اسمه ولقبه ونسبه: هو محمَّد بن محمَّد بن الطيِّب التافلاتي المغربي الأزهري الخلوتي المالكي الحنفي.

مولده ونشأته: ولد في المغرب الأقصى، وحفظ القرآن على طريق الإمام الداني وهو ابن ثمان سنين، ثم اشتغل في حفظ المتون على والده وقرأ عليه الأجرومية، وعلى الشيخ محمد السعدي الجزائري السنوسية ومنظومة في العبادات مختصرة في المسائل الفقهية، ورحل إلى الجامع الأزهر فطلب العلم بمصر سنتين وثمانية أشهر وأخذ عن شيوخه.

ما قيل عنه: وصفه المرادي في (سلك الدرر) فقال: (علامة العصر الفائق على أقرانه من كبير وصغير وله الفضل الباهر وكان في الأدب الفرد الكامل له الشعر الحسن مع البداهة في ذلك وسرعة نظمه وذكاؤه يشق دياجر المشكلات).

مصنفاته: قال المرادي في (سلك الدرر): (له من المصنَّفات ناهزت الثمانين ما بين منظوم ومنثور وكتب ورسائل في فنون شتى)؛ منها: (إسعاف

ذوي الوفا بمولد النبي المصطفى)، و(ما ورد في الفصد والحجامة)، و (النفح المعنوي في المولد النبوي)، و (المعراج)، و (أسرار البسملة)، و (حسن البيان في معنى مدلول القرآن)، و (الصلح بين المجتهدين في كلام رب العالمين)، و (الاستقصا لِمَا صحَّ وثبت في المسجد الأقصى)، و (صخرة بيت المقدس).

وفاته: توفي كَلَلهُ في بيت المقدس سنة [١١٩١ هـ / ١٧٧٧ م]، ودفن بمقبرة مأمن الله كَلَلهُ.

من مصادر ترجمته:

- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر للمرادي [٤/ ١٠٢ - ١٠٨].
- الأعلام للزركلي [٢/ ٨٣].

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمدُ لله الذي جَعل شهر ربيع الأوّل غُرّةً[(١)] شهورِ العام، والصّلاةُ والسّلام على سيّدنا محمّد الذي بمولده عمّ السعودُ على جميعِ الأنام، وعلى آله وأصحابه الناصرين لسنّته، والتابعين لهم بإحسان إلى يومِ القيام. وبعدُ، فيقول أضعفُ الوَرَى وأحقر الفقراءِ والخدّامِ محمّد بن محمّد المغربي التافلاتي الأزهريُّ لطفَ به مولاه على الدوامِ: هذا مولدٌ لطيفٌ اختصرتُه من مولدي المسمَّى بـ: (إسعاف ذوي الوفا بمولد النبي المصطفى)[(٢)] لأنه استطاله بعضُ الأصحابِ، فالتمسَ اختصارَه منّي، حتى لا تسأمَه الألبابُ، فأجبته لذلك، سلك الله بنا و به أحسنَ المسالكِ، وسمّيته: (النفح المعنوي في المولد النبوي).

قال ابن الجوزي[(٣)]: (من خواص قراءة المولد أنه أمانٌ في ذلك العام وبُشرى عاجلةٌ بنيل البغيةِ والمرام). وينبغي إظهارُ التجمّلِ بالثيابِ الفاخرة والفرحِ والسرورِ ليلةَ المولد[(٤)]، والأكثرون على أنه وُلد عامَ الفيل وبعدَه

---

(١) الغُرّة: غُرّةُ النبات رأسهُ، وغُرّةُ كل شيء أوّلُه، وغُرّةُ الهلال ليلة يرى الهلال، وفلان غُرّةُ قومه، أي: سيدهم، وهم غُرَرُ قومهم. وغُرّةُ كل شيء: أوّله وأكرمه. انظر: معجم العين للفراهيدي [٤/ ٣٤٦، مادة: غرر]، الصحاح للجوهري [٢/ ٧٦٨، مادة: غرر].

(٢) المؤلف هو: محمد بن محمد بن الطيب التافلاتي المغربي الأزهري الخلوتي المالكي الحنفي، المتوفى في بيت المقدس سنة [١١٩١ هـ/ ١٧٧٧م].

(٣) الإمام فرج الدين، عبد الرحمن ابن الجوزي، سبقت ترجمته.

(٤) قال الإمام أبو شامة: (ومن أحسن ما ابتدع في زماننا ما يفعل كل عام في اليوم الموافق ليوم مولده من الصدقات والمعروف وإظهار الزينة والسرور، فإنّ ذلك مع ما فيه من الإحسان للفقراء مشعر بمحبته وتعظيمه في قلب فاعل ذلك، وشكر الله على ما منّ به من إيجاد رسول الله الذي أرسله رحمة للعالمين). انظر: السيرة الحلبية [١/ ١٢٨].

بخمسين يوماً[1]، والأصحُّ أنه ولد في ربيع الأوّل، والعملُ على أنه في اثنـ
عشر منه[2].

إذا تمهَّدَ هذا، فنقول: اعلمْ يا ذا العقلِ السليم المتصفِ بأوصافِ الكمال
والتتميم، وفقني الله وإياكَ بالهدايةِ إلى الصّراطِ المستقيم، أنه لما تعلّقتْ إرادة
الحقِ بإيجاد الخلقِ وتقديرِ الرِّزقِ، أبرزَ الحقيقةَ المحمَّديةَ من الأنوارِ الصمد
في الحضرةِ الأحديَّةِ، ثم سلخَ منها العوالمَ كلَّها علويَّها وسُفْلَها، على صور
حكمِهِ، كما سبقَ في سابقِ إرادتهِ وعلمِهِ، ثمَّ أعلمَه بنبوتِه وبشّره برسالتِه، ها
وآدمُ لم يكنْ إلّا كما قال: «بين الرُّوحِ والجسد»[3].

ثمَّ أنجبت منه ﷺ عيونُ الأرواحِ، فظهرَ ﷺ بالملإِ الأعلى، وهو بالمنظـ
الأجلى، فكان لهُم الموردَ الأحلى، فهو ﷺ الجنسُ العالي على جميـ
الأجناسِ، والأبُ الأكبرُ لجميعِ الموجوداتِ والناسِ، وروى عبد الرَّزاق[4]
عن جابرٍ قال: قلتُ يا رسولَ الله، بأبي أنتَ وأمي، أخبرني عن أوّلِ شيء
خلقه الله تعالى قبلَ الأشياء؟ قال: «يا جابرُ، إنَّ الله تعالى خلقَ قبلَ الأشيا
نورَ نبيِّك من نورِهِ، فجعلَ ذلك النورُ يدورُ بالقدرةِ حيث شاء اللهُ تعالى، ولـ

---

(١) انظر: دلائل النبوة للبيهقي [١/ ٧٥ ـ ٧٩]، المواهب اللدنية للقسطلاني [١/ ١٣٩]،
عيون الأثر لابن سيِّد النَّاس [١/ ٧٩].

(٢) انظر: الروض الأنف للسهيلي [٢/ ١٤٣]، المواهب اللدنية [١/ ١٤٠]، عيون الأثر لابـ
سيِّد النَّاس [١/ ٧٩].

(٣) إشارة إلى ما ورد في الحديث عن أبي هريرة قال: قالوا يا رسول الله متى وجبت لـ
النُّبوَّة؟ قال: «وآدم بين الرُّوح والجسد». أخرجه الإمام الترمذي في سننه، كتا
المناقب، باب فضل النبي ﷺ، [٦/ ٧، رقم: ٣٦٠٩]. وقال: (هذا حديثٌ حسـ
صحيحٌ غريبٌ من حديث أبي هريرة لا نعرفه إلا من هذا الوجه). وانظر: المقاصـ
الحسنة للسخاوي [١/ ١٧٤].

(٤) الإمام الحافظ عبد الرزاق الصنعاني، سبقت ترجمته والتعريف بمصنَّفه.

يكن في ذلك الوقتِ لوحٌ ولا قلمٌ، ولا جنّةٌ ولا نارٌ، ولا ملكٌ، ولا سماءٌ ولا أرضٌ، ولا شمسٌ ولا قمرٌ، ولا جنيٌّ ولا أنسيٌّ»[1]. الحديث، ويروى: «أنّ الله تعالى لما خلقَ نورَ نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ أمرَه أن ينظرَ إلى أنوارِ الأنبياءِ عليهمُ الصّلاةُ والسَّلامُ، فغشيَهم من نورِه ما أنطقهم الله به، وقالوا: يا ربنا مَن غشيَنا نورُه؟ فقال الله تعالى: هذا نورُ محمَّد بن عبد الله إن آمنتم به جعلتكُم أنبياءَ، قالوا: آمنّا به وبنبوَّته، فقال الله تعالى: أشهد عليكم؟ قالوا: نعم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١][2].

وذكر ابنُ أبي جمرة[3] في (بهجة النفوس)[4]: أن الله تعالى لما أراد أن يخلق سيِّدَنا محمَّداً ﷺ أمرَ جبريلَ ﷺ أن يأتيَه بالطِّينة البيضاءِ التي هي قلبُ الأرضِ ونورُها وبهاؤها، فهبطَ جبريلُ ﷺ في ملائكةِ الفردوسِ وملائكةِ الرَّفيق الأعلى، فقبضَ قبضةَ رسول الله ﷺ من مَوضعِ قبرِه الشريفِ، وهي بيضاءُ منيرةٌ، فعُجنت بماءِ التَّسنيم، وغُمست في معينِ أنهارِ الجنةِ، حتى

(١) انظر بلغة السالك [٤/ ٤٤٣] والسيرة الحلبية [١/ ٢٤٠] (قلت): وفي إسناد الحديث نظر، انظر: المواهب اللدنية [١/ ٧١] و الآثار المرفوعة [١/ ٤٢].

(٢) انظر تفسير الجيلاني.

(٣) هو: عبد الله بن سعد بن سعيد بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي، أبو محمد توفي سنة [٦٧٥]هـ. انظر: تبصير المنتبه، لابن حجر [١/ ٤٥٧]، طبقات الأولياء لابن الملقن، الأعلام للزركلي [٤/ ٨٩].

(٤) كتاب: (بهجة النفوس وتحليها في معرفة ما لها وما عليها) هو شرح: (جمع النهاية في بدء الخير والغاية) الذي هو مختصر صحيح البخاري. انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة [١/ ٢٥٦]، هدية العارفين للباباني [١/ ٤٦٢].

صارَتْ كالدُّرَّةِ البيضاءِ، لها نورٌ وشُعاعٌ عظيمٌ، ثمَّ طافتْ بها الملائكةُ حو العرشِ والكرسيِّ، وفي السَّمواتِ والأرضِ، والجبالِ والبحارِ، فعرف الملائكةُ وجميعُ الخلقِ سيِّدَنا محمَّداً ﷺ وفضلَه قبلَ أن تعرفَ آدمَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ[١].

ثمَّ إنَّ الحقَّ جلَّ جلالُه لما خلقَ آدمَ في أحسنِ صورةٍ جعلَ ذلك النو يلمعُ في جبينِه، فيغلبُ على سائرِ نورِه، ثمَّ رفعهُ اللهُ تعالى على سريرِ مملكتِ وحملَه على أكتافِ ملائكتِه، وأمرَهُم فطافوا به في السَّمواتِ، ليرى عجائ ملكوتِه، ثمَّ خلقَ اللهُ تعالى له حواءَ زوجتَه من ضِلعٍ من أضلاعِه اليُسرى وه نائمٌ، وسميت حواء؛ لأنها خُلقتْ من حيٍّ[٢]، فلما استيقظَ ورآها سك إليها، ومدَّ يدَه لها، فقالت الملائكةُ: مَه يا آدمُ، فقال: ولم ذلكَ وقد خلق اللهُ لي، فقالوا: حتى تؤديَ مهرَها، قال: وما مهرها؟ قالوا: أن تصلِّي عل محمَّد ﷺ ثلاث مرات، وفي رواية: عشرين مرَّةً[٣].

ثمَّ إنَّ حواءَ ولدَت من آدم ﷺ أربعين ولداً في عشرين بطناً، ووضعت شيثاً وحدَه كرامةً لمن أطلعَ الله بالنبوة سعدَه[٤]، ولما دنتْ وفاةُ آدمَ ﷺ أوصى ولدَه شيثاً على إخوتِه وأوصاهُ أن لا يضعَ هذا النورَ إلَّا في المطهَّرات من النساءِ، ولم تزلْ هذه الوصيَّةُ جاريةً، تنتقلُ من قرنٍ إلى قرنٍ، إلى أن أو اللهُ النُّور إلى عبدِ المطلبِ وولدِهِ عبدِ الله، وطهَّرَ اللهُ سبحانَه وتعالى هذا النسبَ الشريفَ من سفاحِ الجاهليةِ، كما ورد عنه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ

(١) انظر: السيرة الحلبية [١/ ٢٢٩].

(٢) انظر: المواهب اللدنية للقسطلاني [١/ ٧٦].

(٣) ذكرها ابن الجوزي في كتابه: (سلوة الأحزان)، كما ورد في المواهب اللدنية للقسطلاني، انظر: المواهب [١/ ٧٦].

(٤) انظر: المواهب اللدنية للقسطلاني [١/ ٨٥]، سبل الهدى والرشاد [١/ ٦٩].

الأحاديثِ المرضيةِ، وقال ابنُ عباسٍ ﷺ، فيما رواه البيهقيُّ في سننه[١]، قال رسول الله ﷺ: «ما ولَدني من سفاحِ الجاهليةِ شيءٌ ما ولدني إلَّا نكاحُ الإسلامِ»[٢].

فهوَ سيِّدُنا محمَّد بن عبد الله بنُ عبد المطلبِ بنِ هاشم بنِ عبد مناف بنِ قُصي بن كِلاب بنِ مُرَّة بنِ كعبِ بن لُؤي بنِ غالبِ بنِ فهرِ بنِ مالكِ بن النَّضْرِ بنِ كِنانةَ بن خُزَيْمَةَ بنِ مُدْرِكَةَ بن إلياسَ بن مُضَرَ بن نِزَارِ بنِ مَعَدّ بنِ عدنانَ، هذا هو النسبُ الصحيحُ المجمَعُ عليه، وفوقَ ذلك كذَبَ النسَّابون، وذكرَ بعضُ الأفاضل أنَّ منْ كتبَ أسماءَ آبائِهِ وعلَّقها عليهِ، فإنها تكونُ له حِرْزاً من طوارقِ دهرِهِ، وذكرَ الحافظُ النيسابوري[٣] أنَّ نورَ رسولِ الله ﷺ لَمَّا صارَ إلى عبدِ المطلبِ وأدرَكَ، نامَ يوماً في الحِجرِ، فانتبه مكحولاً مَدْهوناً، قد كُسي حلَّةَ البهاءِ والجمالِ، فبقي متحيِّراً لا يدريْ من فعلَ به ذلك، فأخذَه أبوه فانطلقَ به إلى بعضِ الكهانِ، فأخبرهم بذلك فقالوا له: اعلم أنَّ إله السَّموات أذنَ لهذا الغلامِ أن يتزوَّج، فزوَّجه أبوه، وكانَ عبدُ المطلبِ جدُّ رسول الله ﷺ يفوحُ منه رائحةُ المسكِ الأذفرِ، ونورُ رسول الله ﷺ يضيءُ في غرَّته،

(١) أخرجه البيهقي في سننه، عن أبي الحويرث عن ابن عبَّاس، [٧/٣٠٧، رقم: ١٤٠٧٦ باب نكاح أهل الشرك وطلاقهم].

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد [٨/٣٩٦]: (رواه الطبراني عن المديني عن أبي الحويرث، ولم أعرف المديني ولا شيخه، وبقية رجاله ثقوا). وقال [٨/ ٣٩٥]: «وعن علي أن النبي ﷺ، قال: «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي». رواه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن جعفر بن محمد بن علي صحح له الحاكم في المستدرك وقد تكلم فيه، وبقية رجاله ثقات). وانظر: نصب الراية، للزيلعي [٣/ ٢١٣].

(٣) هو: محمَّد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم، الإمام الحافظ. توفي سنة [٤٠٥هـ]. انظر: سير أعلام النبلاء [١٧/ ١٦٢ _ ١٧٧].

وكانت قريشٌ إذا أصابها قحطٌ، تأخذُ بيد عبدِ المطلب، فيتقرَّبون به إلى الله تعالى، ويسألونَه أن يسقيَهم الغيثَ، فيسقيَهم ببركةِ نورِ سيِّدِنا محمَّدٍ ﷺ غيثاً عظيماً[١]، ثمّ إنَّ عبدَ المطلبِ تزوَّج بفاطمةَ أمِّ عبدِ اللهِ، والدِ النبي ﷺ، وكانتْ زمزمُ في زمانِهِ قد اندرسَتْ[٢]، لا يُعلمُ مكانُها، فاستدلَّ عليها عبدُ المطلبِ برؤيا منامٍ رآها، فلمَّا عزمَ على حفرِها[٣]، منعتهُ قريشٌ من ذلك، ثم آذاهُ من السُّفهاء مَن آذاه، فاشتدَّ بذلك بلواه، ومعه ولدُه الحارث، ولم يكن له ولدٌ سواه، فنذرَ لئنْ أعطاهُ الله عشرةَ بنين وصاروا له أعواناً ليذبحنَّ أحدَهم لله قرباناً، ثمَّ لما أقرَّ الله عينَه بعشرة أولاد[٤]، نامَ ليلةً عندَ الكعبةِ المطهرة، فرأى في المنامِ قائلاً يقول له: يا عبدَ المطلب، أوفِ بنذرِك لربِّ هذا البيت، فاستيقظَ فزِعاً مرعوباً، وأمر بذبحِ كبشٍ وأطعمَه للفقراءِ، ثمَّ نامَ فرأى قائلاً يقول له: قرِّب ما هو أكبرُ من ذلك، فاستيقظَ من نومِه، وقَرَّب ثوراً، ثم نامَ فرأى قائلاً يقول له: قرِّب ما هو أكبرُ من ذلك، فانتبه وقرَّبَ جملاً، ثم نامَ فنودي: قرِّب ما هو أكبرُ من ذلك، فقال: وما هو؟ قال: قرِّب أحدَ أولادِك الذي نَذَرْته، فاغتمَّ غمّاً شديداً، وجمعَ أولادَه، فأخبرَهم بالقصَّة، فقالوا له: إنَّا نطيعُك. ثمَّ إنه ضربَ القرعةَ عليهم، فوقعتْ قرعةُ الذبيحِ على عبدِ الله،

---

(١) انظر: سبيل الهدى والرشاد [١/ ٨]، السيرة الحلبية [١/ ٨٦].

(٢) دَرَس الأثر يدرسُ دَرْساً، أو درَسَته الرِّيح تَدْرُسه دَرْساً: أي محته. قال السهيلي في الروض الأنف: (إنَّ زمزم لمَّا أحدثت جُرْهُم في الحرم، واستخفُّوا بالمناسك والحُرَم، وبغى بعضهم على بعض واجترم، تغوَّر ماء زمزم واكْتَتم). انظر: [٢/ ١٠٩]. وانظر: تهذيب اللغة للأزهري [١٢/ ٣٥٨، مادة: درس]، و معجم البلدان [٣/ ١٤٧ ـ ١٤٩].

(٣) انظر: السيرة النبوية لابن هشام [١/ ١٤٣]، الروض الأنف للسهيلي [٢/ ٩٥ ـ ٩٦].

(٤) وهم: الحارث، والزبير، وحجل، وضرار، ومقوم، وأبو لهب، والعبَّاس، وحمزة، وأبو طالب، وعبد الله. انظر: المواهب اللدنية للقسطلاني [١/ ١٠٨].

فمنعهُ قريشٌ من ذلك، وقالوا له: انطلقْ إلى فلانةَ الكاهنةِ(١)، فلمَّا جاءها قصَّ عليها القصَّةَ، قالت له: كم الدِّيَةُ فيكُم؟ قال: عشرةٌ من الإبلِ، فقالت: ارجِعْ إلى بلادِكَ واضربْ القرعةَ على ولدِكَ، وعلى عشرةٍ من الإبلِ، فإنْ خرجتْ على ولدِك، فزدْ في الإبل حتى يَرضى ربك، فإذا خرجتْ القرعةُ على الإبلِ، فانحرْها فقد رضيَ ربُّك ونجا ولدُك، فلما رجَع إلى مكةَ، فعل ما أمرتْ به، ولم يزل يزيدُ عشراً عشراً حتى بلغت مائة، فوقعت القرعةُ عليها، فنحرَها عبدُ المطلب وتركَها لا يُطردُ عنها طائرٌ ولا إنسانٌ ولا سبعٌ، وأقرَّها الله في شريعتِنا(٢)، ولهذا قالَ ﷺ: «أنا ابن الذَّبيحين»(٣). أرادَ بذلك والدَه وجدَّه إسماعيلَ عليه الصَّلاة والسَّلام، ثمَّ إنَّ النُّورَ انتقل من عبد المطلب إلى عبد الله والدِ النبي ﷺ، ثمَّ خرج به عبد المطلبِ حتى أتى وهبَ بن عبد مناف، وهو يومئذٍ سيِّد بني زهرةَ نسباً وحسباً، فزوَّجه ابنته آمنة، وهي أفضلُ وأجملُ امرأةٍ في قريش(٤)، فدخل عليها يوم الإثنين أيامَ منى، فحملتْ

---

(١) يقال لها: سجاح، وانظر خبرها في: السيرة النبوية لابن هشام [١/ ١٥٤]، السيرة النبوية لابن كثير [١/ ١٧٥]، سبيل الهدى والرشاد [١/ ٢٤٥].

(٢) أي: النحر، في قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر: ٢].

(٣) هكذا ورد لفظه في تفسير الكشاف للزمخشري [٥/ ٢٢٤]، قال ابن حجر في تخريج أحاديثه: (لم نجده بهذا اللفظ)، وأخرج الحاكم في المستدرك، عن معاوية بن أبي سفيان: (كنا عند رسول الله ﷺ، فأتاه الأعرابي، فقال: يا رسول الله، خلفت البلاد يابسة والماء يابساً، هلك المال وضاع العيال، فعُد عليَّ بما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين، «فتبسم رسول الله ﷺ، ولم ينكر عليه»). وانظر: المقاصد الحسنة لابن حجر [١/ ٨].

(٤) انظر: الروض الأنف للسهيلي [١/ ٢٧٣]، عيون الأثر، لابن سيد الناس [١/ ٣٦]، سبيل الهدى والرشاد [١/ ١٢٧].

برسول الله ﷺ. قال في المواهب[١]: «ولما حملت آمنة برسول الله ﷺ، ظهر لحمله عجائبُ ووُجِد لإيجاده غرائبُ، فذكروا أنّه لمّا استقرتْ نطفته الزكية في صدف آمنةَ القرشيةِ، نُودي في الملكوت ومعالم الجبروتِ أنْ عطِّروا جوامع القدس الأسنى، وبَخِّروا جوامعَ الشَّرفِ الأعلى، وافرُشوا سجّادات العبادات في صُفوف الصَّفا، لصوفية الملائكة المقرَّبين أهل الصدق والوفا، فقد انتقل النورُ المكنون إلى بطن آمنة، ذات العقل الباهرِ والفخر المصون، قد خصَّها الله القريبُ المجيبُ بهذا السيِّد المصطفى الحبيب، لأنها أفضل قومها حسباً وأنجبُهم وأزكاهم أصلاً وفرعاً وأطيبُ، وقال سهل بن عبد الله التُّسْتَرِيّ ﷺ[٢]، فيما رواه الخطيب البغدادي الحافظ ﷺ[٣]: لما أراد الله سبحانه وتعالى خلقَ محمَّدٍ ﷺ في بطن أمه آمنةَ، أمرَ الله سبحانه وتعالى في تلك الليلةِ رضوانَ خازنَ الجنان أن يفتح الفردوسَ، ونادى منادٍ في السموات والأرض ألا إنَّ النورَ المخزون المكنون الذي منه النبي الهادي يكون في هذه الليلةِ يستقر في بطنِ أمه الذي فيه يتم خلقهُ ويخرج إلى الناس بشيراً ونذيراً، وفي رواية كعب الأحبارِ: أنه نوديَ تلك الليلة في السماء وصفاحها والأرض وبقاعها أن النورَ المكنون الذي منه رسول الله ﷺ يكون يستقرُّ الليلةَ في بطن أمهِ، فيا طوبى لها ثمَّ يا طوبى لها، وأصبحت يومئذٍ أصنامُ الدنيا منكوسةً، وكانتْ قريش في جدبٍ شديد وضيقٍ عظيم فاخضرَّتْ الأرضُ، وحملت

---

(١) كتاب «المواهب اللدنية بالمنح المحمّدية» للإمام أحمد بن محمّد القسطلاني، المتوفى سنة [٩٢٣هـ].

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) سبقت ترجمته.

الأشجار وجاءهم الرِّفد من كلِّ جانب، فسميتْ تلك السنةُ التي حُمل فيها رسول الله ﷺ سنة الفتحِ والابتهاج)[1].

وفي حديث ابن إسحاق[2]: أنَّ آمنةَ كانت تحدِّث أنها رأتْ في المنام قائلاً يقول لها حين حملتْ به ﷺ: إنكِ حملتِ بسيِّد هذه الأمَّة، وقالتْ: ما شعرتُ بأني حملتُ به، ولا وجدتُ له ثِقلاً ولا وحماً كما تجدُ النساءُ إلَّا أني أنكرتُ رفعَ حيضي، وأتاني آتٍ وأنا بين النائمة واليقظانة، فقال: هل شعرتِ بأنك حملت بسيِّد الأنام؟ ثمَّ أمهلني حتى دنتْ ولادتي، أتاني فقال لي: قولي[3]:

أعيـــذه بالـــواحـــد   مـــن شـــرِّ كـــل حـــاســـد

ثمَّ سمِّيه محمَّداً ﷺ. وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان من دلالة حمل آمنةَ رسول الله ﷺ أنَّ كلَّ دابةٍ كانت لقريشٍ نطقتْ تلك الليلة، وقالتْ: حمل رسول الله ﷺ وربِّ الكعبةِ، وهو إمامُ الدُّنيا وسراج أهلها، ولم يبقَ سريرٌ لملكٍ من ملوك الدنيا إلَّا وأصبح منكوساً، ومرَّت وحوش المشرق إلى وحوش المغربِ بالبِشارات، وكذلك أهل البحارِ يبشِّر بعضُهم بعضاً، وله في كل شهرٍ من شهور حمله نداءٌ في الأرض ونداءٌ في السَّماء: أنْ أبشروا فقد آنَ أنْ يظهر أبو القاسم ﷺ ميموناً مباركاً. الحديث[4].

وقال غيره: لم يبقَ في تلك الليلةِ دارٌ إلَّا أشرقتْ، ولا مكانٌ إلَّا دخله

---

(1) إلى هنا انتهى كلام الإمام القسطلاني في المواهب. انظر: المواهب [1/ 117 ـ 119].
(2) هو محمد بن إسحاق، صاحب السيرة النبوية. وقد سبقت ترجمته.
(3) انظر: المواهب اللدنية للقسطلاني [1/ 120]، عيون الأثر لابن سيِّد النَّاس [1/ 37]، السيرة النبوية لابن كثير [1/ 206].
(4) انظر: المواهب اللدنية للقسطلاني [1/ 121].

النور، ولا دابةٌ إلّا نطقت. ورُوِيَ أنَّ أصنام الدنيا أصبحت كلها منكوسةً ... حمله ﷺ، ولما مضى من حملهِ شهران توفي والده ودُفِنَ بالمدينة[1]، ويُروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّه قال: لما توفي عبد الله، قالتِ الملائكةُ إلهنا وسيدنا بقي نبيك يتيماً، فقال الله تعالى: أنا له حافظٌ وناصر[2]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانتْ آمنة تحدِّث وتقول: أتاني آتٍ حين مرَّ بي من حملي ستةُ أشهرٍ في المنام، فقال لي: يا آمنة، إنكِ حملتِ بخير العالمين، فإذا ولدتِيه فسمِّيه محمَّداً، واكتمي شأنك، قالتْ: ثم لما أخذني ما يأخذ النساءَ، ولم يعلم بي أحد، لا ذكرٌ ولا أنثى، وأني لوحيدةٌ في المنزل، وعبد المطلب في طوافه، فسمعتُ وجبةً عظيمة وأمراً عظيماً هالني، ثم رأيتُ كأنَّ جناحَ طائرٍ أبيض قد مسحَ على فؤادي، فذهب عني الرّعبُ وكل وجعٍ أجده، ثمّ التفتُّ وإذا أنا بشربة بيضاء فتناولتها، فأصابني نورٌ عالٍ، ثمّ رأيتُ نسوةً كالنَّخل طوالاً كأنهنَّ من بنات عبد مناف يحدقنَ بي، فبينما أنا أتعجبُ وأقول: واغوثاه[3] من أينَ علِمْنَ بي[4]!

قال في غير هذه الرّواية[5]: فقُلنَ لي: نحن آسيةُ امرأة فرعونَ ومريمُ بنت عمرانَ وهؤلاء من الحورِ العين، واشتدَّ بي الأمر، وأنا أسمعُ الوجبة في كل ...

---

(١) انظر: المواهب اللدنية [١/ ١٢٢]، الروض الأنف، للسهيلي [١/ ٢٨٢]، السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٢٠٥]، سبيل الهدى والرشاد [١/ ٣٣١].

(٢) في المواهب اللدنية، للقسطلاني: (ونصير). انظر: [١/ ١٢٤].

(٣) معنى (واغوثاه): غوّثَ الرجل: قال واغوثاهُ. والاسم الغَوْثُ والغُواثُ والغَواثُ. واستغاثني فلان فأغثتُهُ. والاسم الغِياثُ. انظر: الصحاح، للجوهري [١/ ٢٨٩، مادة غوث].

(٤) انظر هذه الرواية في: سمط النجوم العوالي، للعصامي [١/ ١٢٤].

(٥) أي: الصحابي عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما.

حالةٍ أعظم وأهول مما تقدَّم، فبينما أنا كذلك وإذا أنا بديباجٍ أبيضَ قد مُدَّ ما
بين السَّماءِ والأرضِ، وإذا بقائلٍ يقول: خذوه عن أعينِ النَّاس. قالت:
ورأيتُ رجالاً قد وقفوا في الهوى بأيديهم أباريقُ من فضَّةٍ، ثمَّ نظرتُ، فإذا
أنا بقطعةٍ منَ الطير، قد أقبلتْ حتى غطَّتْ حجرتي مناقيرُها من الزمرُّد
الأخضرِ، وأجنحتها من الياقوت الأحمرِ، وكشفَ اللهُ عن بصري، فرأيتُ
مشارقَ الأرضِ ومغاربَها، ورأيتُ ثلاثة أعلامٍ مضروباتٍ؛ علماً بالمشرق،
وعلماً بالمغرب، وعلماً على ظهر الكعبةِ، فأخذني المخاضُ فوضعتُ ولدي
محمَّداً ﷺ وشرَّف وكرَّم[1].

قالتْ آمنة أمّ النبي ﷺ: فنظرتُ إليه، فإذا هو ساجد قد رفع أصبعهُ
ورأسه ناظراً ببصره إلى السَّماءِ كالمتضرِّع المبتهل، قالت آمنة: ثمَّ رأيتُ
سحابةً بيضاء قد أقبلتْ من السَّماء حتى غيَّبته عنِّي، وسمعت منادياً ينادي:
طوِّفوا به مشارقَ الأرضِ ومغاربَها، وأدخلوهُ البحارَ كلَّها، ليعرفوه باسمهِ
ونعته وصورتهِ، ويعلموا أنه سمي فيها الماحي لا يبقى شيءٌ من الشرك إلَّا
مُحِيَ في زمنه[2]، ثم انجلتْ عنه السحابة في أسرع وقتٍ. الحديث على ما
فيه[3]. وروَى الخطيبُ البغداديُّ بسنده[4] أنَّ آمنة قالتْ: لما وضعته عليه

(١) انظر هذه الرواية في: سمط النجوم العوالي، للعصامي [١/ ١٢٤].
(٢) أخرج البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء النبي ﷺ، عن محمَّد بن جُبَيْر بن مُطعم عن أبيه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لي خمسة أسماء أنا محمَّد وأحمد وأنا الماحي الَّذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الَّذي يحشر النَّاس على قدمي وأنا العاقب». وانظر: عيون الأثر لابن سيِّد النَّاس [١/ ٤٥]، سبيل الهدى والرشاد [١/ ٤٠٢]، الشفا للقاضي عياض [١/ ٢٢٩].
(٣) انظر: سمط النجوم العوالي، للعصامي [١/ ١٢٤].
(٤) ذكره القسطلاني في المواهب اللدنية، وقال: (وذكره صاحب السعادة والبشرى أيضاً). وقال: (ورواه أبو نعيم عن ابن عبَّاس، وفيه نكارة). انظر: [١/ ١٢٥ ـ ١٢٦].

الصَّلاة والسَّلام رأيتُ سحابةً عظيمة لها نورٌ أسمعُ فيه صهيلَ الخيلِ وخفقان الأجنحةِ وكلامَ الرِّجالِ حتى غشيتْهُ وغيّبَتْهُ عني، فسمعتُ منادياً ينادي: طوّفوا بمحمَّد ﷺ جميعَ الأرضِ، واعرضوه على كلِ روحانيٍّ من الجنِّ والإنسِ والملائكةِ والطيورِ والوحوشِ، وأعطوهُ خُلقَ آدمَ، ومَعرفة شيثٍ، وشجاعة نوحٍ، وخلّة إبراهيم، ولسانَ إسماعيل، ورضا إسحاق، وفَصاحة صالحٍ، وحِكمةَ لوطٍ، وبُشرى يعقوبَ، وشدَّة موسى، وصبرَ أيوب، وطاعةَ يونس، وجهادَ يوشعَ[١]، وصوتَ داود[٢]، وحبَّ دانيال[٣]، ووَقار إلياس، وعصمة يحيى، وزهدَ عيسى، واغمسوهُ في أخلاق النبيِّين، قالتْ: ثمَّ انجلتْ عنّي، فإذا به قد قبَضَ على حريرةٍ خضراء مطوِّية طيّاً شديداً، ينبعُ من تلك الحريرة ماءٌ، وإذا قائلٍ يقول: بخٍ بخٍ، قَبَضَ محمَّد ﷺ على الدنيا كلّها، لم يبقَ خلقٌ من أهلها إلّا دخلَ طائعاً قبضتهُ، قالت: ثمّ نظرتُ إليه، فإذا به كالقمر ليلة البدرِ، وريحه يسطعُ كالمسك الأذفرِ، وإذا ثلاثة أنفارٍ في يد أحدهم إبريقٌ من فضةٍ، وفي يد الثاني طِسْتٌ من الذّهب، وفي يد الثالث حريرةٌ بيضاء، فنشرها فأخرج منها خاتماً، تحارُ أبصارُ الناظرين دونه، فغسله من ذلك الإبريق سبعَ مراتٍ، ثم ختمَ بين كتفيهِ بالخاتم، ولفّه بالحرير، ثم احتمله فأدخلهُ بين أجنحتِه ساعةً، ثمّ ردَّه إليّ[٤].

---

(١) هو يوشع بن نون، كان من أنبياء بني إسرائيل، ويذكر أنه هو الذي قادهم إلى النَّصر في الحرب مع العمالقة، وهو الذي بوّأ بني إسرائيل الشام بعد موسى ﷺ، وقسمها بينهم إلى أن مات عنهم. انظر: قصص الأنبياء لابن كثير [٢/١٩٩].

(٢) نبي الله داود عليه السَّلام، أخرج البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصّوت بالقراءة للقرآن، عن أبي موسى ﷺ عن النَّبيِّ ﷺ، قال له: «يا أبا موسى، لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود».

(٣) انظر: قصص الأنبياء، لابن كثير [٢/٣٣١].

(٤) انظر: السيرة الحلبية [١/١٣٨].

وعن ابن عباسٍ ﷺ: (لما وُلِد ﷺ قال في أذنه رضوانُ خازنُ الجنان: أبشر يا محمَّد، فما بقي لنبيٍّ كرامةٌ ولا علمٌ إلَّا وقد أعطيته، فأنت أكثرُهم علماً وأشجعُهم قلباً)[1].

ومن عجائبِ ولادتِه ﷺ أنَّ البيتَ الحرامَ اهتزَّ ثلاثةَ أيامٍ، وسجدَ إلى جهتِهِ ثلاثَ مرات، كما في شواهد النبوة[2]، وأضاءَ لأمِّه نورٌ حتى رأتْ قصورَ الشام، وانشقَّ إيوانُ كسرى، وخمدَت نارُ فارسَ وكان لها ألفُ عامٍ لم تَخمد، وغارتْ بحيرةُ طبرية، وأصبحتْ أصنامُ الدنيا كلُّها منكوسةً، وأصبح كلُّ سريرِ ملكٍ على وجهِ الأرضِ منكوساً، ورجمت الشياطينُ بالنجوم، ورَنَّ إبليسُ رنَّةً عظيمةً، وتدلَّتِ النجومُ حتى قربتْ من بيت أمِّه، وغنَّت هواتفُ الجنِّ فرحاً بولادتِه ﷺ، ونادى منادٍ من جدارِ الكعبة: (ولد المختار الذي يُهلكُ الكفارَ بيدِه، ويطهِّرُ من عبادةِ الأصنام، ويأمرُ بعبادة الملكِ العلَّامِ)[3].

ومن عجائبِ ولادته ﷺ أنه تكلَّم حين ولدته أمه فقال: «الله أكبر كبيراً والحمدُ لله كثيراً، وسبحانَ الله بكرةً وأصيلاً»، وكان ﷺ يحدِّث القمرَ وهو في مهده[4]...

---

(١) قال القسطلاني في المواهب [١/١٢٦ ـ ١٢٧]: (رواه الحافظ أبو بكر بن عائذ في كتابه المولد، كما نقله الشيخ بدر الدين الزركشي في شرح بردة المديح).

(٢) شواهد النبوة، لعبد الرحمن بن نظام الدين أحمد الغلامي، نور الدين الجامي شيخ الإسلام الهروي، الأديب الصوفي ولد سنة [٨١٧ هـ]، وتوفي سنة [٨٩٨هـ]. وهو باللغة الفارسية، وقد ترجمه إلى العربية محمود بن عثمان البروسوي، الأديب الصوفي الحنيف المتخلص، بلامعي الرومي المتوفى سنة [٩٣٨هـ]. انظر: هدية العارفين للباباني [١/ ٥٣٤]، كشف الظنون لخليفة [٢/ ١٠٦٦].

(٣) انظر: السيرة الحلبية [١/ ٨٦].

(٤) ورد أنَّ رسول الله ﷺ كان يناغي القمر وهو في مهده، أي: يحدِّثه؛ يقال: ناغت المرأة الصبي إذا كلمته بما يسره ويعجبه، وعدَّ ذلك من خصائصه. انظر: السيرة الحلبية[١/ ٨٦].

وكانت الملائكةُ تحرِّكُ مهدَه[١]، وفي سابع ولادته صنعَ جدُّه عبد المطلـ
وليمةً، وسمَّاه محمَّداً ﷺ[٢]، وقد ذكروا أنَّه لما وُلد ﷺ، قيل: من يكـ
هذه الدرَّةَ اليتيمةَ التي لا يوجد لمثلها قيمةٌ؟ قالت الطيور: نحن نكفله ونـ
خدمته العظيمةَ، وقالت الوحوش: نحن أولى منك، ننالُ شرفه وتعظيمـ
فنادى لسانُ القدرةِ أنْ يا جميع المخلوقات، إنَّ الله تعالى قد كتب في سا
حكمته القديمة أنَّ نبيَّه الكريمَ يكونُ رضيعاً لحليمةَ الحكيمة، قالت حليـ
فجئتُه، فإذا به مدرَّجٌ[٣] في ثوبٍ صوفٍ أبيضَ من اللَّبن، يفوح منه المسـ
وتحته حريرةٌ خضراءُ راقدٌ على قفاه يغطُّ، فأشفقت أن أوقظَه من نومه لحـ
وجماله، فدنوت منه رُويداً، فوضعتُ يدي على صدره، فتبسَّم ضاحكاً
فقبَّلْتُه بين عينيه، وأعطيته ثديَ الأيمن فأقبل عليه بما شاء من لبنٍ، فحوَّ
إلى الأيسرِ فأبى، وكانت تلك حالَه بعدُ[٤]. قال أهل العلم: أعلمه الـ
تعالى أنَّ له شريكاً فألهمَهُ العدلَ[٥]، قالت حليمة: فودَّع النَّاسُ بعضهـ

---

(١) قال الشيخ علي بن برهان الدين الحلبي: (وكان مهده يتحرك بتحريك الملائكة، و...
ابن سبع ﷺ من خصائصه). انظر: السيرة الحلبية [١/٨٦].

(٢) قال بعض العلماء: ألهمهم الله ﷻ أن سموه محمدا لما فيه من الصفات الحميدة، ليلتـ
الاسم والفعل، ويتطابق الاسم والمسمى في الصورة والمعنى، كما قال عمه أبو طالـ
ويُروى لحسان:
وشقَّ له من اسمه ليجلَّه ، فذو العرش محمود وهذا محمـ
انظر: السيرة النبوية لابن كثير [١/٢١١].

(٣) مدرَّج: يقال لما طويته: أدرجْتُهُ إدْراجاً، لأنه يطوي على وجهه. وأدْرَجتِ المرأةُ صبيـ
في معاوزها. وأدرجَ الميت في أكفانه، وأدرجت الكتاب في الكتاب إذا جعلته في در...
أي في طيه. انظر: تهذيب اللغة للأزهري [١٠/٦٤٣، مادة: درج].

(٤) انظر: سبيل الهدى والرشاد [١/٣٩١].

(٥) انظر: سبيل الهدى والرشاد [١/٣٩١].

رودعتُ أنا أمّ النبيّ ﷺ، ثم ركبتُ أتاني[1]، وأخذتُ محمّداً ﷺ بين يديّ، قالت: فنظرت أتاني وقد سجدت نحو الكعبةِ ثلاثَ سجداتٍ، ورفعتْ رأسها إلى السماء، ثم مشتْ حتى سبقتْ دوابَّ النّاس الذين كانوا معي، وصار النّاسُ يتعجبون مني وتقول النساء لي: وهنّ ورائي، يا بنتَ أبي ذؤيب، أهذه أتانك التي كنت عليها، وأنت جائيةٌ معنا، تخفضك تارةً، وترفعك أخرى، فأقول: تالله، إنها لهيَ، فيتعجّبْن منها، ويقلْنَ: إنَّ لها لشأناً عظيماً، قالت: فكنت أسمعُ أتاني تنطقُ وتقول: والله، إنَّ لي لشأناً، ثمّ شأناً، بعثني الله بعدَ موتي، وردَّ لي سِمَني بعد هُزالي، ويحكُنَّ يا نساءَ بني سعدٍ، إنكنَّ لفي غفلةٍ، وهل تدريْنَ منْ على ظهري؟ على ظهري خيارُ النبيين وسيّدُ المرسلين، وخير الأولين والآخرين، وحبيبُ ربِّ العالمين[2]، قالت حليمة: فلما بلغ ثمانيةَ أشهرٍ كان يتكلّمُ بحيث يسمع كَلامه، ولما بلغ تسعة أشهرٍ كان يتكلّم بالكلامِ الفصيح، ولما بلغ عشرةَ أشهرٍ كان يرمي السّهام مع الصبيان[3]، قالت: كنت جالسةً يوماً، وهو ﷺ في حِجْري، فمرّت عليّ غنمي، فأقبلت واحدة منهنّ حتى سجدت له، وقبّلت رأسه[4]، وكان ينزلُ عليه ﷺ كلَّ يوم نورٌ كنور الشّمس ثمّ ينجلي عنه، وكانت حليمة ترقّصُه ﷺ[5]، وتقول:

---

(١) الأتانُ: الحمارة، والكثير أُتُنٌ وأُتْنٌ، واستأتنَ الرجلُ: اشترى أتاناً واتخذها لنفسه. انظر: الصحاح للجوهري [٥/٢٠٦٧، مادة: أتن].

(٢) انظر: الروض الأنف [١/٢٨٨]، السيرة الحلبية [١/١٣٨].

(٣) انظر: السيرة الحلبية [١/١٣٨].

(٤) انظر: السيرة الحلبية [١/١٣٨].

(٥) ذكره ابن المعلى الأزدي ﷺ في كتابه (الترقيص) من شعر حليمة، مما كانت ترقص به النبي ﷺ. انظر: سبيل الهدى والرشاد [١/٣٩١].

يـا ربُّ إن أعـطـيـتـه فـأبـقـهِ وعـلّـه إلـى الـعُـلا ورقِّـهِ
وادحض أباطيل العدا بحقِّهِ

وكانت أخته الشَّيماء من الرَّضاعة ﷺ[1] ترقصه وتحضنه، وتقول[2]:

هـذا أخٌ لـي لـم تـلـده أمـي وليس من نسل أبي وعمي
[فديته من مُخْوَلٍ مُعَمِّ[3] فأنمه اللّهم فيما تُنمي][4]

قالت حليمة: ذهب يوماً مع أخته الشَّيماء في يوم شديد الحرّ، فخرجت أطلبه، فقالت لي أخته: يا أمي ما وجد أخي حرّاً، رأيت غمامةً تظلّلُ عليه، إذا وقف وقفت، وإذا سار سارت[5]، قالت: وكان يَشِبُّ شباباً لا تشبُّه الغلمان، ولما فطمتُه قدمْنا به على أمه، ونحن أحرصُ على مكثه فينا، فكلمنا أمه وقلنا لها: لو تركته عندنا حتى يكبر، فإنا نخشى عليه وباءَ مكة، ولم نزل

---

(١) الشَّيماء بنت الحارث بن عبد العزّى، والشيماء لقب لها، قيل: اسمها: خدامة، وقال السهيلي: حذافة بالحاء المضمومة وبالفاء مكان الميم. وذكر ابن إسحاق أنَّ الشَّيماء كانت تحضن رسول الله ﷺ مع أمها. وقدمت إليه ﷺ في سبي هوازن، فقالت: يا رسول الله، إني أختك. قال: «وما علامة ذلك؟» قالت: عضة عضضتنيها في ظهري، فعرف رسول الله ﷺ العلامة، فبسط لها رداءه وأجلسها عليه وخيّرها وقال: «إن أحببت فعندي محبة مكرمة وإن أمتعك وترجعي. إلى قومك» فعلت قالت: بل تمتعني وتردني إلى قومي ففعل. انظر: عيون الأثر، لابن سيِّد النَّاس [٢/ ٢٢١ ـ ٢٢٢]، السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٢٢٥]، سبل الهدى والرشاد [١/ ٣٨٠].

(٢) انظر: السيرة الحلبية [١/ ١٣٨].

(٣) المُعَمُّ المُخْوَلُ: الكثير من الأعمام والأخوال والكريمهم، وقد يكسران. انظر: الصحاح للجوهري [٥/ ١٩٩٢، مادة: عمم].

(٤) ما بين معكوفتين ساقط من النسخة المخطوطة، وهي ثابتة من قول الشيماء ﷺ. انظر: سبل الهدى والرشاد [١/ ٣٨١].

(٥) انظر: السيرة الحلبية [١/ ١٣٨].

تكلمها في شأنه، حتى ردته معنا، فرجعنا به، فو الله إنه لبعد مقدمنا بشهرين أو ثلاثة مع أخيه من الرَّضاع في بُهم لنا حولَ بيوتنا، جاء أخوه يسرعُ فقال: «ذاك أخي القرشي، قد جاءه رجلان عليهما ثيابٌ بيض فأضجعاه، وشقا بطنَه»، فخرجت أنا وأبوه نسرُع نحوه، فوجدناه قائماً متغيِّرَ اللَّونِ، فاعتنقَه أبوه، وقال له: أيْ بني، ما شأنُك؟ قال: جاءني رجلان عليهما ثيابٌ بيضٌ، فأضجعاني، فشقا بطني، ثم استخرجا منه شيئاً، فطرَحاه ثمَّ ردَّاه كما كان[1]، فرجعنا به معنا، فقال: أبوه يا حليمة، لقد خشيت أن يكون ابني قد أصيبَ، فانطلقي نردُّه إلى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوفُه، قالت حليمة: فاحتملناه حتى قدمنا به إلى أمه، فقالت: لم جئتما به، فقد كنتما حريصينِ عليه؟ قلنا: نخشى عليه الإتلافَ[2]، فقالت: ما ذاك بكما، فاصدقاني الخبرَ، وما شأنكما؟ فلم تَدَعْنا حتى أخبرناها خبرَه، قالت: أخشيتما عليه الشَّيطانَ، كلَّا، والله ما للشَّيطان عليه سبيل، وإنه لكائنٌ لابني هذا شأنٌ عظيمٌ، فدَعَاه عندكما[3]، ولما بلغ رسول الله ﷺ أربعَ سنينَ أو ستاً، توفيت أمُّه آمنة، ودُفنت بالأبواءِ[4]، وفي مرضِ موتها، نظرت إلى وجههِ الشَّريف ﷺ، وهو جالس عند رأسها، فقالت:

بـــارك الله فـــيـــك مـــن غـــلامٍ ... يا بن الَّذي من حَوْمَةِ الحِمَام

---

(١) حادثة شق صدر النبي ﷺ. انظر: الروض الأنف [١/ ٢٨٨]، السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٢٣١]، دلائل النبوة للبيهقي [٢/ ٥]، دلائل النبوة لأبي نعيم [ص: ٢١٩]، المواهب اللدنية للقسطلاني [١/ ١٥٦].

(٢) التَّلَفُ: الهلاكُ. وقد تلِفَ الشيء، وأتْلفَهُ غيره. انظر: الصحاح للجوهري [٤/ ١٣٣٣، مادة: تلف].

(٣) انظر: السيرة الحلبية [١/ ١٣٨].

(٤) انظر: عيون الأثر [١/ ٥٥]، ذخائر العقبى [١/ ١٥٨].

نجا بعون الملك المنعام فدى غداة الضرب بالسهام
بمائة من إبلٍ سوامِ إنْ صحَّ ما أبصرت في المنام
فأنت مبعوثٌ إلى الأنام من عندِ ذي الجلال والإكرام
تبعث في الحل وفي الحرام تبعث بالتحقيق والإسلام
دين أبيك إبراهام[(١)] فالله نهاك عن الأصنام
أنْ لا توالِيها مع الأقوام

ثمَّ قالت: كلُّ حيٍّ ميِّتٌ، وكلُّ جديدٍ بالٍ، وكل كثير يفنى، وأنا ميتة وذكرى باقٍ، وقد تركت خيراً وولدت طهراً، ثمَّ توفيت، ولما بلغ عمره ﷺ ثماني سنين توفي جدُّه عبد المطلب[(٢)]، وكفله عمُّه أبو طالب[(٣)]، ومن معجزاته ﷺ أنَّ قريشاً جاءت إلى عمِّه أبي طالب وقالوا: أقحط الوادي وأجدبِ العيالُ، وكانت سنةً شديدة القحطِ، فخرج أبو طالب ومعه رسول الله ﷺ كالشمس المضيئة التي ليس عليها سحاب، فألصق أبو طالب ظهره إلى الكعبة، ورسولُ الله ﷺ يحرِّك أصبعه الشريفة يميناً وشمالاً إلى جهة السماء، وليس فيها قطعةُ سحابٍ، فأقبلَ السَّحابُ من هاهنا وهاهنا، فأنزل الله أمطاراً عظيمةً، ببركة طلعته الكريمة ﷺ وشرَّف وكرَّم[(٤)]، وفي ذلك يقول أبو طالب:

---

(١) إبراهام: وهي لغة في إبراهيم، وقد قرأ بها ابن عامر في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤]. وفي أكثر المواضع، قال ابن الجوزي في زاد المسير [١/ ١٣٩]: (وفي إبراهيم ست لغات؛ أحدها: إبراهيم، وهي اللغة الفاشية. والثانية: إبراهُم. والثالثة: ابراهَم. والرابعة: إبراهِمْ، ذكرهن الفراء. والخامسة: إبراهام، والسادسة: إبرهم). وانظر: معالم التنزيل للبغوي [١/ ١٤٤].

(٢) انظر: الروض الأنف للسهيلي [١/ ٢٩٩]، السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٢٣٢].

(٣) انظر: زاد المعاد، لابن قيم [١/ ٧٠]، السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٢٤٠].

(٤) انظر: السيرة الحلبية [١/ ١٨٤].

وأبيض يستسقى الغَمَامُ بوجهه ثِمَالُ[1] اليتامى عِصمةٌ للأرامِلِ
يلوذُ به الهلّاكُ من آلِ هَاشِمٍ فهم عنده في نعمةٍ وفَوَاضِلِ

وما زال ﷺ يترقّى في الكمالات، ويكتسي ثوبَ الجلالةِ حتى بعثه الله على رأس الأربعين سنة[2]، خاتماً للنبوّة والرّسالة، وأظهر الله دينه على جميع الأديان[3] وأيدّه بالمعجزات الظّاهرات، ولا سيّما آيات القرآن[4].

والحمد لله والصّلاة و السلام على النبي الشّفيع[5]، وعلى آله وصحبه ما نَثَ النفحاتُ على قُرّاء مولدِه في شهر ربيع. والحمد لله رب العالمين.

---

(١) الذي يشملهم ويقوم بهم، يقال: هو ثمال مال أي: يقوم به، وفي لسان العرب [٢/ ١٣٠، مادة: ثمل]: (الثّمالُ بالكسر الغياث، وفلان ثمال بني فلان أي: عمادهم، وغياث لهم يقوم بأمرهم).

(٢) انظر: الروض الأنف للسهيلي [٢/ ٣٨٤]، دلائل النبوة للبيهقي [٢/ ١٣١]، عيون الأثر، لابن سيّد النّاس [١/ ١٦٤]، المواهب اللدنية للقسطلاني [١/ ١٩٥].

(٣) قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٣].

(٤) القرآن الكريم هو المعجزة الباقية على وجه الدوام إلى يوم القيامة لبلوغه أعلى طبقات البلاغة وأقصى غايات الإعجاز، فلا يتأتى لأحد أن يأتي بأقصر سورة منه لجزالة تركيبه، وفخامة ترتيبه الخارج عن طوق البشر، وليس المراد حصر معجزاته فيه، ولا أنه لم يؤت من المعجزات ما أوتي من تقدمه، المراد به المعجزة العظمى التي اختصه بها دون غيره من الأنبياء والرسل، وسائر معجزات الأنبياء ذهبت للحين، ولم يشاهدها إلّا الحاضر لها ومعجزة القرآن يقف عليها قرن بعد قرن عياناً لا خُبراً إلى يوم القيامة. انظر: الشفا، للقاضي عياض [١/ ١٧٦]، سبل الهدى والرشاد [٩/ ٤١٣]، حدائق الأنوار، لابن الديبع [١/ ٢٨٣ وما بعدها].

(٥) قال رسول الله ﷺ: «أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة، وأوّل من ينشقُّ عنه القبر، وأوّل شافع وأوّل مشفّع». أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبيّنا ﷺ على جميع الخلائق، [٢/ ١٠١٨، رقم: ٢٢٧٨].

هذا المولد الشريف المسمَّى

(الأسرار الرَّبانية) للعالم العلَّامة والحَبْرُ البَحْر الفهَّامة

محمَّد عثمان ابن السيِّد محمد أبي بكر بن عبد الله

الشهير بـــ (المرغني) نفعنا الله به وبعلومه آمين

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أضاء بمحبته الذات المحمدية من القدم
وجعلها واسطة لكل إنسان وأبرزها ولا في حضرتيه
الواحدية وفرع عنها سائر الأكوان وأمدها بأنواره
العظيمة الشعشعانية وأوصل إمداداتها لجملة الأعيان
أحمده أن جعلنا من هذه الأمة المرضية وكلفنا
بالانطواء بجوف حجاب هذا الدر المصان ورحمنا
بهديه وسنته القوية وشرفنا بنزول هذا القرآن
وطهر قلوبنا بحب هذه الجوهرة الفردية فصارت
قلوبنا طاهرة مطهرة من الطغيان وأفاض على
سرائرنا من الود لهذه المعاني العلية فنطقنا
بالحكم

بالحكم التي [illegible] وتنطق ألسنتنا بحق [illegible]
فعقدنا بذلك الأفعال العلية فرقينا على درج العبادة
لأهل الجنان وأشكره على ما خصنا به من فضل [illegible]
مرتبة وهي تأخيرنا في آخرهم شهودا الله بحق
وبظهوره أمدنا بالعلوم المكنونة المخزونة الإلهية
اللدنية وذلك باقتفاء الآثار لنقطة الوجود وسر
العرفان وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة المحقق
بها وأشهد أفراد الأحدية وأعلو بها إلى منازل
الموحدين المنزهين الحق عن المكان وأشهد أن
سيدنا محمدا الذي من ميم اسمه انشقت سائر العوالم
الخلقية هو عبد الله ورسوله وحاء رحمته التي

الشيخ محمد عثمان الميرغني

اسمه ولقبه ونسبه: هو محمد عثمان بن محمد أبي بكر بن عبد الله الميرغني المحجوب، الحنفي الحسيني، وهو أول من اشتهر من الأسرة (الميرغنية) بمصر والسودان.

مولده ونشأته: ولد بالسلامة من قرى الطائف في الحجاز، وتعلَّم بمكة، وتصوَّف، وانتقل إلى مصر، ثمَّ قصد السودان، فاستقر في (الخاتمية) جنوبي (كسلا).

مصنَّفاته: له كتب؛ منها: (تاج التفاسير لكلام الملك الكبير)، و(الأسرار في الكلام على مشكاة الأنوار في سيرة النبي المختار)، و ديوان (مجموع الغرائب)، و (الأنوار المتراكمة)، و(النفحات المدنية في المدائح المصطفوية)، و(شرح البيقونية في مصطلح الحديث)، و(غنية الصوفية في علم العربية)، وغيرها.

وفاته: توفي بالطائف سنة (١٢٦٨هـ)، ثم نقل إلى مكَّة ودفن بالمعلاة.

من مصادر ترجمته:

- جامع كرامات الأولياء [١/ ٢١٩].
- الأعلام للزركلي [٦/ ٢٦٢].

ـ معجم المؤلفين لكحالة [٣/ ٤٨٣].

فائدة: قبل الشروع في قراءة هذا المولد يهلّل القارئ مع الحاضرين مائة مرّة (لا إله إلا الله)، ويختمون العدد بـ (محمّد رسول الله) ﷺ آمين.



بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمدُ لله الذي اصطفى لمحبَّته الذَّاتَ المحمَّدية من القِدَم[١]، وجعلَها واسطةً لكلِّ إنسانٍ، وأبرزها أوّلاً في حضرته الواحديَّةِ، وفرَّع عنها سائرَ الأكوانِ، وأمدَّها بأنواره العظيمة الشَّعْشَعَانِيَّة[٢]، وأوصلَ إمدادها لجملةِ الأعيانِ، أحمَدُه أنْ جعلنا من هذهِ الأمَّةِ المرضيَّة، وكمَّلنا بالانطواء جوفَ حجابِ هذا الدُّرِ المصانِ، ورَحِمنا بِهَدْيِه وسنَّته القويَّةِ، وشرَّفنا بنزول هذا القرآنِ، وطهَّر قلوبنا بحُبِّ هذه الجوهرةِ الفرديَّةِ، فصارت قلوبُنا طاهرةً مطهَّرةً من الطغيان، وأفاضَ على سرائرنا من الودِّ لهذه المعاني العليَّة، فنطقنَا بالحكمة التي تشرَّف بها الثقلانِ، وأهَّل عقولنا بالتأمُّل فاقتدينا بتلكَ الأفعالِ العَليَّة، فَرَقَيْنَا على درج العنايةِ لأعلى الجِنان، وأشكرهُ على ما خصَّنا به من فضله من مزيَّةٍ؛ وهي تأخيرُنا في أمَّة همْ شهداءُ الله بحقٍ ونُضرَانٍ، وأيَّدنا بالعلوم المكنونةِ المخزونة الإلهيةِ اللَّدُنيَّة، وذلك باقتفائِنا لآثار نقطة الوجودِ وسرِّ العِلْمَان، وأشهد أنَّ لا اله إلا الله، شهادةً أتحقَّقُ بها، وأشهد إفراد الأحديَّة، وأعلو بها إلى منازلِ الموحدِّين المنزِّهين الحقَّ عن المكانِ، وأشهد أن سيِّدنا محمَّداً الَّذي من ميمِ اسمه امتدَتْ سائرُ العوالمِ الخَلْقية، هو عبد الله ورسولُه، وحاءِ رحمته التي رُحم بها الملوانِ، مَنْ مِنْ ميمه الأخرى تعيَّنَتْ

---

(١) الاصطفاء هو الصفة المصاحبة لرسول الله ﷺ، كما ورد في الحديث الصحيح: «إنَّ الله اصطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إسمَاعيل واصطفى قُرَيشاً مِن كِنَانَةَ واصطَفَى مِن قُرَيش بني هَاشم وَاصطَفَاني مِن بني هاشم». انظر: صحيح مسلم، [٢/ ١٠٨٠/ رقم: ٢٢٦٧ باب فضل نسب النَّبيِّ ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوّة].

(٢) يقال: رجل شَعْشَعٌ، وشَعْشَاع، وشَعْشَعَان، أي: طويل. انظر: الفائق في غريب الحديث للزمخشري [٢/ ٢٤٩، مادة: شعشع]، لسان العرب لابن منظور [٧/ ١٣٨، مادة: شعشع].

مياهُ العوالم الحسيَّة والمعنوية، وامتلاؤها من أنوارٍ وأسرارٍ وإذعانٍ، ومن نال ذلك الاسم دامت بِطَامَاتُ الممَالِكِ المُلكيَّة، ودامتْ صولةُ الدِّين ببركته، ونفعُها في العالمين، ﷺ وعلى آله وصحبه، ما ظهرتْ أسرارٌ حُكميَّةٌ، وما بَرَزَت علومٌ وحِكَمٌ ومعرفةٌ، وأُلزِمَ في البعض الكتمانُ، اللَّهم صلِّ وسلِّم على قِبلة تجلياتِكَ الرَّبانيَّة، محلِّ نظرِكَ من الوجود عالي الشأنِ، كتاب أسرارك المنطويَّةِ الحَقِّيَّةِ العلميَّة، مُظْهِرِ الرَّحمةِ من حضرتِها، ومَجْلَى اسمكِ الرَّحمن، وعلى آله وصحبه ما استقامتْ المِلَّةُ الحنيفيةُ، وما ترجمَ بلسانِ الشَّريعة والحقيقة تُرجمانٌ.

اللَّهم صلِّ وسلِّم على الذَّات المحمَّديَّة، واغفرْ لنا ما يكونُ، وما قد كان

أمَّا بعد، فلمَّا كان يومُ الجمعةِ وقع في الخاطر تأليفُ مولدٍ يُحلى في بعضِ أخبارِ الولادةِ الحقيقيَّةِ الأحمديَّة، وسطع الواردُ بتسميته بـ (**الأسرار الربانيَّة** في مولد مَنْ وُضِعَ وهو مصحوبٌ بالختانِ، والدُّرر الوَهْبيَّة المجليَّة الحقِّيَّة، في بعض أنباءِ مَنْ ظهرَ وعيناهُ مكحولتانِ[1]، فرأيتُ في تلك الليلةِ النَّبي ﷺ رؤيةً مناميَّة، ورؤيته حقٌّ كما أوردَ عنه ثقاةُ الرُّواةِ بطرق الإحصانِ[2]، فأمرني أن أصنِّفَ مولداً، وأجعل إحدى قافيته هاءً بهيَّة، والأخرى نوناً كما فعلت، لأنها نصف دائرة الأكوان، وبشَّرني أنه يحضر في قراءته كلَّما قُرِئ، فسطَّرت

(١) المذكور في كتب السيرة النبوية، ما ذكرته حاضنة النبي ﷺ أم أيمن الحبشية من أن الصبيان يصبحون شُعْثاً رُمْصاً، ويصبح رسول الله ﷺ دهيناً كحيلاً. انظر: عيون الأثر [١/ ٦٠]، الروض الأنف [١/ ٣١١].

(٢) أخرج البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، [١/ ٥٥، رقم: ١١٠]، ومسلم في صحيحه، كتاب الرؤيا، باب قول النبي ﷺ من رآني في المنام فقد رآني، [٢/ ١٠٦٧، رقم: ٢٢٦٦]، عن أبي هريرة ﷺ: «من رآني في المنام فقد رآني حقاً، فإنَّ الشيطان لا يتمثَّل في صورتي».

ليتشرّف به كلّما تُلِيَ، حكايةً نوميّة، وأنه يستجاب الدعاء عند الفراغ منه، نسأل الله تعالى الغفران، فشرعت وأنا الفقير الرّاجي لأعلى المشاهد القرآنية، لأنه هو القصد المؤمّل ببركة تلاوته على ممرّ الأزمان، فأقول وأنا الحقيرُ الطالبُ من الله معاني يعلمها خفيّة الغنيّ بالله الشّريفُ الشّهير بالمرغني، محمَّد عثمان ابن السيِّد محمد أبي بكر بن عبد الله، تلميذ ابن إدريس أحمد ذي الأفعال الأحمدية، أرسل الله على الجميع مع الإخوان والأبناء سحائب الرّحمة والرضوان.

هذا، ولما أراد الله أن يبرز هذه العوالم العلوية والسفليّة، قبض قبضة من نور، فكانت هي محمد ابن عدنان، وقال: «أوّلُ ما خلق الله نور نبيِّك، يا جابرُ»[١] جواباً لمسألته المحكيّة[٢]، «وكنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين»[٣] عنه لقد بان.

وقالَ ﷺ لجبريل: «كم عمّرتَ يا جبريلُ»، فقال: لا أدري» روايةً جليّةً «غيرَ أن كوكباً يبدو في الحجاب الرّابع» يا معشرَ الإخوان، «بعدَ كلّ سبعينَ ألف سنةٍ مرّةً»، فهذه علاماتٌ اجتبائيةٌ، «وقد رأيته اثنين وسبعين ألف مرّة»

---

(١) جزء من حديث طويل أنظر بلغة السالك [٤/ ٤٤٣] والسيرة الحلبية [١/ ٢٤٠] (قلت): وفي إسناد الحديث نظر. انظر: المواهب اللدنية [١/ ٧١] و الآثار المرفوعة [١/ ٤٢].

(٢) أي: جواب من النبي ﷺ على سؤال جابر بلفظ: (عن جابر بن عبد الله قال قلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء. . .). انظر: التخريج السابق.

(٣) قال السخاوي في المقاصد الحسنة [١/ ١٧٤]: (لم نقف عليه بهذا اللفظ)، وقد وردت روايات أخرى ذكرها السخاوي منها: (كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد). وفي صحيح ابن حبان والحاكم من حديث العرباض بن سارية مرفوعاً: (إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته).

بلا نقصانٍ، فقال ﷺ تعريفاً بمقامه وأسراره المصطفوية: «وعزّةِ ربي، أنا ذلك الكوكب الذي رأيتَه يا جبريل»[1]. في حجاب المنان، وغيرُ ذلك مما لا تحصرُه الأقلامُ في الكتبة، ولا يسعُه في الحقيقة حفظ الكاتبين.

اللّهم صلِّ وسلِّم على الذّات المحمّدية، واغفر لنا ما يكون وما قد كان

وأمّا ما ورد في حقِّه ﷺ في الكتبِ القديميّةِ، فالتوراةُ والإنجيلُ مملوءة والفرقانُ، ويكفيكَ قولُ الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤] الآية إلهية، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾[2] بها لقد تمَّ الامتنان. وقد وصفه الله تعالى في التوراةِ ببعض صفتِه المنعيّة التي أنزلَها في كتابه القرآن، وهي قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥﴾ [الأحزاب: ٤٥] أخباراً مبشّرةً، وزاد فيها[3]: «وحرزاً للأميين»[4] فهذان الوصفان، وقال: «أنتَ عبدي ورسولي، سمّيتك المتوكّل»[5]، شهادةً قدسيّةً، وغيرُ ذلك مما رواه كعب

---

(١) انظر: السيرة الحلبية [١/ ٦٦].

(٢) جزء من الآية ١٢٨ من سورة التوبة، وتتمتها: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾.

(٣) أي: في التوراة. وانظر: ما سيأتي.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنّ هذه الآية التي في القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥﴾ قال في التوراة: (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخّاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح بها أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً). انظر: صحيح البخاري [٣/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣، رقم: ٤٨٣٨].

(٥) جزء من الحديث الذي سبقه تخريجه، وقد أخرجه البخاري كذلك، في [٢/ ٩٦، رقم ٢١٢٥ كتاب البيوع، باب كراهية السَّخب في السوق].

الأحبار، وغيره، وابن سلام[١] بعد الإيمان، وقال آدم: «لما خلقتني رفعتُ رأسي إلى عرشك، فإذا هو مكتوبٌ فيه هذه الكلماتُ» التي هي المباني الإسلامية «لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمتُ أنَّه» ذو الرفعانِ «وأنه ليس أحدٌ أعظمَ عندك منه». منحةً قُربيَّةً، وأنَّ هذينِ الاسمين اللذين بهما يتمُّ الوصلانُ، وأبدأُ بمن جعلتَ اسمَه مع اسمك مقروناً، فأوحى الله إليه ذو العظمة الرَّحيميَّة: «وعزَّتي وجلالي لبعلَّمَه عظمة عين الأعيان، إنه لآخرُ النبيين من ذُرِّيتك، لولاه ما خلقتك»[٢]، أحوالاً تشريفيَّةً، وقيل: أبي محمَّد يكنَّى صفي الله آدم كان، وقال عيسى شاهداً فيه له: ولست أهلاً أن أحملَ حذاءه، أنباءً سطوريَّةً، ولو أخذتُ في النَّقل لتُهتُ في وُسْعِ هذا الميدان، وقَدْرُه المعظَّم قد أُفيح قبل بروزِه، وأشرقت أنواره في العوالم بالكليَّة، وليس يحصُر ذلك إلَّا الملكُ الدَّيَّان.

اللَّهم صلِّ وسلِّم على الذَّات المحمَّديَّة، واغفر لنا ما يكون وما قد كان

ثمَّ اعلمْ أنَّ نسبه ﷺ سلسلةٌ ذهبيةٌ، منظَّمٌ كالدّر المعروف بالتَّشريف على كلِّ الألوان؛ فهو محمَّدُ بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ذي العِصَابة

---

(١) هو: عبد الله بن سلام: بن الحارث أبو يوسف من ذرية يوسف النبي ﷺ حليف القوافل من الخزرج الإسرائيلي ثم الأنصاري.كان حليفاً لهم وكان من بني قينقاع، يقال: كان اسمه الحصين فغيَّره النبي ﷺ، وجزم بذلك الطبري وابن سعد، أسلم أول ما قدم النبي ﷺ المدينة، وقيل: تأخر إسلامه إلى سنة ثمان. وفي الصحيح عن سعد بن أبي وقاص قال: ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض: «إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام». قال الطبري: مات في قول جميعهم بالمدينة سنة [٤٣هـ] انظر: الإصابة لابن حجر [٤/ ٨٠]، الاستيعاب [ص: ٤٣٧].

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، [٦/ ٣١٣، رقم: ٦٥٠٢]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد [٨/ ٢٥٤]: (رواه الطبراني في الأوسط والصغير وفيه من لم أعرفهم). وانظر: السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٣٢٠]، سبيل الهدى والرشاد [١/ ٨٥].

الهاشمية، وهو ابنُ عبدِ مناف بلا خلافٍ ولا غوبانٍ، بنِ قصي بنِ كلاب بن مرّة أنساباً قرشيّةً، ابن كعب بن لؤي بن غالب بضبطٍ وحِفْظانٍ، بن فهر بن مالك بن النّضر كنانةَ المكونيةِ، بنِ خُزَيْمَةَ بنِ مُدْرِكَة بنِ إلياس المُزانِ، بن مُضَرَ بن نِزَار بن مَعدٌ رواه أهلُ النّسبيّة، وذلك المشهور بأنه ابنُ عدنانَ، ومن زادَ على هذا، فقد كذبَ كما جاء عنه ﷺ في الأخبارِ المرويّة، وهذا النسب لَم يكنْ أعلا منه في العرب نسبٌ بلا نكرانٍ.

نَسَبٌ من الرّحمن محفوظٌ فَلَا ... يلحقُه نسبٌ في الوجود مُبَرّا
دُرٌّ تنضّد من قديم عالي ... يعلوا على الجوزاء نوراً سنا

وهذا النسب لم يدخله سِفَاحٌ حفظاً من الله في آبائه وأمهاته من الأوائل، وذلك لحفظِ نطفته التي شرّفها قدرُه والشأنُ، بل نكاحٌ مضبوطٌ من أبٍ وأمٍّ، حِكَمٌ قَهّاريّةٌ[١]، وذلك من صُلْبٍ طاهرٍ إلى رحم طيّبٍ لم يدخله الشُّبْهَانُ، فتحفّظ لهذه الأنسابِ، التي هي أعظم أنسابٍ أصيليّةٍ، تزوّد قرباً ومحبّةً عند هذا الرّسول المعان، لكونه معتنىً به كما عُلِم تحقيقاً من الحضرة الرّحموتيّة، فينبغي لك التّخلّق بأخلاق الذي هو بالدِّين مُدان، تعلُ على سائر الأجناس بحوزك قَصَبَ الذّهب السّبكيّة، وتَنَلْ السّموّ بمدحِ من فَاقَ سائرَ الإنس والجان.

اللّهم صلّ وسلّم على الذّات المحمّديّة، واغفر لنا ما يكون وما قد كان

ثمّ اعلم أنّ تلك اللّمعةَ المفخّمةَ المعظّمةَ المكمّلة النورانية انتقلتْ من وجه

---

(١) ففي الحديث: «أنا انفسُكم نَسَباً وحَسَباً وصِهراً، ليس في آبائي من لدن آدم سِفاح كلّنا» الحديث رواه ابن مَرْدَوَيه عن أنس بن مالك ﷺ. انظر: سبيل الهدى والرشاد [١/ ٢٧٧]، والسيرة الحلبية [١/ ٥٦].

ثم لوجه ابنه شيثٍ، كما رواه أهلُ الإتقانِ[1]، ولم تزلْ تنتقلُ إلى أن جاءت في جبهةِ عبدِ الله، لتُبْرق العنايةِ الأزلية، فوضَعها في آمنة بنتِ وهبٍ، أم سيد العجم والعربان[2]، فكانتْ ترى من العجائب في حينِ حملِها به، عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام والتحية، ما يقصُر عنه في الحقيقة تعبيرُ اللسانِ، وناهيكَ بمن في بطنِها، الذي هو مُتَعَشِّقَةٌ به العوالمُ الملكيَّة، ولم يبقَ شيءٌ إلا ومُنَاظِرٌ لبروز خير الصبيان، وكذلكَ استشراف ظهورٍ واقعٍ للعوالم الملكوتيَّة، وهي أقلُّ للتشرّف بخير من عرّجها، ونالت به الأمان، وجاءها آدمُ في الشهر الأوّل وبشّرها بأنها حملت بخير من يمشي على الأرضية، وقصده التشرّفُ به فرحاً وسروراً، وقد كانَ ولم تزلْ في كلّ شهرٍ ترى نبيّاً من الأنبياء، أهل العزائم العزميَّة، فيبشرُها به بعبارةٍ أخرى، ليتم لها الاطمئنانُ[3]، فبُشرى لنا أجمعين به وبكمالاته، التي هي أعظمُ أمنيةٍ، وهنيئاً لنا بقدومه ولسائر الأكوانِ، فو الله إنها لمنْ أعظمِ الأوقاتِ التي أعطيتها لجميع البريةِ، إذ بانت به ﷺ طرقُ الحقّ واضمحلّت سبل الخسران.

اللّهم صلِّ وسلِّم على الذّات المحمَّديَّة، واغفر لنا ما يكون وما قد كان

ولما جاء شهرُ ولادتِه، التي هي أعظمُ عطيّةٍ من الملكِ الحق المتفضل بتلك

---

(١) (فلما حملت حواء بشيث انتقل النور عن آدم إلى حواء، وكانت تلد في كل بطن ولدين إلا شيثاً فإنها ولدته وحده كرامة لمحمد ﷺ، ثم لم يزل النور ينتقل من طاهر إلى طاهر إلى أن ولد ﷺ). انظر: سبيل الهدى والرشاد [١/ ٦٩].

(٢) انظر: انظر: المواهب اللدنية للقسطلاني [١/ ١١٩].

(٣) إشارة لما ذكره أهل الأخبار أنه: «في أول شهر من شُهُور آمنة أتاها في المنام آدم وأعلمها أنها قد حَمَلَت بخير العالم، ثم أتاها في الشهر الثاني إدريسُ وأعلمها أنها قد حملت بصاحب القدْرِ النفيسِ ثم أتاها في الشهر.....» انظر سمط النجوم العوالي، للعصامي [١/ ١٢٤] والسيرة الحلبية [١/ ١٠٣].

الهدية، أخذتْ آمنةَ في أتعاب الولادة، وهي تُكلّ شيء بالمناسبة لمعالجة النسوان[١]، ولم تزلْ وهي في ذلكَ وتتراكمُ عليها الأعرافُ العطرية، وتزداد بشراً بقربِ ظهورِ منوّر سائرِ البلدان، وحضرها في ليلةِ الولادةِ بعضُ الحورِ العينيةِ، وكذلك من النّساءِ آسيةُ ومريمُ ابنة عمران[٢]، فاشتدَّ بها الطلقُ، لتمام المدةِ في ليلة الاثنين المطليّةِ بأنوارٍ وأسرارٍ وحكمٍ ورحمة وراءة وغفرانٍ[٣]، وكانت إذ ذاكَ حاضرةً عندها أمُّ عثمان أبي العاص[٤]، ذات الحظوظِ الهنيّة، والشّفا أمُّ عبد الرّحمن بن عوف[٥]، سيِّد أهل الشكران، فاشتدَّ بها الطلقُ، فوضعته ﷺ مختوناً حكمةً ربانيةً، شاخصاً ببصره إلى السماء، فنسألك اللهمَّ سترَ الدارين، وقد حكتْ أمُّهُ عندَ ذلك أموراً نورانية، وخروج نورٍ معه سطع في الأفقين، وقالت أمُّ عثمان: تدلت النجومُ ولم تظهر عند ولادته إلا أنواراً عمومية، وذلك أنها عمّت في سائر الأكوان، وقالت أم عبدِ الرّحمنِ: لما سقطَ على بديَّ واستهلَّ عليه أفضل الصلاة والسلام

---

(١) كانت آمنة تقول: ما شعرت بأني حملت به ولا وجدت له ثقلة. انظر: عيون الأثر [١/ ٣٧]، السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٢٢٨]، سبيل الهدى والرشاد [١/ ٣٢٨].

(٢) انظر: ذخائر العقبى [١/ ٤٥]، عيون الأثر [١/ ٣٩]، السيرة النبوية لابن كثير [١/ ١٩٨].

(٣) وهو اختيار أكثر أهل الحديث. انظر: المواهب اللدنية للقسطلاني [١/ ١٤٠ ـ ١٤١]، السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٢٠٠].

(٤) فاطمة بنت عبد الله، قال ابن حجر في الإصابة [٨/ ٢٥٦]: (أم عثمان الثقفية، والدة عثمان بن أبي العاص الصحابي المشهور، روى حديثها عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان عن عثمان بن أبي العاص أنها شهدت آمنة لما ولدت النبي ﷺ في قصة طويلة أوردها ابن منده).

(٥) انظر: الشفا للقاضي عياض [١/ ٣٦٦]، السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٢٠٧]، سبيل الهدى والرشاد [١/ ٣٤١].

...قرونتان بالزكيةِ، سمعتُ قائلاً يقول: رحمكِ الله، فيا هنيئاً لها بتلك ...لحلبان، وأضاء لها ما بينَ المشرقِ والمغرب من أنواره العظموتيّة[1]، ...حى لقد نظرتُ إلى قصورِ الروم وكنعان.

اللّهم صلِّ وسلِّم على الذّات المحمَّديَّة، واغفرْ لنا ما يكونُ وما قد كان

...ا الذي جرى ليلة مولدِه ﷺ منَ العجائب العجيبةِ، فأمورٌ دالةٌ على عظيمِ ...كانه من الحقِّ والمكانِ، كالارتجاجِ الواقع في إيوانِ كسرى ذي البناءات ...لقويّة، المعروفِ بأنوشَرَوَان[2]، فذلك إذا تأمّلته وكنت ذا نظرٍ وبصيرةٍ ...صيريّةٍ، ترى فيه أعظمَ البشائرِ بانهدام دعوة البطلان، وغَيْضُ البُحيرةِ ...لمعروفة بناحية الفرس بطبرية[3]، فيه منَ الآياتِ الساطعة بالحقِّ والبرهان، ...لعجبُ من ذلك كلِّه، إذا دقَّقت خمودُ النّارِ الفارسيّة[4]، فيا عجباً ممّن ...سمعُ مثل هذا ويكذِّب!، فليس أقوى منه خسرانٌ، وكان لها على الصحيح ...لفُ سنةٍ لم تخمدْ لعبادتِهم أوقدَها الجاهلية[5]، وقد خمدت لظهوره ﷺ تلك ...لنيرانُ، وأصبحتِ الأصنام منكسةً على رؤوسها[6]، لتبدوَ الملةُ الحنيفية، ...وبطلانُ عبادتها، وعمّ ذلك في جميع المشرقين، ثم أخذته الملائكةُ فطافتْ به

---

(١) انظر: الشفا للقاضي عياض [١/ ٣٦٦]، الروض الأنف [١/ ٢٧٦].

(٢) هو أنوشروان بن قباذ، ومعناه مجدد الملك، لأنه جمع ملك فارس بعد شتات. انظر: الروض الأنف [١/ ١٣٩].

(٣) جاء في دلائل النبوة للبيهقي: (لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ ارتجس إيوان كسرى، وسقطت منه أربع عشرة شرفة). انظر: دلائل النبوة [١/ ١٢٦]، والمصنوع في معرفة الحديث الموضوع للقاري، [ص: ١٨].

(٤) انظر: الشفا للقاضي عياض [١/ ٣٦٧]، السيرة الحلبية [١/ ٨٦]، سبيل الهدى والرشاد [١/ ٣٥٨].

(٥) انظر: المراجع السابقة.

(٦) انظر: السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٢١١]، سبيل الهدى والرشاد [١/ ٣٥٠].

جميع الأرضية، وعمَّتْ بركتُه العظمى على أصناف الوديان، وقيل: دارتْ كذلك في العوالمِ العلويَّةِ، لتنال ما نالته الأرضُ من الفَخْرانِ[١]، وزُيِّنَ السَّماءُ ليلة مولده، وفرحتِ الخلائقُ الملكية، فكيف لا ومن نورِ خلق الرَّحمنُ، وعمّتِ الأرضَ الزينةُ من غير شكٍّ يا معشر الأمة التَّخصيصيَّة ويحقُّ لها إنْ كنتَ ذا فهم أن تُزَّانَ، وهو لما عمَّ فيها من خيرا تِ تشرَّفت به على جميعِ العوالم الأخروية، فيا لها من مفاخرَ، ولا سيَّما للموضع وذلك حيثُ وُلد، ونشأ وبدأه الوحيُ في الأرض المكيَّة، وحيثُ دُفن فياليتني كنت تلك الأرض التي زادت الفخرين.

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم على الذَّات المحمَّديَّة واغفر لنا ما يكون وما قد كان نشأ مع أمِّه، وتوفيِّت بعد مدَّةٍ من الزمان القليليةِ[٢]، وقد توفي أبوه قبلها كما صحَّحه الشهمانِ[٣]، ثم توجهت كمال العنايةِ الأبدية، بعد أن تركهُ بطر النسوانِ، وذلك إلى حضرة سيِّدتنا كاملةِ الحظ حليمة السعدية[٤]، فيا لها من سعادةٍ فاقت بها على جمعٍ من الإنس والجانِّ، وحصل لها من البركة خبِّرت به في الدِّيارِ الحرميَّة؛ كمثل دُرُورِ شاتها التي لم يكن بها شيءٌ من الألبان، وخصب غنمها التي كانت لم تحوِ شيئاً من المنفعيَّة، فعادت

---

(١) انظر: سبل الهدى والرشاد [١/ ٦٩].

(٢) انظر: عيون الأثر [١/ ٥٥]، ذخائر العقبى [١/ ٢٥٨]، سبل الهدى والرشاد [٢/ ١٢٠].

(٣) انظر: المواهب اللدنية [١/ ١٢٢]، دلائل النبوة [١/ ١٨٧ ـ ١٨٨]. الروض الأنف [٢/ ١٦٠]، دلائل النبوة لأبي نعيم [ص، ١٣٧].

(٤) حليمة بنت أبي ذويب، وأبو ذويب: عبد الله بن الحارث من قبيلة بني سعد بن بكر، من بادية الحديبية بالقرب من مكة. انظر: السيرة النبوية لابن هشام [١/ ١٦٠]، وذخائر العقبى [١/ ٢٥٩]، وسبل الهدى والرشاد [١/ ٣٨٣].

بالإعطاء ممّا جادَ به فيها الحنّان[1]، وفي سرعةِ شبابه من الغرائبِ ما حكته
لأفضليّة، دلالاتٌ على عظمْ اعتناء البريّةِ، لأنه يتيماً كان، وفي الضُّحى
أسرارٌ من الرّحيم الكريم متليّةٌ؛ من إيواءٍ وإهداءٍ وإغناءٍ وقد حان[2]، وفي
حسن نشأته ونظافته مع صغره، تأديبٌ أدبيّة، وإصباحُه صقيلاً كحيلاً دهيناً يشير
لهذا الدّوران[3]، وبركته ﷺ في الأكل من صغره إذا حضر فيه ظاهرة مشهورةٌ
مرموزيّةٌ، وهو أنه إذا أكل مع عمّه أبي طالب وآله، شبعوا بغير توان، وإذا
غاب خرجت تلك البركة، فلم تشبع الجمعيّة، وتمَّ من عظيمِ قديرٍ ما يكِلّ عنه
الوصفان، فتأهبْ بتفريغ سرّكَ لحبِّ هذه النشأة للمحفوظيّة، وتوجّه لإنزال
المودّة في السر والإعلان.

اللّهم صلِّ وسلّم على الذّات المحمّديّة، واغفر لنا ما يكون وما قد كان

وعند حليمة مع أخيه[4] كان يرعى غنَمهم المسميّةَ، فكان يظلّه الغمامُ، وقد
صحَّ ذلك في غيرِ مكانٍ، فجاءه ذات يومٍ، وهو يرعى الغنم، عصبةٌ ملكيّةٌ،
قيل: ثلاثة، وقال بعضهم: بل اثنان[5]، وفي يدِ أحدهِم طِسْتٌ من الألوانِ

---

(١) قال ابن عبد البر في الاستيعاب [ص: ٨٨٣]: (ورأت له برهاناً وعلماً جليلاً، تركنا ذكره لشهرته). وقد روت كتب السيرة تلك الآثار. انظر: الروض الأنف، للسهيلي [١/ ٢٨٥]، عيون الأثر لابن سيّد النّاس [١/ ٤٨]، و السيرة النبوية لابن كثير [١/ ١٢٥ ـ ١٢٧].

(٢) قال الله تعالى في سورة الضحى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝﴾ [الضحى: ٦ ـ ٨].

(٣) انظر: الروض الأنف [١/ ٣١١]، السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٢٤٢].

(٤) من الرّضاعة، كما ورد ذكره في كتب السيرة النبوية. انظر: ذخائر العقبى [١/ ٢٥٩]، عيون الأثر [١/ ٦٨ وما بعدها].

(٥) انظر: دلائل النبوة للبيهقي [١/ ١٣٥]، عيون الأثر [١/ ٥٠]، السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٢٢٩]، سبيل الهدى والرشاد [١/ ٣٨٩].

الذهبية، وهو مملوءة ثلجاً بلا زيغ ولا بهتانٍ، فشقَّا صدره الشريف[1]، واستخرجا منه المضغة القلبية، ثمَّ شقَّا قلبه فأخرجا منه علقة سوداء فطرحاها من ثمَّ ليطهِّرا، ثمَّ غسَلا بطنه بذلك الثلج، حتى تركا تلك المضغة منقَّاة، وختماها بخاتم النورِ، فملآها حكمةً وإيماناً، ثمَّ قال جبريلُ: (قلبٌ وَكيعٌ) شهادة منه حقيَّة، أي: شديدٌ[2]، وفيه (يا بنيَّ عينان تبصران)، فما هو إلا أن ولَّيا عنه، فصار يرى الأمر معاينةً عيانيَّة، وكان له كما صحَّ، (أذنان للوقائع تسمعان)[3]، ثم قال: زِنْه بعشرةٍ من أمته الخيرية، فوزنه، فرجَح بها، وهيهات أن يزنه الكونان، ثم قال: زِنْه بمائةٍ من أمته الأخروية، فوزنه، فرجَح بهم، كما صحَّحه الحَبْرَان[4]، ثم قال: زِنْهُ بألفٍ منهم، لتَتِمَّ من الله والخلقِ الشهادةُ العدليَّة، فوزنه فرجَحَ، فقال لصاحبه: لو وزنته بأمته لوزنها

---

(١) قصة شق الصدر ثابتة في الأحاديث الصحيحة: انظر: صحيح مسلم، [١/ ٨٧، رقم: ٢٦١ كتاب الإيمان].

(٢) سقاءٌ وَكيعٌ وفرسٌ وَكيعٌ، أي: صلبٌ شديدٌ. والوَكاعةُ الشدَّةُ. انظر: الصحاح [٤/ ١٦١٦، مادة: وكع]، لسان العرب [١٥/ ٣٨٥، مادة: وكع].

(٣) أخرج الإمام الدارمي في سننه، باب ما أعطي النبي ﷺ من الفضل، عن أبي إدريس الخَولاني عن ابن غَنْم قال: (نَزَلَ جبريل على رسول الله ﷺ، فَشَقَّ بطنه، ثمَّ قال جبريل: قَلْبٌ وَكِيعٌ فِيهِ أُذُنَانِ سَمِيعَتَانِ وَعَيْنَانِ بَصِيرَتَانِ، محمَّد رسول الله المُقَفِّي الحاشر، خُلُقُكَ قَيِّمٌ، وَلِسَانُكَ صَادِقٌ، وَنَفْسُكَ مُطْمَئِنَّةٌ). انظر: سنن الدارمي [١/ ١٩٩، رقم: ٥٤]. وانظر: الشفا للقاضي عياض [١/ ١٧٣]، سبيل الهدى والرشاد [٢/ ٦٣].

(٤) الحِبْرُ والحَبْرُ: العالِمُ من علماء أهل الدين، وجمعهُ أحبار، ذِمِّياً كانَ أو مُسلماً بعدَ أن يكون من أهل الكتاب. قال أبو عبيد: والذي عندي أنه الحَبْرُ بالفتح، ومعناه العالم بتَحْبِير الكلام والعلم وتحسينه. انظر: معجم العين للفراهيدي [٣/ ٢١٧، مادة: حبر]، الصحاح للجوهري [٢/ ٦٢٠، مادة: حبر].

يُرجِحُ الميزان[1]، ثم ضمُّوه إلى صدورهم، وقبّلوا رأسَه، وقالوا: لن تُرَاعَ بأشدِّ جماعة النبوّة والرسليّة، فلو تَدْرِي ما يُراد بك من الخير والهَدْيَان، وحظّك على الله لقرّت عينك الجميلةُ الحسنيَّة، وكان الأمر فيه الجودُ السّاري إلى سائر العالمين، وقالا له: ما أكرمَك على الله، يا خيرَ من وطئ الأرض لَقَدَمَيْه، إنَّ الله معك وملائكته، فما عليك من خوفٍ بعد هذا العصمانِ، ثم لم يزلْ هكذا، وهو يكبرُ، ودُعِيَ الأمينَ لأمانته القريحيّة[2]، وتزوَّجَ بخديجةَ، وهو ابن خمسةٍ وعشرين، الحائزةِ القصرين، وسافرَ الشّام في تجارة[3]، وكانت تظلّل عليه جماعةٌ من الملائكة المعصوميَّةِ، ورأتْ خديجة مع نساءٍ حين قدومه بظلانِ ملكان[4]، فذكرتْ ذلك لِمَيْسَرَة، فأخبرَها أنه رأى ذلك، مذ خرجَ معه في السفريّة، فيا عظيم شأنك، يا رسولَ الملكِ الديّان[5].

اللّهم صلِّ وسلّم على الذّات المحمّديّة، واغفرْ لنا ما يكونُ وما قد كان

---

(١) انظر: عيون الأثر، لابن سيّد الناس [١/ ٥١]، السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٢٢٩]، سبيل الهدى والرشاد [١/ ٣٨٩].

(٢) (لما بلغ رسول الله ﷺ خمساً وعشرين سنة، وليس له بمكة اسم إلا الأمين لما تكاملت فيه من خصال الخير). انظر: عيون الأثر [١/ ٦٩]. السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٢٤٩].وذكر العرفي ﷺ أن عبد المطلب سمع وقت دخول حليمة مكة هاتفاً يقول:
إنّ ابن آمنة الأمين محمّداً خير الأنام وخيرة الأخيار
انظر: سبيل الهدى والرشاد [١/ ٣٨٦].

(٣) انظر: عيون الأثر لابن سيّد الناس [١/ ٧٠ ـ ٧١]، السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٢٦٢]، الروض الأنف للسهيلي [١/ ٣٢١]. سبيل الهدى والرشاد [٢/ ١٥٨].

(٤) انظر: الروض الأنف [١/ ٣٢١]. دلائل النبوة لأبي نعيم [ص: ١٧٤].

(٥) الدَّيَّانُ: من أسماء الله ﷻ معناه الحَكَم القاضي، وقيل: هو القهار، من دان القوم إذا ساسهم وقهرهم فدانوا له. انظر: أساس البلاغة، [١/ ٣٠٦ مادة: دين]، والفائق في غريب الحديث [١/ ٤٥٠ مادة: دين كلاهما للزمخشري].

ثم أخذ يتحنث[1] في جبل حِرَاءٍ[2]، في المغارة التي هي بالخيراتِ حرية، ويعودُ إلى أهله ويرجعُ إليها في بعض الأحيانِ، فجاءه الملكُ فقال له: اقرأ، فقال: ما أنا بقارئٍ، فغطّه غطّةً جِلميّةً، ثم قال له: اقرأ، فقال: ما أنا بقارئٍ، فغطّه أخرى بنصحبن، ثمّ قال له: اقرأ باسم ربِّك الذي خلق، وذلك بدء الوحي للحضرة المحموديّة، ومن ثمّ تواتر الأمرُ أحياناً، حتى تمّ نزول القرآن، وقبل أن يهاجرَ بسنةٍ على الصّحيح للديار اليثربيّة[3]، جاءه جبريل فأسري به إلى بيت المقدس[4]، كما حرّره الشيخان[5]، وأتاه بالبُراق مُلجماً[6]

(١) التحنّث: قال الزمخشري في أساس البلاغة: (وكان رسول الله ﷺ يتحنث بحراء؛ أي: يتعبد ويتأثم. انظر: [١/ ٢١٧، مادة: حنث]. وكما جاء في الحديث عن عائشة ﵂ (ثُمَّ حُبِّبَ إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يَتَحَنَّثُ فيه وهو التَّعَبُّدُ اللَّيالي أولات العدد). انظر: صحيح البخاري [١/ ١٤، رقم: ٣]، صحيح مسلم [١/ ٨٣، رقم: ٢٥٢].

(٢) جبل حِراء: بالكسر والتخفيف والمد، جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال وهو معروف ومنهم من يؤنثه فلا يصرفه. وكان النبي ﷺ، قبل أن يأتيه الوحيُ يتعبد في غار من هذا الجبل وفيه أتاه جبرائيل عليه السلام. انظر: معجم البلدان [٢/ ٢٣٣].

(٣) يثرب: بفتح أوله وسكون ثانيه وكسر الراءِ وباءٍ موحدة. قال أبو القاسم الزجاجي: يثرب مدينة رسول الله عليه سلم سميت بذلك لأن أول من سكنها عند التفرق يثرب بن قانية بن مهلائيل بن إرم بن عبيل بن عوض بن إرم بن سام بن نوح ﷺ، فلما نزلها رسول الله عليه الصلاة والسلام سمَّاها طيبة وطابة، كراهية للتثريب وسميت مدينة الرسول لنزوله بها. انظر: معجم البلدان [٥/ ٤٣٠].

(٤) قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝﴾ [الإسراء: ١].

(٥) انظر: صحيح البخاري [٢/ ٤٣٠، رقم: ٣٢٣٨]، وصحيح مسلم [١/ ٨٤، رقم: ٢٥٤].

(٦) البُراق، كما ورد في الحديث الصحيح: (وأتيت بدَابَّةٍ أبيض دون البغل وفوق الحمار البُرَاقُ...)، وقوله: (ملجماً): أي: موضوع فيه اللجام: وهو الحديدة التي توضع في فم الفرس وما يتصل بها من سيور.

مصعب بعُنُقةٍ بهيميّة[١]، فقال له جبريل: ما ركبك عبدٌ أكرم على الله من محمد ﷺ بن عدنانٍ، ثمّ بعدَ بيتِ المقدس رقّاه إلى السّموات[٢] بعد أن صلّى بالنبيين، وأُسقي الشربة اللبنيّة[٣]، فلقي آدمَ في الأولى، وفي الثانية ابني الخالة يحيى وعيسى ذوي الإحصانِ، وفي الثالثة وجدَ يوسف ذا المحاسن[٤]، الذي افتتنت به زليخا الأوليّة[٥]، وفي الرّابعة إدريس، الذي قال الله فيه: ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ [مريم: ٥٧] في التبيان، وفي الخامسة هارونَ، وفي السّادسة موسى، الذي ردّه لتخفيف الصّلاةِ الفرضيّة[٦]، فرجعتْ بعد خمسين خمساً؛ في النّهار ثلاثةٌ وفي اللّيل فرضان[٧]، وفي السابعة إبراهيمَ

---

(١) الحديث: عن أنسٍ أنّ النبي ﷺ: «أُتِيَ بِالْبُرَاقِ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ مُلْجَمًا مُسْرَجًا فَاسْتَصْعَبَ عليه فقال له جِبْرِيلُ أَبِمُحَمَّدٍ تَفْعَلُ هذا فما رَكِبَكَ أَحَدٌ أَكْرَمُ على الله منه قال فَارْفَضَّ عَرَقًا». انظر سنن الترمذي [٥/ ٣٠١/ رقم٣١٣١] وصحيح ابن حبان [١/ ٢٣٤/ رقم٤٦].

(٢) وهو المعراج: (والمِعْرَاجُ: السُّلَّمُ، ومنه ليلة المِعْرَاجِ، والجمع مَعارج ومَعاريج). قال الله ﷻ: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ [المعارج: ٤] أي: تصعد. انظر: الصحاح للجوهري [١/ ٣٢٨، مادة: عرج].

(٣) انظر: عيون الأثر [١/ ١٩١]، الشفا للقاضي عياض [١/ ١٧٧].

(٤) قال إسحاقُ بنُ أبي فروة: (كان يوسفُ ﷺ إذا سَار في أزِقَّةِ مصر يُرى تلألؤ وجْهِهِ على الجُدرانِ، كما يُرَى نُورُ الشَّمسِ في الماءِ عَلَيْهَا)، و في حديث الإسراء: (فَمَرَرْتُ بِيُوسفَ فإذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الحُسنِ)، انظر: تفسير اللباب لابن عادل [٩/ ٢٥٩].

(٥) زوج عزيز مصر، واسم امرأة العزيز: (راعيل) بنت رعاييل. وقال غيره: كان اسمها (زليخا) والظاهر أنّه لقبها. وقد قصّ الله سبحانه قصتها في القرآن الكريم، وسمّى سورة باسم نبي الله يوسف ﷺ. وقصّ قصته مع عزيز مصر. انظر: قصص الأنبياء [١/ ٣١٨].

(٦) انظر: السيرة الحلبية [٢/ ٧١]، عيون الأثر [١/ ١٩٢]، السيرة النبوية لابن كثير [٢/ ١١١]. زاد المعاد [٣/ ٢٨].

(٧) أي: الصلوات الخمس: الصبح والظهر والعصر، ثلاثة فروض في النهار، و المغرب والعشاء، فرضان في الليل.

متكئاً على البيت المعمورِ بالضياءات الوسعيّة[١]، الذي يدخلُه كلَّ يوم سبعو
ألف ملكٍ بحسبانٍ، ثم إنهم لا يعودُونه إلى يوم القيامةِ البغيّة[٢]، فما أعلى هذا
المقام، كيف وهو مقامُ خليل الرَّحمن، ولم يزلْ يرقى ﷺ إلى سِدْرَةَ المنتهى إلى
الحضرة العرشيَّة، وعلا الحجبَ، وخاطبَ مولاه ورآه، كما قال ابن عباس
عيان[٣]، ورجع وكلُّ ذلك كان في بعضِ ليلةٍ، فما أعظمَ هذه المعجزات
الشهيرَة، وأخبرَ قريشاً، فكذَّبه أهلُ البغي والخذلان، فجاء بالعلامات، وأخبر
بالعِير التي كانت له مرئية، وصدَّقه الصِّدِّيق[٤] لسبق العنايةِ له، فتيقَّظ يا نومان

اللَّهم صلِّ وسلِّم على الذَّات المحمَّديَّة، واغفرْ لنا ما يكون وما قد كان

ثمَّ لم يزل صابراً ﷺ على الخبائث الصادرةِ له من الفئةِ الكفرية، ويدعو

---

(١) انظر: عيون الأثر [١/ ١٩٢]، السيرة النبوية لابن كثير [٢/ ٩٩]، سبيل الهدى والرشاد [٣/ ٨٨].

(٢) أخرج البخاري في صحيحه،، في حديث طويل جاء فيه: (فرُفِع لي البيت المعمور فسألت جبريل فقال هذا البيتُ المعمور يُصلِّي فيه كلَّ يوم سَبعُون ألف مَلَك إذا خرجوا لم يَعُودُوا إليه آخر ما عليهم). انظر: صحيح البخاري [١/ ١٣٢، رقم: ٣٤٩ كتاب الصلاة].

(٣) اختلف السَّلف هل رأى رسول الله ﷺ ربّه ليلة المعراج أم لا؟ على قولين مشهورين، وأنكرت ذلك عائشة ﵂ وطائفة، ففي الحديث من رواية القاسم عنها قالت: «مَنْ زَعَم أنَّ مُحَمَّدًا رَأى رَبَّهُ فَقَدْ أعْظَم». أي: دخل في أمر عظيم، وأثبت الرؤية ابن عباس وطائفة، ففي الحديث من قول ابن عبَّاس: «إنَّا بنو هاشم نقول: إنَّ مُحَمَّدًا رأى ربه مَرَّتَين، فَكَبَّرَ كَعب، وَقَالَ: إنَّ الله قَسَمَ رُؤْيَتَه وكلامه بين موسى ومحمَّد، فكلَّم موسى مرَّتين، ورآه محمَّد مرَّتين». انظر: فتح الباري لابن حجر [٨/ ٦٠٧] وما بعدها، شرح النووي على صحيح مسلم [٣/ ٥ ـ ١٩].

(٤) الخليفة الراشد أبو بكر الصديق، ﵁، سبقت ترجمته، رُوِيَ أنَّ أبا بكر الصديق ﵁ قال: (إني لأصدقه في خبر السماء بكرةً وعشية، أفلا أصدقه في بيت المقدس؟). انظر السيرة النبوية لابن كثير [٢/ ٩٦].

للهم، من حسن خلقهِ بالهدى والهديان(١)، فهدى اللهُ مَنْ هدى بعنايتهِ رأمرِهِ، ليتمَّ له بالهجرة النبويّة(٢)، فخرج هو والصِّديق، واختفيا في غارِ ورٍ(٣)، وطلبَ الكفّارُ لهما يقتلان(٤)، فأتوا إلى الغار، وقد أمرَ اللهُ الحمامَ والعنكبوتَ تنسج على فم تلك المغارةِ المحصونية(٥)، فقال أبو بكر: هؤلاء م، فقال مَنْ ملأ اللهُ قلبَه بالسّكينة والاطمئنان: «يا أبا بكر، ما بالك باثنين له ثالثهما»(٦). فأنزل الله عليهما سكينته النّصريّة(٧)، ومضوا إلى المدينة، فأدركهُمْ في الطريق سُرَاقَةُ(٨)، فساختْ قوائمُ فرسهِ، فنادى الأمانَ، فحلّمه

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، عن عائشة رضي الله عنها [٢/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩، رقم: ٣٢٣١]، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، [٢/ ٨٦٤، رقم: ١٧٩٥].

(٢) وقد كانت هجرته عليه السلام في شهر ربيع الأول، سنة ثلاث عشرة من بعثه ﷺ، و ذلك في يوم الاثنين، كما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس، أنه قال: ولد نبيكم يوم الاثنين، وخرج من مكة يوم الاثنين، ونبئ يوم الاثنين، ودخل المدينة يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين.انظر: السيرة النبوية لابن كثير [٢/ ٢٣٥].

(٣) سبق التعريف به.

(٤) قال سراقة: (جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره). انظر: السيرة النبوية لابن كثير [٢/ ٢٤٦]، زاد المعاد لابن قيم [٣/ ٤٥].

(٥) قصة تسج الحمام والعنكبوت، أوردها علماء السيرة النبوية. انظر: السيرة النبوية لابن كثير [٢/ ٢٤٠]، دلائل النبوة للبيهقي [٢/ ٤٨٢]، سبيل الهدى والرشاد [٣/ ٢٤٠]، الروض الأنف [٢/ ٣١٥].

(٦) انظر: صحيح البخاري [٣/ ٧، رقم: ٣٦٥٣].

(٧) أشار إلى ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿عَظِيمٌ ۝ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ۝ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ إِنَّ﴾ [النور: ١٥ ـ ١٨].

(٨) سبقت ترجمته.

النبي ﷺ، فرجع وردّ الكفّار عنه(١)، ودخلَ النبي ﷺ إلى الديار الحربيّ...
ونزلَ عند أخوالهِ في دار بني النّجار(٢)، أهلِ الرُّسخان، وبنى المسجدَ وج...
الجيش هو والدائرة الأصحابيّة، وأقامَ الدِّين، حتىٰ أتاه اليقين(٣)، فواف...
مولاه بإحسانٍ، واستأذنهُ مَلَكُ الموتِ(٤)، ولم يستأذنْ أحداً قبلَه من الأ...
القبليّة، فأذِنَ له، وأعظمُ المصائب علينا وفاته، فالحكم للمنّان، ودُفِنَ ﷺ
في حُجرة عائشة، التي نزلت فيها الآيات التبرئيّة(٥)، وعندَ رِجْلَيْه أبو بكر
الصّديق وعمر الفاروق مدفونان، وصلّتْ عليه الملائكةُ، وعزّت أهله...
الخَضِر ذي العلوم اللَّدُنِّيّة(٦)، ثم صلّى عليه الرّجال بوصايته، وال...

---

(١) انظر قصة سُراقة مع النبي ﷺ في أثناء الهجرة: الروض الأنف [٤/ ١٨٦]، السيرة النب...
لابن كثير [٢/ ٢٤٢]، دلائل النبوة للبيهقي [٢/ ٤٨٣].

(٢) من بني عدي بن النّجار. انظر: دلائل النبوة للبيهقي [١/ ١٨٨].

(٣) اليقين هو الموت، قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝﴾ [الحجر: ٩٩].

(٤) انظر: عيون الأثر [٢/ ٤٣٢]، السيرة النبوية لابن كثير [٤/ ٥٠٣]، سبل الهدى والرشاد [١/ ٤٣٠].

(٥) إشارة إلى الآيات التي نزلت في حادثة الإفك، والتي برّأت أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، و... مطلع هذه الآيات، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝﴾ [النور: ١١].

(٦) جاء في عيون الأثر لابن سيّد النّاس: (وجاءت التعزية، يسمعون الصوت ولا يرون الشخص: السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته، كل نفس ذائقة الموت، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة، إن في الله عزاء عن كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ودركاً من كل ما فات، فبالله فثقوا وإياه فارجوا، فإن المصاب من حرم الثواب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وقد ذكر أن هذا المعزي هو الخضر ﷺ). ا... عيون الأثر [٢/ ٤٣٢].

والصبيان[١]، وعمّت ملّته في جميع الأرض القريبة والبُعدية، ولم يُخْرَم من رحمته وبركته شيءٌ من الأكوان.

اللّهم صلّ وسلّم على الذّات المحمّديّة واغفر لنا ما يكون وما قد كان

وأما وصفه ﷺ، من حيث جهته الخَلْقِيّة، فهو ﷺ في الحقيقة كان فخماً مفخّماً، وجهه كالدّائرة القمريّة، أطولَ من المربُوع، وأقصرَ من المشذَّب، الذي طوله قد بان، عظيمَ الهامة، أزهرَ اللّون، واسعَ الجبين[٢]، أزجَّ الحواجبِ غير مقرونيّة[٣]، لا يجاوزُ شعرُه شحمة أذنيه رِجْلَ الشّعْران[٤]، بين حاجبَيه عرقٌ يدرُّه الغضبُ، أقنى العِرْنَيْن ذي الحِليَة الحَليّة[٥]، له نورٌ يعلوه، يحسَبُه من لم يتأمّله أشمّ وهو خطيان، كثّ اللّحية[٦]، سهلَ الخدّين

(١) عن ابن عباس، قال: لما مات رسول الله ﷺ، أدخل الرجال فصلوا عليه بغير إمام أرسالاً حتى فرغوا، ثم أدخل النساء فصلين عليه، ثم أدخل الصبيان فصلوا عليه، ثم أدخل العبيد فصلوا عليه أرسالاً، لم يؤمهم على رسول الله ﷺ أحد. انظر: السيرة النبوية لابن هشام [٢/ ٦٦٣]، السيرة النبوية لابن كثير [٤/ ٥٢٧]، سبيل الهدى والرشاد [١٢/ ٣٢٩].

(٢) انظر: الشمائل المحمدية للترمذي [ص: ٣٦]، دلائل النبوة للبيهقي [١/ ٢١٤]، عيون الأثر [٢/ ٤١٣].

(٣) كان رسول الله ﷺ أزج الحواجب، والزّجج: طول الحاجبين ودقتهما وسبوغهما إلى مؤخر العينين. انظر: دلائل النبوة للبيهقي [١/ ٢١٤]، عيون الأثر [٢/ ٤١٣]، سبيل الهدى والرشاد [١/ ٤٢٧].

(٤) انظر: الشمائل المحمدية للترمذي [ص:٤٨].

(٥) العرنين: بكسر العين وسكون الراء المهملة وكسر النون: الأنف. والقنى فيه: طوله ودقة أرنبته مع ارتفاع في وسطه. والشّمَمُ ارتفاعٌ في قصبة الأنف مع استواء أعلاه وإشراف الأرنبة قليلاً فإن كان فيها احديدابٌ فهو القَنا انظر: لسان العرب [١/ ٣٣٠، مادة: قنا]. سبيل الهدى والرشاد [٢/ ٢٩].

(٦) الكثونة أن تكون اللحية غير دقيقة ولا طويلة ولكن فيها كثافة من غير عظم ولا طول. =

الوردية[١]، كاملَ الجمال فطرةً، أدعجَ العينين، واسعَ الفم، يفتتح الكلام ويختتمه بشدقيه العسليّة، أشنبَ[٢]، وقد صحّ أنه مفلّج الأسنان[٣]، له شعرٌ دقيقٌ من صدره إلى سرّته، يسمّى المسربة الشّعريّة[٤]، وعنقه جيدُ دُميةٍ في صفاء الفضّة يضان، معتدلُ الخلق بادِناً متماسكاً ذا روائح مسكيّة طيّبةٍ، سواء البطن والصدر مسيحة، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، أي: رؤوس العظام المجليّة، أشعر المنكبين، وعالي الصدرِ والذّراعين، عاري الثديين مما سوى ذلك بتصحيح الشّمائلِ[٥] الترمذية، طويلَ الزّندَين، رحبَ الراحة، شثْنَ الكفين والقدمين[٦]، سبطَ العصب[٧]، ....

= انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم [ص: ٣٦]، عيون الأثر [٢/ ٤١٤]، سبيل الهدى والرشاد [٢/ ٣٤]، الشفا [١/ ٦٠].

(١) انظر: الشمائل المحمدية للترمذي [ص: ٣٦]، دلائل النبوة للبيهقي [١/ ٢٨٧].

(٢) انظر: عيون الأثر لابن سيّد النّاس [٢/ ٤١٤]، الشفا للقاضي عياض [١/ ١٥٦].

(٣) المفلّج: بالجيم كمعظّم، أي: مفلّج الثنايا وهو المتباعد ما بين الأسنان. انظر: عيون الأثر، لابن سيّد النّاس [٢/ ٤١٤]، سبيل الهدى والرشاد [١/ ٥١٨]، الشفا للقاضي عياض [١/ ١٥٦].

(٤) يوصف النبي ﷺ أنه كان «دقيق المسربة كان عنقه جيد دمية في صفاء الفضة»، والمسربة: شعر دقيق من الصدر إلى السرّة. انظر: الشمائل المحمدية للترمذي [ص: ٣٦]، الشفا للقاضي عياض [١/ ٦٠]، الروض الأنف للسهيلي [١/ ١٩٩].

(٥) كتاب (الشمائل المحمّدية والخصائص المصْطَفَوِيّة)، للإمام الترمذي انظر: جمع الوسائل شرح الشمائل، للقاري [١/ ٢]، هدية العارفين، للباباني، [٢/ ١٩]، كشف الظنون، لخليفة [٢/ ١٠٥٩].

(٦) الشثن: الغليظ الأصابع من الكفين إلى القدمين. انظر: الشمائل المحمدية للترمذي [ص: ٣٣].

(٧) وفي بعض الروايات: (القصب) بقاف فصاد مهملة فباء موحدة جمع قصبة وهي كل عظم أجوف فيه مخ وأما العريض فيسمّى لوحاً، يريد بهما ساعديه وساقيه. وقوله: (سبط): بفتح السين المهملة وسكون الباء الموحدة وكسرها، وحكي الفتح أيضاً وبالطاء المهملة: الممتد الذي ليس فيه تعقد ولا نتوء. انظر: سبيل الهدى والرشاد [٢/ ٧٧].

سائل الأطرافِ[١]، ذا النظراتِ الجمالية، ينبو الماء عن كفيّ رجليه[٢]، إذا ضحك يفترُّ عن مثل حبِّ الغمام[٣]، مُبْدٍ لذلك الحُبَان؛ أي: الحبوبُ المحظيَّة، نظرُه إلى الأرض أطولُ من نظرِه إلى السماء، جلُّ نظره الملاحظة[٤]، يسوقُ أصحابه ركباناً ومشيان، دائمَ البِشْر يبدأ من لقيه بالسّلام[٥]، إذا مشى كأنما ينحطُّ من صبب[٦]، مشيةً روحانيةً، دائمَ الفكرِ، طويلَ السكوت، متواصلَ الأحزان[٧].

اللّهم صلِّ وسلّم على الذّات المحمّديّة، واغفر لنا ما يكون وما قد كان

وأما أخلاقه ﷺ فليس يحصُرها ضبطُ الأقلام البشرية، فلنتبرَّكْ بذكر نزرٍ منها، كما سطَّرنا في خَلقِهِ المُزّان، كان ﷺ قد تخلّقَ بالأخلاق القدسية، وأمر بالتخلُّق بها، لينال كمال الفوزان، فنقول: كان ﷺ رؤوفاً صاحبَ شفقةٍ، وذلك بسائر الخلق، ولا سيّما بأمته[٨]، أهلِ عالي الجِنّان، وكان

= الشفا [١/ ٥٦].

(١) أي: طويل الأصابع. انظر: عيون الأثر لابن سيد النّاس [٢/ ٤١٨].

(٢) انظر: الشمائل المحمدية للترمذي [ص: ٣٧].

(٣) انظر: سبل الهدى والرشاد [٧/ ١٢١].

(٤) انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم [ص: ٦٢٧]، عيون الأثر [٢/ ٤١٤]، الشفا للقاضي عياض [١/ ١٥٧].

(٥) انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم [ص: ٦٢٧]، عيون الأثر [٢/ ٤١٤]، سبل الهدى والرشاد [٧/ ٣٣].

(٦) انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم [ص: ٦٢٨]، السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٣٣١]، سبل الهدى والرشاد [٧/ ١٥٨].

(٧) انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم [ص: ٦٢٩]، عيون الأثر [٢/ ٤١٤]، الشفا [١/ ١٤٦].

(٨) من صفاته ﷺ (الرؤوف)، كما ورد في القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨].

على غايةِ العِلمِ والمعرفةِ والكشفِ والدِّينِ والحِلميَّةِ، ونهايةِ الصَّبرِ والشُّكرِ والحياءِ في كلا الوقتين، وتحقَّقَ بالرَّجاءِ والخوفِ والزُّهدِ والوَرَعِ في الدارِ المفنيَّةِ، بل مقامُه اقتضى زهدَه في سوى الحنَّان[1]، وتحلَّى بالتواضعِ والعفوِ والجودِ والشجاعةِ والمروءةِ والعِفيَّةِ[2]، والرِّضى والعدلِ فيه، وفي الغضبِ أعظمَ مُشهدين، وكان على ذروةِ الصَّمتِ والتأنِّي والوقارِ وحسنِ الأدبِ، والنظافةِ والظرافةِ اللذين هما من أكبرِ النفعان، وحسنِ المعاشرةِ والرَّأفةِ بأهلِ والجماعةِ الصحبيَّة، والكمالِ والجلالِ والجمالِ والعرفانِ والتوبةِ والإنابةِ والأوبةِ والصومِ والصَّلاةِ النفليَّةِ[3]، والكرمِ والودِ والبغضِ في الله والحنانِ، عظيمَ الصَّفحِ عمَّن أساءه[4]، وها نحنُ نختمُ بالأدعيةِ المرجيَّةِ، لأنه لا يحصرُ مالَهُ، فلنمسكِ البَسْطَ ونقبضِ العِنَان، ونقول: رضي الله تعالى عن سائرِ أصحابه خصوصاً أبا بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعلياً، وباقي الأصحابِ والآلِ، ولا سيَّما فاطمةَ والحسنَ والحسين، وسائرَ الأهلِ ومن تبعهم بإحسان.

---

(١) الحنَّان هو الله سبحانه وتعالى، وهو اسم من أسمائه الحسنى التسعة والتسعين، قال الخليل الفراهيدي: (والحَنانُ: الرحمةُ، والفعل: التَحَنُّن. والله الحَنَانُ المنّانُ الرَّحيم بعباده. وحَناناً من لدُنّا. أي: رحمةً من عندنا). انظر: معجم العين للخليل الفراهيدي [٣/ ٢٩، مادة: حن] تهذيب اللغة للأزهري [٣/ ٤٤٦، مادة: حن].

(٢) انظر بعضاً من أخلاق النبي ﷺ في: دلائل النبوة لأبي نعيم [ص: ٦٢٧ ـ ٦٤٠]، الشمائل المحمدية للترمذي [ص: ٢٨٤ ـ ٢٩٨].

(٣) النَّفَل: يقال: وتنفَّل المصلِّي: تطوَّع، وهو يصلي النافلة والنَّوافل انظر: تهذيب اللغة للأزهري [١٥/ ٣٥٦، مادة: نفل]، أساس البلاغة للزمخشري [٢/ ٢٩٦، مادة: نفل].

(٤) كان هذا خلق النبي ﷺ، فعن عائشة رضي الله عنها، فيما أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في خلق النبي ﷺ، [رقم: ٢٠١٦]، قالت: (لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً و لا متفحشاً، ولا صخّاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح). انظر: الشمائل المحمدية للترمذي [ص: ٢٨٧].

اللّهم صلِّ وسلّم على الذّات المحمّديّة، واغفر لنا ما يكون وما قد كان ثمّ ارفعوا أيديَكم، يا معشَر الحاضرين والسّامعينَ إلى التي هي قبلةُ الدّعوات العليّة، فإنّ الدعاءَ مستجابٌ عند هذا المكان[1]، اللّهمّ لك الحمدُ كما يليق بك، وكذا الشُّكر، يا مَنْ لكَ الصّفاتُ السنيّة، نسألُك اللّهمّ بذاتِك وصفاتِك وأسمائِك الحِسَان، أن تصلّيَ على سيِّدنا ومولانا محمّدٍ، بقدرِ عظمتِك الذاتية، وآلِهِ وصحبِهِ وسائرِ الخِلّان، ونسألك اللّهمّ باسمكَ العظيمِ الأعظم[2]، ورضوانك الأكبرِ ذي الأنوارِ السّلطانيّة، ونسألك اللهمّ باسمك الطاهرِ الطيّب المبارك يا حنّان، الذي إذا دُعيت به أجبتَ، وإذا سُئلتَ به أعطيتَ أوفرَ عطيّة، وإذا استرحمت به رحمت، وأنت أهلُ الرّحمة يا رحمان، وإذا استُفرجتَ به فرّجت، أن تفرّج عنّا ما نحن فيه من الأضياقِ الكدريّة، وأن تأخذَ بيد كلٍّ منّا إلى مقصدِهِ، يا واسع الوَهبان، وأن تهيّئ لنا من الأسباب ما تخرجُنا به من هذه الأحوال الرّديّة[3]، وأن تنقُلنا إلى حضرة

---

(١) القبلة هي الكعبة المشرّفة، وقد ورد استحباب استقبالها عند الدعاء، فعن ابن مسعود ﷺ قال: «استقبل النبي ﷺ الكعبة فدعا على نفر من قريش». أخرجه البخاري في صحيحه، « باب دعاء النّبيّ ﷺ على كفّار قريش شيبة وعُتبة والوليد وأبي جهل بن هشام وهلاكهم، [٣/ ٨٤، رقم: ٣٩٦٠ كتاب المغازي].

(٢) قال القُطب الرّبّاني السّيّد عبد القادر الجيلاني: (الله هو الاسم الأعظم، لكن بشرط أن تقول: (الله) ولا يكون في قلبك سواه). وهو معنى قول أبي حنيفة كما ذكره صاحب مشكل الآثار، وهو الاسم الأعظم عند أكثر العلماء، وعدم الإجابة لأكثر النّاس مع الدعاء به، لتخلّف بعض شروطه منها ما ذكره الجيلاني، وأخصها الإخلاص وأكل الحلال، وقد استوعب السُّيوطي الأقوال في تحديد الاسم الأعظم - التي زادت على الأربعين قولاً - في رسالة سمّاها: (الدُّر المنظّم في الاسم الأعظم).

(٣) الرّديّة: الرّدى الهلاك، والرّدي الهالك، وفي التنزيل: ﴿إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ [الصافات: ٥٦].

قال الزجاج معناه: لتهلكني، انظر: لسان العرب [٥/ ١٩٥ مادة: ردي].

الوجود والوُسعان، وأن تدخلَنا في شفاعة نبيِّك سيِّدنا ومولانا محمَّد ﷺ العموميَّة والخصوصيَّة[1]، وأن ترزقَنا جواره في أعلى الجنانِ، وأن تمتِّعنا بأسماعنا وأبصارنا والقوَّة البديعيَّة، وأن تكفينا شرَّ البَرَصِ[2] والجُذام[3] والأمراض والجُنَان، ونعوذُ بك اللّهمَّ من كلِّ آفةٍ ومحنةٍ وعاهةٍ وزلزلةٍ وشدّةٍ وعصبيَّةٍ، وذِلَّةٍ وغَلَبَةٍ وقلَّةٍ وجُوعٍ وعَطَشٍ ومكر وأن نُهان، وفقرٍ وفاقة وحاجة إلى مخلوقٍ، وضيق ووباءٍ وبلاء وغرقٍ وحرق وفتنةٍ في الدين والدنيا الحقيرة، وحرٍّ وبردٍ وسرقٍ ونهب وغيٍّ وضلالةٍ، وتُهمة وزللٍ وطغيان وهمٍّ وغمٍّ وخطأ، ومسخ وقذفٍ وخسف وعلَّةٍ وهامة[4] وفضيحة صوليَّة، وهلكة وخِلَّةٍ وعقاب وعذاب ومعصيةٍ وقبيحة في الدَّارين، ونعوذُ بك اللّهم من الاستدراج والأخذ والجور والظلم والسِّحر والحسد والغَدْر والكيديَّة، والعداوةِ والقَدْح والحيل

---

(١) تضمن حديث الشفاعة نوعين من أنواع شفاعته ﷺ: الأولى: الشفاعة العظمى لأهل الموقف ليريحهم الله من هذا القيام. والثانية: شفاعته في جماعة من أمته أن يدخلوا الجنة بغير حساب. ففي الحديث: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ شُفِّعْتُ فَقُلْتُ يَا رَبِّ أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ خَرْدَلَةٌ فَيَدْخُلُونَ ثُمَّ أَقُولُ أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى شَيْءٍ» أخرجه البخاري في صحيحه، [٤/ ٤٠٥، رقم: ٧٥٠٩ باب كلام الرَّبِّ ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم]. وانظر سنن الترمذي [٤/ ٢٣٢، رقم: ٢٤٣٧ باب ما جاء في الشفاعة]، و ابن ماجه في سننه، [ص: ٧١٠، رقم: ٤٢٨٦ باب صفة أمّة محمّد ﷺ].

(٢) البَرَصُ: محركةً، داءٌ وهو بياضٌ يقع في الجلد، وقد بَرِصَ الرجلُ فهو أبْرَصُ، نسأل الله منه العافية. انظر: تهذيب اللغة للأزهري [١٢/ ١٨٠، مادة: برص]، الصحاح للجوهري [٣/ ١٠٢٩، مادة: برص].

(٣) الجُذامُ: من الدَّاء معروف لتَجَذُّم الأصابع وتقطُّعها، ورجل أجْذَمَ ومُجَذَّم نَزَل به الجُذام، ويقال: رجل أجْذَم ومَجْذوم ومُجَذَّم إذا تهافت أطرافه من داء الجُذَام. انظر: لسان العرب [٢/ ٢٢٤، مادة: جذم].

(٤) قال شمر: الهامَّةُ واحدة الهوامّ، والهوامُّ الحيَّات وكلُّ ذي سم يقتل سمُّه. انظر: تهذيب اللغة للأزهري [٥/ ٣٨١، مادة: هم].

والشماتةِ والكسح[1] والإطعان، ونسألك اللهم المغفرةَ والهداية والخشيةَ والعناية والرِّعاية واللُّطفيّة، والورَع والزُّهد والتوكّلَ والإقبالَ واللُّطفانَ، والكمالَ والجلال والجمالَ، والاستقامة على الطريقةِ المحمديّة، واقضِ اللّهم لكلٍّ منّا ما في نفسه من الحاجات، فيما يرضيك يا واهب، المقصود لخير من أعطي السؤلان، اللهم إنا نسألك ونتوجّه إليك بسيّدنا ومولانا محمّد ﷺ نبيّ الرّحمة الرّحمانيّة، يا سيّدنا محمّد يا رسولَ الله، إنا توجّهنا بك إلى ربنا في حوائجنا جميعِها لتقضى، اللهم فشفّعه فينا بجاهِه عندك يا سلطان، ونسألك اللّهم السّتر والسّر والصّلاحَ والمكاشفةَ والبركةَ والبِرَّ، والمغفرة في الأولى والأخرويّة، ولا تفضحنا اللّهم بين عبادك لا في الدُّنيا ولا في الآخرة، يا معروفُ بالسُّتران، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم. آمين.

وقال ابن مؤلف هذا المولد سيّدي جعفر:

صلاةُ الله مولانا البديعِ	على نور الهدى طه الرّفيعِ
بدا بدرُ الكمال على الجميعِ	وأشرقَ نورُ ذي الحسن البَديعِ
وتاه الكونُ يزهو في ابتهاجٍ	بميلادِ المكرم في ربيعِ
وفاح عبير مولدو كمسك	يفوحُ شذاه من طيبِ الضّنيعِ
وعمّ الخافِقَيْن[2] سناهُ ضوءاً	يلوحُ على الورى ضوءُ الشّفيعِ

(١) الكَسَح: شَلَلٌ في إحدى الرِجْلَيْن إذا مَشى جَرّها جَرّاً. انظر: معجم العين للخليل الفراهيدي [٣/ ٥٩، مادة: كسح]، الفائق في غريب الحديث للزمخشري [٣/ ٢٦٢، مادة: كسح].

(٢) الخافقان: قيل هما المغربان، و قيل هما المشرق والمغرب، وقيل هو جانبا السماء والأرض. انظر: تهذيب اللغة للأزهري [٧/ ٣٨ ـ ٣٩، مادة: خفق، لسان العرب لابن منظور [٤/ ١٥٩، مادة: خفق].

وأضحى الكونُ في علوٍ وسفلٍ ... بأمرٍ منه في حصنٍ مَنيعِ
بسرِّ السرِّ كهفِ الخلقِ طه ... جمالِ الدهرِ والنورِ السّطيعِ
ومُذْ وضعِ الختامِ وبانَ ختمٌ ... وأخصبَ ذلك الزمنُ المَريعِ[1]
قصورُ الرُّومِ مع بُصرى أضاءتْ ... وأشرقَ في الكيانِ سنا الرفيعِ
محيا منه فاقَ الشمسَ حُسناً ... منيراً مسفراً هدي القطيعِ
ونارُ الفُرسِ أضحت في خمودٍ ... وماءُ بُحيرةٍ غاضتْ بفيعِ
وإيوانٌ منيعٌ فخرُ كسرى ... تساقطَ منه شرافتُ المنيعِ
تبلَّجَ صبحُ مولدِه سروراً ... عميماً في الوجودِ على الجميعِ
وأصبحَ طالعُ الأوقاتِ سعداً ... ربيعٌ في ربيعٍ في ربيعِ
به كلُّ العوالمِ في ازدهاءٍ ... وأهلُ الشركِ في أمرٍ فظيعِ
وقد خصَّ المهيمنُ مصطفاه ... بفضلٍ ليس يحصُره صنيعي
وأكرمُ أمةَ الهادي بهدي ... وإرهاصٍ[2] لذي الكفرِ الشنيعِ
وتمَّمَ نعمةَ الإكرامِ فينا ... بإرسالِ الهدى النورِ البديعِ
فأرسلَ رحمةً للناسِ عمَّتْ ... ختامَ الرُّسلِ محبوبَ السَّميعِ
فطُوبى للوجودِ بخيرِ جودٍ ... وبشرى للأنامِ وللجميعِ
بمولدِه وبعثتِه بهدي ... ملاذِ الخلقِ والجاني القطيعِ

---

(١) المَريعُ: الخصيبُ، والجمع أمْرُعٌ وأمْراعٌ، وقد مَرُعَ الوادي بالضم، وأمْرَعَ، أي أكلأ، فهو مُمْرِعٌ. وأمْرَعْتُهُ أي: أصبتُهُ مَريعاً، فهو مُمْرَعٌ. انظر: تهذيب اللغة للأزهري [٢/ ٣٩٤، مادة: مرع].

(٢) قال الزمخشري: (ومن المجاز: أرهص الشيء: أثبته وأسسه. وكان ذلك إرهاصاً للنبوة. وأرهص الله فلاناً للخير: جعله معدناً له ومأتى). انظر: أساس البلاغة [١/ ٣٩٩، مادة: رهص].

رؤوفاً يا رحيماً بالبرايا ... أغثني ملجئي ذُخري شَفيعي

وآمن رَوْعَتي[1] يا خير راعٍ ... لعبدٍ ضاعَ في زمنٍ مضيعِ

وعافِ الجسمَ من سقمٍ وشغلٍ ... وداوِ القلبِ من داءٍ وجيعِ

وحوِّل حالَ عبدك في رياحٍ ... وعجِّل منك قصدي في سريعِ

وهبني كأسَ راحٍ منك يشفي ... بسرٍ بسري في سري مذيعِ

ودمِّر كل ناوئني بسوء ... لكل كريهةٍ عني منيعِ

فلستُ لحال هذا الدهرِ أقوى ... تدارك حالتي منجي القطيعِ

ووجِّه وجهي لحمى حماكم ... وخذْ بيدي وكلي يا جميعي

وأشهدني جمالَ سنا عُلاكم ... وأسعدني بدفني في البقيعِ

وأمددني بنورٍ من جلاكم ... وجعفرُ فيكم سرُّ الضليعِ

واغفرْ للجميع بحقِّ طه ... حمامٌ فوق أغصان الربيعِ

عليه الله صلّى ما تغنَّ ... حمامٌ فوقَ أغصانِ الربيعِ

وآلٍ ثم أصحابٍ وحزبٍ ... أهَيْل الفضل والقدرِ المنيعِ

متى دارَ الهنا في كل عصرٍ ... بمولده المكرَّم في ربيعِ

ومهما قيلَ من طربٍ ومدحٍ ... صلاةُ الله مولانا البديعِ

(١) الرَّوْعُ: الفزع، راعني هذا الأمرُ يَرُوعني، وارتَعْتُ له، وروَّعني فتروَّعْتُ منه. انظر: معجم العين، للخليل الفراهيدي [٢/ ٢٤٢، مادة: روع]. لسان العرب، لابن منظور [٥/ ٣٧١، مادة: روع].

هذا مولد النبي الكريم والرَّسول العظيم ﷺ

لسيدي ومولاي الشيخ العالم العلامة والرحلة الفهامة

صاحب الورع المشهور والذكاء المعلوم الشيخ يحيى

أحيا الله تعالى بوجوده الدين وجعله من

المقرَّبين الفائزين ونفعنا به وبعلومه

في الدنيا والآخرة بجاه سيِّد

المرسلين صلَّى الله عليه

وعلى آله وصحبه أجمعين

في كل وقت وحين

آمين آمين

آمين

هذا مولد النبي الكريم والرَّسول العظيم ﷺ
لسيدي ومولاي الشيخ العالم العلامة والرحلة الفهامة
صاحب الورع المشهور والذكاء المعلوم الشيخ يحيى

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمدُ لله الذي أطلعَ في سماء الأزل شمسَ أنوارِ معارفِ النبوة المحمدية، وأشرقَ من أفق أسرارِ الرسالةِ مظاهرَ تجليّ الصفاتِ الأحمدية، احمده على أنْ وضعَ أساسَ نبوته على سوابقِ أزليته، ورفعَ دعائمَ رسالته على لواحقِ أبديته، وأشهد أنْ لا اله إلا الله وحده لا شريك له الفردُ المنفردُ في ربانيته بالعظمة والجلالِ، الواحدُ المتوحّد في وحدانيته باستحقاق الكمالِ، وأشهد أنَّ سيّدنا ونبيّنا محمّداً ﷺ عبدُه ورسوله، أشرفُ نوعِ الإنسان، وإنسانُ عيونِ الأعيان، المستخلصُ من خالص خلاصةِ ولد عدنانَ، الممنوع بداية الآيات، المخصوصُ بعموم الرسالةِ وغرائبِ المعجزاتِ، السّر الجامع الفرقاني، والمخصّص بمواهب القربِ من النّوع الإنساني، موردُ الحقائقِ الأزلية ومصدرها، وجامعُ جوامع مفرداتها ومنبرُها وخطيبها، إذا حضرَ في حظائرِ قدسها، ومحضرُها بيتُ الله المعمور، الذي اتخذه لنفسه، وجعلَه ناظماً لحقائقِ أنسه، مُدة مدادِ نقطة الأكوانِ، ومنبعُ ينابيع الحكمِ والعرفان، المفيضُ من مدد بحرِ الوفا، على القائلِ منْ أهلِ المعارفِ والاصطفا، حيثُ خاطب ذاته الأقدسية بالمنحِ الأنفسية، فقال:

فأنتَ رسولُ الله أعظمُ كائنٍ	وأنتَ لكلِّ الخلقِ بالحقِّ مرسلُ
عليك مدارُ الخلقِ إذ أنتَ قطبه	وأنتَ منارُ الحقِّ تعلو وتعدلُ
فؤادُكَ بيتُ الله دارُ علومه	وبابٌ عليه منه بالحقِ يُدخلُ
ينابيعُ علمِ الله منه تفجّرت	ففي كلِّ حيٍّ منه لله منهلُ
منحتَ بفيضِ الفضلِ كلَّ مفضّلٍ	فكلٌّ له فضلٌ به منك يفضلُ
نظمتَ نثارَ الأنبياء فتاجُهم	لديكَ بأنواعِ الكمال مكلّلُ
فيا مددَ الإمدادِ نقطةَ خطّهِ	ويا ذروةَ الإطلاقِ إذ يتسلسلُ

محالٌ يحولُ القلبُ عنكَ وإنَّني ... وحقِّك لا أسلُو ولا أتحوَّلُ
عليكَ صلاةُ الله منه تواصَلت ... صلاةَ اتصالٍ عنك لا تتنصَّلُ

شخصت أبصارُ بصائرِ سكانِ سِدْرَةِ المنتهى لجلال جماله، وحنَّت أرواحُ رؤساءِ الأنبياءِ إلى مشاهدةِ كماله، وتلفَّتت لفتاتُ أنفسِ الملأ الأعلى إلى نفائسِ نفحاته، وتطاولَت أعناقُ العقول إلى أعينٍ لمحاته ولحظاته، فعرَج به إلى المستوى الأقدس، وأطلعَهُ على السرِ الأنفس في إحاطتهِ الجامعة وحضراتِ حظيرةِ قدسه الواسعة، فوقفتْ أشخاصُ الأنبياءِ في حرم الحرمة على أقدام الخدمة، وقامتْ أشباحُ الملائكةِ في معارج الجلالِ على أرجل الإجلال، وهامتْ أرواحُ العشّاق في مقامات الأشواق؛ كما قال[1]:

كلٌّ إليكَ بكُلِّه مشتاقُ ... وعليهِ من رُقَبائه أحداقُ
بهواكَ ما ناحَ الحمامُ بأيكةٍ ... أو لاحَ برقٌ في الدُّجا خفّاقُ
شوقٌ إليه لا يزالُ يديرُه ... فجميعُه لجميعِه عشّاقُ

ولله درُّ القائل؛ حيث قال:

اشتاقَ القمرُ لمشاهدته فانشقَّ ... فشُقَّت مرائرُ الأشقياءِ المشاققين
وحنَّ لمفارقتهِ الجذعُ فتصدَّعَ ... فانصدَعتْ قلوب الأغبياء المنافقين[2]

وقال غيره:

وكان انشقاقُ البدر أكبر آيةٍ ... تشقُّ قلوبَ الحاسدين وتصدَعُ

وبرقَتْ من مشكاةِ بعثته بوارقُ طلائعِ الحقائق، وانقادَت لدعوته العامة خاصةُ خلاصةِ الخلائقِ، ولم يزلْ يجاهدُ في الله بصادقِ عزماتهِ، وينظ

---

(١) من كلام الشيخ ابن العربي. انظر: المجموعة النبهانية في المدائح النبوية [٢/٣٠٢].
(٢) قال أبو طالب المكي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [المائدة: ٥٢] يعني: المنافقين. انظر: قوت القلوب [١/ ٤٤٢].

أثبات الإسلام بعد افتراقِ جهاته، حتّى كَمُلَتْ كمالاتُ دينهِ وحججُه البالغة، وتمّت على سائرِ أمته الأميَّة نعمتُه السابقة، وخُيِّرَ فاختار الرَّفيق الأعلى[١]، وآثرَ الآخرة على الأولى، فنقله الله قائماً على قدمِ السّلامة إلى دارِ السلام وفردوس الكرامة، وبوّأه أسْنى مراقي التّكريم في دار المقامة، ومنحَهُ أعلى مواهب الشّرفِ في اليوم المشهودِ، فهو الشاهدُ المشهودُ، والمحمود بالمحامد التي يُلْهِمُهَا للحامدِ المحمود، ذو المنزلة العليا والدَّرجةِ السنيّةِ في حظائر القديسِ الأقدسية والمشاهد الأنفسية، وصلّى الله عليه فواضلَ الصلوات، وشرائف التّسليمِ، وتوامي البركاتِ، وعلى آله الأطهارِ، وأصحابه الأبرار، صلاةً وسلاماً لا ينقطعُ عنهما أمدُ الأمد، ولا يحصرُهما العددُ أبدَ الأبد.

وبعدُ، فاعلمْ يا ذا العقل السّليم، والمتصفَ بأوصاف الكمالِ والتّتميم، وفّقني الله وإيّاكَ بالهداية إلى صراطٍ مستقيم، أنّه لما تعلّقتْ إرادة الحقِّ تعالى بإيجادِ خلقهِ وتقديرِ رزقه، أبرزَ الحقيقةَ المحمّديّةَ من الأنوار العمديةِ في الحضرة الأحديّة، ثم سلخَ منها العوالمَ كلَّها عُلوّها وسُفلَها على صورة حكمهِ كما سبقَ في سابقِ إرادتهِ وعلمه، ثمّ أعلمَه تعالى بنبوّته وبشّره برسالتِه، هذا وآدم لم يكن إلّا كما قال: «بين الرُّوح والجسد»[٢]..

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبيِّ ﷺ، من قول عائشة رضي الله عنها: (كان رسول الله ﷺ وهو صحيحٌ يقول: إنّه لم يقبض نبيٌّ قطُّ حتّى يرى مقعده من الجنّة، ثمّ يُحَيّا أو يُخَيّر، فلما اشتكى وحضره القبض، ورأسه على فخذ عائشة غشي عليه، فلمّا أفاق شخص بصره نحو سقف البيت، ثمّ قال: «اللهمَّ في الرَّفيق الأعلى»).
انظر: صحيح البخاري [٣/ ١٨٢، رقم: ٤٤٣٧].

(٢) سنن الترمذي [٦/ ٧/ رقم٣٦٠٩باب فضل النبي ﷺ]، وانظر: المقاصد الحسنة [١/ ١٧٤].

ثم انبجستْ منه ﷺ عيونُ الأرواحِ، فظهرَ بالملأ الأعلى، وهو بالمنظر الأجلى، فكانَ لهمُ الموردَ الأحلى، فهو ﷺ الجنسُ العالي على جميع الأجناس، والأبُ الأكبر لجميعِ الموجودات والنّاس، ولما انتهى الزمان بالاسم الباطن في حقّه ﷺ إلى وجودِ جسمهِ وارتباطِ الروحِ به، انتقلَ حكمُ الزمان إلى الاسم الظاهر، فظهر محمّدٌ ﷺ بكليته جسماً وروحاً، فهو ﷺ وإن تأخرتْ طينته، فقد عُرفت قيمته، فهو خِزانةُ السّر، وموضعُ نفوذِ الأمر، فلا يُنفّذُ أمرٌ إلّا منه، ولا ينقل خيرٌ إلّا عنه، كما قال[1]:

ألا بأبي منْ كان مَلْكاً وسيِّداً ... وآدمُ بينَ الماءِ والطينِ واقفُ

فذاكَ الرّسولُ الأبطحيُّ محمّدٌ ... له في العُلا مجدٌ تليدٌ وطارفُ

أتى بزمانِ السّعدِ في آخرِ المدى ... وكان له في كلِّ عصرٍ مواقفُ

إذا رام أمراً لا يكونُ خلافُه ... وليس لذاك الأمر في الكون صارفُ

خرّج مسلمٌ في صحيحه، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النبيِّ ﷺ أنّه قالَ: «إنّ الله ﷻ كتب مقاديرَ الخلقِ قبلَ أن يخلق السموات والأرض بخمسينَ ألف سنةٍ، وكان عرشه على الماء»[2].

ومن جملة ما كُتب في الذّكر، وهو أمُّ الكتابِ: أنَّ محمداً خاتمُ النبيين، وعن العِرْبَاض بن ساريةَ عن النبي ﷺ، قال: «إنّي عندَ الله لخاتمُ النّبيّين، وإنّ آدمَ لمنجدلٌ في طينته»[3]. رواه أحمد.

---

(١) من كلام الشيخ ابن العربي. انظر: المجموعة النبهانية في المدائح النبوية [٢/ ٣٠٢].

(٢) انظر: صحيح مسلم، [١٢/ ١٢٢٥، رقم: ٢٦٥٣ باب حجاج آدم وموسى ﷺ].

(٣) أخرجه والحاكم في المستدرك على الصحيحين [٢/ ٧٠٥/ رقم٤٢٣٤ كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين]. وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة [١/ ٨٠ باب ذكر مولد المصطفى ﷺ]، والإمام أحمد في مسنده [٤/ ١٢٧]، وقال الهيثمي: رواه أحمد

وعن سهلِ بن صالحِ الهمداني، قال: سألت أبا جعفرٍ محمَّدَ بن علي[1]، ...كيفَ صارَ محمَّدٌ ﷺ يتقدَّم الأنبياءَ، وهو آخرُ من بعثَ؟ قال: (إنَّ الله تعالى ...لما أخذَ من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم، قال: ألستُ ...بربكم؟ كانَ محمَّد ﷺ أوَّل من قال: بلى؛ فلذلك صار يتقدَّم الأنبياءَ وهو ...آخرُ من بُعث)[2].

وعن الشَّعبي[3]، قال رجلٌ: يا رسول الله متى استنبئت؟ قال: «وآدمُ بين ...الرُّوحِ والجسد حين أُخِذَ مني الميثاقُ». رواه ابنُ سعد[4].

ورُوِيَ عن علي بن أبي طالب ﷺ، أنه لم يَبعثِ الله تعالى نبياً من آدم ...فمن دُونه إلَّا أخذَ عليه العهدَ في محمَّدٍ ﷺ لئنْ بعثَه وهو حيٌّ ليؤمننَّ به ...ولينصرنَّه، ويأخذُ العهدَ بذلك على قومه، وقيل: إنَّ الله تعالى لما خلقَ نور ...نبينا محمَّد ﷺ، أمرهُ أن ينظرَ إلى أنوارِ الأنبياءِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلام، ...فغشيهم من نوره ما أنطقَهم الله تعالى به، وقالوا: يا ربنا من غشِينَا نورُه فقال

= والطبراني والبزَّار، وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح، غير سعيد بن سويد، وثَّقه ابن حبَّان. انظر مجمع الزوائد [٨/ ٢٢٣] ولسان الميزان [٤/ ٣٥٤].

(١) هو: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ أجمعين، ولد سنة ست وخمسين من الهجرة. وروى عن أبي سعيد الخدري وجابر وعدة، وكان من فقهاء المدينة، ويقال له: الباقر؛ لأنه شقَّ العلم وفتحه وأظهره وبينه. توفي سنة [١١٤هـ]. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد [٥/ ٣٢٠]، العبر في خبر من غبر [١/ ١٠٩].

(٢) قال محمد بن يوسف الصالحي الشامي في كتابه «سبل الهدى والرشاد» [١٠/ ٢٧٤]: (رواه الحافظ أبو سهل القطان في جزء من أماليه).

(٣) الشعبي: بفتح الشين، وسكون العين المهملة، هو: عامر بن شراحبيل بن عبد أبو عمرو الشعبي الكوفي. توفي سنة [١٠٥هـ]. انظر: العبر للذهبي [١/ ٩٦]، غاية النهاية لابن الجزري [١/ ٣١٧].

(٤) في الطبقات الكبرى، باب ذكر نبوة رسول الله ﷺ، عن جابر عن عامر. انظر: الطبقات الكبرى [١/ ١٤٨].

الله تعالى هذا نورُ محمد بن عبد الله إن آمنتمْ به جعلتُكم أنبياءَ قالوا آمنّا به وبنبوته فقال الله تعالى أأشهدُ عليكم؟ قالوا: نعم. فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: ٨١].

وعن كعب الأحبار[١] قال: لما أرادَ الله تعالى أنْ يخلقَ محمداً ﷺ أمر جبريل أنْ يأتيه بالطينة التي هي قلبُ الأرضِ وبهاؤها ونورُها، فهبط جبريل في ملائكة الفردوس وملائكة الرفيقِ الأعلى، فقبضَ قبضة رسول الله ﷺ، من موضعِ قبره الشريف، وهي بيضاءُ منيرة، فعجنتْ بماء التَّسنيم في معين أنهار الجنة، حتى صارتْ كالدُّرةِ البيضاءِ لها شعاعٌ عظيم، ثمّ طافت بها الملائكة حولَ العرشِ والكرسي، وفي السّموات والأرضِ والجبالِ والبحار، فعرفت الملائكةُ وجميعُ الخلقِ سيِّدنا محمَّداً ﷺ وفضله، قبل أنْ تَعرِفَ آدمَ عليه الصَّلاة والسَّلام[٢].

ويُرْوَى: (أنّه لما خلقَ الله تعالى آدم عليه الصَّلاة والسَّلام ألهمه أنْ قال: يا رب، لما كُنيتني آبا محمّد، قال الله تعالى: يا آدمُ، ارفعْ رأسك، فرفع رأسهُ، فرأى نورَ محمّد ﷺ في سرادق العرشِ، فقال: يا رب، ما هذا النور؟ قال: هذا نورُ نبيٍّ من ذريتك، اسمه في السَّماء أحمد، وفي الأرض محمّد، لولاهُ ما خلقتك، وما خلقتُ سماءً، ولا أرضاً)[٣]. ويشهدُ لهذا ما

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) انظر: سبيل الهدى والرشاد [١/ ٦٨].

(٣) انظر: المستدرك للحاكم [٢/ ٧٢٢]، السيرة الحلبية [١/ ٢٩٨].

رواه الحاكم في صحيحه[١]: «أنَّ آدمَ عليه الصلاة والسلام رأى اسمَ محمَّد ﷺ مكتوباً على العرشِ، وأنَّ الله تعالى قال لآدم: لولا محمَّد ما خلقتُكَ»[٢]. ولله درُّ من قال[٣]:

وكان لدى الفردوسِ في زمن الرِّضا ... وأثوابُ شملِ الأنسِ محكمةُ السَّدى

يشاهدُ في عدنٍ ضياءً مُشعشِعاً ... يزيدُ على الأنوار في الضوءِ والهدى

فقال: إلهي ما الضِّياءُ الَّذي أرى ... جنودَ السَّما تعشو عليه تردُّدا

فقال: نبيٌّ خيرُ من وطئَ الثَّرى ... وأفضلُ من في الخيرِ راح أو اغتدى

تخيَّرتُه من قبل خلقِكَ سيِّداً ... وألبستُه قبلَ النَّبيِّين سُؤْدَدا

وروى عبد الرزاق بسندِهِ[٤]، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: قلتُ: (يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، أخبرني عن أوّل شيءٍ خلقه الله تعالى قبل الأشياءِ. قال: «يا جابر، إنَّ الله تعالى خلق قبل الأشياءِ نورَ نبيك من نوره، فجعلَ ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى، ولم يكن في ذلك الوقتِ لوحٌ، ولا قلمٌ، ولا جنةٌ، ولا نارٌ، ولا ملكٌ، ولا سماءٌ، ولا أرضٌ، ولا شمسٌ، ولا قمرٌ، ولا جنيٌّ، ولا أنسيٌّ، فلما أرادَ الله تعالى أن يخلقَ قسَّم ذلك النُّور أربعةَ أجزاءٍ؛ فخلق من الأول: القلمَ، ومن الثاني: اللوحَ، ومن الثالث: العرشَ، ثم قسَّم الجزء الرابع، أربعةَ أجزاءٍ، فخلق من الأوَّل:

---

(١) الإمام الحافظ أبو عبد الله، المعروف بـ (الحاكم)، وقد سبقت ترجمته، وقوله: (صحيحه) هو كتابه المستدرك على الصحيحين.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، [٢/ ٧٢٢، رقم: ٤٢٨٧ كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين].

(٣) القائل هو: صالح بن الحسين الشافعي في قصيدة له. انظر: سبل الهدى والرشاد [١/ ٧١].

(٤) عبد الرزاق بن همام الصنعاني المتوفى سنة [٢١٠ هـ]. سبقت ترجمته.

حملةَ العرشِ، ومن الثاني: الكرسيَّ، ومن الثالث: باقي الملائكةِ، ثم قسّم الجزء الرابع، أربعةَ أجزاءٍ؛ فخلق من الأوّل: السمواتِ، ومن الثاني: الأرضين، ومن الثالث: الجنّةَ والنّار، ثم قسّم الرّابع، أربعةَ أجزاءٍ؛ فخلق من الأوّل: نورَ أبصارِ المؤمنين، ومن الثاني: نورَ قلوبهم، وهي المعرفة بالله تعالى، ومن الثالث: نورَ أنسهم، وهو التّوحيدُ لا إله إلّا الله محمَّد رسول الله». الحديث[١].

وعن علي بن الحسين[٢] عن أبيه عن جدّه أنَّ النبي ﷺ، قال: «كنتُ نوراً بين يدي ربي قبل خلقِ آدمَ بأربعة عشرَ ألف عام»[٣].

وفي الخبر: (لما خلقَ الله آدمَ جعل ذلك النورَ في ظهره، وكان يلمعُ في جبينه، فيغلب على سائر نورِه، ثم رفعه الله تعالى على سرير مملكتِه، وحملهُ على أكتاف ملائكتهِ، وأمرهم، فطافوا به في السموات، ليرى عجائبَ ملكوتِه، ثم علّمهُ الله تعالى أسماءَ جميع المخلوقاتِ، ثم أمرَ الملائكةَ بالسجود له، فسجدوا إلّا إبليس، فطردهُ الله تعالى وأبعدهُ وخزاهُ، ثمّ خلقَ الله تعالى له حواءَ زوجته من ضلعٍ من أضلاعه اليسرى، وهو نائمٌ، وسميتْ حواء؛ لأنها خلقتْ من حي، فلما استيقظَ ورآها، سكنَ إليها، ومدَّ يدهُ لها،

---

(١) انظر بلغة السالك [٤/ ٤٤٣] والسيرة الحلبية [١/ ٢٤٠] (قلت): وفي إسناد الحديث نظر. انظر: المواهب اللدنية [١/ ٧١] و الآثار المرفوعة [١/ ٤٢]..

(٢) هو: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم، الإمام زين العابدين، أبو عبد الله المدني، قال الزهري: ما رأيت قرشياً أفضل منه ولا أفقه. وقال مالك: كان من أهل الفضل. توفي سنة [٩٢هـ]. وقيل: سنة [٩٤هـ]. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري [١/ ٤٧٣]، طبقات الحفّاظ للسيوطي [ص: ٣٧].

(٣) انظر: المطالب العالية، لابن حجر [١٧/ ١٩٥، رقم: ٤٢٠٩]، وسبيل الهدى والرشاد [١/ ٦٩].

فقالت الملائكةُ: مه يا آدمُ، قال: ولم وقد خلقها الله تعالى لي، فقالوا: حتى تؤدي مهرَها، فقال: وما مهرُها ؟ قالوا: تصلّي على محمّد ﷺ ثلاث مرات)[1]. وذكر ابن الجوزي أنه كلما أرادَ القرب منها، طلبتْ منه المهر، قال: يا رب، وما أعطيها ؟ قال: يا آدم، صلِّ على حبيبي محمّد بن عبد الله عشرينَ مرّةً، ففعل[2].

ورُوِيَ: (أنه لما أُخرِجَ آدم من الجنّة رأى مكتوباً على ساق العرشِ، وعلى كل موضعٍ في الجنة اسم محمّد ﷺ مقروناً باسم الله تعالى، فقال: يا ربِّ، هذا محمّد من هو ؟ فقال الله تعالى: هذا ولدُك الذي لولاه ما خلقتك. قال: يا رب، بحرمة هذا الولدِ ارحم هذا الوالد. فنُودي: يا آدم، لو تشفّعت إلينا بمحمّد في أهل السّمٰوات والأرض لشفّعناك)[3]. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لما اقترفَ آدم الخطيئة، قال: يا ربِ، بحق محمّدٍ إلّا غفرتَ لي. فقال الله تعالى: يا آدم، فكيف عرفتَ محمّداً ولم أخلقْهُ ؟ قال: لأنّك يا رب، لما خلقتني بيدك ونفختَ فيَّ من رُوحك، رفعتُ رأسي، فرأيتُ على قوائم العرشِ مكتوباً: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، فعلمتُ أنّك لم تضف إلى اسمك إلّا أحبُّ الخلقِ إليك، فقال الله تعالى: صدقتَ يا آدم، إنّه لأحبُّ الخلق إليّ، وإذا سألتني بحقِّهِ، فقد غفرتُ لك، ولولا محمّد ما خلقتك، وهو آخر الأنبياءِ من ذريتك»[4].

---

(١) انظر: المواهب اللدنية للقسطلاني [١/ ٧٦].
(٢) ذكرها ابن الجوزي في كتابه: (سلوة الأحزان)، كما ورد في المواهب اللدنية للقسطلاني. انظر: المواهب [١/ ٧٦].
(٣) انظر: دلائل النبوة للبيهقي [٥/ ٤٨٩].
(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك [٢/ ٧٢٢، رقم: ٤٢٨٧]، و البيهقي في دلائل النبوة [٥/ ٤٨٩]. ، وانظر: السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٣٢٠]، الشفا للقاضي عياض [١/ ١٧٣]، =

وفي حديثِ سلمانَ عند ابن عساكر[١]، قال: «هبطَ جبريل على النبي ﷺ، فقال: إنَّ ربّك يقول لك: إنْ كنتُ اتخذت إبراهيم خليلاً، فقد اتخذتك حبيباً، وما خلقتُ خلقاً أكرمَ عليَّ منك، ولقد خلقت الدُّنيا وأهلها لأعرِّفهم كرامتك ومنزلتك عندي، ولولاكَ ما خلقت الدُّنيا»[٢].

ولله درُّ سيدي علي وفا[٣]، حيث قال[٤]:

سكن الفؤادُ فعِشْ هنيئاً يا جسد	هذا النعيمُ هو المقيمُ إلى الأبد
روح الجودِ حياة من هو واجدٌ	لولاه ما تم الوجودُ لمن وَجَد
عيسى وآدمُ والصُّدور جميعُهم	هم أعينٌ هو نورها لما وَرَد
لو أبصرَ الشَّيطانُ طلعةَ نورهِ	في وجه آدمَ كان أوّل من سَجَد
أو رأى النمرودُ نورَ جمالهِ	عبَد الجليلَ مع الخليلِ وما عَنَد
لكنَّ جمالُ الله جلَّ فلا يُرى	إلّا بتخصيصٍ من اللهِ الصَّمَد

ولَمّا خلقَ الله تعالى حواءَ، لتسكنَ لآدم ويسكنَ إليها، فحين صار لديها،

= السيرة الحلبية [١/ ٢٩٨]، سبيل الهدى والرشاد [١/ ٨٥].

(١) هو: الإمام الحافظ، أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله، أبو الفضل، من فقهاء الشافعية توفي سنة [٦٩٩هـ]. انظر: العبر للذهبي [٣/ ٣٩٦]، شذرات الذهب لابن العماد [٧/ ٧٧٨].

(٢) انظر: الموضوعات، لابن الجوزي [٢/ ١٨].

(٣) هو: علي بن محمد بن محمد بن وفا بن النجم محمد، أبو الحسن السكندري الأصل المصري الشاذلي الصوفي المالكي. توفي سنة [٨٠٧هـ]. انظر: الطبقات الكبرى للشعراني [ص: ٣١٥]، وإنباء الغمر بأبناء العمر، لابن حجر [٢/ ٣٠٨]، ودرر العقود للمقريزي [٢/ ٤٧٣].

(٤) قال ابن حجر: (وشعره ينعق بالاتحاد المفضي إلى الإلحاد، وكذا نظم والده). انظر: إنباء الغمر بأبناء العمر، لابن حجر [٢/ ٣٠٨].

فاضتْ بركاتُه عليها، فولدت له في تلك الأعوام الحسنى، أربعين ولداً في عشرين بطناً، ووضعت شيثاً وحده، كرامةً لمن أطلع الله بالنبوة سعده[(١)].

ولما توفي آدمُ كان شيث عليه الصّلاة والسّلام وصيّاً لآدم على ولده، ثمّ أوصى شيثٌ بوصية آدم: أن لا يضع هذا النُّور إلّا في المطهَّرات من النِّساء، ولم تزل هذه الوصيّة جاريةً تنتقل من قرنٍ إلى قرنٍ إلى أن أدّى الله النورَ إلى عبد المطلب وولده عبد الله.

وطهَّر الله تعالى هذا النَّسب الشَّريف من سِفَاح الجاهليةِ، كما ورد عنه ﷺ في الأحاديث المرضيّة؛ قال ابن عبّاس رضي الله عنهما، قال رسول الله ﷺ: «ما وَلَدني من سِفَاح الجاهلية شيءٌ، ما ولدني إلّا نكاحُ الإسلام»[(٢)].

وعن الكلبي[(٣)] قال: (كتبتُ للنبي ﷺ خمسمائة أمٍّ، فما وجدتُ فيهن سفاحاً ولا شيئاً مما كان في أمر الجاهليةِ)[(٤)].

وعن علي بن أبي طالب أنَّ النَّبي ﷺ، قال: «خرجتُ من نكاحٍ ولم أخرج من سفاح، من لدن آدمَ إلى أن ولدني أبي وأمي، لم يُصبني من سِفاح الجاهلية شيءٌ»[(٥)].

---

(١) انظر: المواهب اللدنية للقسطلاني [١/ ٨٥]، سبيل الهدى والرشاد [١/ ٦٩].

(٢) انظر مجمع الزوائد [٨/ ٣٩٦]، ونصب الراية، للزيلعي [٣/ ٢١٣].

(٣) هو: هشام بن محمد بن السائب الكلبي، الإخباري النسابة، صاحب كتاب (الجمهرة في النسب) توفي سنة [٢٠٤هـ]. انظر: العبر، للذهبي [١/ ٢٧١]، لسان الميزان، لابن حجر [٨/ ٣٣٨].

(٤) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية [٢/ ٣١٤]، بقوله: (وقال محمد بن سعد: أخبرنا هشام بن محمد الكلبي، عن أبيه). وذكر القول. وانظر: الشفا، للقاضي عياض [١/ ١٥]، عيون الأثر، لابن سيّد النّاس [١/ ٣٦]، السيرة النبوية، لابن كثير [١/ ١٩١].

(٥) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، ذكر شرف أصل رسول الله ونسبه [١/ ١٧٤]. وانظر: =

وعن ابن عباس مرفوعاً: «لم يلتقِ أبواي قطُّ على سفاحٍ، ولم يزل الله تعالى ينقلني من الأصلاب الطيِّبة إلى الأرحامِ الطاهرة، مصفىً مهذَّباً، لا تتشعَّب شعبتان إلَّا كنتُ في خيرهما»(١).

وعن أنس قال: قرأ النبي ﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفَسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨] بفتح الفاء(٢)، وقال: «أنا أنفَسُكُم نسباً وصهراً وحسباً، ليس في آبائي من لدن آدم سفاح، كلنا نكاح»(٣).

وعن عائشة رضي الله عنها عنه ﷺ عن جبريل، قال: «قلَّبتُ مشارقَ الأرضِ ومغاربها، فلم أرَ رجلاً أفضلَ من محمَّدٍ عليه الصَّلاة والسَّلام، ولم أرَ بني أبٍ أفضلَ من بني هاشم»(٤).

وفي البخاري، عن أبي هريرة عنه ﷺ: «بعثتُ من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً، حتى كنتُ منه»(٥).

= كنز العمال [١١/١٨١].

(١) قال المتقي الهندي في كنز العمال [١١/٤٢٨]: (رواه ابن عساكر عن ابن عباس، وقال: غريب جداً). وانظر: السيرة الحلبية [١/٦]، السيرة النبوية لابن كثير [١/١٩٦].

(٢) قال ابن جني: (قراءة عبد الله بن قُسيط المكي، بالفتح، معناه، من خياركم، ومنه قولهم: هذا أنفس المتاع، أي أجوده وخياره، واشتقه من النَّفْس، وهي أشرف ما في الإنسان). انظر: المحتسب [١/٣٠٦].

(٣) رواه ابن مَرْدَوَيه عن أنس بن مالك رضي الله عنه. انظر: سبل الهدى والرشاد [١/٢٧٧].

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط [٨/٢٣٧]، رقم: ٦٢٨٥]، وانظر: كنز العمال، للمتقي الهندي [١١/٤٠٩]، ومجمع الزوائد، لابن حجر الهيثمي [٨/٢١٧]، والشفا، للقاضي عياض [١/١٦٦].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، [٢/٥١٧، رقم: ٣٥٥٧ كتاب المناقب].

وفي مسلم عن واثلة بن الأسقع[1]، قال ﷺ: «إنَّ الله اصطفى كنانةَ من ولد إسماعيل واصطفى من قريشٍ بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»[2].

وعن ابن عمر أنَّ النَّبي ﷺ، قال: «إنَّ الله اختار خلقه، فاختار منهم بني آدم، ثم اختارَ من بني آدم العربَ، ثم اختارني من العرب، فلم أزلْ خياراً من خيار، ألا من أحبَّ العرب فبحبِّي أحبَّهم، ومن أبغض العرب فبِبُغْضي أبغضَهم»[3].

ثمَّ اعلم أنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام لم يشركهُ في ولادته من أبويه أخٌ ولا أختٌ، لانتهاء صفوتهما إليه، وقصور نسبهما عليه، ليكون مختصاً بنسبٍ، جعله الله تعالى النبوة غاية ولتمام شرف نهاية[4]، وأنت إذا اختبرتَ حال نسبِهِ، وعلمتَ طهارةَ مولدِهِ، تيقَّنتَ أنَّه سلالةُ آباءٍ كرام؛ فهو ﷺ النبيُّ الأبطحي[5] الحرميّ الهاشميُّ القرشيُّ، نخبةُ بني هاشمٍ المختار المنتخب من

(١) قال ابن حجر: وصحّح بن أبي خيثمة أنه واثلة بن عبد الله بن الأصقع كان ينسب إلى جده ويقال: الأسقع لقب، واسمه عبد الله. أسلم قبل تبوك وشهدها، قال بن سعد: كان من أهل الصفة ثم نزل الشام. قال أبو حاتم: شهد فتح دمشق وحمص وغيرهما. توفي سنة [٨٥هـ]. وهو آخر من مات بدمشق من الصحابة. انظر: أسد الغابة، لابن الأثير [٥/ ٣٩٩]، الإصابة لابن حجر [٦/ ٣١٠].

(٢) انظر: كنز العمال، للمتقي الهندي [١٢/ ٢٢، رقم: ٣٣٩٢٧]، الشفا، للقاضي عياض [١/ ٨٢].

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، [٤/ ١٦٧، رقم: ٧٠٣١ باب ذكر فضائل قريش]. والطبراني في المعجم الأوسط [٦/ ١٩٩، رقم: ٦١٨٢]. وانظر: دلائل النبوة للبيهقي [١/ ٨٨]، كنز العمال للهندي [١٢/ ٤٥]، ومجمع الزوائد [٨/ ٢١٥].

(٤) انظر: ذخائر العقبى [١/ ٢٥٨].

(٥) الأبطحي: نسبة إلى الأبطح وهو مسيل الماء، وفيه دقاق الحصى، والمراد هنا أبطح مكة، وهو مسيل واديها، وهو ما بين مكة ومنى ومبتدأ المحصب. وأصله في اللغة: ما انحدر. انظر: سبيل الهدى والرشاد [١/ ٤١٩].

خير بطونِ العربِ وأعرقها في النسب، وأشرفها في الحسب، وأنضرِها عوداً، وأطولِها عموداً، وأطيبِها أرومة(١)، وأعزّها جرثومة(٢)، وأفصحِها لساناً، وأوضحِها بياناً، وأرجحِها ميزاناً، وأصحِها إيماناً، وأعزّها نفراً، وأكرمها مَعْشراً من قبل أبيهِ وأمه، ومن أكرمِ بلادِ الله على الله وعلى عباده(٣)، فهو محمَّد بن عبد الله بن عبد المطلبِ بن هاشم بن مناف بن قُصي بن كِلاب بن مُرّة بن كَعب، وهو أوّلُ من جمع يومَ العروبة، وكانت تجتمعُ إليه قريش في هذا اليوم، فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبي ، ويعلمهم بأنه من وَلَده، ويأمرهم باتّباعه، والإيمان به، وينشدُ في ذلك أبيات منها(٤):

يا ليتني شاهدٌ فَحْوَاءَ دعوتهِ حين العشيرةُ تبغي الحقَ خِذلاناً(٥)

ابن لؤي، بن غالب، بن فِهْر بن مالك ابنِ النضر بن كِنَانة بن خُزَيْمَة بن مُدْرِكَة بن إلياس، ويذكر أنه كان يسمعُ في صلبه تلبيةَ النبي ﷺ بالحجِ، ابن

---

(١) أرومة: الأرومُ فتح الهمزة: أصل الشجرة والقرن. قال الليث: أرُوم الأضراس: أصول منابتها. وأرومة كل شجرة: أصلها، والجماعة: الأرُوم. قال: ولا يقال: أرومة، بضم الهمزة. انظر: تهذيب اللغة للأزهري [١٥/ ٣٠٠، مادة: أرم]، الصحاح للجوهري [٥/ ١٨٦٠، مادة: أرم].

(٢) الجرثومة: في الأصل الكومة من التراب، و يراد بها أصل كل شيء ومجتمعه. انظر: الفائق في غريب الحديث للزمخشري، ١/ ٩٣ مادة: برثمة لسان العرب لابن منظور [٢/ ٢٣٢، مادة: جرثم].

(٣) أي: مكّة المكرّمة، وقد سبق التعريف بها.

(٤) انظر: الروض الأنف للسهيلي [١/ ٢٦]، السيرة النبوية لابن كثير [١/ ١٦٧]، سبل الهدى والرشاد [١/ ٢٧٩].

(٥) ورد هذا الشطر من البيت في بعض الروايات:

.... إذا قُرَيْشٌ تبغي الحَقّ خذلاناً

انظر: الروض الأنف للسهيلي [١/ ١٨٥]، و[٢/ ٢٥٣].

نشر بن نزار، قيل: إنه لما وُلد، ونظر أبوه إلى نور محمدٍ ﷺ بين عينيه فرح رحاً شديداً، وأطعم، وقال: هذا كلّه نزرٌ؛ أي: قليلٌ لحق هذا المولودِ، سمّي نزار لذلك، ابن معد بن عدنان[1].

ولله در القائل حيث قال:

نسبٌ عن هاشمٍ من أصولها ومحتِدِها المرضيّ أكرم محتد
سمت رتبةٌ علياء أعظم بقدرِها ولم تسمُ إلّا بالنّبي محمّد

ويرحمُ الله منْ قال[2]:

وكم أبٍ قد علا بابنٍ ذُرى شَرف كما علا برسولِ الله عدنانُ

وعن كعب الأحبار[3]: أنّ نورَ النبي ﷺ لما صارَ إلى عبد المطلب وأدرك، نامَ يوماً في الحجر، فانتبه مكحولاً مدهوناً، قد كُسِي حلةَ البهاءِ والجمال، فبقي متحيّراً لا يدري من فعل به ذلك، فأخذه أبوه بيده، ثم انطلق به إلى كهنة قريشٍ، فأخبرهم بذلك، فقالوا له: اعلم أنّ إله السّمواتِ، قد أذِنَ لهذا الغلام أن يتزوّج، فزوّجه قيلةَ، فولدت له الحارثَ، ثمّ ماتت، فزوّجه بعدها هنداً بنتَ عمروٍ، وكان عبد المطلب تفوحُ منه رائحة المسكِ الأذفرِ، ونورُ النّبي ﷺ يضيء في غُرّتِه، وكانت قريشٌ إذا أصابها قحطٌ،

---

(١) انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير [٢/ ٥ ـ ٣٣]، وأخرج ابن سعد من حديث ابن عبّاس «أنّ النبيّ ﷺ إذا انتسب لم يجاوز في نسبه مَعَدَّ بنَ عدنان». انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد [١/ ٥٨]. وهو النسب المتفق عليه عند المحدّثين كذلك. انظر: الحاشية السابقة. وانظر: فتح الباري لابن حجر [٧/ ١٦٣ ـ ١٦٤].

(٢) انظر: سبيل الهدى والرشاد [١/ ٤٣٦].

(٣) ذكره الحافظ النيسابوري بسنده عن سعيد بن عمرو الأنصاري، عن أبيه، عن كعب الأحبار. انظر: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، للعصامي [١/ ١٠٩].

تأخذُ بيد عبد المطلب، فتخرجُ به إلى جبلِ ثبير[١]، فيتقرَّبون به إلى الله تعالى ويسألونَه أن يسقيَهم الغيث، فكان الله يغيثهم ويسقيهم ببركةِ نورِ محمَّدٍ ﷺ غيثاً عظيماً[٢].

ويُرْوَى: أنَّ عبدَ المطلب بينما هو يوماً نائمٌ في الحجر إذ رأى مناماً عظيماً، فانتبه فَزِعاً مرعوباً، وأتى كهنة قريش وقصَّ عليهم رؤياه، فقالت له الكهنة: إن صدقتْ رؤياك، لَيَخْرُجَنَّ من ظهرك من يؤمنُ به أهل السَّموات والأرض، وليكونَنَّ في النَّاس عَلَماً مبيناً[٣].

ورُوِيَ: أنَّه رأى سلسلةً خرجت من ظهره لها طرفٌ في السَّماءِ، وطرفٌ في الأرض، وطرف في المشرق، وطرف في المغرب، ثمَّ عادتْ كأنَّها شجرة على كلِّ ورقةٍ منها نور، وإذا أهلُ المشرق والمغرب يتعلَّقون بها، فعبِّرت له بمولودٍ يكون من صلبه، يتبعُه أهل المشرق والمغرب، ويحمدُه أهلُ السَّماء والأرض، فلذلك سمَّاه محمَّداً[٤].

وعن أبي نعيم[٥] عن عبد المطلبِ، قال: بينا أنا نائمٌ في الحجر إذ رأيت رؤيا هالَتني ففزعتُ منها فزعاً شديداً، فأتيت كاهنةَ قريشٍ، فلما نظرت إليَّ عرفتْ في وجهيَ التغيُّرَ فقالت: ما بال سيِّدنا قد أتى متغيِّرَ اللونِ، هل رابه من حَدَثَانِ الدهر شيء؟ قلت لها: بلى، رأيتُ الليلةَ، وأنا نائم في الحجر

---

(١) سبق التعريف به.
(٢) انظر: سمط النجوم العوالي، للعصامي [١/ ١٠٩].
(٣) انظر: السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٣١٠]، سبيل الهدى والرشاد [١/ ١٣٠].
(٤) انظر: الروض الأنف، للسهيلي [١/ ٢٧٦]، عيون الأثر، لابن سيِّد النَّاس [١/ ٤٥]، سبيل الهدى والرشاد [١/ ٣٦٠].
(٥) في دلائل النبوة، عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي الجهم، عن أبيه، عن جدِّه، قال: سمعت أبا طالب، يحدث عن عبد المطلب. انظر: [١/ ٩٩]، رقم: [٥١].

..جرةً نبتت، قد مالَ رأسُها، وضربت بأغصانها المشرقَ والمغربَ، وما
..أيت نوراً أزهرَ منها أعظمَ من نور الشّمس بسبعينَ ضعفاً، ورأيتُ العرب
..لعجم ساجدين لها، وهي تزداد كلَّ ساعةٍ عِظماً ونوراً وارتفاعاً، ساعةً
..تخفى، وساعةً تظهر، ورأيتُ رهطاً من قريش قد تعلّقوا بأغصانها، ورأيت
..وماً من قريش يريدون قطعها، فإذا دنوا منها أخّرهم شابٌ، لم أرَ قطُّ أحسنَ
..ه وجهاً، ولا أطيبَ منه ريحاً، فيكسر أظهرهم، ويقلعُ أعينهم، فرفعت يدي
..لأتناولَ منها نصيباً، فقيل: النصيبُ لهؤلاء الذين تعلّقوا بها وسبقوك،
..فانتبهت مذعوراً فزعاً، فرأيتُ وجهَ الكاهنةِ قد تغيَّر، ثم قالت: لئن صدقتْ
..رؤياك، ليخرجنَّ من صلبك رجلٌ يملك المشرقَ والمغرب، وتدينُ له الناس
..أي: تخضعُ، فتزوج فاطمة فحملتْ بعبد الله الذبيح فقصتهُ في ذبحه مشهورةٌ
..مخرّجة عند الرُّواة مسطورة[1]، ثم فداهُ الله بمائةٍ من الإبل فنحرتْ، وتركت
..لا يصد عنها إنسانٌ ولا طائرٌ ولا غيرهما[2]، ثم زوّج عبد المطلب ابنه عبد
..له بآمنة بنت وهب ابن عبد مناف بن زهرة، وهو يومئذٍ سيدُ بني زهرة نسباً
..وشرفاً؛ وسبب ذلك أنَّ عبد المطلب سافر إلى اليمنِ، فنزل على حَبرٍ من
..اليهود، فقال له: ممن الرَّجل؟ فقال: من قريش. فقال: من أيّهم؟ قال:
..فقلتُ من بني هاشم. قال: أتأذنُ لي، أن أنظرُ بعضَك؟ قلتُ: نعم، ما لم
..يكن عورة، ففتحَ أحد منخريه، فنظرَ فيه، ثم نظرَ في الآخر، فقال: أشهد أنّ
..في إحدى يديك مُلكاً، وفي الأخرى نبوةً، وإنّا نجدُ ذلك في بني زهرة، فإذا

---

(١) انظر: السيرة النبوية لابن كثير [١/ ١٧٦]، السيرة الحلبية [١/ ٥١]، سبيل الهدى والرشاد [١/ ٢٤٦]. وغيرها.

(٢) انظر: الروض الأنف، للسهيلي [١/ ٢٧٠]، السيرة النبوية لابن كثير [١/ ١٧٦]، سبيل الهدى والرشاد [١/ ٢٤٦].

رجعتَ فتزوَّج منهم، فلمَّا رجعَ تزوَّج بهالة وزوَّج عبد الله بآمنة، وهي يومئذٍ أفضلُ امرأةٍ في قريش نسباً وموضعاً، قالوا: إنَّه دخلَ عليها حين تزوَّج بها مكانه، ووقع عليها يومَ الإثنينِ من شهرِ رجبَ في شِعب أبي طالبٍ عند الجمرة، فحملتْ برسول الله ﷺ[1].

ويُرْوَى: أنَّ عبد الله مرَّ مع أبيه بامرأةٍ من بني أسد عندَ الكعبةِ، واسمُها قتيلة بنت نوفل، وهي أختُ ورقة بن نوفل، وكانتْ تسمعَ من ورقة بالنبي ﷺ وفي روايةٍ: مرَّ على كاهنة من تبالة، يُقال لها: فاطمة الخثعمية، وكانت من أجمل النساءِ، قد قرأتْ الكتب فقالت له ـ حين نظرتْ إلى وجهه، وكان أحسَنَ رجلٍ رُئي في قريشٍ ـ لك مثلُ الإبلِ التي نحرتْ عنك، وَقَعْ عليَّ الآن، لما رأتْ في وجهه من نور النبوةِ، ورجاءَ أنْ تحمل بهذا النبي الكريم ﷺ، فقال: أنا مع أبي ولا أستطيعُ خلافَهُ ولا فراقَهُ، وقيل: أجابها بقوله[2]:

أما الحرامُ فالمماتُ دونَه والحلُّ لا حلَّ فأستبينَهْ
فكيف بالأمرِ الذي تبغينَه يحمي الكريم عرضه ودينَهْ

ثمَّ بعد أنْ دخلَ بآمنة ذكرَ المرأة وجمالها، وما عرضتْ عليه، فأقبلَ إليها، فلمْ يرَ منها من الإقبالِ آخرَ ما رآه أولاً، فقال لها: مالكِ لا تعرضين عليَّ اليومَ، ما عرضتِ علي بالأمس، فقالتْ: فارقَك النورُ الذي كانَ معك بالأمسِ، فليسَ لي بك اليومَ حاجةٌ، إنِّي والله، لستُ بصاحبة ريبةٍ، إنما أردتُ أن يكون النورُ فيَّ، فأبى الله إلَّا أن يجعله، حيث شاء[3].

---

(١) انظر: عيون الأثر، لابن سيِّد النَّاس [١/ ٥٠].

(٢) انظر: الروض الأنف للسهيلي [٢/ ١٤١]، عيون الأثر لابن سيِّد النَّاس [١/ ٣٥]، سبل الهدى والرشاد [١/ ٣٢٧].

(٣) انظر: الروض الأنف، للسهيلي [١/ ٢٧٣]، عيون الأثر لابن سيِّد النَّاس [١/ ٣٦]، السيرة النبوية لابن كثير [١/ ١٧٧].

ولما حملتْ آمنةُ برسول الله ﷺ[1] ظهرَ لحمله عجائبُ، وَوجد لإيجادهِ غرائبُ، فذكروا أنه لما استقرتْ نطفتهُ الزكية ودرتهُ المحمدية في صدفةِ آمنة القرشية نُودي في الملكوت ومعالمِ الجبروتِ أنْ عطّروا جوامعَ القدسِ الأسنى، ويخُّروا جهاتِ الشرفِ الأعلى، وافرشوا سجاداتِ العباداتِ في صفوف الصَّفا لصوفية الملائكةِ المقربين أهل الصدقِ والوفا، فقد انتقلَ النور المكنون إلى بطنِ آمنة ذاتِ العقلِ الباهرِ والفخرِ المصونِ قد خصَّها الله تعالى القريبُ المجيبُ بهذا السيد المصطفى الحبيب لأنها أفضلُ قومها حسباً وأنجبُ وأزكاهم أصلاً وفرعاً وأطيبُ.

وقال سهل بن عبد الله التستري[2]: لما أرادَ الله تعالى خلقَ محمّد ﷺ في بطنِ أمهِ آمنة ليلة رجبٍ، وكانت ليلة جمعة أمرَ الله تعالى في تلك الليلة رضوانَ خازنَ الجنانِ أنْ يفتحَ الفردوسَ وينادي منادي في السّماء والأرض: ألا إنَّ النُّور المكنونَ الّذي منه النبي الهادي يكون في هذه اللَّيلة يستقرُّ في بطنِ أمه الذي فيه يتمُّ خلقه، ويخرجُ إلى الناس بشيراً ونذيراً[3].

وفي رواية: أنّه نُودي تلك الليلة في السماءِ وصفاحها، والأرضِ وبقاعِها، أنّ النورَ المكنونَ الذي منه رسول الله ﷺ يستقرُّ الليلةَ في بطنِ آمنةَ فيا طوبى لها ثم يا طوبى وأصبحتْ يومئذٍ أصنامُ الدنيا منكوسةً، وكانت قريشٌ في جدبٍ شديدٍ وضيقٍ عظيمٍ فاخضرَّتْ الأرضُ وحملتِ الأشجارُ وأتاهم الرفدُ من كل جانبٍ، فسميتْ تلك السنة التي حُمِلَ فيها برسول الله ﷺ سنةَ الفتحِ والابتهاج[4].

(١) انظر: المواهب اللدنية للقسطلاني [١/ ١١٧ ـ ١١٩].
(٢) سبقت ترجمته. وقد روى ذلك الخطيب البغدادي. انظر: السيرة الحلبية [١/ ١٧٢].
(٣) انظر: السيرة الحلبية [١/ ١٧٢].
(٤) انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم [٢/ ٦٠١].

وفي حديث ابن إسحاق[١]: أنَّ آمنةَ كانت تُحدِّث أنها أُتيتْ حين حملتْ به ولا وجدتْ له ثقلاً ولا وحماً، كما تجدُ النِّساء إلَّا أني أنكرتُ رفعَ حيضي، وأتاني آتٍ وأنا بين النائمةِ واليقظانة، فقال: هل شعرتِ بأنك حملتِ بسيد الأنامِ ثم أمهلني حتى إذا دنتْ ولادتي أتاني، فقال: قولي: أُعيذهُ بالواحد من شرِّ كل حاسد، ثم سميه محمَّداً[٢].

وفي رواية شدَّاد بن أوس[٣]: أنَّ رجلاً من بني عامر، سأل رسول الله ﷺ ما حقيقة أمرك؟ فقال: «بُدُوُّ شأني، أني دعوة أبي إبراهيم، وبشرى أخي عيسى، وأني كنتُ بِكرَ أمي، وأنها حملتْ بي كأثقل ما تحمل النِّساء وجعلتْ تشتكي إلى صواحباتها ثقلَ ما تجد، ثم إنَّ أمي رأتْ في منامها أنَّ الَّذي في بطنها نورٌ». الحديث[٤].

وخرَّج أبو نعيمٍ[٥] عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: (كان من دلالةِ حملِ آمنةَ برسول الله ﷺ أنَّ كلَّ دابةٍ كانت لقريشٍ نطقتْ تلك اللَّيلة، وقالتْ: حُمِلَ برسول الله ﷺ، وربِّ الكعبة، وهو إمامُ الدُّنيا، وسراجُ أهلها، ولم يبقَ سريرُ ملكٍ من ملوك الدُّنيا إلَّا أصبحَ منكوساً، ومرَّت وحوشُ المشرقِ إلى وحوشِ

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) انظر: الروض الأنف، للسهيلي [١/ ٢٧٣]، عيون الأثر لابن سيد النَّاس [١/ ٣٧]، السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٢٠٦].

(٣) هو: شداد بن أوس بن ثابت بن المنذر، ابن أخي حسان بن ثابت الأنصاري، يكنى أبا يعلى، توفي سنة [٥٨هـ]، وهو ابن خمس وسبعين سنة. وقيل: بل توفي سنة [٤١هـ] وقيل: [٦٤هـ]. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر [ص: ٣٢٩]، الإصابة لابن حجر [٢/ ١٩٥].

(٤) انظر: الروض الأنف [١/ ٢٨٨]، عيون الأثر [١/ ٥٠]، السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٢٨٧].

(٥) هو الإمام أبو نعيم الأصبهاني، صاحب دلائل النبوة، وقد سبقت ترجمته.

المغربِ بالبشارات، وكذلك أهلُ البحار يبشِّر بعضهم بعضاً، وله في كل شهرٍ من شهور حملهِ نداءٌ في الأرض ونداءٌ في السَّماء أن أبشروا، فقد آنَ أنْ يظهرَ أبو القاسم ﷺ ميموناً مباركاً)[١].

وعن أبي زكريا يحيى بن عايذ[٢]: (بقي ﷺ في بطن أمهِ تسعة أشهرٍ كَمَلاً، لا تشكو وجعاً، ولا مغصاً، ولا ريحاً، ولا ما يعرض لذوات الحملِ من النساء)[٣]، وكانتْ تقول: (ما رأيت من حملٍ هو أخفُّ منه ولا أعظم بركةً)[٤].

وجمعَ بينَ الرِّوايتين بأنَّ الثقلَ كان في ابتداء الحملِ والخفَّة عند استمرارِهِ، ليكون جميعُ أمرِهِ ﷺ خارجاً عن المعتاد.

ولما تمَّ لها من حملِها شهران توفي أبوه عبد الله، وقيل: توفي وهو في المهد[٥]، وكان عبد الله قد رجعَ ضعيفاً مع قريشٍ لما رجعوا من تجارتهم، ومرُّوا بالمدينة، فتخلَّف عند أخواله بني عديّ بن النَّجار، فأقامَ عندهم مريضاً شهراً، فلما قدمَ أصحابه مكَّة، سألهم عبد المطلب عنه، فقالوا: خلَّفناهُ مريضاً، فبعث إليه أخاه الحارث، فوجدهُ قد توفي، ودُفِنَ في دار التابعة[٦]،

---

(١) انظر: دلائل النبوة، لأبي نعيم [٢/ ٦١٠].

(٢) عايذ: بالياء المثناة تحت والذال المعجمة، ويقال: عائذ. هو الإمام أبو زكريا يحيى بن مالك بن عائذ الأندلسي، صعد المنبر ليخطب يوم الجمعة فمات في الخطبة، في شعبان سنة [٣٧٦هـ]. انظر: تذكرة الحفاظ، للذهبي [٣/ ١٠٠٣]، طبقات الحفاظ للسيوطي [ص: ٣٩٩].

(٣) انظر: سبيل الهدى والرشاد [١/ ٣٢٩].

(٤) انظر: السيرة الحلبية [١/ ٧٥].

(٥) انظر: المواهب اللدنية [١/ ١٢٢]، الروض الأنف، للسهيلي [١/ ٢٨٢]، السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٢٠٥]، سبيل الهدى والرشاد [١/ ٣٣١].

(٦) دار التابعة بالتاء المثناة الفوقية والباء الموحدة والعين المهملة: أي وهو رجل من بني =

وقالتْ آمنة زوجته ترثيه[١]:

عفا جانبُ البطحاءِ من آل هاشمٍ ... وجاور لحداً خارجاً في الغماغم
دعتْه المنايا دعوةً فأجابها ... وما تركتْ في الناس مثل ابن هاشم
عشيةَ راحوا يحملون سريرَهُ ... تعاورهُ أصحابُه في التزاحم

ويذكر عن ابن عباسٍ، أنه لما تُوفي عبد الله قالت الملائكة: إلهنا، وسيدنا، ومولانا، بقي نبيك يتيماً، فقال الله تعالى: أنا له حافظٌ ونصير[٢].

وقيل لجعفر الصَّادق[٣]: لِمَ يُتِّمَ النبي ﷺ من أبويه، قال: «لئلا يكون عليه حقٌّ لمخلوق»[٤].

وروى أبو نعيم عن قُتيبة[٥]، قال: (لما حضرتْ ولادةُ آمنة قال الله تعالى لملائكته: افتحوا أبوابَ السماءِ كلَّها، وأبوابَ الجنان كلَّها، وألبستِ الشمسُ يومئذٍ نوراً عظيماً، وكان قدْ أذنَ الله تلك السنة لنساءِ الدُّنيا أن يحملنَ ذكوراً كرامةً لمحمَّد ﷺ)[٦].

= عدي بن النجار: أي فقد جاء أنه لما هاجر إلى المدينة ونظر إلى تلك الدار عرفها وقال: (ها هنا نزلت بي أمي، وفي هذه الدار قبر أبي عبد الله وأحسنت العوم في بئر بني عدي بن النجار). انظر: السيرة الحلبية [١/ ٨١].

(١) انظر: سبيل الهدى والرشاد [١/ ٣٩٩ ـ ٤٠٠].

(٢) انظر: المواهب اللدنية، للقسطلاني [١/ ١٢٢].

(٣) هو: هو جَعْفَرُ الصَّادق بن محمَّد الباقر، رضوان الله عليهم، توفي الصَّادق سنة [١٤٨هـ]. انظر: العبر، للذهبي [١/ ١٦٠]، شذرات الذهب، لابن العماد [٢/ ٢١٦].

(٤) ذكره ابن عطية في المحرَّر الوجيز [٥/ ٤٩٤]، وأبو حيان في البحر المحيط [٨/ ٤٨١] وانظر: سبيل الهدى والرشاد [١/ ٣٣١].

(٥) لم أعثر عليه عند أبي نعيم في الحلية أو الدلائل. وانظر: التعليق التالي.

(٦) قال علي بن برهان الدين الحلبي في السيرة [١/ ٧٥]: (وفي حديث مطعون فيه). وذكر هذه الرِّواية.

وروى أبو نعيم، من حديث ابن عبّاس، قال: كانتْ آمنةُ تحدّث، وتقول: أتاني آتٍ حين مرَّ بي من حملي ستة أشهر، وقال لي: يا آمنة، إنكِ حملتِ بخير العالمين، فإذا ولدتِهِ فسمّيه محمّداً، واكتمي شأنك، قالت: ثم لما أخذني ما يأخذُ النّساء، ولم يعلم بي أحدٌ، لا ذكرٌ ولا أنثى، وإني لوحيدةٌ في المنزل، وعبد المطلب في طوافِهِ، فسمعتُ وجبةً عظيمةً، وأمراً عظيماً هالني، ثمّ رأيتُ كأنَّ جناحَ طائرٍ أبيض، قد مسحَ على فؤادي، فذهبَ عني الرّعبُ، وكلُّ وجعٍ أجدهُ، ثم التفتُّ فإذا أنا بشربةٍ بيضاء، فتناولتُها فأصابني نورٌ عالٍ، ثمّ رأيتُ نسوة كالنّخل طوالاً، كأنهنَّ من بنات عبد مناف يحدقن في، فبينما أنا أتعجّبُ، وأنا أقول: واغوثاه! من أين علمنَ بي»[1].

قال في غير هذه الرّواية: فقلنَ لي نحن آسيةُ يعني بنت مزاحم امرأة فرعون ومريمُ بنت عمران، وهؤلاءِ من الحور العينِ واشتدَّ بي الأمر، وأنا أسمعُ الوجبة في كل ساعةٍ أعظمَ وأهولَ مما تقدّمَ، فبينما أنا كذلك إذا بديباجٍ أبيض قد مُدَّ بين السماءِ والأرضِ وإذا بقائلٍ يقول خذوهُ عن أعين النّاس، قالت ورأيتُ رجالاً قد وقفوا في الهوى بأيديهم أباريق من فضةٍ، ثم نظرتُ فإذا أنا بقطعةٍ من الطير قد أقبلتْ حتى غطّتْ حجرتي مناقيرها من الزّمرّد وأجنحتها من الياقوتِ فكشف الله تعالى عن بصري فرأيتُ مشارق الأرض ومغاربَها ورأيتُ ثلاثة أعلامٍ مضروباتٍ؛ علماً بالمشرق، وعلماً بالمغرب، وعلماً على ظهر الكعبةِ، فأخذني المخاضُ، فوضعتُ محمّداً ﷺ»[2].

هذا، وقد قال العلماء: من الأوقاتِ التي يُستجاب فيها الدعاءُ عند ذكرِ

---

(١) انظر هذه الرواية في: دلائل النبوة لأبي نعيم [٢/ ٦١١]، سمط النجوم العوالي، للعصامي [١/ ١٢٤] وفي دلائل النبوة، عن ابن عبّاس ﷺ [٢/ ٦١١].

(٢) انظر هذه الرواية في: سمط النجوم العوالي، للعصامي [١/ ١٢٤].

ولادته، فلنتوجّه جميعًا برفع الأكفّ مع الابتهال إلى الله الأقدسِ الذي لا يردُّ السؤال: اللّهم ارحم عباداً غرَّهم طولُ إمهالك، وكثرةُ أفضالك، وأطمَعهُم دوامُ منك، ومدُّوا أيديهم إلى نوالِك، مُتيقِنين أنه لا غناءَ لهم عن سؤالِك، اللهمَّ يا حبيبَ التائبين، ويا سرورَ القائدين، ويا قرّةَ أعينِ العارفين، اجعلنا جميعاً من أوليائك المتقين، وحزبكَ المُفلحين، اللّهم إنّا لا نبرحُ عن بابك، فلا تعذبْنا بأليمِ حجابك، اللهمَّ زيِّن سرائرَنا بالتّحقيق واحمِنا من المخالفة والعصيانِ، واكفنا آفاتِ الأعراضِ والتفريطِ والنسيانِ، كما حميتنا بكرمكَ من دواعي الكفرِ الموبقة، ونفحاتِ البدعِ المحرقةِ، أنت العليُّ العظيم، تحيّرتِ العقولُ في وصف جلالك وقصَّرتِ الأفهامُ عن الإحاطة بكمالكَ، فأنت مع جبروتكَ تجبرُ الكسيرَ، وترحمُ الفقيرَ، وتعزّ الذليلَ الحقير، إذا لاذَ بجنابك، وتغني السائلَ المسكينَ إذا وقف ببابك، فأنت الملكُ الأعظم والملكُ الأكرم، وها نحن وقد وقفنا ببابك، وأنتَ أعلمُ أنه ليس في قلوبنا أحدٌ نرغبُ إليه رغبتنا إليك، ولا ركنٌ نعتمد عليه اعتمادنا عليك، وقد اعترفتْ نفوسُنا بالإساءة وانقطاعِ الحيل، ووثقتْ قلوبنا بجميلِ الرَّجا وحسنِ الأمل، اللهمَّ تفضل علينا بالقبول، وارزقنا صدقَ التوبة وحسنَ الإنابة، واجعلنا ممن رجعَ إليك فأكرمتَ ماه به يا من أمدَّ بعنايته أولياءهُ وأحبابهُ، يا من ظهرتْ معرفتهُ للقلوبِ، فلا يخفى وجوده وعمَّ جميعَ الخلائقِ كرمهُ وجوده، اللهم اجعلْ الإيمان هادماً للسيئات، كما جعلت الكفرَ هادماً للحسنات، اللهمَّ إنك تعلمُ سرَّنا وعلانيتنا، فاقبل معذرتنا، وتعلمُ ذنوبَنا، فاغفر بحرمة هذا النبي لنا، ولا حولَ ولا قوّةَ إلّا بالله العلّي العظيم.

الحمدُ للهِ بجميع المحامدِ كلّها ما علمتُ منها وما لم أعلمْ، على نعمه كلّها ما علمتُ منها وما لم أعلم، عددَ مخلوقاته كلّها ما علمتُ منهم وما لم

أعلم، الحمدُ لله رب العالمين حمداً يوافي نعمهُ ويكافئ مزيده، اللهمّ صلّ وسلّم على سيّدنا محمّد، كلّما ذكرهُ الذاكرون وكلّما سها عن ذكرهِ الغافلون، وعلى آله وصحبه وسلم، اللّهم إنّا نسألك من الخير كلّهِ عاجله وآجله، ما علمنا منه وما لم نعلمْ، ونعوذ بك من الشّر كلّهِ عاجلهِ وآجله، ما علمنا منه وما لم نعلم، ونسألك الجنّةَ وما قرّب إليها من قولٍ وعملٍ، ونسألك من خيرِ ما سألك منه عبدك ورسولك، سيّدنا محمّد ﷺ، ونعوذُ بك من شرِّ ما استعاذك منه عبدُك ورسولك، سيّدُنا محمّد ﷺ، ونسألك ما قضيتَ لنا من أمرٍ أنْ تجعلَ عاقبتهُ رشداً[1]، اللّهم إنّا نسألك موجباتِ رحمتك، وعزائمَ مغفرتك، والسّلامةَ من كل إثمٍ والغنيمةَ من كلّ برٍّ، والفوزَ بالجنّةِ والنّجاةَ من النّار[2]، اللّهمّ ربنا آتِنا في الدُّنيا حسنةً، وفي الآخرة حسنةً، وقنا عذابَ النّار، اللّهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفافَ والغنى[3]، اللهمّ اغفر لنا ما قدّمنا وما أخّرنا، وما أسرَرْنا وما أعلنّا، وما أنت أعلمُ به منا، أنت المقدّمُ وأنت المؤخّرُ، وأنت على كل شيءٍ قدير[4]، اللّهمّ إنا نعوذُ بك من زوالِ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، عن عائشة ﵂ أنّ أبا بكر دخل على رسول الله ﷺ فأراد أن يكلّمه وعائشة تصلّي، فقال لها رسول الله ﷺ: «عليك بالكواملِ أوكلمة أخرى» فلمّا انصرفَت عائشة، سألته عن ذلك، فقال لها: «قولي اللهمَّ إنّي أسألك من الخير كلّه...». الحديث. انظر: [٤٢/ ٦٧، رقم: ٢٥١٣٧].

(٢) أخرجه الترمذي في سننه [١/ ٤٨٩، رقم: ٤٧٩ باب ما جاء في صلاة الحاجة]، والطبراني في المعجم الأوسط [٣/ ٣٥٨، رقم: ٣٣٩٨].

(٣) أخرج الإمام مسلم في صحيحه، [١/ ١٢٥٠/ رقم ٢٧٢١ باب التعوّذ من شرِّ ما عمل ومن شرِّ ما لم يعمل] عن أبي الأحوص عن عبد الله عن النبي ﷺ أنّه كان يقول: «اللهم إنّي أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى».

(٤) أخرج البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات [٤/ ١٧١، رقم: ٦٣٩٨ باب قول النبيّ ﷺ اللهمّ اغفر لي ما قدّمت وما أخّرت].

نعمتك، وتحوّلِ عافيتك، وفُجاءة نقمتك، وجميعِ سخطك[1]، اللّهمّ علّمْنا ما ينفعُنا، وانفَعنا بما علمتنا، وزِدْنا علماً، اللهمّ وفّقنا لما تحبُّه وترضاه من القولِ والعملِ في العافية، اللهم أحسن عاقبتنا في الأمورِ كلها، وأجرْنا من خزيِ الدُّنيا وعذابِ الآخرة، واغفر اللهم لنا وارحمنَا، ولوالدينا ولمشايخنا وللجماعة الحاضرين السّامعينَ ولوالديهم، ولعبدكَ واقفِ هذا المكان، وللناظرِ فيه بتقوىً وخيرٍ وإحسانٍ، ولكلِّ المسلمينَ أجمعينَ، آمينَ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمدُ لله ربِ العالمين.

الدعاء

اللهم صلِّ وسلّم وبارك على سيّدنا ومولانا محمّد، أفضلَ صلواتك، عددَ معلوماتك، وعلى من نحنُ في حضرته وحماهُ، سيّدنا زكريا، وعلى ولده سيّدنا يحيى، وعلى جميع الأنبياءِ والمرسلين، وآلِ كلٍّ وصحبِ كلٍّ أجمعين، وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، كلّما ذكرك الذاكرون، وكلما سها عن ذكرك الغافلون، اللهمّ اقسم لنا من خشيتك ما تحولُ بيننا وبينَ معاصيك، ومن طاعتِك ما تبلغنا به جنتَك، ومن اليقينِ ما يهونُ علينا مصائبَ الدنيا، اللهم متّعنا بأسماعِنا وأبصارِنا وقوتِنا ما أحييتَنا، واجعلهُ الوارثَ منا، واجعلْ ثأرنا على من ظَلَمَنا، وانصرْنا على من عادانا، ولا تجعل الدنيا أكبرَ همّنا، ولا مبلغَ علمِنا، ولا تسلّط علينا من لا يَرحَمُنا[2]، إلهي، هذا ذلُّنا ظاهرٌ لديك،

---

(١) أخرج الحاكم في المستدرك على الصحيحين أنّ رسول الله ﷺ كان يدعو، فيقول: «اللهمّ إني أعوذ بك من زوال نعمتك، ...». الحديث. انظر: المستدرك [١/ ٧٢١، رقم: ١٩٩٨].

(٢) أخرج الإمام النسائي في السنن الكبرى عن نافع قال: كان بن عمر إذا جلس مجلساً، لم يقم حتى يدعو لجلسائه بهذه الكلمات، وزعم أنّ رسول الله ﷺ كان يدعو بهن لجلسائه. انظر: [٦/ ١٠٧، رقم: ١٠٢٣٤].

وهذا حالُنا لا يَخفى عليك، منك نطلبُ الوصولَ إليك، وبك نستدلُّ عليك، فأعِدنا بنورك إليك، وأقمْنَا بصدق العبودية بين يديك، بك نَنتصِرُ فانصُرنا، وعليك نتوكلُ فلا تكِلنا، وإياك نسألُ فلا تُخيِّبْنَا، وفي فضلك نرغبُ فلا تحرِمنا، وببابك نقفُ فلا تطرُدنا، إلهي، ماذا وجَدَ مَنْ فقدَك، وما الذي فقدَ من وجدكَ، لقد خابَ من رضي دونَك بدلاً، ولقد خسِرَ من بغى عنك تحوّلاً، كيف يُرجى سواكَ وأنتَ ما قطعتَ الإحسان، وكيف يطلبُ من غيرك وأنتَ ما بدَّلتَ عادةَ الامتنانِ، ربنا آتِنا في الدُّنيا حسنةً، وفي الآخرة حسنةً، وقنا عذاب النار[1]، واغفر اللَّهمَّ لنا، وارحمنا، ولوالدينا، ولمشايخنا، وللجماعة الحاضرين السامعين، ولوالديهم، ولعبدِك واقفِ هذا المكان، وللناظرين فيه بتقوى الله وخيرٍ وإحسان، ولكلِّ المسلمين أجمعين، آمين، وصلَّى اللهُ على سيِّدنا محمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

الى هنا انتهى مولد الشيخ يحيى

---

(١) قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]. وفي صحيح البخاري عن أنس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «ربَّنا آتِنا في الدُّنيا حَسَنَةً وَفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ». انظر: [٣/ ٢٠٢، رقم: ٤٥٢٢].

مولدُ شيخِ الإسلام والمسلمين خاتمةِ الحفَّاظ
والمحدِّثين
نجمِ الدِّين محمَّد بن أحمد الغَيْطِي الشَّافعي
خادمِ السنَّة الشَّريفة أعاد الله علينا من بركاته
وبركاتِ علومِه في الدُّنيا والآخرة
آمين

مولدُ شيخِ الإسلام والمسلمين خاتمةِ الحفّاظ والمحدّثين نجمِ الدّين محمّد ابن أحمد الغَيْطي الشّافعي

الشيخ نجم الدين الغَيطي

اسمه ولقبه ونسبه: هو محمد بن أحمد بن علي السكندري الغَيطي - بفتح الغين المعجمة - الشافعي، أبو المواهب، نجم الدين، نسبته إلى (غيط العدة) لأنه كان يسكن بها، أو (أبي الغيط) بمصر.

مولده نشأته: ولد سنة [٩١٠هـ]، وأخذ العلم عن الشيخ زكريا الأنصاري، وعبد الحق السنباطى، وبرهان الدين بن أبي الشريف، وشهاب الدين الرملي، وغيرهم، وأجازوه بالإنشاء.

علمه: انتهت إليه الرئاسة في علم الحديث والتفسير والتصوف، ووَلِيَ مشيخة الصلاحية بجوار الإمام الشافعي، ومشيخة الخانقاه السرياقوسية، وهما من أجل وظائف مشايخ الإسلام من غير سؤال منه، وأجمع أهل مصر على جلالته، قال ابن العماد: (الإمام العلّامة المحدِّث المُسند، شيخ الإسلام)، و وصفه محب الدين الحنفي: بـ (جامع للكمالات الجميلة ومحاسن الأخلاق، حاز أنواع الفضائل والعلوم، واحتوى على بدائع المنثور والمنظوم).

- مصنفاته: له (قصة المعراج الصغرى)، و(القول القويم في إقطاع تميم)، و(الفرائد المنظمة)، ومولد (بهجة السامعين والناظرين بمولد سيد الأولين والآخرين)، ورسالة في (الإسلام والإيمان) و(الأجوبة المفيدة على الأسئلة العديدة)، وغيرها.

- وفاته: توفي سنة [٩٨١هـ] وفي (شذرات الذهب) سنة [٩٨٤هـ].

من مصادر ترجمته:

- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، لعبد الحي الكتاني [٢/ ٨٨٨].

- شذرات الذهب لابن العماد [١٠/ ٥٩٥].

- هدية العارفين للباباني [٢/ ٢٥٢].

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

قال سيِّدُنا ومولانا الشَّيخ الإمامُ العالمُ العلّامةُ الراسخُ الكاملُ الرِّحلةُ الفهّامةُ شيخُ الإسلامِ والمسلمينَ خاتمةُ الحفّاظِ والمحدِّثين نجمُ الدِّينِ محمَّدُ بنِ أحمدَ الغَيطِيِّ الشّافعيِّ خادمُ السنَّة الشريفةِ، أعادَ الله علينا من بركاتِه وبركاتِ علومِه في الدُّنيا والآخرة، آمين:

الحمدُ لله الذي أنارَ بمولِد أحمدَ المصطفى ﷺ جميعَ الوجودِ، وأظهرَ لمن فضلِ نبيِّنا محمَّد ﷺ في شهرِ ربيعٍ، فكانَ لِلعبادِ سَعْدَ السُّعُودِ، وخلقَ نورَه قبلَ إيجادِ كلِّ موجودٍ، فجعلَ ذلك النُّور يدورُ بالقُدرةِ حيثُ شاءَ المَلِكُ المعبودُ، ثمَّ نقلَه في الأصلاب الطَّاهرة والأرحام الزَّكيَّة إلى أنْ أبرزَهُ إلى الخَلْقِ رحمةً منه بهم، وإرادةً لإفاضةِ النِّعم والجُود، وأشهدُ أن لا إلهَ إلّا الله وحدَه لا شريكَ له، الذي منَّ على عِبادِه بهذا النَّبيِّ الكريم الَّذي جعَلَه رحمةً لهم في الدُّنيا، وفي ذلك اليوم المشهود، وأشهد أنَّ سيِّدَنا محمَّداً ﷺ عبدُه ورسولُه المخصوصُ بعُمُومِ الرِّسَالة إلى العالمين السَّابقين واللّاحقين الموجُودِينَ، الَّذِين كانَ كلٌّ منهم بوجُودِه واتِّبَاعِه أعظمَ مَسْعُودٍ، المخصوصُ بالشَّفاعةِ العُظمَى، وذلك المقامِ المحمودِ، صاحبُ اللِّواءِ المعقودِ والحوضِ المورُودِ، ﷺ وعلى آله وصَحْبِه، الَّذِين سَعِدُوا به، وكانوا لأحواله وهَدْيِه أعظمَ الشُّهود. وبعد، فإنَّ شهرَ ربيعِ الأوَّل المشرَّف قد أينعت فيه ثَمَرُ السَّعادة، وصَارَ روضةً بذلك، أعظمَ رَوْضٍ مُنيفٍ، واختُصَّ بمناقبٍ عظيمةٍ، فاقَ بها على سَائِرِ الشُّهور، وفَاقَ بكرامةٍ كُبْرَى، صَارَ مذكوراً بها على مَمَرِّ الدُّهور، وما أحسنَ مَا قَالَ فيه القَائِلُ الوَجِيهُ:

لِهَذَا الشَّهرِ فِي الإسْلامِ فَضْلٌ	ومَنْقَبَةٌ تَفُوقُ على الشُّهُورِ
لِمَوْلُودٌ بِهِ اسمٌ ومَعْنَىً	وآيَاتٌ بَهَرْنَ لَدَى الظُّهُورِ

رَبِيعٌ فِي رَبِيعٍ فِي رَبِيعٍ ... وَنُورٌ فَوْقَ نُورٍ فَوْقَ نُورِ

وتلك المنقبةُ التي اختُصَّ بها، هي الظُّهورُ فيه لسيِّد المرسلين، والولادةُ فيه لأفضلِ الخلائقِ أجمعين الَّذِي كان وجودُه وظهورُه رحمةً للعالمين وقبساً للمهتدين، من اصطفاه اللهُ تعالى واختصَّه بالفضائل والكرامات، وأيَّده بالمعجزات الظَّاهرات، والآياتِ الباهرات، مَنْ لا يُمْكِنُ حَصْرُ صفاتِهِ الظَّاهرةِ والباطنةِ وشمائِلِه، وتَعْجِزُ القُوَى عن استيعابِ ذَلِكَ بدلائِلِه.

الأَمْرُ أعظَمُ مِنْ مَقَالَةِ قَائِلٍ ... إِنْ رَقَّقَ البلغاءُ أَوْ إِنْ فَخَّمُوا

مَاذَا يَقُولُ المادحونَ بِمَدْحِهِ ... حقاً بِهِ نَطَقَ الكِتَابُ المُحْكَمُ

وقَدْ حُكِيَ أَنَّ العَارِفَ الكبيرَ وسراجَ أهلِ المحبَّةِ الشَّهيرَ مَنْ قَمَعَ مَنْ لَهُ مِنْ مُعَارِضٍ؛ أبا حَفْصٍ عُمَرَ بنَ الفَارِضِ[1]، دَامَتْ إمداداتُهُ وتَوالَتْ بركَاتُهُ، رُئِيَ في المنامِ، فَقِيلَ لَهُ: لِمَ لا مَدَحْتَ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَنْشَدَ ﷺ، ونَفَعَنَا بِه قَائِلاً:

أَرَى كلَّ مَدْحٍ في النَّبِيِّ مُقصراً ... وَإِنْ بَالَغَ المُثْنِي عليهِ وأَكْثَرَا

إذاً اللهُ أَثْنَى بِالَّذِي هُوَ أَهْلُهُ ... عَلَيهِ فَمَا مِقْدَارُ مَا تَمْدَحُ الوَرَى

فَوُجُودُه الظَّاهِرِيُّ ﷺ، وإِنْ كَانَ في شهرِ ربيعٍ الأوَّلِ الشَّريفِ، إلا أنَّ خَلْقَهُ ﷺ كان مقدَّماً على خَلْقِ الأنبياء صَلَوَاتُ اللهِ وسلامه عليهم، ذوي القَدْرِ المنيفِ، فقد أخرج البُخاريُّ في (تاريخه الكبير)، من مراسيل الحسن

---

(١) هو: عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، أبو حفص وأبو القاسم، شرف الدين ابن الفارض، توفي سنة [٦٣٢هـ]. انظر: العبر للذهبي [٣/ ٢١٣]، شذرات الذهب، لابن العماد [٧/ ٢٦١].

...ال: قال النبيُّ ﷺ: «كُنْتُ أوَّلَ الأنبياءِ في الخَلْقِ وآخِرَهُم في البَعْثِ، ثمَّ ...رأ: ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾»(١)..

وأخرجَ مسلمٌ من حديثِ عبد اللهِ بنِ عَمْرو بنِ العَاصي، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه ...ال: «إنَّ الله ﷻ كَتَبَ مَقَاديرَ الخَلْقِ قَبْلَ أن يَخْلُقَ السَّمواتِ والأرضَ ...خَمْسِينَ ألفَ سنَةٍ، وكَانَ عَرْشُه على الماءِ، ومِنْ جُمْلَةِ مَا كَتَبَ في الذِّكرِ، ...هو أُمُّ الكِتَابِ أنَّ محمَّداً خَاتَمُ النَّبيِّين»(٢).

وأخرجَ الإمامُ أحمدُ والحَاكِمُ وصحَّحه، وغيرُهما عن العِرْبَاضِ بنِ سَارِيَةَ ...نِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «إنِّي عندَ اللهِ لخَاتَمُ النَّبيِّينَ، وإنَّ آدمَ لمنْجَدِلٌ في ...طِينَتِه»(٣). يعني: طريحاً على الأرض، قبل نَفْخِ الرُّوحِ فيه.

وفي روايةٍ لأحمدَ وغيرِه وصحَّحها الحاكمُ وغيرُه عن مَيْسَرَةَ الضَّبيِّ، ...ال: قلت: يا رسول الله، متى كُنْتَ نَبِيّاً؟ قال: «وآدمُ بين الرُّوحِ والجَسَدِ». ...وفي رواية: «مَتَى كُتِبْتَ نَبِيّاً؟». من الكتابة. وفي رواية: «مَتَى وَجَبَتْ لَكَ ...النُّبوَّةُ؟».

وأمَّا مَا اشتُهِرَ على الألسنةِ، بلفظ: «كُنْتُ نَبِيّاً وآدمُ بَيْنَ الماءِ والطِّينِ» ...فقَالَ بعضُ الحفَّاظِ: لم نَقِفْ عليه بهذا اللَّفظ انتهى. وكَذَا ما اشتُهِرَ بلفظ: ...«ولا آدمُ ولا ماءٌ ولا طِينٌ». قال بعضُ الحفَّاظِ فيه وفيمَا قَبْلَه أيضاً: إنهما ...بَاطِلان.

---

(١) لم أعثر عليه عند البخاري في تاريخه، قال السيوطي في الدرر المنتشرة: (أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره وأبو نعيم في الدلائل من حديث أبي هريرة رضي الله عنه). وأخرجه ابن سعد عن قتادة مرسلاً. وانظر: الفوائد لتمام الرازي [٢/ ١٥].

(٢) انظر: صحيح مسلم [١٢/ ١٢٢٥، رقم: ٢٦٥٣ باب حجاج آدم وموسى ﷺ].

(٣) سبق تخريج الحديث.

ومَعْنَى وُجُوبِ النُّبوَّةِ وكِتَابَتِها، كَمَا فِي الرِّوايتَيْنِ المتقدِّمتَين ثبوتُ النُّبوَّةِ وظهورُها في الخَارِجِ؛ نَحْوَ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾[1]، [البقرة: ١٨٣] ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾[2] [المجادلة: ٢١].

والمرادُ ظهورُ ذلك للملائكة وروحُه ﷺ في عالم الأرواح إعلاماً بعظمِ شَرَفِه وتميُّزِه على بقيَّةِ الأنبياءِ، وخُصَّ الإظهارُ بحالةِ كَوْنِ آدمَ بين الرُّوحِ والجَسَدِ؛ لأنَّه أوَّلُ دُخولِ الأرواحِ إلى عَالَمِ الأجسادِ، والتَّمايزُ حينئذٍ أتمُّ وأظهرُ، فاختُصَّ ﷺ بزيادة إظهار شَرَفِه حينئذٍ، لِيَتميَّزَ على غيرِه تميُّزاً أعظمَ، فإنْ قِيلَ: إنَّ النُّبوَّةَ وَصْفٌ لابدَّ أنْ يَكُونَ الموصوفُ به مَوْجُوداً، وإنَّما يَكُونُ غَالِباً بَعْدَ أربَعِينَ سَنَةً، فَكَيْفَ يُوصَفُ به قَبْلَ وُجُودِه وإرْسَالِه؟ قُلْنَا: أجَابَ عَنْهُ الإمامُ الغزَالي؛ بأنَّ المرادَ بالخَلْقِ هُنَا التَّقديرُ لا الإيجادُ، فإنَّه قبلَ أنْ تَحْمِلَ به أمُّه لم يَكُنْ مخلوقاً، ولكنَّ الغَايَاتِ والكَمَالاتِ سابقةٌ في التَّقديرِ، لاحِقَةٌ في الوجود، فقوله: كُنْتُ نَبِيّاً، أي: في التَّقدير قبل تَمَامِ خَلْقِه آدم؛ لأنَّه لم ينشِ خَلْقَ آدم، إلَّا لينتزعَ من ذرِّيَّته محمَّداً ﷺ.

وذَهَبَ السُّبْكيُّ إلى ما هو أبيَنُ، وَهُوَ أنَّه قَدْ جَاءَ: أنَّ الله خَلَقَ الأرواحَ قبلَ الأجسادِ، فالإشارةُ بقوله: كُنْتُ نَبِيّاً إلى روحِه الشَّريفة، أو إلى حقيقةٍ من الحقائقِ، ولَا يَعْلَمُهُ إلَّا الله تَعَالى، ومن خصَّه بالاطِّلاع عليها، ثمَّ إنَّ الله تعالى يُؤْتِي كلَّ حقيقةٍ منها ما شَاءَ في أيِّ وقتٍ شَاءَ، فحَقِيقَتُه ﷺ قد تكونُ من حِينِ خَلْقِ آدم آتاها اللهُ ذلك الوَصْفَ، بأنْ جَعَلَها مُتَهَيِّئَةً له، وأفَاضَ عليها من ذلك الوَقْتِ، فَصَارَ نَبِيّاً، وكَتَبَ اسمَه على العَرْشِ، ليَعْلَمَ ملائكتُه وغيرُهم كَرَامَتَه عندَه، فَحَقِيقَتُه موجودةٌ من ذلك الوَقْتِ، وإنْ تأخَّرَ جسدُه الشريفُ

---

(١) انظر تفسير الجيلاني.

(٢) انظر تفسير الجيلاني.

المتصِفُ بها، فحينئذٍ إيتاؤهُ النبوّةَ والحِكْمَةَ وسَائِرَ أوصافِ حقيقته وكَمَالاتِه معجّلٍ لا تأخيرَ فيهِ، وإنّما المتأخِرُ تكوُّنُه وتنقُّلُه في الأصلابِ والأرحامِ الطّاهرةِ إلى أن ظَهَرَ ﷺ.

وأمّا من فسّرَه بعِلْمِ اللهِ؛ بأنّه سيَصِيرُ نبيّاً، فلم يَصِلْ لهذا المعنى؛ لأنَّ علمَه تعالى مُحِيطٌ بجَمِيعِ الأشياءِ، والوَصْفُ بالنبوّةِ ينبغي أنْ يُفْهَمَ منه أنّه أمرٌ ثابتٌ له في ذلك الوقتِ، ولو كانَ المرادُ بذلك مجرّدَ العِلْمِ لما سَيَصِيرُ في المستقبلِ لم يكنْ له خصوصيةٌ بأنْ نُبِّئ وآدمُ بينَ الرّوحِ والجَسَدِ، لأنَّ جميعَ الأنبياءِ يَعْلَمُ اللهُ نبوَّتَهم في ذلك الوقتِ، فلا بُدَّ من خصوصيّةٍ للنّبيِّ ﷺ لأجْلِها أخْبَرَ بِهَذا الخَبَرِ، إعلاماً لأمّتِه ليَعْرِفُوا قَدْرَه عندَ اللهِ تَعَالى.

وأخرج ابنُ سَعْدٍ عن الشَّعْبِيِّ، قَالَ: «يَا رَسولَ اللهِ، مَتَى استُنْبِئْتَ؟ قال: «وآدمُ بينَ الرُّوحِ والجسدِ، حِينَ أُخِذَ منّي الميثاقُ»»[1]. فَهَذا يدلُّ على أنَّ آدمَ لَمّا صُوِّرَ طِيناً، استُخْرِجَ منه ﷺ، ونُبِّئَ وأُخِذَ منه الميثاقُ، ثمَّ أعيدَ إلى ظهرِه ليَخْرُجَ أوانَ وجودِه، فهو أوَّلُهم خلقاً، وآخرُهم بَعْثاً، وما تقرَّرَ من أنّه استُخْرِجَ ونُبِّئَ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فيه؛ أي: في آدم، فَكَانَ آدمُ حينئذٍ مَوْتاً لا رُوحَ فيه، وهو ﷺ كَانَ حيّاً حِينَ استُخْرِجَ ونُبِّئَ حِينَ أُخِذَ منه ميثاقُه، لا يُنَافِي ما دلَّ عليهِ أكثرُ الأحَادِيثِ، مِنْ أنَّ استخراجَ ذريّةِ آدمَ بَعْدَ نَفْخِ الرُّوحِ فيه، لاختِصَاصِه ﷺ مِنْ بينِ ذريّةِ آدمَ بالاستخراجِ من ظَهْرِه قبل نَفْخِ الرُّوحِ فيه؛ لأنّه ﷺ هو المقصودُ من خَلْقِ النّوعِ الإنساني، وهو عينُه وخُلاصتُه وواسطةُ عقْدِه، والأحاديثُ صريحةٌ في ذلك، كَمَا قَالَه بعضُهم.

وفي تَفْسيرِ الحَافِظِ عِمَادِ الدّينِ ابنِ كَثيرٍ: (عن عليٍّ وابنِ عبّاسَ ﷺ، في

---

(١) سبق تخريج الحديث في الموالد السابقة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَٰقَ النَّبِيِّۦنَ﴾[١] [آل عمران: ٨١]، أنَّ الله لم يبعث نبياً من آدمَ فَمَنْ بعده إلّا أخذ عليه العَهْدَ في محمَّد ﷺ، لئن بعث وهو حيٌّ ليؤمنَنَّ به ولَيَنْصُرَنَّه، ويأخذ العهد بذلك على قومه»[٢].

وأخَذَ السُّبْكِيُّ من الآيةِ أنَّه ﷺ نَبِيُّ الأنبياء، وأنَّه على تقديرِ مجيئه في زَمَانِهم يكونُ مُرسلاً إليهم، فتكون نبوَّتُه ورسالتُه عامَّةً لجميعِ الخَلْقِ، من زَمَنِ آدَمَ إلى يومِ القيامةِ، وتكونُ الأنبياءُ وأُمَمُهُم كلُّهم من أمَّتِه، فلو اتَّفَقَ مجيئُه في زمنِ آدمَ أو نوحٍ أو إبراهيمَ أو موسى أو عيسى، صلواتُ الله وسلامهُ عليهم، وَجَبَ عليهم وعلى أُمَمِهِم الإيمانُ به ونُصْرَتُه، بذلك أخَذَ اللهُ الميثاقَ، ويكون قوله: بعثت إلى النَّاسِ كافة لا يختصُّ به النَّاس من زمانه إلى يوم القيامة، بل يَتناولُ من قَبْلَهُم أيضاً، وبه يَتَبيَّنُ معنى قوله: «كنت نبيّاً وآدم بين الرُّوح والجسد»، وظهر بذلك حكمةُ قولِ الأنبياء تحتَ لوائِه في الآخرة، وصلاتُه بهم ليلةَ الإسراءِ في الدُّنيا.

وأخرج عبدُ الرَّزاق بسنده إلى جابر بن عبد الله الأنصاري، أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال لَمَّا سأله عن أوَّلِ شيءٍ خَلَقَه اللهُ: «يَا جَابِرُ، إنَّ الله خَلَقَ قبلَ الأشياءِ نورَ نبيِّكِ من نوره، فَجَعَلَ ذلك النُّورَ يدورُ بالقُدْرةِ حيثُ شاءَ الله تَعالَى، ولم يَكُنْ في ذلك الوَقْتِ لَوْحٌ وَلَا قَلَمٌ». الحديث[٣].

واختلفوا في أوَّلِ المخلوقاتِ بعد النُّورِ المحمَّديِّ؛ فَقِيلَ: العرشُ، لما صحَّ من قوله ﷺ: «قَدَّرَ الله مقاديرَ الخَلْقِ قبلَ أنْ يَخْلُقَ السَّمواتِ والأرضَ

---

(١) انظر تفسير الجيلاني.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير [٤/ ٤٣٢].

(٣) سبق تخريجه.

بخمسين ألفِ سَنَةٍ، وكان عرشُه على الماء»[1]. وصحَّ: «أوَّلُ مَا خَلَقَ الله القَلَمُ، قَالَ لَه: اكْتُب. قَالَ: يا ربِّ، وما أكتُبُ؟ قَالَ: مَقَادِيرَ كلِّ شيءٍ»[2]. ...نْ صَحَّ في حديثٍ مرفوعٍ أنَّ الماءَ خُلِقَ قَبْلَ العرشِ[3].

فَعُلِمَ أنَّ أوَّلَ الأشياءِ المخلوقةِ على الإطلاقِ النُّورُ المحمَّديُّ، ثمَّ الماءُ، ...مَّ العَرْشُ، ثمَّ لما عَلِمْتَ من حديثِ: أوَّلُ مَا خَلَقَ الله القَلَمُ، مع الحديثِ ...لذي قَبْلَه الدَّالَّيْنِ عَلَى أنَّ التَّقديرَ وَقَعَ بَعْدَ العَرْشِ، والتَّقديرَ وَقَعَ عِنْدَ خَلْقِ ...لقلم، فَذِكْرُ الأوليَّةِ فيه بالنِّسبة لما بَعْدَه، وقيل: الأوليَّة بالإضافة إلى جنسية، ...يْ: أوَّلُ مَا خَلَقَ الله مِن الأنوارِ نُوري، وكَذَا في باقيها[4].

ثمَّ لا زَالَ نورُه ﷺ ينتقل من الأصلاب الطَّاهرات إلى الأرحام الزَّاكيات، ...قَدْ وَرَدَ لما خَلَقَ الله آدم جَعَلَ ذلك النُّورَ يدورُ في ظهرِه، وكَانَ يَلْمَعُ في ...جَبْهَتِه، ويَغلبُ على سَائرِ نورِه، ولما تُوفي آدم عليه الصَّلاة والسَّلام كان ...بيتُ عليه الصَّلاة والسَّلام ولده وَصِيَّهُ، ثمَّ أوصى شِيثٌ ولده بوصية آدم له، ...نْ لا يَضَعَ هذا النُّورَ إلَّا في المطهَّرات من النِّساء، ولم تزل هذه الوصيَّةُ ...معمولاً بها، تَنْتَقِلُ من قرنٍ إلى قرنٍ إلى أن أدَّى الله النُّور إلى عبد المطلب ...وولده عبد الله.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٤/ ٢٠٤٤، رقم: ٢٦٥٣]، والترمذي في سننه [٤/ ٤٥٨، رقم: ٢١٥٦].

(٢) أخرجه أبو داود في سننه [٤/ ٣٦٢، رقم: ٤٧٠٢]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ٢٠٤، رقم: ٢٠٦٤٤]، والترمذي في سننه [٤/ ٤٥٧، رقم: ٢١٥٥].

(٣) قال ابن حجر في فتح الباري [٩/ ٤٧٣]: (رواه أحمد والترمذي وصحّحه من حديث أبي رَزِين العُقَيْلِيّ مَرفُوعاً). وانظر: مشكاة المصابيح للتبريزي [١/ ٤٠٢].

(٤) انظر: تحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي [٨/ ٤٢١].

ولله درُّ القائل في أثناء قصائده قائلاً شعراً[١]:

لَوْ أَبْصَرَ الشَّيطانُ طلعةَ نورِه في وجهِ آدم كانَ أوَّلَ مَنْ سَجَدْ
أوْ لَوْ رَأى النُّمْرودُ نورَ جَمَالِه عَبَدَ الجَليلَ مَعَ الخَليلِ وَمَا عَنَدْ
لكنْ جمالُ الله جلَّ فَلا يُرَى إلَّا بِتَأْييدٍ مِنَ الله الصَّمَدْ

وقَدْ طهَّر الله هذا النَّسَبَ الشَّريفَ مِنْ سِفَاحِ الجاهليَّةِ، كَمَا وَرَدَ عنه ﷺ في الأحاديث المرضيَّة[٢]، وكَانَ عبدُ المطلب تَفُوحُ منه رائحةُ المِسكِ الأذفر، ونُورُ رسولِ الله ﷺ يُضِيءُ في غُرَّتِه، وكَانَتْ قُرَيْشٌ إذا أصَابَها قَحْطٌ تَأخُذُ بِيَدِ عبد المطلب وتَخْرُجُ به إلى ثَبِيرِ وَيَسْتَسْقُون، فَيُغِيثُهُم اللهُ وَيَسْقِيهِمْ غيثاً عَظِيماً بِبَرَكَةِ محمَّدٍ ﷺ.

ولَمَّا قَدِمَ أبرهةُ مَلِكُ اليَمَنِ لِهَدْمِ بيتِ الله الحرام، وبَلَغَ عبدَ المطلبِ، قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْش، لا يَصِلُ إلى هَدْمِ البيتِ؛ لأنَّ لهذا البيتِ ربّاً يَحميه ويحفظُه، فلمَّا توجَّه جيشُ أبرهةَ ومَعَهُم الفيلُ لهدمِ الكعبةِ، بَرَكَ الفيلُ فَضَرَبُوا عَلَى رأسِه ضرباً شديداً ليقومَ، فَأَبَى فوجَّهوه راجعاً إلى اليَمَنِ فَقَامَ، ثمَّ أرسَلَ الله عليهم طيراً أبابيلَ مِنَ البَحْرِ، مَعَ كلِّ طائرٍ منها ثلاثةُ أحجَارٍ؛ حَجَرٌ في منقاره، وحَجَرانِ في رِجْلَيه، كأمثال العَدَسِ، لا يصيبُ أحداً منهم إلَّا أهلكَه، فَرَجعُوا هاربين يَتَسَاقَطُون بِكلِّ طَرِيقٍ، وأصيبَ أبرهةُ في جسده، فَتَسَاقَطَتْ أنامِلُه أنْمُلةً أنْمُلةً، وسَالَ الصَّديدُ والقَيْحُ والدَّمُ، وَمَا مَاتَ حتَّى انصَدَعَ قلبُه.

وإلى هذه القصَّةِ أشَارَ سبحانَه بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾[٣] [الفيل: ١].

---

(١) القائل هو الشيخ علي وفا رحمه الله، وقد سبقت ترجمته.
(٢) سبق الإشارة إليها وتخريجها في الموالد السابقة.
(٣) انظر تفسير الجيلاني.

وإنَّما قال: مع أنَّ القصَّةَ كانت قبل المبعث بزمانٍ طويلٍ؛ لأنَّ المراد من الرؤيَةِ هنا العلمُ والتذكُّر، وهو أشارَ إلى أنَّ الخَبَرَ تواترَ، فكانَ العلمُ به الضروريُّ الحاصلُ مساوياً في القوَّة للرؤيَة، وقد كانت هذه القصَّةُ دالَّةً على شرفِ سيِّدِنا محمَّدٍ ﷺ وتأسيساً لنبوَّتِه وإرهاصاً لها، وإعزازاً لقومه، بما ظَهرَ لهم من الاعتناءِ بحمَايةِ الله لهم، ودَفْعِه عنهم مَكْرَ أبْرَهَةَ الَّذِي لم يكنْ لسائِرِ العَرَبِ بقتاله طاقةٌ وقدرةٌ.

وحيثُ كَانَ إرهاصاً فلا يضرُّ تقدُّمُها على زمانِ البعثةِ بخِلَافِ المعجزةِ، ولكنْ قَالَ الإمامُ: مَذْهَبُنَا أنَّه يَجُوزُ تقديمُ المعجزةِ على زَمَانِ البعثةِ تأسيساً. قالوا: ولِذَلِكَ كانت الغَمَامَةُ تظلّه عليه الصَّلاة والسَّلام؛ يعني: قَبْلَ البِعْثَةِ. وخالَفَهُ العلَّامَةُ السيِّدُ في (شرح المواقف)[1] تَبَعاً لغيره، فاشترطَ في المعجزةِ أنْ لَا تتقدَّم على الدَّعوة، بل تكونُ مُقَارِنَةً لها، كَمَا حُقِّقَ في محلِّه.

فإنْ قيل: إنَّ الحجَّاج خَرَّبَ الكعبةَ، ولم يَحْدُثْ له شيءٌ من ذلك، فالجواب: أنَّ ذلك إنَّما وَقَعَ إرهاصاً لأمرِ نبوَّةِ نبيِّنا محمَّد ﷺ، والإرهاصُ إنَّما يَحْتَاجُ إليه قَبلَ قُدُومِه، فلمَّا ظَهرَ ﷺ، وتأكَّدت نبوَّتُه بالدلائل القطعيَّةِ لم يحتج إلى شيءٍ بَعْدُ، وقد يُجَابُ عن ذلك؛ بأنَّ أبرهةَ قَصَدَ التَّخريبَ بالكليَّة، وعَدَمَ عَوْدِها، فلذلك عُوجِلَ بالعُقُوبَةِ، والحجَّاجُ إنَّما قَصَدَ بالتَّخريبِ صورةَ بناءِ ابنِ الزُّبيرِ، وإعادتها على حالتها الأولى، فَلِذَلِكَ لَمْ يَحْدُث له شيءٌ من ذلك.

ولَمَّا رَجَعَ أبرهةُ خائباً، وفَرَّجَ الله عن عبدِ المطَّلِبِ، رَأى مناماً عَظِيماً،

---

(١) صاحب (شرح المواقف) هو علي بن محمد بن علي الحنفي الشريف الجرجاني، المتوفى سنة [٨١٤هـ]، وكتاب (المواقف) في علم الكلام، لعضد الدين الإيجي، المتوفى سنة [٧٥٦هـ].

فقال له من قصّهُ عليه: إنْ صَدَقَتْ رُؤْيَاكَ لَيَخْرُجَنَّ من ظَهْرِكَ مَنْ يؤمنُ به أهلُ السّمواتِ والأرضِ، ولَيَكُونَنَّ في النَّاس عَلَماً مُبيناً، فتَزَوَّجَ وَحَمَلَتْ زَوْجَتُه في ذلك الوقتِ بعبدِ اللهِ، وقصتُه في الذَّبْحِ مشهورةٌ مخرَّجَةٌ عن الرُّواة مَنْظُورةٌ؛ وحَاصِلُها أنَّ عبدَ المطَّلبِ لَمَّا أرَادَ حَفْرَ زَمْزَم، لم يكن له إلَّا ولدٌ واحدٌ بعينِه، ولَيْسَ له سِوَاه، فَنَذَرَ لَئِنْ جَاءَه عَشْرَةُ بَنِينَ، وصَارُوا له أعواناً، لَيَذبَحَنَّ أحدَهم قُرْبَاناً، فلمَّا تَكَامَلَ بَنُوه عَشَرَةً، وقَرَّتْ عينُه بهم، قيل له: أَوْفِ بِنَذْرِكَ فلمَّا أرَادَ ذَلكَ، وَضُرِبَت القُرْعَةُ، خَرَجَت على عبدِ اللهِ، وكَانَ أحبَّ وَلَدِه إليه، فلمَّا قَامَ ليذبَحَه، مَنَعَتْهُ سَرَاةُ قُرَيشٍ، ودَلُّوهُ على كاهنةٍ لعلَّها أنْ تأمرَه بما فيه فَرَجٌ، فأمرَتْه أن يقرِّب عَشَرَةً وولدِه، ويَضْرِبَ عليهما القِدْحَ، فإنْ خَرَجَت على الولد، فيزيد على الولد ويضرب، فإذا خَرَجَت عليها نَحَرَهَا، فَفَعَلَ ذلك فخَرَجَت على الوَلَدِ، فلَمْ يَزَلْ يَزِيدُ عشرةً عشرةً، حتَّى بلغت الإبلُ مئةً، وخرجَتِ القِدَاحُ عليها، فنُحِرَت وتُرِكَت لا يُصَدُّ عنها إنسانٌ ولا طائرٌ ولا سَبُعٌ[1].

وَرَوى الحاكِمُ أنَّ أعرابياً قال للنَّبيِّ ﷺ: «يا ابنَ الذَّبيحَيْن، فتبسَّم، ولم ينكر عليه»[2]. ويَعْنِي بالذَّبيحين: عبدَ الله وإسماعيلَ بنَ إبراهيمَ عليهما السلام. ولَمَّا انصرفَ عبد الله مع أبيه عبد المطلبِ من نَحْرِ الإبل، مرَّ على امرأةٍ من بني أسد بن عبد العُزَّى، وهي عند الكعبة، واسمها: قُتَيْلَة، بضمِّ القافِ وفتحِ المثناة الفوقية، ويقال: رُقَيَّةُ بنتُ نوفل، فقالَت له حِينَ نَظَرَت إلى وجهِه، وكانَ أحسنَ رَجُلٍ رئي في قريش: لَكَ عندي مِثْلُ الإبلِ الَّتي نُحِرَت عنك،

---

(١) سبق بحثه في الموالد السابقة.

(٢) سبق تخريجه.

...بَقَعَ عليّ الآن، لِمَا رأت في وجهِه من نورِ النبوّةِ، وَرَجَت أنْ تحمِلَ بهذا ...لنَّبيّ الكريمِ ﷺ، فَقِيلَ إنّه أجابها بقوله:

...أمّا الحرامُ فالمَمَاتُ دونَه والحِلُّ لا حِلَّ فأستَبِينَهُ
...فكيفَ بالأمرِ الَّذي تَبْغِينَه يَحْمِي الكريمُ عِرْضَهُ ودِينَهُ

ثمّ خرَجَ به عبدُ المطَّلِب حتىٰ أتىٰ به إلى وهبِ بنِ عبدِ مَنَافِ بنِ زُهْرَةَ، ...وهو يومئذٍ سيّدُ بني زُهرةَ نَسَباً وشَرَفاً، فزوّجَه ابنتَه آمنةَ، وهي يومئذٍ أفضلُ ...امرأةٍ من قريشٍ نسباً وموضعاً، فَزَعَمُوا أنّه دَخَلَ عليها حِينَ ملكها مكانَه، ...فحَمَلَت بالنّبيّ ﷺ يومَ الاثنينِ من شهرِ رَجَبٍ، وقيل: أيامَ منى في شِعْبِ أبي ...طالبٍ عند الجَمْرَةِ الوُسْطى، فالقولُ الأوّلُ مُنْطَبِقٌ على ميلادِه، في ربيعٍ ...الأوّلِ، وأمّا الثّاني، وهو كونُه أيامَ منىً، فموافقٌ لِمَنْ يَذْهَبُ أنَّ ميلادَه في ...شهرِ رَمَضانَ، قال الحاكمُ أبو أحمدَ: وكانَ سنُّ عبدِ الله إذ ذاك ثلاثينَ سنةً.

ثمّ لما حَمَلَت آمنةُ برسولِ الله ﷺ ظَهَرَ لِحَمْلِه عَجَائِبُ وَوُجِدَ لإيجادِه ...غَرَائِبُ، وقد أكثرَ النَّاسُ من الأخبارِ والآثارِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِحَمْلِه ومولِدِه ...ورَضَاعِه وغيرِها، ولم يصحَّ في ذلك إلّا أخبارٌ قليلةٌ، وكانَت آمنةُ تقولُ: (مَا ...شَعَرْتُ أنّي حَمَلْتُ به ولا وَجَدْتُ له ثقلاً كَمَا تَجِدُ النّسَاءُ إلّا أنّي قد أنكرْتُ ...رَفْعَ حَيْضَتِي، وربما كانَت تُرْفَعُ عنّي وتعودُ).

لكن رُوِيَ عن شَدّادِ بنِ أوسٍ: «أنَّ رجلاً من بني عامِرٍ سَأَلَ رسولَ الله ...ﷺ، مَا حقيقةُ شأنِك؟ قال: بُدُوُّ شأني أنّي دعوةُ إبراهيم، وبُشْرَى أخِي ...عيسى، وأنّها حَمَلَت بِي كَأَثْقَلِ مَا تَحْمِلُ النّسَاءُ، وجَعَلَت تَشْكُو إلى ...صَوَاحِبَاتِها ثِقَلَ ما تَجِدُه» الحديث، ففيه أنّ أمّه عليه الصّلاةُ والسّلام وَجَدَت ...الثِّقَلَ في حَمْلِه، وفي سائرِ الأحاديثِ أنّها لم تَجِدْ ثِقْلاً.

وجَمَعَ الحافظُ أبو نُعَيم بينَهما: بأنَّ الثِّقَلَ به كَانَ في ابتداءِ عُلُوقِها به،

والخِفَّةُ عندَ استمرارِ الحَمْلِ به، فيكونُ على الحالَيْنِ خارجاً عن المعتادِ المعروف.

ورَوَى الطبرانيُّ أنَّه ﷺ لَمَّا وَقَعَ إلى الأرضِ وَقَعَ مقبوضةً أصابعُ يَدِه مشيراً بالسَّبابة كالمسبِّح بها[(١)]. وفي روايةٍ عن أبي سَعِيدٍ: «لَمَّا وُلِدَ رسولُ الله ﷺ فَوَقَعَ على الأرضِ، وَقَعَ على يَدَيْه رافعاً رأسَه إلى السَّماء، وقَبَضَ قبضةً من التُّراب بيده، فَبَلَغَ ذلك رجلاً من لَهَب، فقالَ لصاحبٍ له: إنَّه لَئِن صَدَقَ هَذا الفَألُ، ليغلبنَّ هذا المولود أهلَ الأرضِ»[(٢)]. وفي روايةٍ: «لَمَّا وُلِدَ رسولُ الله ﷺ وَقَعَ على كَفَّيْه ورُكْبَتَيْه شَاخِصاً بَصَرُه إلى السَّمَاءِ»[(٣)].

وَوَقَعَ في أثناءِ حديثٍ، رواهُ ابنُ حبَّان في صَحِيحِه: «أنَّ أمَّه آمنةَ قالت: ثمَّ وَضَعْتُه فَمَا وَقَعَ كَمَا تَقَعُ الصبيانُ، بَلْ وَقَعَ وَاضِعاً يَدَيْهِ بالأرضِ، رافعاً رأسَه إلى السَّماء»[(٤)].

وفي رَفْعِ بَصَرِه ﷺ في تلك الحالة، كَمَا قاله العلَّامة الشَّمسُ الجَزَرِيُّ رَحِمَهُ الله تعالى إشارةٌ وإيماءٌ إلى رَفْعِ شَأْنِه وعلوّ قَدْرِه، وأنَّه يَسُودُ الخَلْقَ أجمعينَ، وَكَانَ هَذَا من آياتِه، وأنَّه أوَّلُ فِعْلٍ وُجِدَ منه في أوَّلِ ولادَتِه، وفيه إشارةٌ وإيماءٌ لمن لَه تأمُّلٌ إلى أنَّ جميعَ مَا يَقَعُ له من حِينِ يُولَدُ إلى حينِ يُقْبَضُ ﷺ مما يدُلُّ عليه ذلك الفعلُ، فإنَّه ﷺ لا يزالُ متزايدَ الرِّفْعَةِ في كلِّ وقتٍ وحينٍ، عَالِيَ الشَّأنِ على المخلوقاتِ أجمعين في الدُّنيا والآخِرَة. قالَ ﷺ: «أنا سيِّدُ وَلَدِ آدمَ وَلَا فَخْرَ»[(٥)].

(١) انظر: المعجم الأوسط للطبرانيّ [٢/ ٢٩٥].
(٢) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد [١/ ١٥٠].
(٣) انظر: المرجع السابق [١/ ١٠٣].
(٤) انظر: مجمع الزوائد للهيثمي [٨/ ١٦٠].
(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك [٢/ ٦٦٠]، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة [٤/ =

وَفِي رِفْعَةِ رأسِه إلى السَّماء إشارةٌ وإيماءٌ إلى كل سُؤْدَدٍ، وأنَّه لا يتوجَّه ...ـدُه إلَّا إلى جهة العلوِّ دونَ غيرِه ممَّا لا يناسِبُ قصدَه، وروَى ابنُ الجَزَرِيِّ ...ي (الوفاء) عن أبي الحُسَين بن البَرَّاء مُرسلاً، قال: قالت آمنةُ: (وَلَدْتُه ﷺ ...اثياً على ركبتَيْه يَنظُرُ إلى السَّماءِ، ثمَّ قَبَضَ قَبْضَةً من الأرضِ وهو سَاجِدٌ).

قال بعضُ أهلِ الإشاراتِ: لَمَّا وُلِدَ عيسى ﷺ، قال: إنِّي عبدُ الله أتانيَ ...لكتابَ وجَعَلَنِي نبياً، فأخبَرَ عن نفسِه بالعبوديَّة والرِّسالة، ونبيُّنا محمَّدٌ ﷺ ...رقَعَ ساجداً وخَرَجَ مَعَهُ نُورٌ أضاءَ لَهُ ما بَيْنَ المشرقِ والمغربِ، وقَبَضَ قَبْضَةً ...ن ترابٍ، ورَفَعَ بَصَرَه إلى السَّماء، فكانت عبوديةُ عيسى ﷺ بالمقال، ...عبودية محمَّد ﷺ بالفِعَال، ورسالةُ عيسى بالأخبارِ ورسالةُ محمَّد ﷺ ...بالأنوار، وفي سجودِه ﷺ عند وضعه إشارةٌ إلى أنَّ مبدأَ أمرِه على القرب، ...ال تعالى ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩]، وقال ﷺ: «أقْرَبُ مَا يَكُونُ العبدُ من ...ربِّه وهو سَاجِدٌ»[1].

فَحَالُ عِيسى عليه الصَّلاة والسَّلام يشيرُ إلى مقام العبودية، وحَالُ محمَّد ﷺ يشيرُ إلى مَقَامِ القُرْبِ من الحضرة الإلهية، كما قيل في المعنى:

وأنتَ لِكلِّ المُرسلين ختامٌ ... وأنتَ لِكلِّ الأنبياءِ إمامُ

وأنتَ لنا يومَ القيامةِ شافعٌ ... عليكَ من الله الكريم سلامُ

وأخْرَجَ أبو نُعَيم في (الدَّلائل)[2] من حديثِ عبدِ الرَّحمن بن عوفٍ، عن ...ـه الشِّفا بنتِ عمرو بن عوف، قالت: (لَمَّا وَلَدَت آمنةُ بنتُ وَهْبٍ محمَّداً ﷺ

= ٣٦]، والطبراني في المعجم الأوسط [٥/ ٢٠٢].

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى [٢/ ١١٠، رقم: ٢٥١٧]، والحاكم في المستدرك [١/ ٣٩٥، رقم: ٩٦٩]، وأبو داود في السنن [١/ ٣٢٦، رقم: ٨٧٥].

(٢) انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم [١/ ١٣٦].

وَقَعَ عَلَى يَدِي فاستهلَّ، فسمعتُ قائلاً يقول: رَحِمَكَ الله وَرَحِمَكَ ربُّك. قالت الشِّفا: فأضاء لي ما بين المشرقِ والمغربِ حتىٰ نظرت إلى بعض قصور الرُّوم، ثمَّ ألبسته وَوَضعْتُه، فلَمْ أنْشَبْ ان غَشِيَتني ظُلْمَةٌ ورُعْبٌ وقَشعَريرَةٌ عن يَميني، فَسَمِعْتُ قائلاً يقولُ: أينَ ذَهَبْتَ به؟ قال: إلى المشرقِ. قالت: فَلَمْ يَزَلِ الحديثُ مِنّي على بالي، حتىٰ أنْ بَعَثَه الله، فَكُنْتُ في أوّلِ النّاسِ إسلاماً.

فإنْ قيل: هل عَطِسَ النَّبيُّ ﷺ بعدما وُلِدَ حتّى قال له القائل ـ كَمَا في الحديث المتقدّم ـ رَحِمَكَ الله وَرَحِمَك ربُّك وشمَّته بذلك؟ ويكون المرادُ بقول الشُّفا بنت عمرو في الحديث: فاستهلَّ، أي: عَطِسَ. ومَنِ القائلُ له ذلك؛ المَلَكُ أو غيرُه؟ فالجواب الحافظ الجلال السُّيوطيُّ رَحِمَه الله تعالى، قال في (فتاواه الحديثية): (لم أقِفْ في شيءٍ منَ الأحاديث مصرِّحاً على أنّه ﷺ لمّا وُلِدَ عَطَسَ، بعد مُرَاجَعَةِ أحاديث، ثمّ قال: وأمّا الحديثُ الذي رَوَته أمُّ عبد الرَّحمن بن عوف ـ يعني المذكور آنفاً ـ فيه لفظُ يُشْبِهُ التَّشميتَ، لكن لم يصرِّح بالعُطَاسِ، والمعروف في اللغة أنَّ الاستهلالَ صِيَاحُ المولود أوّلَ ما يُولَد، فإن أريدَ هنا العُطاس، فمُحْتَمَلٌ، وحَمْلُ القائِلِ على المَلَكِ ظَاهِرٌ). انتهى.

وقال العلامة الجَوْجَرِيُّ رحمه الله في شرحه على (همزية البُوصيري)[1]: (الاستهلالُ وإنْ كان صياحُ المولودِ أوّلَ ما يُولد، إلّا أنَّ حمله هنا على العُطاسِ قريبٌ، كحَمْلِ القائِلِ على المَلَكِ). انتهى.

قال الحافظ ابنُ حَجَر في (شرحِ البُخَارِي): (في سِيَرِ الواقدي أنَّ النّبيّ

---

(١) الجوجري هو: محمد بن عبد المنعم بن محمد بن محمد الجوجري ثمَّ القاهري شمس الدين الشّافعي، توفي سنة [٨٨٩ هـ]، له شرح على الهمزية سمّاه: (خير القرى في شرح أم القرى). انظر: هدية العارفين [١/ ٣٩١].

ﷺ تكلَّم في أوائل ما وُلِدَ)[١]. وذكَرَ ابنُ سَبُعٍ في (الخَصَائِصِ) أنَّ مَهْدَه ﷺ كان يتحرَّك بتحريك الملائكة، وأنَّ أوَّلَ كلامٍ تكلَّم به أنْ قال: «اللهُ أكبرُ كبيراً، والحمدُ لله كثيراً»[٢].

ورُوِيَ من جملةِ حديثٍ صحَّحه ابنُ حبَّان والحَاكِمُ أنَّ أمَّ رسولِ الله ﷺ قالت لَمَّا ولدته: (خَرَجَ مِنْ فَرْجِي نورٌ أضَاءَ لَهُ الشَّامُ، فَوَلَدْتُه نَظِيفاً مَا بِه قَذَرٌ)[٣].

وَفِي روايةٍ في غيرِ هذا الحديثِ: (أنَّها رَأَت حِينَ حَمَلَت به أنَّه خَرَجَ منها نورٌ رَأَت به قُصورَ بُصرى من أقصى الشَّام)[٤].

ويُمْكِنُ أنْ يُجْمَعَ بين اختلافِ الرِّواياتِ في خروجِ النُّور حِينَ الحملِ، أو حِينَ الوَضْعِ بأنَّه لا مَانِعَ من وقوعِه في الوقتَيْن، وإنْ كَانَتِ الرِّوايةُ لِحِينِ الوَضْعِ أولى، لاتصالها وصحتها، وقد جَمَعَ الحافظُ الجلالُ السُّيوطيُّ بين الرِّوايتين، بأنَّ قوله حِينَ الحَمْلِ هي رُؤيَا نَوْمٍ وَقَعَت في الحَمْلِ، وأمَّا ليلةُ الولادةِ فرأت ذلك رؤيةَ عينٍ، وروَى عن إسحاق: (كانت آمنةُ تحدِّث أنَّها أُتِيت حين حملت، فقيل لها: إنَّك حَمَلْتِ بسيِّد هذه الأمَّة، وآيةُ ذلك أن يخرج معه نورٌ يَمْلأ قصورَ بُصْرَى من أرضِ الشَّام، فإذا وقع فَسَمِّيه محمَّدا). انتهى.

فلمَّا وَضَعَتْه خَرَجَ معه ذلك النُّور الَّذِي أضَاءَ له ما ذُكِرَ، وإلى هذا النُّور أشَارَ العبَّاسُ بنُ عبد المطَّلب في شِعْرِه، حيثُ قال:

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر [١٠/ ٢٣٩].
(٢) سبق بحث هذه المسألة في الموالد السابقة.
(٣) أنظر المقتفى من سيرة المصطفى [١/ ٣٥] والخصائص الكبرى [١/ ٧٩].
(٤) سبق تخريجه.

وأنتَ لما هبطتَ أشرقتِ الأ رضُ وضاءً بنورِكَ الأُفُقُ
فنحنُ في ذلكَ الضِّياءِ وفي النورِ وسُبُلِ الرَّشادِ نَخْتَرِقُ

قال في (اللَّطائف)[1]: (وخروجُ هذا النُّور عند وضعِه إشارةٌ إلى ما يجيءُ به من النُّور الذي اهتدى به أهلُ الأرضِ، وزَالَ به ظلمةُ الشِّركِ؛ كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ۝١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ﴾[2] [المائدة: ١٥ ـ ١٦].

وخصَّت الشَّامُ بذلك؛ لأنَّها خيرةُ اللهِ من أرضه، كَمَا في حديثٍ صحيحٍ، فهي أفضلُ الأرضِ بعد الحَرَمَيْنِ، وأوَّلُ إقليمٍ ظَهَرَ فيه مُلْكُه ﷺ، وذُكِرَ أنَّ في الكتبِ السَّالِفَةِ: (محمَّد رسولُ الله، مولده بمكَّة، ومُهَاجِرُه بيثْرِب، ومُلْكُه بالشَّام). فمِنْ مكَّةَ بَدَأَت نبوةُ نبيِّنا عليه الصَّلاة والسَّلام، وإلى الشَّام انتهى مُلْكُه ـ يعني أوَّلاً ـ ولهذا أُسْرِيَ به ﷺ إلى الشَّام، وبها يَنْزِلُ عيسى بنُ مريمَ عليه الصَّلاة والسَّلام، وهي أرضُ المَحْشَرِ والمَنْشَرِ، وفي تَخْصِيصِ بُصْرَى من أرضِ الشَّام، كَمَا في بعضِ الرِّواياتِ لطيفةٌ؛ وهي أنَّ النَّبيَّ ﷺ دَخَلَ بنفسه الكريمة إلى أرضِ بُصْرَى من الشَّام مرَّتَيْنِ ولم يُجَاوِزْهَا، فكان إشارةً إلى ذلك. قَالَهُ ابنُ الجَوْزِيِّ.

وقال غيرُه: في تَخْصِيصِها، لأنَّها أوَّلُ موضعٍ من بلادِ الشَّامِ دَخَلَها ذلك النُّورُ المُحَمَّدِيُّ، ولذلك كانت أوَّلَ ما افْتُتِحَ مِن بلادِ الشَّام، فأمَّا ما وَرَدَ في رِوَايَةِ ابنِ سَعْدٍ عن أبي القَبَلِيَّةِ في مولدِ النَّبيِّ ﷺ، قالت آمنة: (رَأَيْتُ كَأَنَّ

---

(١) انظر: لطائف المعارف لابن رجب [ص: ٩١].
(٢) انظر تفسير الجيلاني.

[شـ]ـهاباً خَرَجَ منيّ أضَاءَ له الأرضُ). انتهى. فالتَّعبيرُ بالشِّهابِ؛ إمّا أنّه مرادٌ به [ا]لنُّورُ، أو للإشَارَةِ إلى أنّه شِهَابٌ على أهلِ الكُفْرِ، يُحْرِقُهُم وَيَمْحُوهُم، [و]لأجلِ أنّه زادت بمولده حراسةُ السّماءِ بالشُّهُبِ، وقَطْعُ رَصْدِ الشّيطانِ [و]مَنْعِهم من استراقِ السَّمْعِ.

ومن عَجَائِبِ وِلَادَتِه[1] أيضاً: ما رُوِيَ من ارتجَاجِ إيوانِ كِسْرَى وانشِقَاقِه [حتّـ]ـىٰ سُمِعَ صَوتُه، وسَقَطَ منه أربَعَ عَشْرَةَ شُرْفَةً، وأخْبَرَ من رآه أنّ الشَّقَّ طولاً [فـ]ـي سَقْفِه قَدْرَ ما يُدْخِلُه ويَقْفِزُه الشَّخصُ القَوِيُّ، وهو بَاقٍ إلى اليومِ آيةً من آياتِ [الـ]ـله، وفي سقوطِ الأربعَ عَشْرَةَ شرفةً إشَارَةٌ إلى أنّه يَمْلِكُ منهم ملوكٌ وملكات [بـ]ـعَدَدِ الشُّرُفَاتِ، وقَدْ مَلَكَ منهم في أربَعِ سنينَ عَشَرَةٌ، ومَلَكَ البَاقُونَ إلى [خـ]ـلافةِ عُثْمانَ ﷺ، كما ذَكَرَهُ ابنُ سيِّدِ النَّاس[2]..

وخمودُ نارِ فَارِسَ التي كانوا يعبُدُونَها، ولم تُخْمَدْ قبل ذلك بألفِ عامٍ، بل كَانَت تُوقَدُ وتُضْرَمُ ليلاً ونَهاراً، فَخَمَدَت تلكَ اللّيلةَ، ولم يَقْدِرُوا على إيقَادِها، وتِلك آيةٌ بَاهِرَةٌ وعَلَامَةٌ على نبوّتِه ظاهِرَةٌ، وغَاضَتْ بُحَيْرَةُ سَاوَةَ، وكَانَت بُحَيْرَةً عَظِيمَةً في مملكةِ عِرَاقِ العَجَمِ بين هَمَذَانَ وقُمٍ، تُرْكَبُ فيها السُّفُنُ، ويُسَافَرُ بها إلى ما حَوْلَها، وكَانَتْ أكْثَرَ من ستةِ فَرَاسِخَ، فأصبحت ليلةَ مَوْلِدِه الشّريفِ ناشفةً يابسةً. ومِنْ ذلك أيضاً، مَا وَقَعَ من زِيَادَةِ حِرَاسَةِ السَّمَاءِ بالشُّهُبِ، وقَطعِ رَصْدِ الشَّيَاطِينَ ومَنْعِهِم من استراقِ السّمع.

وَوُلِدَ ﷺ مَعْذُوراً، أي: مَسْرُوراً مَخْتُوناً، أي: مقطوعَ السُّرَّةِ؛ كَمَا رَوَى ابنُ عَسَاكِرَ عن أنسٍ: أنّ النّبيّ ﷺ، قال: «مِنْ كَرَامَتِي على ربِّي أنّي وُلِدْتُ

---

(١) سبق الحديث عنها في الموالد السابقة.

(٢) في عيون الأثر. انظر: [٤١/١].

مَخْتُوناً، ولم تُرَ سوأتي»[١]. رَوَاهُ الطبرانيّ وغيرُه من طرق[٢]، وصَحَّحَه الضِّياءُ في (المختارة)[٣]. وأمَّا قولُ الحَاكِمِ: (تَوَاتَرَتِ الأخبارُ أنَّه ﷺ وُلِدَ مَخْتُوناً)[٤]. فَقَد تَعَقَّبَه الذَّهبيُّ؛ بأنَّه لا يُعْلَمُ صِحَّةُ ذلك، فَكَيْفَ يَكُونُ مُتَوَاتِراً، لكنْ أُجِيبَ عنه باحتمال أنْ يَكُونَ أرادَ بِتَوَاتُرِ الأخبارِ اشتِهارَها وكَثْرَتَها. في السِّيَرِ مِنْ طَرِيقِ السُّدِّيِّ لا المصطلحَ عليهِ عند أئمَّةِ الحديثِ.

وقد حَكَى الحافظُ زينُ الدِّينِ عبدُ الرَّحيمِ العِرَاقيّ أنَّ الكَمَالَ ابنَ القيِّمِ ضعَّفَ أحاديث كَوْنِه ﷺ وُلِدَ مَخْتُوناً، وقال: إنَّه لم يثبت في هذا شيءٌ من ذلك، وأقرَّهُ عليهِ، و به صرَّحَ ابنُ القيِّم، لكنْ رجَّحَ القُطْبُ الخَيْضَرِيُّ[٥] كَوْنَه وُلِدَ مَخْتُوناً، وقال: إنَّ أدلَّتَه مع ضَعْفِها أمثلُ من أدلَّة غيرِه، ويُرَجِّحُ أيضاً بأنَّ لدليله المتقدِّم طرقاً جيِّدةً صَحَّحَها الحُفَّاظُ أيضاً. وقال ابنُ القيِّم: (ليس ذلك من خصائصه ﷺ، فإنَّ كثيراً من النَّاس وُلِدَ مَخْتُوناً، ومنهم جَمَاعةٌ من الأنبياءِ نحوَ اثنَيْ عَشَرَ وُلِدُوا كَذَلِكَ، بل ذَكَرَ بعضُهم أنَّهم سَبْعَةَ عَشَرَ، وذَكَرَ الحافظُ ابنُ مُحمَّد أنَّ العرب تَزْعُمُ أنَّ الغلام إذا وُلِدَ في القَمَرِ فَسَخَتْ قُلْفَتُه؛ أي: اتَّسَعَت، فَيَصِيرُ كالمَخْتُونِ، ومِنْ هُنَا يُعْلَمُ أنَّ التَّعبير بقَوْلِهم: وُلِدَ مَختوناً تَجوُّزٌ؛ لأنَّ الخِتَانَ هو القَطْعُ، والمولودُ كذلك على هذه الهيئة من القطعِ، فَيُحْمَلُ على أنَّه وُلِدَ على هيئة المَخْتُونِ).

قال الحافظُ قطبُ الدِّين الخَيْضَرِيُّ رَحِمَهُ الله تعالى: (فإنْ قِيلَ: إنَّ به،

---

(١) انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم [٣/ ٢٤].
(٢) انظر: المعجم الأوسط للطبراني [٦/ ١٨٨، رقم: ٦١٨٤].
(٣) انظر: الأحاديث المختارة للضياء المقدسي [٢/ ٣٦٢، رقم: ١٨٦٤].
(٤) انظر: المستدرك للحاكم [٢/ ٦٥٧].
(٥) هو: محمَّد بن محمَّد الدمشقي الرملي الشافعي المعروف بـ(الخيضري)، المتوفى سنة [٨٩٤ هـ].

أي: وِلادَتِه مَخْتُوناً، بعضَ نقصٍ في حقِّ من يُولَدُ كَذَلِكَ، فَيُقالُ هَذَا في حقِّه ﷺ نهايةُ الكَمَالِ؛ لأنَّ القُلْفَةَ ربما تَمْنَعُ من تَكْمِيلِ النَّظَافَةِ والطَّهَارَةِ، وتَمْنَعُ كَمالَ لذَّةِ الجِمَاعِ، فَأَوْلَدَ اللهُ تعالى عبدَه ورسولَه ﷺ مختوناً مَسْرُوراً مُكَمَّلاً سَالِماً مِنَ النَّقَائِصِ والمعايبِ، فإنْ قُلْتَ: إذا كَانَ كَذَلِكَ، فَلِمَ شُقَّ صَدْرُه، واسْتُخْرِجَ منه العَلَقَةُ السَّوداءُ، التي هي حظُّ الشَّيطانِ؟ وَلَوكَانَ كَمَا ذَكَرَ، خُلِقَ سَليماً منه؟ قلنا: لأنَّ الخِتَانَ والأسرار من الأمور الظاهرة التي تحتاج إلى فعل الآدمي، فخلقه الله تعالى سليماً منها، لئلَّا يكون لأحد عليه منَّةٌ في كمال الطَّهارة، وأمَّا إخراجُ العَلَقَةِ الَّتِي هي حظُّ الشَّيطانِ، فَمَحَلُّهَا القَلْبُ، ولا اطِّلاعَ لأحدٍ عليها، ولَوْ خَلَقَ الله نبيَّه سليماً منها لم يَكُن للآدميين اطِّلاعٌ على حقيقَتِه، فأظهره الله تعالى لعباده على يدِ جبريلَ ليتحقَّقوا كَمَالَ باطِنِه، كما بَرَزَ لهم مكمَّلَ الظَّاهِرِ). انتهى. وبعضُه مأخوذ من كلام الإمامِ السُّبْكيِّ رَحِمَهُ الله تعالى.

وقيل: لم يُولَدْ ﷺ مَختوناً، بل خَتَنَه جدُّه عبد المطَّلِب يومَ سابعِ ولادَتِه، وصَنَعَ له مَأْدُبَةً. حَكَاه ابنُ عبدِ البَرِّ في (التمهيد)[1]. قال الحافظ أبو الفضل العراقي: (وسَنَدُه غيرُ صحيحٍ). وقيل: إنَّ جبريلَ خَتَنَه حِينَ شقَّ قلبَه عندَ مُرْضِعَتِه حَلِيمَةَ. أخرجه الطبرانيُّ وغيرُه، لكنْ قَالَ الذَّهَبِيُّ: (هذا مُنْكَر)[2].

واخْتُلِف في عامِ وِلَادَتِه، فالأكثرون على أنَّه عامُ الفيل، على أنَّه حُكِيَ الاتفاقُ عليه، والمشهور أنَّه بعد عام الفيلِ بخمسين يوماً، وقيل: بأربعين يوماً، وقيل: بعشر سنين، وقيل غير ذلك. واختلف أيضاً في الشَّهر الَّذِي وُلِدَ فيه، فالجمهور على أنَّه وُلِدَ في شهر ربيعِ الأوَّلِ، كَمَا قَالَ ابنُ كَثيرٍ والحافظ

---

(١) انظر: التمهيد لابن عبد البر [٢٣/ ١٤٠].
(٢) سبق بحث هذه المسألة في الموالد السابقة.

ابنُ حَجَرٍ وغيرُهما، ونَقَلَ بعضُهم في الإجماعِ، كَمَا قال السُّهَيْلِيُّ[١]، وعلى كونه في شهر ربيعِ الأوّل، فالصَّحيح أنه في يوم الإثنين لاثنتي عشرةَ ليلةً خَلَتْ منه، كَمَا جَزَمَ به ابنُ إسحاق في سيرته، وتَبِعَهُ ابنُ سيِّد النَّاس وغيرُه[٢]، ورواه ابنُ أبي شَيْبَةَ في المصنَّف عن جَابِرٍ وابنِ عبَّاسَ ﷺ، وقال ابنُ كَثير: (وهو المشهورُ عند الجمهور، وبالغ بعضُهم فَنَقَل فيه الإجماع، وفيه نظر، ولعلَّه أراد الإجماعَ المذكورَ في ليلته، وعلى تسمية ذلك اليوم بيومِ المولد في سائرِ الأعصار والأمصار حتَّى في حرم مكَّة، التي هي مَحَلُّ مولدِه المختار)[٣].

وقال الإمامُ المحدِّث أبو القاسم العزّ في (مولده): والصَّحيح الذي عليه السَّلف، وهو الذي يقول من يعتمد عليه من الخلف، أنَّه ﷺ وُلِدَ يومَ الإثنين لاثنتي عشرة ليلةً خَلَت من ربيع الأوّل، فعلى ذلك يُعْتَمَد، وعليه المعوَّل، وقيل: في ثانيه، وقيل: في ثامنه؛ كما حُكِيَ عن ابنِ حَزْمٍ ورجَّحَه ابنُ دِحْيَة، ونَقَلَ ابنُ عبد البَرِّ عن أصحابِ التَّواريخ أنَّهم صحَّحوه، وقال الحافظ ابنُ حجر: أنَّه مقتضى أكثرِ الأخبارِ، وقيل: في عاشره؛ وحكاه الدِّمْيَاطِيُّ عن جَعْفَرٍ الصَّادِقِ وصحَّحه، وقيل: لسبع عشرة منه، وقيل: لثماني عشرة، وقيل في غير ذلك من الأيام والشُّهور، وإنَّما كَانَ مولِدُه ﷺ في شهرِ ربيعِ الأوَّل على ما هو المشهورُ وقولُ الجمهور، ولم يكن في الأشهر الحُرُمِ ولا في رمضانَ، إشارةً إلى أنَّه ﷺ لا يتشرَّف بالزَّمان، بل الزَّمانُ هو الذي يتشرَّف به، بل كل الأماكن فلو ولد في ذلك لتوهم أنَّه ﷺ تشرَّف بتلك الزَّمان في

---

(١) انظر: الروض الأنف [١/ ٢٧٦].

(٢) انظر: عيون الأثر [١/ ٣٩].

(٣) انظر: السيرة النبوية لابن كثير [١/ ١٩٩ ـ ٢٠٤].

غيرِ مَا تَظْهَرُ عِنَايَتُه به وكَرَامَتُه عليه، وتشرَّف ذلك الشَّهرُ بمولد ذلك النَّبيِّ الكَامِلِ.

واختلف أيضاً في اليومِ الَّذي وُلِدَ فيه، والمشهور أنَّه يوم الاثنين، وهو الأصحُّ، بل الصَّوابُ؛ لحديث مُسْلِمٍ أنَّه سُئِلَ ﷺ عن صيامِ يومِ الاثنين، فقال: «ذَاكَ يومٌ وُلِدْتُ فيه، وأنزلت عليَّ فيه النُّبوَّة»[1]. وهذا يدلُّ صريحاً على أنَّه وُلِدَ نَهاراً، ويدلُّ عليه أيضاً غيرُه من الأحاديثِ الصَّحيحةِ.

وكانت ولادتُه ﷺ عند طلوع الفَجْرِ، وقع في بعض الأخبار المرويَّة بسندٍ فيه ضَعْفٌ، قال الحافظ أبو الفضلِ العراقي في مولده: (الصَّوابُ أنَّه ﷺ وُلِدَ نَهاراً، وهو الذي ذَكَرَه أهلُ السِّيَرِ، والحديثُ مُصَرِّحٌ به)، وقال العلَّامةُ الشَّيخُ بَدْرُ الدِّين الزَّرْكَشِي[2]: (والصَّحيح أنَّ ولادته ﷺ كانت نهاراً، وأمَّا ما رُوِيَ من تَدَلِّي النُّجوم، فَضَعِيفٌ لاقتضائه أنَّ الولادة كانت ليلاً، وهذا لا يصحُّ أن يكونَ تعليلاً، فإنَّ زمانَ النُّبوةِ صَالِحٌ للخَوَارِقِ، ويَجُوزُ أن تَسْقُطَ النُّجومُ نَهَاراً، وقَدْ يُقَالُ: إنَّ ولادتَه عَقِبَ الفَجْرِ وللنُّجُوم حينئذٍ سُلْطَانٌ، كَمَا في اللَّيل في سقوطها)[3].

وقيل: وُلِدَ لَيلاً، وأكثرُ الأخبارِ تَقْتَضِي ذَلِكَ، كَمَا قَالَهُ الحافِظُ ابنُ حَجَر، والصَّحيحُ كَمَا مرَّ إيقاءُ أنَّه وُلِدَ يومَ الاثنين، لدِلالَةِ الأحاديثِ الصَّحيحَةِ، منها ما تقدَّم، ومنها ما رَوَاهُ الإمامُ أحمدُ في مسنده عن ابنِ عبَّاس، قال: «وُلِدَ النَّبيُّ ﷺ يوم الاثنين واستُنْبِئ يومَ الاثنين، وخَرَجَ مُهَاجِراً

---

(١) سبق تخريجه في الموالد السابقة.
(٢) هو محمَّد بن بهادر بن عبد الله، أبو عبد الله، بدر الدين، الزركشي توفي سنة [٧٩٤هـ].
انظر: الدرر الكامنة [٣/ ٣٩٧]، شذرات الذهب [٨/ ٥٧٢].
(٣) انظر: سمط النجوم العوالي للعصامي [١/ ١٢٧].

من مكّة إلى المدينة يومَ الاثنين، ودخلَ المدينة يومَ الاثنين، ورَفَعَ الحَجَرَ الأسودَ يومَ الاثنين»(١).

فأطوارُ انتقالاتِه ﷺ وُجوداً ونبوّةً وهجرةً ووَفَاةً، وغيرُ ذلك كانت خاصّةً بيومٍ واحدٍ، وهو يوم الاثنين، فيكون في حقّه ﷺ كيومِ الجمعةِ في حقّ آدم ﷺ، فيه خُلِقَ، وفيه أُنْزِلَ إلى الأرضِ، وفيه تَابَ الله عليه، وفيه مَاتَ، فكانت أطوارُه الوجوديّة والدّينيّة خاصّةً بيومٍ واحدٍ، وهو يومُ الجمعةِ، وإذا كان يومُ الجمعةِ الّذي خَلَقَ الله فيه آدمَ عليه الصّلاة والسّلام خصّ بساعةٍ لا يُصَادِفُها عبدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ الله فيها خيراً إلّا أعْطَاهُ، فَمَا بَالُكَ بالسّاعةِ الّتي وُلِدَ فيها سيّدُ المرسلينَ.

وإنّما لم يَجْعَلِ الله تعالى يومَ الاثنين يومَ مولده عليه الصّلاة والسّلام من التّكليف بالعبادات، كما جَعَلَ في يومِ الجمعةِ المخلوقِ فيهِ آدمُ ﷺ من صلاةِ الجمعةِ والخُطبة وغير ذلك إكراماً لنبيّنا ﷺ بالتّخفيف عن أمّتِه بسببِ عنايةِ وجودِه، قالَ تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ١٠٧﴾(٢) [الأنبياء: ١٠٧] ومن جُمْلَةِ ذلك عدمُ التّكليف.

والحِكْمَةُ في كونِ مولدِه يومَ الاثنين في شهرِ ربيعٍ أنّه وَرَدَ في الحَديثِ أنّ الله خَلَقَ الأمواتَ والأرزاقَ والخيراتِ التي يَمْتَدُّ بها بنو آدم ويَحْيَوْنَ وتَطِيبُ نفوسُهم وأجسامُهم وقع فيه، فَوَلَدَ فيه ما يَحْصُلُ به حياةُ أرواحِهم ويَرْحَلُونَ به.

وإنّ في لفظةِ (ربيع) إشارةً وتَفَاؤلاً حَسَناً بالنّسبة إلى اشتقاقِه، وقد قال أبو عبد الرّحمن الصّقِلّيّ: لكلّ إنسانٍ من اسمِه نَصِيبٌ، وفيه رَمْزٌ إلى أنّ زمَنَ

---

(١) انظر: مسند الإمام أحمد [٤/ ٣٠٤، رقم: ٢٥٠٦].

(٢) انظر تفسير الجيلاني.

الرَّبيع أعْدَلُ الفُصُولِ وأحسنُها، خُصوصاً وقد كَانَ مولِدُه ﷺ في فصل الرَّبيع؛ لأنَّه وافق ذلك من الشُّهور الشَّمسيَّة (نيسان) وهو بُرْجُ الحَمَل، وكان لعشرينَ نفتْ مِنْه، وإنَّما كَانَ فَصْلُ الرَّبيعِ أعْدَلَ الفُصُولِ؛ لأنَّ ليلَه ونهارَه معتدلان بين الحرِّ والبَرْدِ، ونَسيمَه مُعْتَدِلٌ بينَ الرُّطوبةِ واليُبُوسَة، وشَمْسَهُ مُعتدِلَةٌ في العلوِّ والهُبُوطِ، وقَمَرهُ مُعتدِلٌ في أوَّلِ دَرَجَةٍ من اللَّيالِي البِيضِ، فلذلك كَانَ ﷺ أعدلَ النَّاسِ خَلْقاً وخُلُقاً، وَكَانَت شَرِيعَتُه أعْدَلَ الشَّرَائِعِ وأسمحها طرقاً.

ولقد أجَادَ مَنْ نَظَمَ في هذا المعنى، وقَالَ وأحْسَنَ المَقَالَ[1]:

يقُولُ لَنَا لِسانُ الحالِ مِنْهُ ... وَقَوْلُ الحقِّ يَعْذُبُ للسَّمِيعِ

فوَجْهِي والزَّمانُ وَشَهْرُ وَضْعِي ... رَبِيعٌ في رَبِيعٍ في رَبِيعِ

واختُلِفَ في مدَّةِ الحَمْلِ به ﷺ، فقيل: تسعة أشهر، وقيل: عشرة، وقيل ثمانية، وقيل: سبعة، وقيل: ستة[2].

وَوُلِدَ بمكَّةَ على الأصح بمولده المشهور الآن، وهو مَكَانٌ معروفٌ عند أهل مكَّة، مُتَوَاتِرٌ عندهم، يَذْهَبُون إليه كلَّ عامٍ ليلةَ المولدِ، ويَحْتَفِلُون بذلك أعظمَ من احتفَالِهم بالعِيدِ، وقَدْ شَاهَدْتُ عامَ حَجَّتِي سَنَةَ (٩٤٥هـ)، وزُرْتُ المكانَ المذكورَ، وتبرَّكْتُ فيه، فللَّه الحمدُ والمنَّة على ذلك، ونسأله العَوْدَ والحُلُولَ هناك، آمين.

ولَمَّا جَاءَ البَشِيرُ إلى جدِّه عبد المطَّلب بولادةِ آمنةَ لَه ﷺ سُرَّ بذلكَ سُروراً عَظِيماً، وقَامَ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ من أشراف قومِه حتَّى دَخلَ عَلَيْهَا، وكَانَت قَدْ وَضَعَتْهُ تحتَ بُرْمَةٍ كَفَأَتْها عليه، كَمَا هُوَ عَادَتُهم فيمَنْ وُلِدَ من قُرَيش، وأرادت أن يكونَ جدُّه أوَّلَ مَنْ يَرَاهُ، فَوَجَدَت البُرْمَةَ قَدْ انْفَلَقَت عنه فِرْقَتَين،

---

(١) انظر: سبل الهدى والرشاد [١/ ٣٣٤]، السيرة الحلبية [١/ ٩٣].

(٢) سبق بحث المسألة في الموالد السابقة.

وإذا هو شُقٌ بَصَرُه يَنْظُرُ إلى السَّماء، فأخبرت أمُّه جدَّه حِينَ دَخَلَ عليها بما رَأت من ذلك، وبِمَا رَأت حِينَ حَمَلَت به، وما قِيلَ لها فيه. فَقَالَ لها: (احْفَظِيه، فإنِّي أرْجُوا أن يُصِيبَ خيراً). وفي رِوَايَةٍ: أنه أخَذَ به وأدخل الكعبةَ، وأقام عِنْدَه يدعوا الله تعالى ويَشْكُرَه على ما أعْطاه، وقَالَ في ذلك شِعْراً مشهوراً. قال بعضُ أهلِ الإشاراتِ في انفلاق البُرْمَةِ عنه ﷺ إشارةٌ إلى ظهور أمره وانتشارِه، وأنَّه يفلق ظلمةَ الجَهْلِ ويُزِيلُها.

وأخْرَجَ أبو نُعيم وابنُ عَسَاكر[1] من طريق المسَيَّبِ بن شُرَيْكٍ عن محمَّد بن شُرَيْكٍ عن شُعَيْبِ بنِ شُعَيْبٍ عن أبيه عن جدِّه، قال: كان بمرِّ الظَّهران رَجُلٌ من أهلِ الشَّامِ يُدْعَى عَيْصاً، وكان قد آتاهُ الله عِلْماً كَثِيراً، وكَانَ يَلْزَمُ صَوْمَعَةً له، ويَدْخُلُ مكَّةَ فَيَلْقَى النَّاسَ، ويَقُولُ: إنَّه يُوشَكُ أن يُولَدَ فِيكُم مولودٌ يَا أهلَ مكَّةَ تَدِينُ له العَرَبُ ويَمْلِكُ العَجَمَ، هَذَا زَمَانُه، فَمَنْ أدْرَكَه واتَّبَعَه أصَابَ حَاجَتَه، ومن أدْرَكَه وَخَالَفَه أخطأَ حَاجَتَه، وتَاللهِ مَا تَرَكْتُ أهلَ الخَمْرِ والخُمَيْرِ والأَمْنِ ولا حَلَلْتُ أرْضَ البؤسِ والجوعِ والخوفِ إلَّا في طَلَبِه، وكَانَ لا يُولَدُ بِمَكَّةَ مولودٌ إلَّا يَسْألُ عنه، فَيَقُول: ما جاء، أي: الآن بَعْدُ، فلمَّا كَانَ صُبْحَةُ اليومِ الَّذي وُلِدَ فيه رسولُ الله ﷺ خَرَجَ عبدُ المطَّلب فَوَقَفَ على أصلِ صَوْمَعَتِه فَنَادَاهُ، فقال: أنا عبدُ المطَّلب، فَأشْرَفَ عليه، فقال: كُنْ أبَاه، فَقَدْ وُلِدَ ذلك المولودُ الذي كُنْتُ أحَدِّثُكم عنه يوم الإثنين، ويُبْعَثُ يوم الإثنين، ويَمُوتُ يومَ الإثنين، وأنَّ نجمَه طَلَعَ البَارِحَةَ، وآيةُ ذلكَ أنَّه وَجِعٌ يَشْتَكِي ثلاثاً، ثمَّ يُعَافَى، فاحْفَظْ لِسَانَك، فإنَّه لم يُحْسَدْ حَسَدَه أحدٌ، ولم يُبْغَ عَلَى أحدٍ كَمَا يُبْغَى عليه، قال: فَمَا عُمْرُه؟ قال: فإنْ طَالَ عُمْرُه فَمَا يَبْلُغُ

---

(١) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر [٣/٤٢٦].

السَّبعِينَ، يموت في وِتْرٍ دونَها في السِّنينِ، في إحدى وستين، أو ثلاثٍ وستين، أعْمَارُ جُلِّ أمَّتِه[١].

وروَى البَيْهَقيُّ عن أبي الحسنِ التَّنُوخِيّ، أنَّه قال: (لَمَّا كان يومُ السَّابع من ولادته ﷺ ذَبَحَ عنه جدُّه، وَدَعَا قُرَيْشاً، فَلَمَّا أكَلُوا، قَالُوا: ما سمَّيْتَه؟ قال: سَمَّيْته محمَّداً، قالوا: لِمَ رَغِبْتَ به عن أسماءِ أهلِ بيتِك؟ قال: رَجَوْتُ أن يحمَدَه الله في السَّماءِ وخَلْقُه في الأرض)[٢].

وذَكَرَ السُّهيليّ وأبو ربيع العَلَائِي أنَّ عبدَ المطَّلب إنَّما سمَّاه محمَّداً لرؤيا رآها؛ زَعَمُوا أنَّه رَأَى مَنَاماً، كأنَّ سلسلةً من فضَّةٍ خَرَجَتْ من ظَهْرِهِ ولها طَرَفٌ في السَّمَاءِ، وطَرَفٌ في الأرضِ، وطَرَفٌ بالمشرِقِ، وطَرَفٌ بالمغربِ، ثمَّ عَادَت كأنَّها شَجَرَةٌ على كلِّ ورقةٍ منها نورٌ، وإذا أهلُ المشرقِ وأهلُ المغربِ يتعلَّقونَ بها، فَقَصَّهَا فَعُبِّرَتْ له بمولودٍ يكونُ من صُلْبِهِ يَتْبَعُه أهلُ المشرقِ وأهلُ المغربِ، ويَحْمَدُه أهلُ السَّماءِ والأرضِ، فلذلك سمَّاهُ محمَّداً مَعَ مَا حَدَّثَتْه به أمُّه من أنَّه أتاها آتٍ، وهي بين النَّائمة واليَقْظَانَة، وقال لها: إذا وَضَعْتِه فَسَمِّيه محمَّداً.

تنبيه: جَرَتِ العَادَةُ بأنَّه إذا سَاقَ الوعَّاظ والمدَّاح مولِدَه، وذَكَرُوا وَضْعَ أمِّه له ﷺ قَامَ أكثرُهم عند ذلك تعظيماً له ﷺ، وهذا القيامُ بِدْعَةٌ لا أصْلَ لها، لكنْ لا بَأْسَ به لأجْلِ التَّعظيمِ، بل هو فِعْلٌ حَسَنٌ ممن غَلَبَ عليه الحبُّ والإجلالُ لذلكَ النَّبيِّ الكريمِ عليهِ أفضلُ الصَّلاةِ وأشرفُ التَّسليم.

---

(١) انظر: السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٢٢٢]، سبيل الهدى والرشاد [١/ ٣٣٩].
(٢) انظر: سمط النجوم العوالي للعصامي [١/ ١٢٩].

وما أحسنَ قولَ الإمامِ البليغِ حسَّانَ زمانه أبي يحي زكريا الصَّرصري الحنبلي، رَحِمَهُ الله تعالى في بعضِ قصائِدِه النَّبويَّة[١]:

قَليلٌ لمدحِ المصطفى الخطُّ بالذَّهَب ... على فضَّةٍ مِن خَطِّ احسنِ مَنْ كَتَبْ
وأن تنهضَ الأشرافُ عند سَمَاعِه ... قياماً صفوفاً او جُثِيًّا على الرُّكَبْ
أمَّا الله تعظيماً لَهُ كَتَبَ اسمَه ... على عَرْشِهِ يَا رتبةً سَمَتْ على الرُّتَبْ

وقد اتفَقَ أنَّ مُنْشِداً أنْشَدَ هذه القَصِيدَةَ في خَتْمِ دَرْسِ شيخِ الإسلامِ بقيَّةِ المجتهدينَ الأعلامِ تقيِّ الدِّين أبي الحسنِ السُّبْكِيِّ رَحِمَهُ الله تعالى، وكانت القضاةُ والأعيانُ مجتمعين عندَه، فلمَّا وَصَلَ المنشدُ إلى قوله: (وأنْ تنهضَ الأشرافُ عند سَمَاعه ... إلخ. البيت)، قَامَ الشَّيخُ للحالِ قَائِماً على قدَمَيْه، امتثالاً لما ذكره الصَّرصَري، وقَامَ النَّاس كلُّهم، وحَصَلَت ساعةٌ طيِّبةٌ، ذكَرَ ذلك وَلَدُه التَّاجُ السُّبْكِي في ترجمته من طبقاته[٢].

وأمَّا ما اشتُهِرَ على بعضِ الألسنةِ من أنَّه ﷺ قال: «وُلِدْتُ في زَمَنِ الملكِ العَادِلِ»، يعني: كِسْرَى أنو شَرْوَان، فَقَالَ الحفَّاظ من المتقدِّمين والمتأخرين: (إنَّه كَذِبٌ لا أصْلَ لَهُ)[٣].

وقد رَأَى بعضُ الصَّالحينَ قديماً النَّبيَّ ﷺ في المنام وسأله هذا الحديث، وقال له: إنِّي سَأَلْتُ أبَا عبدِ الله الحافظَ، يعني: الحاكم عن هَذَا الحديثِ، فَقَالَ: إنَّه كَذِبٌ، لم يقله النَّبيُّ ﷺ، صَدَقَ أبو عبدِ الله ولَمَّا أَتَتْ ثُوَيْبَةُ جاريةُ عمِّه أبي لهب، وبشَّرَته أنَّه قد وُلِدَ لأخيه عبدِ الله غلامٌ، أعْتَقَهَا في الحَالِ، ثمَّ جَعَلَها تُرْضِعُه بعد ولادته أياماً، وقد رُئِيَ أبو لَهَبٍ بعد موته في المنام، فقيل

---

(١) سبق ترجمة القائل والتعريف بقصائده في مدح المصطفى ﷺ.
(٢) انظر: طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين السبكي [١٠/٢٠٨].
(٣) انظر: تذكرة الموضوعات لابن الجوزي [١/٨٨].

له: ما حالُكَ؟ فقال: في النَّار إلَّا أنَّه لَيُخفَّفُ عنِّي كلَّ ليلةِ إثنين، وأمُصُّ من بين أصبعيَّ هاتَين ماءً، وأشارَ إلى نُقرَةِ إبهامه، وأنَّ ذَلِكَ بإعْتَاقِي لثُويبةَ، عندما بشرَّتني بولادةِ محمَّدٍ ﷺ، وبإرضاعها له.

وقد رُوِيَ معنى هذا عنِ النَّبيِّ ﷺ وشرَّف وكرَّم، فانظُر يَا أخِي رَحِمَكَ الله إلى هذه النُّكتةِ اللَّطِيفَةِ، إذا كانَ حالُ أبي لهب الكَافِرِ الَّذِي نَزَلَ القرآنُ بذمِّه جُوزِيَ في النَّار بفَرحه ليلةَ مولدِ النَّبيِّ المختارِ ﷺ، فَمَا حَالُ المسلمِ الموحِّدِ مِن أمَّةِ محمَّدٍ ﷺ الذي يُسَرُّ بمولده ويبذل ما تَصِلُ القدرةُ إليه في محبَّته، لَعَمْرِي إنَّما يكونُ جزاؤه من الله الكريم أنْ يُدْخِلَه بفضلِه جنَّاتِ النَّعيم، ومَا أحْسَنَ ما قَالَه الحَافِظُ الشَّمسُ محمَّدُ بن نَاصِرِ الدِّينِ الدِّمَشْقِيِّ رَحِمَهُ الله في ذَلِكَ:

إذا كَانَ هَـذَا كَـافِـراً جَـاءَ ذَمُّـهُ ... وَتَبَّتْ يَدَاهُ في الجَحِيمِ مُخَلَّدَا

أتى أنَّه في يومِ الاثنينِ دائماً ... يُخَفَّفُ عنه للسُّرورِ بِأَحْمَدَا

فَمَا الظَّنُّ بالعَبْدِ الَّذِي كَانَ عُمْرُهُ ... بِأَحْمَدَ مَسْرُوراً وَمَاتَ مُوَحِّدَا

إذاً عُلِمَ ذَلِكَ، فالاعتناءُ بوقتِ مولدِه الشَّريفِ، وإظهارُ السُّرورِ فيه، وعَمَلُ المولدِ بقراءةِ القرآنِ، والإنشادِ للمدائح النبويَّة والزُّهرية والعِرْفَانِيَّةِ، وإطعامُ الطَّعامِ، والصَّدقاتُ السَّنيَّة، أمرٌ حَسَنٌ مُنِيفٌ، وثوابُ فاعِله الثَّوابُ الجزيلُ بقدره الجميلِ، وإنْ كَانَ عَمَلُ المولد لم يُنْقَلْ عَنْ أحدٍ من السَّلفِ الصَّالح من القرون الثلاثة الفاضلة، وإنَّما حَدَثَ بَعْدَهَا، فذلك بِدْعَةٌ حَسَنَةٌ عند من حقَّق العلم وأتقنَه، ثمَّ لَا زَالَ أهلُ الإسلامِ في سائرِ الأقطارِ والمدُنِ العِظامِ يَحْتَفِلون في شهرِ مولِدِه، خصوصاً في ليلته، بِعَمَلِ المولد بما ذُكِرَ، وإظهارِ السُّرورِ بذلك، وسلوكِ تلكَ المسالِك، وبعضُهم يَزِيدُ على ذلك: بقراءةِ مَا صُنِّف في المولدِ الشَّريف، ومَا وَرَد فيه من الخَبَرِ الثَّابِتِ المُنيفِ

على أنّه ليس قيداً في استحبابِ عَمَلِ المولدِ المذكور، وإنّما هو لزيادةِ الأجور، وكَانَ مما جُرِّبَ، كَمَا قال الشَّمسُ ابنُ الجَزَرِيّ رَحِمَهُ الله تَعَالى من خواص عَمَلِ المولدِ المذكورِ، أنّه أَمَانٌ تَامٌّ في ذلك العَام، وبُشْرَى بِتَعْجِيل نَيْلِ مَا يُبْتَغَى وَيُرَامُ، وَلَوْ لم يكن في ذلك إلّا إرغامُ الشَّيطانِ وسُرورُ أهلِ الإيمان لَكَفَى.

وإذاً كَانَ أهلُ الصَّليبِ اتَّخَذُوا ليلةَ مولدِ نبيِّهم عيداً أكبرَ، فأهلُ الإسلامِ أَوْلَى بالتَّكريمِ وأجدر، وأكثرُ النَّاس عنايةً بذلك أهلُ مكّةَ المشرَّفة، ثمّ أهلُ المدينةِ المنوَّرة، ثمّ أهلُ مِصْرَ خُصُوصاً في السنين المتقدّمة، ثم غيرُهم تقبَّلَ الله عملهم.

ولَقَدْ كَانَ الملكُ المظفَّرُ، صَاحِبُ إِرْبِلَ[1]، يعتني بذلك أشدَّ عِنايةٍ، واهتمامُه بذلك جَاوَزَ الغايةَ، بحيثُ أثنى عليه بسببه العلّامة أبو شَامَةَ، وقال: (مِثْلُ هذا الفِعْلِ يُنْدَبُ إليه، ويُشْكَرُ فاعِلُه، ويُثْنَى عليه). وقَالَ في (مرآةِ الزَّمان)[2]: (حَكَى بَعْضُ مَنْ حَضَرَ سِمَاطَ الملكِ المظفَّر في بعضِ الموالِدِ أنّه عدَّدَ في ذلك السِّماطِ خمسةَ آلافِ رأسِ غَنَمٍ شَوِيٍّ، وعَشرةَ آلافِ دجاجةٍ ومئةَ ألفِ زبديّةٍ وثلاثينَ ألفَ صحنِ حَلْوى، وكَانَ يَحْضُرُ عندَه في المولد أعيانُ العُلماءِ والصوفيّة، فيَخْلَعُ عليهم ويُطْلِقُ لهم العَطِيّة، وكَانَ يَصْرِفُ على المولد في كلِّ سَنَةٍ ثلاثَ مئةِ ألفِ دينارٍ). قال ابنُ خَلّكان في تَرجمةِ الحافظِ أبي الخطّاب ابن دِحْيَةَ[3]: (أنّه لَمَّا اجتَازَ بإربل، وَوَجَدَ مَلِكَهَا المظفَّرَ يعتني

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) هو كتاب (مرآة الزمان في تراجم الأعيان) لسبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزغلي بن عبد الله. المتوفى سنة [٦٥٤هـ]. انظر: هدية العارفين [٤/١٠٧].

(٣) سبقت ترجمته.

بالمولدِ، فَعَمِلَ لَهُ كتابَ (التَّنويرِ في مولدِ البَشيرِ النَّذيرِ)، وقَرَأه عليهِ بنفسِه، فأجازَه على ذلك بألفِ دينارٍ، فَرَحِمَهُما الله تَعالى ورَضِيَ عنهما، وأثابهما الجنَّةَ بمنِّه وكَرَمِه)[1].

وقد خرَّج شيخُ مشايخنا الحافظُ أبو الفَضْلِ أحمدُ بنُ حَجَرِ العَسْقَلانيّ رَحِمَهُ الله تَعالَى فِعْلَ المولدِ المذكورِ عَلَى أصلٍ ثابتٍ مُعْتَبَرٍ، وَهُوَ مَا ثَبَتَ في الصَّحيحَيْنِ مِنْ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَدِمَ المدينَةَ، فَوَجَد اليهودَ يَصُومُونَ يومَ عاشُوراءَ، فَسَأَلَهُم، فَقَالُوا: هَذَا يَومٌ أغْرَقَ الله فيه فِرْعَوْنَ ونَجَّى مُوسى، فَنَحْنُ نَصُومُه شُكراً لله تعالى، فَقَالَ: أنَا أحَقُّ بِمُوسى مِنْكُم، فَصَامَه وأمَرَ بصِيامِه، فَيُسْتَفَادُ مِنْهُ فِعْلُ الشُّكرِ لله تعالى عَلَى مَا مَنَّ به في يومٍ مُعَيَّنٍ مِنْ إسداءِ نعمةٍ، أو دَفْعِ نِقْمَةٍ، ويُعَادُ ذلك في نَظيرِ ذلك اليَومِ من كل سَنَةٍ، والشُّكرُ لله تعالى بأنواعِ العبادات؛ كالسُّجود والصِّيام والتِّلاوة، وأيُّ نعمةٍ أعظمُ من النِّعمة بِبُرُوزِ هذا النَّبيِّ نبيِّ الرَّحْمَةِ ﷺ في ذلك اليومِ.

وعَلَى هَذَا فَيَنْبَغي أنْ يَتَحَرَّى اليومَ والوقتَ بعينِه، فإنْ كَانَ وُلِدَ ليلاً فليَقَعِ الشُّكرُ بما يناسِبُ اللَّيلَ كالإطعام، وإنْ كَانَ وُلِدَ نَهاراً، وهو الأصحُّ، فبِمَا يُناسِبُه كالصِّيَامِ والصَّدَقة، ولا بدَّ أن يكونَ ذلك اليومُ بعينِه من عددِ أيامِ ذلك الشَّهر بعينِه، حتَّى يُطَابِقَ قِصَّةَ موسى عليه الصَّلاة والسَّلام في يوم عاشوراء، ومَنْ لم يُلاحِظْ ذلك لا يُبَالي بِعَمَلِ المولدِ في أيِّ يومٍ مِنَ الشَّهرِ، بَلْ تَوَسَّعَ قومٌ فَنَقَلُوه إلى أيِّ يومٍ من السَّنَة، وفيه يَنْبَغي أنْ يُقْتَصَرَ فيه عَلَى ما يفهم الشُّكر لله تعالى من نَحْوِ ما ذُكِرَ، وأمَّا السَّماعُ واللَّهو وغيرُهما، فَمَا كَانَ مُباحاً يعين على السُّرورِ بذلك اليومِ، فلا بَأسَ به، وَمَا كَانَ حَرَاماً أو مَكْرُوهاً فيُمْنَع، وكَذَاَ مَا كَانَ خِلافَ الأوْلَى.

---

(١) انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان [٣/٤٤٩].

قال الحافظُ الجَلَالُ السُّيوطي رحمه الله: «وَقَدْ ظَهَرَ لي تَخْرِيجُه، يعني: عَمَلَ المولِد، على أصلٍ آخرَ، أي: غيرَ مَا ذَكَرَهُ الحَافِظُ ابنُ حَجَر، وهو مَا أَخرَجَه البَيْهَقِيُّ عن أَنَسٍ أنَّ النَّبيَّ ﷺ عقَّ عن نَفْسِهِ بعد النُّبوَّةِ، مع أنَّه وَرَدَ أنَّ جدَّه عبدَ المطَّلِبَ عقَّ عنه في سابعِ ولادته، والعَقيقَةُ لا تُعَادُ ثانيةً، فَيُحْمَلُ ذلك على أنَّ هذا الَّذِي فَعَلَه النَّبيُّ ﷺ إظهاراً للشُّكرِ على إيجادِ الله إيَّاه رحمةً للعَالمين، وتَشريفاً لأمَّتِه، كَمَا كَانَ يصلِّي عَلَى نَفْسِه، لِذَلِكَ فَيُسْتَحَبُّ لنا أيضاً إظهارُ الشُّكرِ بمولده بالاجتماعِ، وإطعامِ الطَّعام، أو نحو ذلك من وجوهِ القُرُبَات، وإظهار المسرَّاتِ»(١).

قلت: مَا ذَكَرَهُ الحافظُ ابنُ حَجَر من التَّخريج أنسبُ وأظهرُ ممَّا ذكرَه الحافظُ الجَلَالُ السُّيوطيّ، كَمَا هُوَ الظَّاهِرُ؛ لأنَّ فِعْلَ صَوْمِ يَوْمِ عَاشُوراءَ يتكرَّرُ كلَّ عامٍ، وهو في وقتٍ معيَّنٍ، وكَانَ عَمَلُ المولِدِ المذكورِ مثلَه بخلافِ العَقيقَةِ؛ فإنَّها لا تتكرَّر، وليست مُختصَّةً بوقتٍ معيَّنٍ، لا تتقدَّم عليه ولا تأخَّر، ولأنَّ مَا فَعَلَه جدُّه عبدُ المطَّلِب من العقيقةِ لم يَقَعْ عنه؛ لأنَّ ذلك كان قبل الشَّرعِ، فلا يتعلَّق به حُكْمٌ، والعقيقةُ الَّتي فَعَلَهَا ﷺ عنه بعد النُّبوَّة على تقديرِ صحَّتِهَا، كانت بعد الشَّرعِ، فهي المشروعةُ والواقعةُ عنه؛ لأنَّه بعد ولادته لم تَقَعْ عنه عَقيقَةٌ مشروعةٌ، وقَدْ قَالَ: «مَنْ بَلَغَ ولم يَعُقَّ عن نَفْسِه، فَحَسَنٌ أنْ يَعُقَّ عن نَفْسِه»(٢). عَلَى أنَّ مَا وَرَدَ مِنْ أنَّه ﷺ عَقَّ عن نفسِه بعد النبوَّة حديثٌ مُنْكَرٌ، كَمَا قَالَ ابنُ حَجَر وغيرُه، بَلْ قَالَ النَّووي في (شرح

---

(١) انظر: الحاوي للفتاوي، للإمام السيوطي [١/١٨٨].

(٢) لم أعثر عليه في كتب تخريج الأحاديث، ولعلَّه قول فقهي. انظر: حواشي الشرواني [٩/ ٣٧١].

المهذّب): «إنّه حديثٌ بَاطِلٌ»(١)، فعليه يَسْقُطُ التَّخْرِيجُ المذكور أيضاً بالأولى، والله سبحانَه وتَعَالَى أعْلَم.

قال الشّمسُ ابن الجَزَرِيّ في آخر كتاب (التّعريفِ بالمولد الشّريف) (فإنْ قِيلَ: فَلِمَ لم تتخذ أمّتُه ﷺ مولدَه عِيداً؟ فالجوابُ: أنّه لَمّا كَانَ يومُ مولدِه ﷺ، هو يومُ وفاته تكافأ السُّرور بالعَزَاءِ، وهذا أحسنُ مَا خَطَرَ لي في ذَلِكَ، وقد يُقَالُ: إنّه لَمّا اختُلِفَ فيه لم يتعيّن، أو يقال: إنَّ الأعيادَ توقيفيّة، ولم يشرع غيرُ هَذَيْنِ اليومَيْن، أو يُقَالُ: إنَّ في ذلك تشبُّهاً بالنّصارى، وقد نَهَى عن التّشبُّهِ بأهلِ الكتاب، أو يقال: سدّاً للذريعة، كَمَا قَالَ ﷺ: «لا تَتَّخِذُوا قَبْرِيَ مَعْبَداً»(٢). وَمَا أَشَرْتُ إليه أوّلاً ألْطَفُ، والله أعلم، وإلّا فَفِي الحقيقةِ أنَّ مولدَه ﷺ عيدٌ للإسلامِ وأيُّ عيدٍ يَشْمَلَ القَرِيبَ من أمّتِه والبَعِيدَ.

ولَمّا وُلِدَ ﷺ أرضعته أمّه سبعةَ أيّام، ثمّ أرضعته ثُوَيْبَةُ الأسلميّة، مولاةُ أبي لهبٍ أياماً، حتّى قَدِمَت حَلِيمَةُ، وكَانَتْ أَرْضَعَت قَبْلَه عمّه حَمْزَةَ ﷺ، وكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يبعث إليها من المدينة بصلةٍ وكِسْوَةٍ حتّى توفّيت، واختُلِفَ في إسلامها، وأثبَتَهُ ابنُ مَنْدَةَ، ثمّ أرضعته أمُّ كَبْشَةَ حَلِيمَةُ بنتُ أبي ذُؤَيْبٍ السّعديّة، واختُلِف في إسلامها أيضاً، وذَكَرَهَا جماعةٌ في الصّحابيات، وذَكَرَ الحافظُ ابنُ سيّد النّاس في (سيرته الكُبْرى) أنّها أَسْلَمَت، ثمّ قال: (ومِنَ النّاس من يُنْكِرُ إسلامها، ومن الظّاهر كَمَا قَالَهُ بَعْضُهم أنّه أَشَارَ لشيخِه الحافظِ شَرَفِ الدّينِ الدِّمْيَاطِيِّ(٣)، وقد ألّفَ الحافظُ أبو سَعِيدٍ عَلاءُ الدِّينِ

---

(١) انظر: المجموع شرح المهذّب للإمام النووي [٨/ ٤٣١].

(٢) أخرجه أحمد في مسنده [٢/ ٣٦٧]، والضياء المقدسي في (المختارة) [١/ ٢٤٤]، بلفظ: (لا تتخذوا قبري عيداً). وانظر: مجمع الزوائد [٤/ ٦].

(٣) هو: أبو محمّد وأبو أحمد عبد المؤمن بن خلف، شرف الدين الدّمياطي، الإمام الحافظ، توفي سنة [٧٠٥هـ]. انظر: شذرات الذهب [٨/ ٢٣].

مغلطاي في إسلامها جزءاً، وقال في سيرته: (وصَحَّحَ ابنُ حبَّانَ وغيرُه حلباً دلَّ عَلَى إسْلَامِهَا)[(١)].

وقد جَاءَ عَنْهَا أنَّها قَالَت: لَمَّا وضعتُه في حِجْرِي أَقْبَلَ عليه ثدياي بِمَا شَاءَ من اللَّبن، فَشَرِبَ حتىٰ رَوِيَ، وشَرِبَ معه أخوه عبدُ الله حتّى رَوِيَ، وَنَامَا وَماَ كَانَ أخوه يَنَامُ قَبْلَ ذلك، ومَا كَانَ في ثَدْيِيَّ ما يرويه، ولا لي شَارِفُنَا أيْ: نَاقَتِنَا ما يغذِّيه، فَقَامَ زَوْجِي الحارثُ بنُ عبد العزَّى بن رفاعة السَّعديُّ إلى شَارِفِنَا تِلْكَ، فَنَظَرَ إليها فَإِذَا هِي حَافِلٌ باللَّبَنِ، فَحَلَبَ منها ما شَرِبَ وَشَرِبْتُ حتَّى انتَهَيْنَا شِبْعاً ورَيّاً، فَبِتْنَا بِخَيْرٍ ليلةٍ ببركته ﷺ، قالت حليمة: وكَانَ رسولُ الله ﷺ يَشِبُّ في اليومِ شَبَابَ الصَّبيِّ في الشَّهر، فَرَدَدْنَاهُ إلى أمّه وهو ابنُ خمسِ سنينَ وشهر.

وعِنْدَ حَلِيمَةَ شُقَّ صَدْرُه الشَّرِيفُ ﷺ، ومُلِئَ حِكْمَةً وإيماناً، واستُخرِجَ منه حظُّ الشَّيطانِ، وبَقِيَت حَلِيمَةُ حتىٰ قَدِمَت عَلَى رَسولِ اللهِ ﷺ بمكَّةَ وقد تزوَّج خَدِيجَةَ، فَشَكَت إليه جَدْبَ البِلَادِ، فكلَّم لها خديجةَ، فأعطَتْهَا أربعينَ شاةً وبعيراً، وانصرفت إلى أهلها، وقَدِمَت عليه أيضاً في يومِ حُنَينٍ، فقَامَ إليها وَبَسَطَ لها رِدَاءه، فَجَلَست عليه وقَضَى حَاجَتَها، فلمَّا تُوفِّيَ قَدِمَتْ على أبي بَكْرٍ فَصَنَعَ لها مِثْلَ ذَلِكَ، وأمَّا تجويزُ الذَّهبيِّ أنَّ القَادِمَةَ عليه ﷺ يومَ حُنَينٍ ثُوَيْبَة مولاة أبي لهب،ففيه نظرٌ، لأنَّ ثُوَيْبَةَ تُوفيَت في سبعٍ، وحُنَينٌ كَانَتْ في سنةِ ثَمَانٍ.

وحَضَنَتْهُ الفَاضِلَةُ الجليلةُ أمُّ أيمن، بَرَكَةُ الحبشيَّةُ مع أمّه وبعلها، وكان ورثها من أبيه وكانت دَايَتَه وزوجُها من جهةِ زيدِ بنِ حَارِثَةَ، فَوَلَدَت له أُسَامَةَ، وكانت أمُّ أيْمَنَ تقول: (مَا رَأيْتُ رسولَ الله ﷺ يَشْكِي جُوعاً قَطُّ وَلَا عَطَشاً،

---

(١) انظر: عيون الأثر لابن سيِّد النَّاس [١/ ٥٣].

وكَانَ يَغْدُو إذا أَصْبَحَ مِنْ ماءِ زَمْزَمَ شَرْبَةً، فربما عَرَضْنَا عليه الغَدَاءَ، يقولُ: أنَا شَبْعَانُ)[1].

ولَمَّا أكْمَلَ سِتَّ سنينَ توجَّهَت به أمُّه مع حاضِنَتِه أمِّ أيمنَ إلى المدينة لزيارةِ أخوالِ أبيه بني النَّجَار، فأقَامُوا شهراً ورجعوا، فلمَّا كانوا بالأبواء مَاتَتْ أمُّه، فَدَخَلَت به أمُّ أيمن مكَّة؛ لأنَّها كَانت دايَتَه وحَاضِنَتَه، كما تقدَّم، وكَانَ يَقُولُ لها: «أنت أمِّي بعد أمِّي»، فَضَمَّه جدُّه عبدُ المطَّلب إليه، وكان يَرِقُّ عليه، ويُعْلِي منزِلَتَهُ، ويقول: «إنَّ لِوَلَدِي هذا شأناً».

وكان أبوه عبدُ الله مَاتَ وهو حَمْلٌ؛ لأنَّ عبدَ المطَّلِب كان بَعَثَهُ إلى غَزَّةَ من الشَّام يَمْتَارُ لهم طَعَاماً مع تُجَّارٍ من قُريشٍ، فلمَّا رَجَعُوا مَرِضَ عبدُ الله، فلمَّا وصلوا إلى المدينة تخلَّف بها عند أخواله بنِيّ النَّجار ثمَّ مات بها، وله ثلاثون سنة، ولَمَّا بلغت وفاتُه عبدَ المطَّلِب وَجَدَ عليه وَجْداً شَدِيداً، والصَّحيحُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان وقتَ موتِ أبيه حَمْلاً في بَطْنِ أمِّه بعدَ شهرَيْن مِن حَمْلِها، وخَلَّفَ عبدُ الله جَارِيَتَه أمَّ أَيْمَن وخمسةَ جِمَالٍ وقِطْعَةَ غَنَمٍ، فَوَرِثَ ذلك رسولُ اللهِ ﷺ.

وقَدْ نَقَلَ الإمامُ أبو حيَّان في (تفسير البَحْر)[2] أنَّ جَعْفَرَ الصَّادِقَ، قِيلَ له: لِمَ يُتِّمَ ﷺ مِنْ أَبَوَيْه؟ قَالَ: «لئلَّا يكونَ عليه حقٌّ لمخلوق».

وقَالَ ابنُ العِمَادِ في (كشف الأسرار)[3]: (إنَّما ربَّاه يتيماً، لأنَّ أساسَ

---

(١) انظر: عيون الأثر لابن سيِّد النَّاس [١/ ٦٠]، الخصائص الكبرى للسيوطي [١/ ١٣٩].
(٢) انظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي [٨/ ٤٨١].
(٣) هو كتاب: (كشف الأسرار عمَّا خفي عن الأفكار)، لابن العماد هو: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عماد الدين بن محمد الأقفهسي، المتوفى سنة [٨٠٨هـ]. انظر: كشف الظنون [٢/ ١٤٨٥].

كلُّ كبيرٍ صغيرٌ، وعُقبى كُلِّ حَقيرٍ خَطِيرٌ، وأيضاً لِيَنْظُرَ رسولُ الله ﷺ إذا وَصَلَ إلى مدارج عزِّه إلى أوائل أمره، لِيَعْلَمَ أنَّ العزيزَ من أعزَّه الله، وأنَّ قوَّته ليست من الآباء والأمهاتِ ولا عزِّ المالِ، بل قوَّته من الله تعالى، وأيضاً لِيَرْحَم الفقراءَ والأيتامَ.

وقَدْ رُوِيَ من حديثِ عائِشَةِ إحياءُ أبويه حتَّى آمنا به، رواه السُّهَيليُّ وغيرُه[1]. الحديث وإنْ كان ضعيفاً كَمَا قَالَهُ بعضُهم، فالقُدْرَةُ صالحةٌ لذلك، وما أَحْسَنَ مَا قَالَهُ الحافظُ الشَّمسُ ابنُ نَاصِرِ الدِّينِ الدِّمشقي رَحِمَهُ الله في ذلك[2]:

حَبَا اللهُ النَّبيَّ مَزِيدَ فَضْلٍ عَلَى فَضْلٍ وَكَانَ بِهِ رَؤُوفاً
فَأَحْيَا أُمَّهُ وَكَذَا أَبَاهُ لإيمانٍ بِهِ فَضْلاً مُنِيفاً
فَسَلِّمْ فَالقَدِيمُ بِذَا قَدِيرٌ وَإِنْ كَانَ الحَدِيثُ بِهِ ضَعِيفاً

وعلى كلِّ حَالٍ، فالحَذَرَ الحَذَرَ من ذكرهما بما فيه نَقْصٌ، فإنَّ ذلك قَدْ يُؤذِي النَّبيَّ ﷺ، وقَدْ قَالَ: «لَا تُؤذُوا الأحياءَ بِسَبَبِ الأمواتِ»[3]. وَلَا رَيْبَ أنَّ أذاهُ كُفْرٌ يُقْتَلُ فَاعِلُه إنْ لم يَتُبْ منه خُصُوصاً، وهما نَاجِيَانِ من التَّعذيبِ في الدَّارِ الآخرة؛ لأنهما من أهلِ الفَتْرَةِ، وقد دلَّتِ القَوَاطِعُ على أنَّه لا تعذيبَ حتَّى تقومَ الحجَّة، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[4] [الإسراء: ١٥].

---

(١) انظر: الروض الأنف للسهيلي [١/ ٢٩٦].
(٢) انظر: سبل الهدى والرشاد [١/ ٢٥٩].
(٣) أخرجه ابنُ عساكر في تاريخ دمشق [١٦/ ٧٧] بلفظ: (لا تسبُّوا الموتى فتغضبوا الأحياء). وانظر: الزهد لهنَّاد الكوفي [٢/ ٥٦١].
(٤) انظر تفسير الجيلاني.

ولَمَّا حَضَرَت عبدَ المطَّلِبَ الوَفَاةُ أَوْصَى أَبَا طَالِبٍ بِحِفْظِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَاتَ وللنبيِّ ﷺ ثمانِ سنين، وقيل: تسع، وقيل: ست، ولَمَّا بَلَغَ ﷺ ثنتي عشرة سنة، خَرَجَ به عمُّه إلى الشَّامِ، فلمَّا وَصَلَ بُصرى رآه بَحِيرا الرَّاهب، فأخذَه بيدِه، وقَالَ: (هَذَا سيِّدُ العَالَمِين، ورسولُ الله، هذا يبعثُه الله رحمةً للعَالَمِين). فَقِيلَ: مِنْ أينَ عَلِمْتَ هَذَا؟ قَالَ: «إنَّكم حِينَ أقبلتم من العَقَبَةِ لَمْ يَبْقَ شَجَرٌ ولا حَجَرٌ إلَّا خَرَّ له ساجداً، ولا يَسجُدَان إلَّا لنَبيٍّ وإنَّا نَجِدُه في كُتُبِنَا». وقال: (إنَّ بين كتفَيْه خَاتَمَ النبوَّة). وأَمَرَ عمَّه أبَا طَالِبٍ أن يردَّه من بُصرى خَوْفاً عليه من اليهود، فَرَجَعَ به ولم يتجاوز بُصرى.

ولَمَّا بَلَغَ خَمساً وعشرينَ سنةً، خَرَجَ مرَّةً ثانيةً إلى الشَّامِ مَعَ مَيْسَرَةَ غلامِ خَدِيجَةَ في تِجَارَةٍ لَهَا، فلمَّا وَصَلَ إلى بُصْرَى نَزَلَ تحت ظلِّ شَجَرَةٍ قَرِيباً مِنْ صَوْمَعَةِ نِسْطُورِ الرَّاهِبِ فقال: (مَا نَزَلَ تَحْتَ هَذِهِ الشَّجَرةِ قَطُّ إلَّا نَبِيٌّ). ثمَّ قَالَ لميسرةَ: في عينيه حُمْرَةٌ؟ قال: نعم لا تُفَارِقُه. قال: (هُوَ نَبِيٌّ، وهو آخر الأنبياء). وَرَجَعَ ﷺ من بُصْرَى أيضاً، وكَانَ مَيْسَرَةُ إذا اشتدَّ الحرُّ يَرَى مَلَكَيْن يُظِلَّان رسولَ الله ﷺ من الشَّمس، فَبَاعُوا تِجَارَتَهم وَرَبِحُوا أَضْعَفَ مَا كَانُوا يَرْبَحُونَ، فلمَّا رَجَعُوا وَدَخَلَ النَّبيُّ ﷺ مكَّةَ رأته خَدِيجَةُ والملكانِ يُظِلَّانِه، فَأَرَتْهُ خَدِيجَةُ لِنِسَائِهَا، وأخبَرَها النَّبيُّ ﷺ بالرِّبحِ، وأَخبَرَهَا مَيْسَرَةُ بِمَا رَأى، وبِمَا أَخبَرَ به الرَّاهبُ نُسْطُور، وكَانَ ذلك بَاعِثاً لِخَدِيجَةَ رضي الله عنها على تزوّجها به، فتزوَّجها بَعْدَ ذلك بثلاثةِ أشهر، وقد كَمُلَ لَهُ خَمْسٌ وعِشْرونَ سَنَةً، وعُمْرُها أربعونَ سنةً.

ولَمَّا بَلَغَ ﷺ خمساً وثلاثينَ سنةً بَنَتْ قُرَيْشٌ الكَعْبَةَ، وذلك أنَّ بَابَهَا كَانَ مُلْصَقاً بالأرضِ، وكَانَ السَّيْلُ يَدْخُلُه فَانْصَدَعَ وسُرِقَ طِيبُ الكَعْبَةِ، وخَافَتْ قريشٌ أن تهدمها السُّيولُ، فلمَّا وَصَلُوا في البناء إلى الموضعِ الَّذِي يوضَعُ فيه

الحَجَرُ الأسودُ، واختلفوا وقالت كلُّ قبيلةٍ: (نحن أحقُّ بوضعِه)، حتىٰ هَمُّوا بالقِتَال، ثمَّ اتفقوا على أن يَجْعَلُوا بينهم أوَّلَ من يَدْخُل من بابِ بني شيبةَ حَكَماً يَقْضِي بينَهم، وكَانَ ﷺ أوَّلَ دَاخِلٍ، فلمَّا رأوه قالوا: (هذا الأمينُ، فَقَد رَضِينَا بقضَائِه)، وكَانُوا يَدْعُونَه قبلَ النُّبوَّةِ الأمينَ، فأخبَرُوه فوَضَعَ ﷺ رداءَه، وبَسَطَه على الأرضِ، ثمَّ وَضَعَ الحَجَرَ، وقال: «لِتَأْخُذْ كُلُّ قبيلةٍ بطَرَفٍ من الثَّوبِ، ثمَّ ارفَعُوه جميعاً»، فَفَعَلُوا ذَلِكَ، فلمَّا بَلَغُوا مَوْضِعَه وَضَعَه النبيُّ ﷺ بيدِه الكريمةِ.

ولَمَّا كَمُلَ له أربعونَ سنةً نَبَّأه الله تعالى، وأنْزَلَ عليه جِبْرِيلَ في يومِ الاثنينِ، قِيلَ: كَانَ في شَهرِ رَبيعٍ، وقِيل: في شَهْرِ رَمَضَانَ، وجُمِعَ بينَ القَوْلَيْنِ؛ بأنَّ أوَّلَ مَا بُدِئَ به من الوحيِ الرُّؤيا الصَّالحةُ في النَّوم، وكَانَ لا يَرَى رؤياً إلَّا جَاءَت مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ وَاضِحَةً، فابتداءُ نزولِ جبريلَ ﷺ في المنام كانَ في شهر ربيعٍ الأوَّل، وكانت مدَّةُ الرُّؤيا ستةَ أشهرٍ، وحُبِّبَ إليه الخَلَاءُ، وكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءَ، يَتعبَّد فِيهِ اللَّيالِيَ حتىٰ جاءَه الحقُّ، وهو بالغَارِ المذكورِ، وكَانَ ذلكَ في شهرِ رَمَضَانَ؛ فَجَاءَه جِبْرِيلُ فقال له: اقرأ، فقال: مَا أنَا بِقَارِئٍ، فَغَطَّه حتىٰ بَلَغَ منه الجَهْدُ، ثمَّ قَالَ: اقرأ، فَقَالَ: ما أنا بقارئٍ، فَغَطَّه كذلكَ، ثمَّ أعَادَ وأعَادَ، فَقَالَ له جِبْرِيلُ بعدَ المرَّةِ الثالثةِ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾[1] [العلق: ١] حتىٰ بَلَغَ ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾[2] [العلق: ٥].

و(ما) في قوله: (مَا أنَا بِقَارِئٍ) نَافِيَةٌ في الكلِّ، والأولَى للامتناع، والثَّانيةُ للإخبارِ بالنَّفيِ المَحْضِ، والثَّالثةُ استفهاميةٌ، وكُرِّر لَفْظ ﴿اقْرَأْ﴾ ثلاثاً،

(١) انظر تفسير الجيلاني.
(٢) انظر تفسير الجيلاني.

يقبلَ بكليّتِه، ويُتِمّ توجُّهه لِمَا سَيُلْقِي عليه، وليُظْهِرَ له الشِّدَة والاجتهادَ في هذا الأمرِ، فَيَتَنَبَّهَ إلى ثِقَلِ مَا سَيُلْقَى عليه، وإنّما ابتُدِئ قبلَ ذلك بالرُّؤيا الصَالِحَةِ لئلّا يَفْجَأه المَلَكُ، ويأتِيَه بِصَرِيحِ النُّبوةِ بَغْتَةً، فَلا تَقْبَلُها القِوَى البَشريّة، فَبُدِئ في أوّلِ تَبَاشِير النُّبوّة وخِصَالِ الكَرَامَة تأنيساً وتَمْرِيناً لَهُ، فلمّا تَمَرَّنَ على ذلك في المنام جَاءَه في اليَقَظَةِ بِصَرِيحِ النُّبوّةِ والكَلام.

ثمّ بَعْدَ ذَلِكَ فَتَرَ الوَحْيُ ثَلَاثَ سِنِين، فِيمَا جَزَمَ به ابنُ إسحاقَ، وقِيلَ: سنتين ونصف، لِيَذْهَبَ عنه مَا وَجَدَه من الرَّوعِ، وَيَزِيدَ تشوّقُه إلى العَوْدِ، ثمّ نَزَلَ عليه جِبْرِيلُ بعدَ ذَلِكَ بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ۝﴾[1] [المدثر: ١ ـ ٢]، فَهِيَ أوّلُ مَا نَزَلَ عليه بعد فَتْرَةِ الوَحي، وأمّا ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ فَهِيَ أوّلُ مَا نَزَلَ مُطْلَقاً، والقول بأنّ أوّل ما نَزَلَ مطلقاً ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝﴾ بَاطِلٌ كَمَا قَالَه النّووي، ويُؤْخَذُ مِنْ مُرْسِلِ الإمامِ أحْمَدَ في (تاريخه) بسَنَدٍ صَحِيحٍ له، ورَوَاهُ غيرُه أنَّ اجتماعَ إسرافيلَ به ﷺ كَانَ في مدَّة فَتْرَةِ الوَحْي، لِيُؤْنِسَه ويُقَوِّيَه على تَحَمُّلِ أعباءِ ما سَيَنْزِلُ عليه، فَكَانَ إسرافيلُ يُعَلِّمُه الكَلِمَةَ والشّيء، ولم يَنْزِل عليه شيءٌ من القُرآنِ على لسانِه، ولكنَّ بعضَهم وَهّى مُرْسَلَ الشّعبيّ، واعتَمَدَ إنكارَ الوَاقِديِّ له، وقوّى أنّه لم يُقْرَن به ﷺ من الملائكة إلّا جِبْرِيلُ، واستَنَدَ إلى أحاديثَ صحيحةٍ وحسنةٍ تدلُّ على أنَّ إسرافيلَ لم ينزلْ عليه ﷺ في أوّلِ النبوّة، وإنّما نَزَلَ عليه بعد ذلك في أشياءَ خَاصّةٍ، وظَهَرَ من نزول ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ أوّلاً ونُزُولِ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝﴾ فَتْرَةَ الوَحي أنَّ نبوّتَه ﷺ كانت متقدّمَةً على رِسَالَتِه، كَمَا صرَّح به أبو عُمَر وغيرُه، وعَلَى ذلك يُحْمَلُ قَوْلُ صاحبِ (جامع الأصول) عند أهلِ العِلمِ بالأثرِ أنّه بُعِثَ على رأسِ ثَلاثٍ وأربعينَ سَنَةً، فَكَانَ في ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ نبوته وفي ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝﴾ رِسَالتُه بالنِّذَارَة والبِشَارَةِ والتّشريعِ، وإنّما

---

(١) انظر تفسير الجيلاني سورة المدثر [آية: ١ ـ ٢].

اقتصر على الإنذار في هذه السُّورة مع أنه ﷺ بُعِثَ مُبَشِّراً أيضاً، لأنَّ ذلكَ كانَ أوَّلَ الإسلام، فَمُتَعَلَّق الإنذارِ مُحقَّقٌ.

فلمَّا أطاعَ مَنْ أطاعَ أنْزَلَ الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[1] [الأحزاب: ٤٥]، وَكَانَ أوَّلُ من آمَنَ به من الرِّجَالِ الأحْرَارِ أبو بكرٍ، ومن الصِّبيانِ عليٌّ وله عَشْرُ سنينَ، ومِنَ النِّساءِ خَدِيجَةُ، ومن المَوَالي زيدُ بنُ حارِثَة، ومنَ العَبِيدِ بِلَالٌ، كَمَا قَالَ ابنُ الصَّلَاحِ: (إنَّه الأوْرَعُ)[2]، لكنْ قَالَ شيخُ الإسلام السِّراجُ عُمَرُ البُلْقِينِي: (إنَّ أوَّلَ مَنْ آمَنَ به من الرِّجَالِ وَرَقَةُ بنُ نَوفل، لنزول الوحيِ في حياتِه على النَّبيِّ ﷺ وإيمانِه بالنَّبيِّ ﷺ وتَصْدِيقِه برسالته صَرِيحاً، كَمَا جَاءَ في أحاديثِ قصَّةِ بدءِ الوحيِ وغيرِها في الصَّحِيحِ وغيرِه، وجَرَى على ذلك الحافظُ زينُ الدِّين أبو الفَضْلِ العِرَاقيُّ في (نُكَتِهِ على كتابِ ابنِ الصَّلاحِ)[3]، ومَشَى على ذلك جماعةٌ من الأئِمَّة وعَدُّوهُ في الصَّحَابةِ، ثمَّ أسلمَ عثمانُ بنُ عفَّانَ والزُّبيرُ بنُ العوَّام وعبدُ الرَّحمنِ بنِ عَوْفٍ وسَعْدُ بنِ أبي وقَّاصٍ وطَلْحَةُ بِدُعَاء أبي بكر إيَّاهم للإسْلَامِ).

وأقَامَ ﷺ بمكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ رسولاً وثَلاثَ عَشْرَ نَبِيّاً ورَسُولاً على ما تقدَّمَ آنِفاً، وأوَّلُ مَا وَجَبَ الإنذارُ والدعاءُ إلى التَّوحيدِ، فَأقَامَ ﷺ بعد ذلك عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُوا إلى اللهِ مُسْتَخْفِياً، ثمَّ نَزَلَ عليه قوله تعالى ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝﴾[4] [الحجر: ٩٤]، فَأعْلَنَ ﷺ بالدَّعوة وجَاهَرَهُ قومُه بالعَدَاوةِ

---

(١) انظر تفسير الجيلاني.

(٢) انظر: فتح المغيث للسَّخاوي [٣/١٣٨]، تدريب الرَّاوي للسيوطي[٢/٢٢٨].

(٣) انظر: التقييد والإيضاح، للإمام الحافظ زين الدين عبد الرَّحيم بن الحسين العراقي [ص: ٣١٢].

(٤) انظر تفسير الجيلاني.

واشتدَّ الأذى عليه وعلى المسلمينَ، حتى أذِنَ لهم في الهجْرَةِ إلى أرضِ الحَبَشَةِ، وفَرَضَ اللهُ عليه من قيامِ اللَّيلِ ما ذَكَرَه أوَّلَ سورةِ المزَّمِل، ثمَّ نَسَخَهُ بِمَا في آخرِهَا، وفَرَضَ عليه رَكْعَتَيْنِ بالغَدَاة وركعتَيْنِ بالعَشِيِّ، ثمَّ نُسِخَ ذلك بإيجابِ الصَّلواتِ الخَمْسِ ليلةَ الإسراء.

ومَاتَ عمُّه أبو طالبٍ في السَّنَةِ العَاشِرَة من البعثةِ، ومَاتَت خَديجةُ بعدَه بثلاثةِ أيامٍ، فَقَالَت قُرَيشٌ: (مَنْ آذَى النَّبيَّ ﷺ يَنَلْ مَا لَمْ يَنَلْهُ في حَيَاتِه)، ثمَّ في السَّنَةِ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ من النُّبوَّةِ قَبْلَ الهِجْرَةِ بِسَنَةٍ وخَمْسَةِ أشهُرٍ، وقِيلَ: بِسَنَةٍ وثلاثةِ أشهرٍ، أمَّا مَا قاله القَاضِي: إنَّه بعدَ المبعث بخمسِ سنينَ، فيردُّه أنَّ خديجةَ مَاتَت قبلَ فَرْضِ الخَمْسِ، ومَوْتُها قَبْلَ الهجرةِ بثَلاثِ سِنِينَ، وذلك ليلةَ سَبْعٍ وعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ، وصَحَّحَه جَمَاعَةٌ، وجَزَمَ به النَّوويُّ في (الرَّوضة)[1] تَبَعاً للرَّافِعِيِّ، أو ليلةَ سَبْعٍ وعِشْرِينَ من ربيعٍ الأوَّل، أو الآخِرِ، كَمَا جَزَمَ بالأوَّلِ ابنُ الأثير[2]، وجَمَعَ بينهم النَّوويُّ في النُّسَخِ المعتمدةِ من(فَتَاوِيه) وبعضِ (شَرْحِ مُسْلِمٍ)[3]، وفي بعضِ نُسَخِهَا وأكثرِ نُسَخِ (شَرْحِ مُسْلِمٍ) الثَّاني، وقِيلَ: كَانَ ذَلِكَ في رَمَضَانَ.

ولَمَّا تمَّ له ﷺ اثنتان وخمسونَ سَنَةً أُسْرِيَ بِجَسَدِه ﷺ ورُوحِه يَقَظَةً من المسجدِ الحرامِ إلى المسجد الأقصى، ثُمَّ عُرِجَ به إلى السَّمواتِ السَّبْعِ إلى سِدْرَةِ المنتهى، إلى مستوى سَمِعَ فيه صَرِيفَ الأقلامِ، ورأى آدَمَ في الأولَى، وعِيسَى ويَحْيَى في الثَّانية، ويُوسُفَ في الثَّالثة، وإدريسَ في الرَّابعة، وهَارُونَ في الخَامِسَة، ومُوسَى في السَّادِسَة، وإبراهيمَ في السَّابِعَة على الأرجح من

---

(١) أي: في كتابه (روضة الطالبين وعمدة المفتين). انظر: [٤٠٩/٧].

(٢) الجزري، في كتابه (أسد الغابة في معرفة الصحابة). انظر: [١١/١].

(٣) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم [٢٠٩/٢].

الرِّوايات الصَّحيحَةِ، وفَرَضَ الله عليه وعلى أُمَّتِهِ الصَّلاةَ، ورأى رَبَّه بَعَيْنَيْ رَأْسِه على الأصحِّ، وأوْحَى إليه مَا أوْحَى فَسَمِعَ، وإنَّما اختُصَّ موسى بالتكليم؛ لأنَّه سَمِعَه وهو في الأرضِ.

ثُمَّ عَادَ من ليلتِه إلى مكَّةَ، فلمَّا أصْبَحَ وأخبَرَ قُرَيشاً بذلك وصدَّقه أبو بَكْرٍ ﷺ والمؤمنون، وكذَّبه من قريشٍ المشركون، وارتدَّ جماعةٌ مِمَّنْ كَانَ أَسْلَمَ، وسَأَلَه المشركونَ عن بيتِ المقدسِ، فجَلَّاه الله له، وأخبرهم بما سَأَلوه عنه، وسَأَلوه أمَارَةً، فأخبرهم بالعِيرِ وأنَّهم يَقْدُمونَ يومَ الأربعاءِ، فلمَّا كَانَ ذلكَ اليومِ لم يَقْدُمُوا حتَّى كَادَتِ الشَّمسُ أنْ تَغْرُبَ، فَدَعَا الله تَعَالى، فَحَبَسَ الشَّمسَ.

ثُمَّ أذِنَ النَّبيُّ ﷺ لأصحَابِه في الهِجْرَةِ إلى المدينَةِ بَعْدَ قُدُومِ مَنْ أَسْلَمَ عَلَى يَدِه من الأنصارِ، وذَلِكَ أنَّه ﷺ لَقِيَ في منىً لَمَّا كَانَ يَعْرِضُ نَفْسَه في الموسمِ عَلَى قَبَائِلَ مِنَ العَرَبِ سِتَّةً من الأنصارِ، فآمنوا به عند عَقَبَتِها، وقَالَ لهم: (تَمْنَعُونَ ظَهْرِي حتىّ أبلِّغَ رسالةَ رَبِّي)، فَوَاعَدُوه الموسمَ القَابِلَ، فَجَاءَ منهم اثنا عَشَرَ فَأَسْلَمُوا وآمنوا وبايعوه ثُمَّ انصرفوا إلى المدينة، فأظْهَرَ الله الإسلامَ، ثُمَّ قَدِمَ عليه العَامَ المقبلَ منهم سبعونَ أو خَمْسَةٌ أو ثَلاثَةٌ وامرأتان، فأسلموا وبايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءَهم وأولادَهم، وعلى حَرْبِ الأحمرِ والأسودِ، ونَقَّبَ عليهم اثني عَشَرَ نَقِيباً.

ولَمَّا أمَرَ ﷺ أصحابَه بالهِجْرةِ أقَامَ ينتظرُ الإذنَ في الهِجْرَةِ، فَأَذِنَ له فيها عَقِبَ العَقَبَةِ الثَّالِثَةِ هلالَ رَبِيعِ الأوَّل، فيما قاله ابنُ إسحاق، وأمَرَهُ جبريلُ أنْ يَسْتَصْحِبَ أبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ معه، فَخَرَجَا من مكَّةَ يومَ الخَمِيسِ، وبَقِيَا في غَارِ ثَوْرٍ بأسفلَ مكَّة، وَأَمَرَ الله العنكبوتَ فَنَسَجَ على بابِه، وأَمَرَ الله حَمَامَتَيْنِ وَحْشِيَّتَيْنِ فَعَشَّشَتَا هُنَاكَ.

ثُمَّ خَرَجَا من الغارِ ليلةَ الاثنين والنَّبيُّ ﷺ على نَاقَتِه الجَدْعَاءِ، فَتَعَرَّضَ لهما سُرَاقَةُ بنُ مَالِك، فَدَعَا النَّبيُّ ﷺ، فَسَاخَتْ قوائمُ فَرَسِه بالأرضِ، فَطَلَبَ الأمانَ فَأَطْلِقَ.

وقَدِمَ النَّبيُّ ﷺ المدينةَ ومَعَه أبو بكرٍ يومَ الاثنين الثَّاني عَشَرَ من ربيع الأوَّل، وقيل: في ثامنه، وقيل غيرِ ذلك، وله ﷺ ثلاثةٌ وخَمْسُونَ سَنَةً، فَأَقَامَ بِقُبَاء أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، والمشهورُ عند أصحاب المغَازِي، مَا ذَكَره ابنُ إسحاق أنه أقامَ فيها يومَ الاثنين والثُّلاثاء والأربعاء والخميس، ثُمَّ خَرَجَ منها ضُحَى يومِ الجمعةِ، فأدركته صلاتُها في الطَّريق فَصَلَّاها في بَنِي سَالِم بنِ عوفٍ في المسجد الَّذِي في بَطْنِ الوَادِي بِمَنْ كَانَ معه من المسلمين، وهم مئةٌ، فكانت أوَّلَ جُمُعَةٍ صَلَّاها بالمدينة، ثم توجَّه بعد الصَّلاة على راحلته للمدينة، وأَرْخَى زِمَامَها فتلقَّاها جماعةٌ من أهلِ دورِ الأنصارِ يكلِّمُونه في النزولِ عليهم ويأخذون بِخِطَامِ نَاقَتِه وَيقُولُ: (يَا رَسُولَ الله، هَلُمَّ إلينا إلى العَدَدِ والعُدَّة والمَنَعَة)، فيقول: (خَلُّوا سَبِيلَها، فإنَّها مَأْمُورَة)[1]، يعني: نَاقَته، فَخَلَّوا سَبِيلَها، فَسَارَت تَنْظُر يميناً وشِمَالاً إلى أن بَرَكَت بمحلٍّ بابِ المسجد، وهو ﷺ عليها لم يَنْزِل، ثُمَّ وَثَبَت وسَارَت غيرَ بعيدٍ ورسولُ الله ﷺ واضعٌ لها زِمَامها لا يُثْنِيها به إلى أن بَرَكَت بباب أبي أيوبٍ، ثم سَارَت ومَشَت فالتَفَتَت خلفَها، ثم رَجَعَت إلى مَبْرَكِها أوَّل مرّةٍ وبَرَكَت فيه، ثم تحلْحلَت وألْقَت عُنُقَها بالأرضِ وصوَّتَت من غيرِ أن تَفْتَح فَاهَا، فَنَزَلَ عنها رسولُ الله ﷺ، وقال: (هَذَا المَنْزِلُ إن شاء الله تَعَالى)، واحتَمَلَ أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري

---

(١) انظر: دلائل النبوة للبيهقي [٢/ ٥٠٤]، الروض الأنف للسهيلي [٢/ ٣٣٤]، السيرة النبوية لابن كثير [٢/ ٢٧١].

رَحْلَه وأَدْخَلَه بَيْتَه، وَنَزَلَ عليه ﷺ لكونه من أخوال عبد المطلب، وأراده قوم في النزول عليهم، فقال: «المرءُ مَعَ رَحْلِه».

فَأَقامَ ﷺ سَبْعَةَ أشهرٍ حتىّ بَنَى مَسْجِدَه وَمَسَاكِنَه، واشتَرَى مَحلَّ مسجِدِه، وهو يومئذٍ مِرْبَدٌ؛ أي: محل تجفيف التَّمر، بعَشَرَةِ دنانيرَ أدَّاها عنه أبو بكرٍ ﷺ من مَالِه، ثُمَّ بَنَاه وسَقَّفَه بالجَرِيدِ، وجَعَلَ عُمُدَه خَشَبُ النَّخل، وجَعَلَ قِبلَتَه بَيْتَ المقدس، إلى أنْ حوِّلَت في السَّنةِ الثانية، كَمَا سيأتي، وجَعَلَ طولَه مئةَ ذِرَاعٍ، وعَرْضَه نَحْوَي ذلك، وبَنَى مَسَاكِنَه إلى جَنْبِه باللَّبِنِ، ثُمَّ تحوَّلَ إليها من دارِ أبي أيوب، وكَانَ أوَّلَ كلمةٍ سُمِعَتْ منه لَمَّا قَدِمَ المدينةَ الأمينةَ: (أَفْشُوا السَّلامَ، وأطعِمُوا الطَّعامَ، وصِلُوا الأرحامَ، وصلُّوا بالليلِ والنَّاس نِيَامٌ تدخُلُوا الجنَّةَ بِسَلَامٍ)(١).

وأشْرَقَتِ المدينةُ بقُدُومه ﷺ، وسَرَى السُّرورُ إلى القلوب بحلوله فيها، قال أنسُ بنُ مالكٍ: (لَمَّا كَانَ اليومُ الَّذِي دَخَلَ فيه رسولُ الله ﷺ المدينة أضاءَ منها كلُّ شيءٍ، فلمَّا كَانَ اليومُ الَّذِي مَاتَ فيه أظْلَمَ منها كلُّ شيءٍ)(٢). وعن أنسٍ أيضاً: (شَهِدْتُ يومَ دُخولِ النَّبيِّ ﷺ المدينةَ فلَمْ أرَ يَوماً أحْسَنَ منه ولا أضوأ منه)(٣). وعَنِ البَرَاءِ بنِ عَازِبٍ قال: (مَا رَأَيْتُ أهلَ المدينةِ فَرِحُوا بشيءٍ فَرَحَهُم برسولِ الله ﷺ)(٤).

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد [١/ ٢٣٥]، المستدرك للحاكم [٣/ ١٤، رقم: ٤٢٨٣]، الأحاديث المختارة للضياء المقدسي [٤/ ٢٤، رقم: ٤٠٠]، سنن ابن ماجه [١/ ٤٢٣، رقم: ١٣٣٤].

(٢) أخرجه أحمد في مسنده [٢١/ ٣٥، رقم: ١٣٣١٢]، وابن ماجه في سننه [١/ ٥٢٢، رقم: ١٦٣١]، والترمذي في سننه [٥/ ٥٨٨، رقم: ٣٦١٨].

(٣) انظر: عيون الأثر لابن سيد النَّاس [١/ ٢٥٤]، سبيل الهدى والرشاد [٣/ ٢٧٢].

(٤) انظر: سبيل الهدى والرشاد [٣/ ٢٧٢].

ثُمَّ أَذِنَ الله له ﷺ في القِتَال بقولِه عزَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾[١] [الحج: ٣٩] بَعْدَ أن نَهَاه عنه في نَيِّفٍ وسبعينَ آيةً، فَبَعَثَ ﷺ في شوَّالَ على رأسِ ثمانيةِ أشهرٍ من مَقْدَمِهِ البعوثَ والسَّرَايا، واستمرَّ على مُجَاهَدَةِ الأعداءِ وتبليغِ الأحكامِ والإنباءِ بالمدينة الشَّريفَةِ عشرَ سنينَ، حتىٰ دَخَلَ النَّاسُ في دين الله أفواجاً، وأكْمَلَ الله له ولأمَّتِهِ دينَهم وأتمَّ عليه وعليهم نِعْمَتَه.

فَفِي السَّنَةِ الأُولى من الهِجْرَةِ: فَرَضَ الله الجِهَادَ كَمَا تقدَّم، وبَعَثَ ﷺ حَمْزَةَ بنَ عبدِ المطَّلِب في ثلاثينَ من المهاجرين يعترضُ عِيراً لقُرَيْشٍ في رمضانَ، وبَعَثَ عُبَيْدَةَ بنَ الحَارِثِ في ستينَ رجلاً من المهاجرين إلى بَطْنِ رَابِغٍ، وبَعَثَ سَعْدَ بنَ أبي وقَّاصٍ إلى الخَرَّارِ في ذي القِعْدَةِ في عشرينَ من المهاجرين يَعْتَرِضُ عِيرَ قُرَيْشٍ، وغزوةُ الأبواءِ وغزوة وَدَّان في صَفَرٍ. وفي هذه السَّنَة كان بدءُ الأذان بعْد أن شَاوَرَ النَّبيُّ ﷺ أصحابَه، فيما يجمعهم به للصَّلَوات، ورَأَى عبدُ الله بن زيدِ بنِ عبد ربِّه في منامه الأذانَ. وفيهَا أعْرَسَ بعَائِشَةَ رضي الله عنها. وفيها جُعِلَت صَلَاةُ الحَضَرِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ وكانت ركعتَين بعد مَقْدَمِه بشَهْرٍ. وفيها صلَّى الجمعة كَمَا تقدَّم، وهِيَ أوَّل جُمعة صلَّاها، وأوَّل خطبة خَطَبَها في الإسلام. وفيها آخَى بين المهاجرينَ بعد مَقْدَمِه بثمانيةِ أشهر. وفيهَا ﷺ صلاةُ الجَنَازةِ على البَرَاءِ بن مَعْرُور بعد وفاتِه بشَهْرٍ، وعلى تُبَّعٍ اليَمَانِي؛ وكَانَ قَدْ آمن بالنَّبيِّ ﷺ قبلَ مبعَثِه بسبعمِئة سَنَةٍ، وهو أوَّلُ مَنْ كَسَا البيتَ، نَقَلَه ابنُ عبد البرِّ، وكانت صَلَاتُه ﷺ عليهما بعد قدومِه المدينةَ، قاله ابنُ العِمَاد[٢].

وفيهَا فَرْضُ الزَّكَاةِ على النِّصَابِ، كَمَا قاله ابنُ الجوزي في (مولده)،

---

(١) انظر تفسيرِ الجيلاني.

(٢) في كتابه (كشف الأسرار)، وقد سبق التعريف به.

وجَزَمَ ابنُ الأثيرِ[١] بأنَّ زكاةَ المالِ فُرِضَت في التَّاسعة، وفيه نَظَرٌ؛ لأنَّ بَعْثَ العُمَّالِ لأجْلِها كانَ في التَّاسِعَةِ، وهو يَسْتَدْعِي سَبْقَ فَرْضِها، والَّذِي أشارَ إليه النَّوويّ في بابِ السِّيَرِ من (الرَّوضة)[٢] أنَّ فَرْضَها ـ يعني الزَّكاة ـ في السَّنَةِ الثَّانية قَبْلَ فَرْضِ رَمَضانَ.

وفي السَّنَةِ الثَّانية من الهجرة: في النِّصف من شعبانَ حُوِّلت القِبْلَةُ من جهةِ بيتِ المقدسِ إلى جِهة الكَعْبَة، وفُرِضَ الصَّومُ في أواخرِ شَعْبانَ، وكانت غزوةُ بدرٍ الكُبرى في يومِ الجمعةِ السَّابعِ والعشرينَ منه، فُرِضَت زكاةُ الفِطْرِ، وفيها ﷺ صلاةَ عيدِ الفِطْرِ وصلاةَ عيدِ الأضحى، وضَحَّى بكبشَيْنِ أملحَيْنِ أقرَنَيْن، ذَبَحَ أحدَهما عن نفسِه والآخرَ عن أمَّتِه. وفيها أعْرَسَ عليٌّ بفاطمةَ ﷺ. وفيها غزوةُ بُواط، وذي العَشِيرَة، وبني قَيْنُقَاع، والسَّوِيقِ، وغير ذلك.

وفي السَّنَةِ الثَّالثةِ من الهجرة: حُرِّمَتِ الخَمْرَةُ في شوَّالَ منها، وقيل: في الرَّابعة. وَوُلِدَ الحَسَنُ بنُ عليٍّ ﷺ. وكانت غزوةُ أحد وحَمْرَاءُ الأسدِ، وغَطَفَان وسَرِيَّةُ كعبٍ بنِ الأشرف، وغير ذلك.

وفي السَّنَةِ الرَّابعة من الهجرة: غزوةُ بني النَّضِير وذاتِ الرِّقاع، وصلاةُ الخوف، وقيل: في الَّتي بعدها. وفيها مولدُ الحسينِ بنِ عليٍّ ﷺ، ونزولُ آيةِ التَّيمم، كما قاله في (الرَّوضة)[٣]. وفيها كانَ رَجْمُ اليهوديَّيْنِ اللَّذين زنَيا. وفيها قُصِرتْ الصَّلاةُ في السَّفر، وفيه دليلٌ على أنَّها كانت أوَّلاً أربعاً، وفيه الخلافُ المشهورُ، وَوَقَعَ فيها غيرُ ذلك.

وفي السَّنَةِ الخامسة من الهجرة: غزوةُ دَوْمَةِ الجَنْدَلِ وغزوةُ المُرَيْسِيع،

---

(١) الجزري في كتابه (أسد الغابة في معرفة الصحابة).

(٢) أي: في كتابه: (روضة الطالبين وعمدة المفتين).

(٣) الإمام النووي، في كتابه (روضة الطالبين وعمدة المفتين).

وحديثُ الإفك على ما رجّحه الحاكمُ وغيرُه، وقيل: في سنةِ ستٍ، قاله ابنُ إسحاقَ وجَزَمَ به الطَّبريُّ وغيرُه، وقِيلَ: في سنة أربع، قاله موسى بن عقبة. وفيها نَزَلَت آيةُ الحِجَابِ وقيل: في الَّتِي قبلها. وفيها سَابَقَ بين الخيل. وفيها غزوةُ الخَنْدَقِ وهي الأحزاب، على ما قاله ابنُ إسحاق، وقال موسى بنُ عُقبة: في سنة أربع، وغزوةُ بني قريظة بعد الخندق على القولَين، وفيها غير ذلك.

وفي السَّنَة السَّادسة من الهجرة: كانت غزوةُ الحُدَيبية، وهي قريبُ مكَّةِ مستهلَّ القعدةِ منها، وكانوا ألفاً وأربعمئة، وبايعوا النَّبيَّ ﷺ بيعةَ الرِّضوانِ تحتَ الشَّجَرَةِ. وفيها قَحَطَ النَّاسُ فاستسقى لهم رسولُ الله ﷺ فَسُقُوا في رَمَضَانَ. وفيها غزوةُ بني لِحْيَانَ، وغزوةُ الغَابَةِ، وغير ذلك.

وفي السَّنَة السَّابعة من الهجرة: كانت عمرةُ القَضَاءِ مستهلَّ القعدة منها أيضاً، وكَانَ رسولُ اللهِ ﷺ في ألفين، وسَاقَ من المدينة ستينَ بدنةً فَنَحَرَها، وأقَامَ بمكَّةَ ثلاثاً ورَجَعُوا. وفيها غزوةُ خَيْبَرِ. وإسلامُ أبي هريرةَ. وبعثُه ﷺ الرُّسلَ إلى الملوكِ. واتِّخاذُ الخاتَم لخَتْمِ الكُتب. وتحريمُ الحُمُر الأهليَّة. والنَّهيُ عن مُتْعَةِ النِّساءِ. وفيها جاءَته مَارِيَةُ القِبْطيَّةُ وبَغْلتُه دُلْدُل، وفيها غير ذلك.

وفي السَّنَة الثَّامنة من الهجرة: كانت غزوةُ الفتح، فَتَحَ الله عليه مكَّةَ في رمضانَ منها لنقضِ قريشٍ العَهْدَ وَطَافَ النَّبيُّ ﷺ بالبيتِ يومَ الجمعة لعشرينَ من رمضانَ وحَوْلَه ثلاثمئة وستون صَنَماً، وكلَّما مرَّ بصنم أشَارَ إليه بقضيبٍ قائلاً: (جَاءَ الحقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ، إنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً)[1]، فَيَقَعُ الصَّنَمُ

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط [١/ ١٠٢، رقم: ٣١٦]، والترمذي في سننه [٥/ ٣٠٢، رقم: ٣١٣٨]، والبيهقي في السنن الكبرى [٦/ ١٠١، رقم: ١١٣٣٠].

لوجهه. وفيها كَانَ قدومُ خالد بن الوليد وعثمانَ بنِ طلحةَ وعمرو بن العَاصِ وإسلامُهم. وفيها غزوةُ حُنَينٍ، وغزوةُ الطَّائِف. وفيها اتخاذُ المِنْبَرِ والخطبةُ عليه، وهو أوَّلُ منبر عُمِلَ في الإسلام، وكان ﷺ قبل ذلك يَخْطُبُ إلى جِذْعٍ في المسجدِ حتَّى عُمِلَ له المِنْبَرُ ثَلاثَ دَرَجَاتٍ، فلمَّا خَطَبَ عليه حنَّ ذلك الجِذْعُ وَخَار كَالْبَقَرَةِ، فَنَزَلَ ﷺ فَاحْتَضَنَهُ حتَّى سَكَنَ، وقال: «لَوْ لم أَلْتَزِمْهُ لَحَنَّ إلى يومِ القيامة». وقيل: اتخاذُ المنبر كَانَ في سنَةِ تسعٍ، قال ابنُ الجَزَرِيِّ في (مولده): (وفيها مولدُ إبراهيمَ ابنِ النَّبيِّ ﷺ، ووفاةُ زَيْنَبَ بنتِه ﷺ). وفيها غيرُ ذلك.

وفي السَّنَةِ التَّاسعة من الهجرة: كانت غزوةُ تبوكَ. وهَدْمُ مسجدِ الضِّرَارِ. وقدومُ الوفود وتتابعها. وحجَّ فيها أبو بكر الصِّديق بالنَّاس، ومعه ثلاثمئة رجلٍ وعشرون بدنةً بِسُورَةِ براءةَ يَنْتَبِذُ إلى كلِّ ذي عَهْدٍ عَهْدَه، وأنْ لا يحجَّ بعدَ العَامِ مُشْرِكٌ، ولا يَطُوفَ بالبيتِ عُرْيَانٌ، فلمَّا نَزَلَ العَرَجَ أدرَكَهُ عليٌّ بن أبي طالبٍ مبلِّغاً لا أميراً، وكانَ حجُّهم ذلكَ العَامِ في ذِي القَعْدَة. وفيها مَاتَ النَّجَاشِيُّ، وأمُّ كلثوم بنته ﷺ. وفيها غير ذلك.

وفي السَّنَةِ العاشرة من الهجرة: كانت حِجَّةُ الوَدَاعِ وتسمَّى حجَّةَ الإسلام، فَخَرَجَ النَّبيُّ ﷺ من المدينة يومَ السَّبتِ لخمسٍ بَقِينَ من ذِي القَعْدَة سنةَ عَشْرٍ ومَعَه أربعونَ ألفاً، وقيل: سبعونَ ألفاً، وقيل: مئة ألفٍ، وقيل: أربعةَ عَشَرَ، وكانت وَقْفَةُ الجمُعَة، ونَزَلَ فيها: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[1] [المائدة: ٣].

ولم يحجَّ ﷺ بعد الهجرة سِوَاهَا، وقد حجَّ قَبْلَ النُّبوَّةِ وبعدَها حَجَّاتٍ لا

---

(١) انظر تفسير الجيلاني.

يُعلم عددُها، واعتمَرَ بعد أن هَاجَرَ أَرْبَعَ عُمَرٍ؛ عُمْرَةَ الحدَيْبِيّةِ وعُمْرَةَ القضَاء وعُمْرَةً من الجِعِرَانَةِ في إثرِ وَقْعَةِ حُنَينٍ، وعُمْرَةً مع حَجَّتِه.

وقد اختُلِف في السَّنَةِ الَّتِي فُرِضَ فيها الحجُّ؛ فقيل: في سنةِ خَمْسٍ، وقيل: في سنةِ ستٍّ، وقيل: سنةَ سَبْعٍ، وقيل: في سنةِ ثمَانٍ، وقيل: في سنةِ تِسْعٍ.

وفيها يعني السَّنَةَ العَاشِرَةَ: أَسْلَمَ جريرُ بنُ عبد الله البَجلِيّ. ونَزَلَت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾[1] [النصر: ١] بمنىً يومَ النَّحرِ في حجّة الوَدَاعِ، وقيل: قَبْلَ وَفَاتِه بثلاثةِ أيّامٍ. ومَاتَ فيها إبراهيم ابنُه ﷺ وأَرْسَلَ ﷺ فيها علياً إلى اليَمنِ. وفيها غير ذلك.

ولَمَّا رَجَعَ ﷺ من حجّته إلى المدينة، أقام بها بقيّةَ ذي الحجّة تمامَ سنة عشْرٍ، ثمّ دَخَلَت سنةُ إحدى عَشْرَة، فَأَقَامَ بها أيضاً المحرّمَ وصَفَرَ، وفي يومِ الأربعاءِ بَدأَ بالنَّبيِّ ﷺ وَجَعَه فَحُمَّ وصُدِعَ، وأَشَارَ فِيه إشَارَةً ظَاهِرَةً بِخِلَافَةِ أبي بَكْرٍ بثَنَائِه عليه على المِنْبَرِ لَمَّا فَهِمَ بَقِيَّةُ الصَّحَابة، قوله في خطبته: «إنَّ عبداً خَيَّرَه الله بَيْنَ أنْ يؤتيَه زَهْرَةَ الدُّنيا وبَيْنَ ما عنده، فاختَارَ ما عِنْدَه»[2]؛ أنّه ﷺ يعني نفسَه فَبَكَى وقال: (فَدَيْنَاكَ يا رسولَ الله، بآبائِنا وأمهاتِنا)، فَقَابَلَه ﷺ بِقَوْله: «إنَّ أمنَّ النَّاسِ عليَّ في صحبتِه ومالِه أبو بَكْرٍ، ولو كنتُ متَّخِذاً من أهل الأرضِ خليلاً لاتَّخَذْتُ أبا بَكْرٍ خَليلاً ولكن أُخُوَّةُ الإسلام»[3]. ثُمَّ قَالَ:

---

(١) انظر تفسير الجيلاني.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٩/٥٠٩، رقم: ٣٩٠٤]، والترمذي في سننه [٥/٦٠٨، رقم: ٣٦٦٠]، وابن حبّان في صحيحه [١٤/٥٥٨، رقم: ٦٥٩٤].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [١/٤٧٦، رقم: ٤٦٦]، وأحمد في مسنده [٣/١٨، رقم: ١١١٥٠]، والنسائي في سننه الكبرى [٥/٣٥، رقم: ٨١٠٣].

«لا يَبْقَى في المسجِدِ خَوْخَةٌ إلّا سدّت إلّا خَوْخَةُ أبي بَكْرٍ»[١]. ثُمّ أكّد أمرَ الخلافةِ بأمرِهِ صريحاً أنْ يصلّيَ بالنّاسِ، فَرُوجِعَ وَهُوَ يَقُولُ: «مُرُوه أنْ يُصلّيَ بالنّاسِ»[٢].

وأَذِنَ له نِسَاؤُه أن يُمَرَّضَ في بيتِ عَائِشَةَ لِمَا رَأَيْنَ من حِرْصِه على ذلك، فَدَخَلَ بَيْتَهَا يومَ الاثنين، وتوفاه الله تعالى حِينَ زَاغَتِ الشَّمسُ، وقيلَ: حِينَ اشتدَّ الضُّحَى يومَ الاثنين، كالوقت الَّذِي دَخَلَ فيه إلى المدينةِ في هجرته، ورأسُه الشّريف بَيْنَ سَحْرِ عَائِشَةَ ونَحْرِهَا، أي: فيما بين حَنَكِ عَائِشَةَ وصَدْرِهَا، وكَانَ ذَلِكَ اليومُ الثّاني من ربيعِ الأوّل سنةَ إحْدَى عَشْرَةَ من الهِجرة، وكانت مدّةُ مَرَضِه ﷺ ثلاثةَ عَشَرَ يَوماً، وقيل: اثني عَشَرَ، وقيل: غير ذلك، وتوفّاه الله شهيداً؛ لأنّه لما سمّته اليهوديةُ استمرَّ ذلك به، حتّىٰ قال في مَرَضِه: «الآن انقطَعَ أبْهَرِي»[٣]، يعني من ذلك السُّمّ.

واختُلِفَ في مدّةِ عُمُرِه ﷺ، فالصّحيح المشهورُ أنّه ثلاثٌ وستونَ سَنَةً، وقَدْ كَانَ ﷺ أكْمَلَ النّاسِ خَلْقاً وأحْسَنَهم خُلقاً، وكَانَ أجودَ النّاسِ، وأحْلَمَ النّاسِ، أيّده الله تعالى بالمعْجِزات البَاهِرة، وأكرَمَه بالآياتِ الظّاهرةِ، وخصّه بالشّفَاعةِ العُظْمَى في الدّارِ الآخرةِ، وبأنّه أوّلُ منْ يُفْتَح لَهُ بابُ الجنّة فيَدخُلُها وأمّتُه، ويَتَنعّمُونَ فِيهَا بتلك النِّعَمِ الفَاخِرَةِ صلّى الله عليه وعَلَى آله وعِترتِهِ الطّاهرة، وصَحَابتِه النُّجومِ الزّاهِرة، وجَعَلَنَا مِمّنْ عَادَتْ عليه بركةُ حديثِهِ الشّريفِ في الدُّنيا والآخرةِ، وفَاضَت عليه بسببِ ذلك الإمْدَاداتُ الزّاخِرَةُ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٩/ ٥٠٩، رقم: ٣٩٠٤]، ومسلم في صحيحه [٤/ ١٨٥٤، رقم: ٢٣٨٢]، وابن حبّان في صحيحه [١٥/ ٢٧٥، رقم: ٦٨٦٠].
(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده [٤١/ ١٩١، رقم: ٢٤٦٤٧].
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٤/ ١٦١١، رقم: ٤١٦٥]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ١١، رقم: ١٩٤٩٩]، وأبو داود في سننه [٤/ ٢٩٦، رقم: ٤٥١٥].

سَكَنَ الفؤادُ فَعِشْ هنيئاً يَا جَسَد[1] هَذَا النَّعِيمُ هو المقيمُ إلى الأَبَدْ

رُوحُ الوُجودِ حياةُ مَنْ هُوَ وَاجِدٌ لولاه مَا تَمَّ الوجودُ لمن وَجَدْ

عِيسَى وآدم والصُّدور جَمِيعُهم هُمْ أعينٌ هو نورها لمَا وَرَدْ

لَوْ أَبْصَرَ الشَّيْطَانُ طلعةَ نُورِه في وجهِ آدمَ كانَ أوَّلَ مَنْ سَجَدْ

أَوْ لَوْ رَأَى النُّمْرودُ نورَ جَمَالِه عَبَدَ الجَلِيلَ مَعَ الخَلِيلِ وَمَا عَنَدْ

لكنْ جمالُ الله جلَّ فَلَا يُرَى إلَّا بتخصيصٍ من الله الصَّمَدْ

انتهى مولد الشَّيخِ نَجْمِ الدِّينِ الغَيْطِي الشَّافِعيّ

---

(١) هذا الشطر من البيت ساقطٌ من النسخة المخطوطة، وهو مطلع قصيدة مشهورة للشيخ علي وفا رحمه الله.

ولما خلق الله حواء لتسكن الى آدم ويسكن اليها
فحين ما ولدت بها فاضت بركاته عليها فولدت له في
تلك السنين الحسان اربعين ولداً في عشرين بطناً في
كل بطن ذكر وانثى الا شيثاً فانه وضعته وحده كرامة
لمن اطلع الله بالنبوة سعده فلما توفي آدم كان
شيث وصياً على ولده واوصى شيث ولده بوصية آدم
ان لا يضع هذا النور الا في المطهرات من النساء ثم
لم تزل هذه الوصية معمولاً بها تنتقل من قرن الى قرن
الى ان ادى الله هذا النور الى عبد المطلب وولده عبد
الله الى ان طلع بدر الوجود وشمس العالم وتم انتقاله
فخراً لبني آدم ولقد احسن من قال

تنقلت

تنقلت في اصلاب قوم اكارم
به افتخروا في كل دار ومحفل
واشرقت الانوار في كل بقعة
وفاح الشذا من كل دار ومنزل
واضحى لسان الحال ينشد فرحة
تنقل فلذات الهوى في التنقل

ثم ان عبد المطلب تزوج بامرأة تسمى فاطمة
من بني زهرة فولدت عبد الله والد النبي صلى
الله عليه وسلم ولما عبد الله انتقل نور النبي
اليه فكان يرى في وجهه كالكوكب الدري وقد طهر
الله نسبه من سفاح الجاهلية ومن الانكحة
الفاسدة من لدن آدم الى ان اخرجه من بين

مولدٌ شريف لم أعرف اسمَ مؤلفه

مولدٌ شريف لم أعرف اسمَ مؤلفه

بسم الله الرحمن الرحيم

ولَمَّا خَلَقَ اللهُ حوَّاءَ لِتَسْكُنَ إلى آدمَ ويَسْكُنَ إليها، فحِينَ صارَ لديها فاضَتْ بركاتُه عليها، فوَلَدَتْ له في تلكَ السِّنِينَ الحِسَانِ أربعينَ ولداً في عشرين بطناً، في كلِّ بطنٍ ذكرٌ وأنثى، إلّا شِيثاً، فإنَّه وضعتْهُ وحدَهُ كرامةً لمن أطلعَ اللهُ بالنبوة سَعْدَهُ، ولَمَّا توفي آدمُ كَانَ شِيثٌ وصِيّاً عَلَى وَلَدِه، وأَوْصَى شِيثٌ وَلَدَهُ بوصيَّةِ آدمَ أنْ لا يَضَعَ هَذَا النُّورَ إلَّا في المطَهَّرَاتِ من النِّساء[1]، ثُمَّ لم تزلْ هذه الوصيَّةُ معمولاً بها، تَنْتَقِلُ من قرنٍ إلى قرنٍ، إلى أنْ أدَّى اللهُ هذا النُّورَ إلى عبدِ المطَّلِبِ وَوَلَدِه عبدِ الله، إلى أنْ أطلعَ بَدْرُ الوجودِ وشَمْسُ العالم، وتَمَّ انتقاله في خزائن بني آدم، ولَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ:

تَنَقَّلْتَ فِي أصلابِ قَوْمٍ أعِزَّةٍ ... بِكَ افْتَخَرُوا في كلِّ وَادٍ ومَحْفَلِ

وأشْرَقَتِ الأنوارُ فِي كلِّ بُقْعَةٍ ... وَفَاحَ الشَّذَا مِنْ كلِّ دَارٍ ومَنْزِلِ

وأضْحَى لسانُ الحالِ يُنْشِدُ فرحةً ... تَنَقَّلْ فَلَذَّاتُ الهَوَى فِي التَّنَقُّلِ

ثُمَّ إنَّ عبدَ المطَّلِب تزوَّجَ بامرأةٍ تُسمَّى فاطمةَ من بني زُهْرَة، فوَلَدَتْ عبدَ اللهِ والدَ النبيِّ ﷺ، ولَمَّا عبدُ الله انتقلَ نورُ النبيِّ إليه، فكَانَ يُرَى في وجْهِهِ كالكَوْكَبِ الدُّرِّيِّ.

(١) انظر: السيرة الحلبية [١/٦].

وقَدْ طهَّرَ الله نسبَه من سِفَاحِ الجاهليَّةِ ومِن الأنْكِحَة الفَاسِدَة، من لَدُنْ آدَمَ إلى أنْ أخرَجَه من بين أبوَيْهِ طاهراً مطهَّراً، وإلى ذلك يُشِيرُ صاحبُ الهمزيَّة[1]:

لم تَزَلْ في ضَمَائِرِ الكَوْنِ تُخْـ ـتَـارُ لَـكَ الأمـهَـاتُ والآبـاءُ

والمختارُ هو الله، ومختارُ اللهِ لا يكونُ إلَّا طيِّباً طَاهِراً. ولَمَّا بَلَغَ عبدُ اللهِ ذَهَبَ به أبوه عبدُ المطَّلب إلى وَهْبِ بنِ عبدِ مَنَاف بن زُهْرَة، وهو يومئذٍ سيِّدُ بَنِي زُهْرَةَ نَسَباً وشَرَفاً، فَخَطَبَ له ابنَته آمنةَ وزوَّجَه إيَّاها، وكَانَ دخولُه بها يوم الاثنين في شَهْرِ رَجَبٍ في مِنىً، فلمَّا وَقَعَ عليها من فَوْرِه، حَمَلَتْ بسيِّدِ الخلائقِ من ساعَتِها، وظَهَرَ لحمْلِه عَجَائِبُ وَوُجِدَ لإيجادِه غَرَائِبُ، فَذَكَرُوا أنَّه لَمَّا استقرَّتْ نطفتُه الزَّكيَّة ودرَّته المحمَّديَّة في صدفة آمنةَ القرشيَّة، نُودِيَ في الملكوت ومَعَالِمِ الجَبَرُوتِ أنْ عطِّرُوا جَوَامِعَ القُدْسِ الأسْنَى، وبخِّرُوا جهاتِ الشَّرف الأعلى، وافرِشُوا سجَّادَاتِ العِبَادَاتِ في صُفُفِ الصَّفَا لصوفيَّة الملائكةِ المقرَّبين أهلِ الصِّدق والوَفا، فَقَدْ انتقلَ النُّور المكنونُ إلى بطنِ آمنةَ ذاتِ العقلِ البَاهِرِ والفَخْرِ المصونِ، قد خَصَّها اللهُ القريبُ المجيبُ بِهَذَا النَّبيِّ المصطفى الحبيب؛ لأنها أفضلُ قومِها حَسَباً وأنجبُ، وأزكَاهُم أصلاً وفَرْعاً وأطيبُ، وأمَرَ الله تلكَ اللَّيلةِ رضوانَ خازنَ الجِنَان أن يفتح أبوابَ الفِرْدَوسِ، ويُنَادِي مُنَادٍ في السَّمَاءِ والأرضِ ألا إنَّ النُّورَ المخزونَ المكنونَ الَّذِي منه النَّبيُّ الهَادِي يكون يستقِرُّ اللَّيلَةَ في بَطْنِ أمِّه، ويَخْرجُ للنَّاسِ بَشِيراً ونَذِيراً.

وفي رِوَايةِ كَعْبِ الأحبَارِ: أنَّه نُودِيَ تِلْكَ اللَّيلةِ في السَّمَاءِ وصِفَاحِهَا،

---

(١) سبق الإشارة إليه وترجمته، وهو الإمام البوصيري، المتوفى سنة [٦٩٦هـ]، والبيت من القصيدة الهمزية في مدح خير البرية.

الأرضِ وبِقاعِهَا: أنَّ النُّورَ المكنونَ الَّذِي منه رَسولُ الله ﷺ يستقرُّ اللَّيلةَ في بطْنِ آمنةَ، فَيَا طُوبَى لَهَا، وأصْبَحَت أصنامُ الدُّنيا يومئذٍ منكوسةً، وصَاحَ إبليسُ على جبلِ أبي قُبَيْس، فاجتَمَعَت إليه الشَّياطينُ، فقالوا: ما الَّذِي دَهَاكَ؟ فقال: قد استقرَّت نطفةُ محمَّد في بَطنِ أمِّه، يبعثه الله بالسَّيفِ القاطع، فيغيِّر الأديانَ ويكسر الأوثانَ[1].

ورُوِيَ عَن حسَّانَ بن ثَابِت، قال: (كُنتُ غُلَاماً وأنَا ابنُ سبعِ سنينَ، وإذا يهوديٌ يُنَادِي في المدينةِ: يَا مَعْشَرَ اليَهُود، قَدْ طَلَعَ اللَّيلَةَ نَجْمُ محمَّد ﷺ)[2]، وكانتْ قُريشٌ في جَدْبٍ شَدِيدٍ وضِيقٍ عظيمٍ، فاخضرَّتِ الأرضُ، وحَمَلَتِ الأشجَارُ، وأتَاهُم الرِّفدُ من كلِّ جانبٍ، فسُمِّيَت تلكَ السَّنَةَ الَّتي حُمِلَ فِيهَا رسولِ الله ﷺ سَنَةَ الفَتْحِ والابتهاج، وعبدُ المطَّلِب هو يومئذٍ صاحبُ أحكام قريش وسائرِ العَرب، يَخرُجُ كلَّ يومٍ مُتوشحا يَطُوفُ بالبَيْتِ، ويقولُ: (يَا معْشَرَ قُرَيْشٍ، إنِّي لأَنظُرُ إلى أمثالِ شَخْصٍ ممثل بين عيني، كأنَّه قطعةُ نورٍ لا أمَلُّ مِنْ رُؤْيَتِه).

وفي حديثِ ابنِ إسحاقَ أنَّ آمنةَ كانتْ تحدِّثُ أنَّها أُتيتْ حِينَ حملت به، فقيل: إنَّكِ حَمَلْتِ بسيِّد العالمين وسيِّد هذه الأمَّة ونبيِّها، وقالتْ: (مَا شَعَرْتُ بأنِّي حَمَلْتُ بِهِ وَلَا وَجَدْتُ له وَحَماً، كَمَا تَجِدُ النِّسَاءُ، إلَّا أنِّي أنكرتُ حَيْضَتي، وأتَانِي آتٍ وأنا بين النَّومِ واليَقَظَةِ، فقال: هَلْ شَعَرْتِ أنَّكِ حَمَلْتِ بِسيِّد الأنام؟ ثُمَّ أمْهَلَنِي حتىٰ إذا دَنَتْ وِلَادَتِي، أتاني فقال: قولي إذا وَلَدْتِيه:

---

(١) انظر: السيرة الحلبية [١/ ٧٥].

(٢) انظر المطالب العالية [١٧/ ١٧٥/ رقم-٤٢٠٥] ودلائل النبوة للأصبهاني [١/ ١٥٧/ رقم ١٨١] و السيرة النبوية [١/ ٢٩٥].

(أعيذُه بالواحدِ من شرِّ كلِّ حاسد)، ثُمّ سَمّيهِ محمّداً، وَرَأَتْ مراتٍ أنّه يَخْرُجُ منها نورٌ أضَاءَ له مَا بينَ المشرقِ والمغربِ[١].

ورَوَى أبو نُعَيم من حديثِ ابنِ عبّاس ﷺ أنّه قَالَ: (كَانَت آمنةُ تُحدِّث وتقول: أتاني آتٍ حين مرَّ بي مِنْ حَمْلِي ستةُ أشهر، في المنام، وقال لي: يا آمنةُ، إنَّك قَدْ حَمَلْتِ بسيّد العالمين، فإذا وَلَدْتِيه فَسَمّيه محمّداً، واكْتُمِي شَأْنَكِ)[٢].

قد تكرَّر هذا الاسمُ في القرآن العظيم في مواضع[٣]

وكَانَ عمُّه أبو طالبٍ يقول[٤]:

أغَرُّ، عَلَيْهِ لِلنُّبُوَّةِ خَاتَمٌ ... مِنَ اللَّهِ مَشْهُودٌ يَلُوحُ وَيُشْهَدُ

وَضَمَّ الإلَهُ اسْمَ النَّبِيِّ إلى اسْمِهِ، ... إذَا قَالَ في الخَمْسِ المُؤَذِّنُ أشْهَدُ

وَشَقَّ لَهُ مِنِ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ، ... فَذو العَرْشِ مَحْمودٌ، وهذا مُحَمَّدُ

وعنِ ابنِ عبّاسٍ ﷺ، أنّه قَالَ: (كَانَ مِنْ دِلَالَةِ حَمْلِ آمِنَةِ برسولِ الله ﷺ أنَّ كلَّ دابةٍ كَانَتْ لقُرَيشٍ نَطَقَتْ تِلكَ اللّيلةَ وقَالَت: حُمِلَ بمحمَّدٍ وربِّ الكعبةِ، وهو إمامُ الدُّنيا وسِرَاجُ أهلها، ولم يَبْقَ سَرِيرٌ لمَلِكٍ من مُلُوكِ الدُّنيا

---

(١) انظر شعب الإيمان [٢/ ١٣٦/ رقم ١٣٨٨ فصل في شرف أصله وطهارة مولده ﷺ].

(٢) انظر هذه الرواية في: سمط النجوم العوالي، للعصامي [١/ ١٢٤].

(٣) أي اسم النبي (محمد) ﷺ، بل سميت إحدى السور باسمه وهي سورة: محمد.

(٤) قلت هذه قصيدة مشهورة لحسان بن ثابت يمدح فيها الرسول ﷺ انظر ديوان حسان بن ثابت [١/ ٤٨] وتفسير ابن كثير [٤/ ٥٢٦ سورة الشرح] والكامل في الضعفاء [٥/ ١٩٧] أما البيت الثالث من هذه القصيدة فقد ورد أنها مروية عن أبي طالب انظر فتح الباري [٦/ ٥٥٥] والثقات [١/ ٤٢] ودلائل النبوة [١/ ١٦١].

وقصيدة أبي طالب كما هي في ديوانه:

لَقَد أكرمَ اللهُ النبيَّ محمّداً ... فأكرمُ خلقِ الله في الناس أحمدُ

وشَقَّ له من إسْمِهِ ليُجِلَّهُ ... فذو العرش محمودٌ وهذا محمَّدُ

ديوان أبي طالب [١/ ٢٤].

إلا أصبحَ منكوساً، وأصبحَ كلُّ مَلِكٍ أخرَسَ لا ينطقُ يومَه ذلك، ومرَّت وحوشُ المشرقِ إلى وُحوشِ المغربِ تُبشِّرُهَا به، وكذا أهلُ البِحَارِ بشَّرَ بعضُهم بعضاً، ولَهُ في كلِّ شَهرٍ من شُهُورِ حَمْلِه نِدَاءٌ في السَّماءِ ونِدَاءٌ في الأرضِ: أنْ بَشِّرُوا فَقَدْ آنَ أنْ يَظْهَرَ أبو القَاسِم مَيْمُوناً مُبَارَكاً)[1].

وقيل: (فِي أوّلِ شَهرٍ من شُهورِ حَمْلِها تَزَلْزَلَ إيوانُ كسرى، وفي الشَّهرِ الثَّاني امتلأت الأكوان بالبُشرى، وفي الشَّهرِ الثَّالثِ غَاضتْ بُحيرةُ سَاوَة، وفي الشَّهر الرَّابعِ انقطعَ وادي سماوة، وفي الشَّهر الخَامِسِ وَقَفَت بُحيرةُ طَبَرِيَّة، وفي الشَّهر السَّادسِ ماتَ أبوه عبد الله للأسرارِ الخَفِيَّة، وفي الشَّهر السَّابعِ خَمَدَتِ النِّيرانُ المعبودةُ بالممالك الفَارِسِيَّة، وفي الشَّهر الثَّامنِ ذَلَّ كِسْرَى وهَانَ وانشقَّ الإيوانُ، وفي الشَّهر التَّاسِعِ سَقَطَ عن رأسِ كِسْرَى التَّاجُ وعَظُمَ كَرْبُه وهَاجَ، وزارَتْهُ ﷺ الملائكةُ عند الولادةِ وجَاءَتِ الوُحوشُ والطُّيور لِبَابِهِ منقادةً، وتدلَّتِ النُّجومُ عندَ ولادتهِ على السُّقوفِ، ورفعتهُ الملائكةُ تَدُورُ به على الخلائقِ، وتَطُوفُ، وأضاءتْ بمولدِهِ بِقَاعُ تِهَامَةَ، ونَشَرَ اللهُ عليه فضلَهُ العظيمَ وأدامَه، وكانتِ الملائكةُ عندَ وضعهِ وقوفاً ينظرونَ إلى خروجِه صفوفاً)[2].

- أنتَ الَّذِي كوَّنَه الله قبلَ كُلِّ مَوْجُودٍ، وَكَانَ هُوَ آدم غيرُ موجودٍ.
- أنتَ الَّذِي هو صَدْرُ الأنبياءِ وقُدْوَتُهم وصَفْوَةُ المرسلينَ وخِيرَتُهم.
- وزَيْنُ الخلائقِ، ومَحْضِ هِدَايَتِهم، وشَرَفُ العالمينَ، وعَيْنُ عِنَايَتِهم.

---

(١) انظر: عيون الأثر لابن سيِّد النَّاس [١/ ٤٥]، سبل الهدى والرشاد [١/ ٤٠٢]، الشفا للقاضي عياض [١/ ٢٢٩] وسمط النجوم العوالي، للعصامي [١/ ١٢٤].
(٢) انظر مصادر الحاشية السابقة.

- أنتَ الَّذِي أوجبَ الله الصَّلاةَ عليه عندَ ذِكْرِه وجَعَلَ جنَّةَ الفِرْدَوْسِ بَيْنَ مِنْبَرِهِ وقَبْرِه.

- أنتَ الَّذِي بدأ الله بخلقِ نُورِهِ وخَتَمَ قَبْلَ خُرُوجِ الخَلْقِ إلى الوجودِ مِنَ العَدَمْ.

- أنتَ الَّذِي أشرقت بنورِهِ الظُّلَمْ أنتَ المبعوثُ رحمةً لِكُلِّ الأُمَمْ.

- أنتَ المختارُ للرِّئَاسَةِ والسِّيَادةِ قَبْلَ اللَّوحِ والقَلَمْ، أنْتَ الَّذِي لا تُنْتَهكُ فِي مَجَالِسِهِ الحُرَمْ.

- أنتَ الَّذِي أثنىَ عليه ربُّ العزَّةِ نَصّاً فِي سَالِفِ القِدَمْ أنْتَ الَّذِي كَانَ إذا مَشَى تُظَلِّلُه الغَمَامَةُ حيث يَمَّمْ.

- أنتَ الموصوفُ بأفضلِ الأخلاقِ والشِّيَمِ أنتَ المخصوصُ بِجَوامِعِ الكَلِمْ وخَوَاصِ الحِكَمِ.

- أنتَ الَّذِي انشقَّ له القَمَرِ وكلَّمهُ الحَجَر وأقرَّ برسالته وصمَّم أنتَ الَّذِي نَادَاه الله بأحبِّ الأسماء إليه، وما استقبلهُ حَجَرٌ ولا شَجَرٌ إلَّا سلَّم عليه.

- أنتَ الَّذِي زِيدَتْ له ساعةٌ في النَّهارِ وكانَ في الظِّل يدورُ معه حيثُ دَار.

- أنتَ الَّذِي رَدَّ عينَ قَتَادَةَ بعد قلعها وسُقُوطِها على وَجْنَتِهِ وتَفَلَ في عينِ عليٍّ يومَ خَيْبَرَ وَهِيَ رمداء فَبَرِئَت وذَهَبَ أَلمُها من ساعتِه.

- أنتَ الَّذِي وَقَفَ جبريلُ ببابِه وكَانَ الذُّبابِ لا يَقَعُ على ثيابه.

- أنتَ الَّذِي جَعَلَ الله له سبعينَ ألفَ مَلَكٍ يَحُفُّونَ بِقَبْرِه وغَفَرَ الله لمن صلَّى عليه ولو مرَّةً في عمره.

- أنتَ الَّذِي ضمَّنَ الغزالة وشَهِدَ له الضَّبُّ والذِّئْبُ والجَمَلُ بالرِّسَالَة.

ـ أنتَ الَّذِي نَبَعَ الماءُ من بينِ أصابِعه وسَمِعَ صَرِيرُ القَلَمِ على اللَّوح المحفوظِ بِمَنَامِهِ.

ـ أنتَ الَّذِي آمنتْ أسكفةُ البابِ وحوائط البيتِ على دعائه وأحْيِيَت له الموتى وناداهم فأجابوه بالتَّلبيَّة إلى ندائِهِ.

ـ أنتَ المطاعُ في النَّهيِ والأمرِ والَّذِي أشبعَ جيشَهُ بصاعٍ من تمرٍ.

ـ أنتَ الَّذِي حنَّ إليه الجِذْعُ لما عمل له المنبر، وقال ﷺ: «مِنْبَرِي على حَوْضِي الَّذِي مَاؤُه من الكَوْثَرِ».

ـ أنتَ الَّذِي لَمَّا حَمَلَتْ به آمنةُ أصبحتْ بِحَمْلِه مِنْ كلِّ ضرٍّ آمنةً.

ثُمَّ أقولُ: إعْلَم يا ذَا العقلِ السَّليمِ والمتَّصِفِ بأوصافِ الكَمَالِ والتَّتْمِيمِ، انَّ أصلَ عَمَلِ المولدِ الشَّرِيفِ لم يُنْقَلْ عَنْ أحدٍ من السَّلفِ الصَّالحِ في القرونِ الثَّلاثةِ الفَاضِلَةِ، وإنَّما حَدَثَ بَعْدَهَا بالمقَاصِدِ الحَسَنَةِ الكَامِلَة، والنِّيَّة الَّتِي هي للإخلاصِ شَامِلَةٌ.

قال ابنُ الجَوْزِي: (وَمِنْ خواصِّه أنَّه أَمَانٌ لِفَاعِلِه في ذلكَ العَامِ، وبُشْرَى عَاجِلَةٌ بِنَيْلِ مَا يُبْتَغَى ويُرَامُ، وَلَوْ لَمْ يكُنْ في ذلك إلا إرغامٌ للشَّيْطَانِ وسرورُ أهلِ الإيمانِ لَكَفَى)[1]. قال: (وإذَا كَانَ أهلُ الصَّليبِ اتَّخذوا ليلةَ مولدِ نبيِّهم عيداً أكبرَ، فأهلُ الإسلامِ أولى بالتَّكْرِيمِ وأجدرُ، بل استخرَجَ له العلَّامةُ ابنُ حَجَرٍ العسقلاني أصلاً من السُّنَّة، وكَذَا الجَلالُ السُّيُوطِي رَحِمَهُمَا الله تعالى، وقَدْ وَجَدَ مِن شيخِ الإسلامِ ومُقْتَدَى العلماءِ الأعلامِ التَّقِيِّ السُّبْكِيِّ وتَابَعَه على ذلك من أهلِ عَصْرِه الأئمةُ وهُداةُ الأمَّةِ، فَقَدْ حُكِيَ أنَّه اجتمع عِنْدَه كثيرٌ من علماءِ عَصْرِهِ، فأنْشَدَ مُنْشِدٌ قولَ الصَّرْصَرِيِّ في مَدْحِه:

---

(١) انظر: إعانة الطالبين [٣/ ٣٦٤] والسيرة الحلبية [١/ ١٣٧].

قَلِيلٌ لِمَدْحِ المصْطَفَى الخطُّ بالذَّهَبْ عَلَى وَرَقٍ مِنْ خَطِّ أَحْسَنِ مَنْ كَتَبْ
وأنْ تَنْهَضَ الحضارُ عِنْدَ سَمَاعِهِ قِيَاماً صُفُوفاً او جِثِياً عَلَى الرُّكَبْ
وَحُقَّ لهم هَذَا القِيَامُ لأَجْلِهِ فإجْلَالُ خَيْرِ الخَلْقِ مِنْ بَعْضِ مَا وَجَبْ
أنَا اللهُ تَعْظِيماً لَهُ كَتَبَ اسمَهُ عَلَى عَرْشِهِ يَا رُتْبَةً سَمَتْ على الرُّتَبْ
أنّا خط في التوراة باسم محمّد وأبدت له الرُّهبانُ تعظيماً الرهبْ
أنّا هو قد خرقتِ الحجبُ لقُرْبِه وأدّبه سبحانهُ أحسنَ الأَدَبْ
هو السيّدُ المبعوثُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ هُوَ المصطفى المختارُ من أشرفِ العَرَبْ
رؤوفٌ رحيمٌ صفوةُ اللهِ مَاجِدٌ رسولٌ كريمٌ طيّبُ الأصلِ والحَسَبْ
غِيَاثٌ لملهُوفٍ وعَوْنٌ لعَاجِزٍ بِه تُكْشَفُ الغَمُّ بِه تُفَرَّجُ الكُرَبْ
ومولدهُ السرُّ المصونُ على الورى لقد ظهر النورُ الذي كان محتجبْ
فَيَا خَيرَ مَوْلُودٍ لَقَدْ جَاءَ رَحْمَةً وَيَا خَيْرَ مِيلَادٍ بِه نولد الأَرَبْ
وَيَا زِينَةَ الدُّنْيَا وَعِصْمَةَ أَهْلِهَا فَكُلُّ كَمَالٍ مِنْ كَمَالِكَ مُكْتَسَبْ
فَخُذْ بِيَدِي يومَ الحِسَابِ لأنَّني مُحِبٌّ وإنَّ المرءَ يَصْحَبُ مَنْ أَحَبْ
أَلَا يَا رَسُولَ اللهِ أَنْتَ أَمَانُنَا مِنَ الخوفِ والتَّهديدِ والنَّارِ والرِّيَبْ
أَغِثْنَا أَغِثْنَا مَسَّنَا الكَرْبُ سيِّدِي وليسَ لَنَا إِلَّا سِوَاكَ إِذَا عمَّتِ النُّوَبْ
عَلَيْكَ صلاةُ اللهِ في كلِّ سَاعَةٍ وَمَا لَاحَ نَجْمٌ في السَّمَاءِ وَمَا غَرَبْ
كَذَا سَلَامُ اللهِ عَلَيْكَ مَعَ آلِكَ والصَّحْبِ الكِرَامِ أولي النَّسَبْ
مَدَى الدَّهْرِ والأيَّامِ ماوابلٌ همى وَمَا نَظَمَ المدَّاحُ عِقْداً مِنَ الأَدَبْ

واختَلَفَ العلماءُ في زَمَنِ وفاةِ أبيه، والأشهرُ أنّه تُوفِيَ وأمُّه حَامِلٌ به، وعليه معظمُ العُلماءِ، ورُوِيَ أنّه لَمَّا مَاتَ والدُ النَّبيِّ ﷺ، قالت الملائكة: (إلهَنَا وسيِّدَنَا، بَقِيَ نَبِيُّكَ محمّدٌ ﷺ يَتيماً لا أبَ لَهُ، وَحِيداً لَا نَاصِرَ لَهُ. فقالَ الله تعالى: يا ملائكتي، أَنَا أَوْلَى به مِن أمّه وأبيه، أَنَا خَالِقُه وحَافِظُه ورَاعِيه،

أنا ناصِرُه ومظفرهُ بأعاديهِ، يا ملائكتي، الموتُ حَتمٌ حَكَمْتُ به على عِبَادِي، فكونوا منه على حَذَرٍ، فإنَّه لا يُبْقِي وَلَا يَذَرُ، ولا مَنْجَى منه ولا مَفَرَّ)[١].

ولكن لا ينبغي أنْ يطلقَ لفظُ اليتيمِ عليه، وإنْ كانَ القصدُ به إظهارَ الحُنُوِّ والشَّفَقَةِ عليه، فإنَّ ذلكَ لا يَخْفَى ما فيه من الإشعارِ بالإخلالِ برفيعِ قدرِه الشَّريف، وإنْ كان القصدُ بِه التَّخطِيطَ والازدراءَ به ﷺ كَانَ ذلك كُفْراً أعاذَنَا الله منه، فَيُقْتَلُ قَائِلُه، وكَذَاً لَا يَجُوزُ وصفُه بالفَقْرِ كسَائِرِ الأنبياءِ عليهم الصَّلاة والسَّلام، كَمَا قَالَه الزَّرْكَشِيُّ والسُّبْكِيُّ؛ لأنَّه ﷺ أغنَى النَّاسِ باللهِ، لا سيَّما بعدَ قولِهِ تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾[٢] [الضحى: ٨].

وأمَّا حديثُ: (اللَّهم أَحْيِنِي مِسْكِيناً وتوفني مسكيناً، واحشُرْني في زُمْرَةِ المسَاكِينِ)[٣]، فالمرادُ بِهِ المسكنةُ القلبيَّةُ، بالخُشُوعِ لِا القلَّة من المال، وأمَّا خَبَرُ: (الفَقْرُ فخري، وبه أَفْتَخِرُ)[٤]، فَقَالَ الحافظُ ابنُ حَجَرٍ هو بَاطِلٌ مَوْضُوعٌ، وقد استعاذَ ﷺ من الفَقْرِ والمَسْكَنَةِ.

ولَمَّا وُلِدَ ﷺ وَقَعَ على الأرضِ مقبوضةً أصابعُ يدِه، يشيرُ بالسَّبَّابَةِ كالمسبِّح بها، وفي روايةٍ عن أمِّه أنَّها قالت: (فلمَّا خَرَجَ من بَطْنِي نَظَرْتُ إليه، فإذا هو سَاجِدٌ، قَدْ رَفَعَ أصبعيهِ كالمتضرِّعِ المبتَهِلِ)[٥].

ورَوَى ابنُ سَعْدٍ أنه ﷺ لَمَّا وَلِدَ وَقَعَ على يَدَيْهِ رافعاً رأسَه إلى السَّماءِ،

---

(١) انظر المواهب اللدنية، للقسطلاني [١/ ١٢٤].

(٢) انظر تفسير الجيلاني.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه [٤/ ٥٧٧/ رقم٢٣٥١] و البيهقي في السنن الكبرى [٧/ ١٢/ رقم١٢٩٣١] وغيرهم انظر مجمع الزوائد [١٠/ ٢٦٢ باب فضل الفقراء].

(٤) انظر الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة [١/ ٢٥٥/ رقم ٣٢٠] والمقاصد الحسنة [١/ ٤٨٠/ رقم ٧٤٥].

(٥) انظر القصة بتمامها في سمط النجوم العوالي [١/ ٢٩٩].

وقَدْ رُوِيَ أنّه قَبَضَ قبضةً من تُرابٍ وأهْوَى سَاجِداً، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَجُلاً من بني لهب، فَقَالَ لصَاحِبِهِ: (لئِنْ صَدَقَ هَذَا الفَالُ ليبلغنَّ هَذَا المولودُ أهلَ الأرضِ)[1].

ورَوَى السُّهَيْلِيُّ عن الواقدي أنه ﷺ لَمَّا وَلَدَتْهُ أمُّه تكلَّمَ فقال: «جَلَالُ رَبِّي الرفِيع»[2]. ورُوِيَ أنَّ أوّلَ ما تكلَّمَ به لَمَّا ولدته أمُّه حِينَ خُرُوجِه من بطنِها: «الله أكبرُ كبيراً والحمدُ لله حمداً كثيراً، وسبحانَ اللهِ بُكرةً وأصيلاً»[3]. والجمعُ بأنّه وَقَع كُلُّ ما ذُكِرَ، وَوَرَدَ عن ابنِ عبّاس رضي الله عنه أنّه قَالَ: (لَمَّا وُلِدَ رسولُ الله ﷺ وُلِدَ مَسْرُوراً مقطوعَ السُّرَّة، وَوُلِدَ ﷺ مَخْتُوناً أي: على صُورةِ المختون، ومَكْحُولاً ونَظِيفاً مَا بِه قَذَرٌ)[4]. لَقَد قَالَ ﷺ: «مِنْ كَرَامَتِي على ربِّي وُلِدْتُ مَخْتُوناً، ولم يَرَ أحدٌ سَوْأتِي»[5].

ولله درُّ القائِلِ، حيثُ قَالَ:

وُلِدَ الحبيبُ وخدُّه مُتورِّدُ والنُّورُ من وَجَنَاتِه يَتَوَقَّدُ
جبريلُ نَادَى في مِنَصَّةِ حُسْنِهِ هَذَا فريدُ الكونِ هَذَا أحمَدُ
هَذاَ مَلِيحُ الوَجْهِ هَذَا المصْطَفَى هَذَا جَمِيلُ الوَصْفِ هَذَا السَّيِّدُ
هَذَا جَلِيلُ النَّعْتِ هَذَا المرْتَضَى هَذاَ كَحِيلُ الطَّرْفِ هَذَا الأمْجَدُ
هَذَا الَّذِي خَلَعَتْ عَلَيْه مَلَابِسٌ وَنَفَائِسٌ وَنَظِيرُه لا يُوجَدُ
قَالَتْ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ بِأسْرِهِم وُلِدَ الحَبِيبُ وَمِثْلُه لا يُولَدُ

---

(١) انظر المصدر السابق.
(٢) انظر السيرة الحلبية [١/ ٩٢] والشمائل الشريفة [١/ ٣٧٦/ رقم ٧٢٢].
(٣) انظر: سبل الهدى والرشاد [١/ ٣٤٩].
(٤) انظر تاريخ مدينة دمشق [٣٨/ ٣٣٧] و السيرة الحلبية [١/ ١١٦] و البداية و النهاية [٢/ ٣٤١].
(٥) انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم [٣/ ٢٤]، والمعجم الأوسط للطبراني [٦/ ١٨٨، رقم: ٦١٨٤]، والأحاديث المختارة للضياء المقدسي [٢/ ٣٦٢، رقم: ١٨٦٤].

إِنْ كَانَ إِبراهيمُ أُعطِيَ رُشْدَهُ ... مَنْ مِثْلِ أَحْمَدَ في البَرِيَّةِ أَرْشَدُ
أَوْ كَانَ يُوسُفُ مُعْجِزاً بِجَمَالِهِ ... فَجَمَالُ أَحْمَدَ في البَرِيَّةِ أَزْيَدُ
أَوْ كَانَ مُوسى نَالَ مِنْه تَقَرُّباً ... فَمُحَمَّدُ الهَادِي القَرِيبُ المَقْصِدُ
أَوْ كَانَ المَسيحُ أُعطِيَ زَهَادَةً ... تَاللهِ مَا فِي الكَوْنِ مِنْهُ زَاهِدُ
إِنْ قُلْتَ بالأقمارِ يَقْرَنُ حُسْنُه ... تَاللهِ مَا الأقمارُ مِثْلُه تُحْمَدُ

قال ابنُ قُتَيْبَة: (سَمعتُ أبي يقولُ ـ وكَانَ من أوْعِيَةِ العِلْمِ ـ: لَمَّا حَضَرَتْ وِلَادَةُ آمنةَ، قَالَ اللهُ تَعَالى للمَلَائِكَةِ: افتَحُوا أبوابَ السَّماءِ كلَّها وأبوابَ الجِنَانِ كلَّها، وألبستِ الشَّمسُ يومئذٍ نوراً عظيماً، وقد أذِنَ اللهُ تلكَ السَّنَةَ لِنِسَاءِ الدُّنيا أن يَحملنَ ذُكوراً كرامةً لمحمَّدٍ ﷺ)[1].

ولَمَّا بَشَّرتْ ثُوَيْبَةُ جاريةُ أبي لَهَبٍ أبَا لَهَبٍ بولادتِه ﷺ أعتَقَها وأمَرَها بإرضَاعِه، فَرَآهُ العبَّاسُ رضي الله عنه في المنامِ بَعْدَ موتِه بِسَنَةٍ، فَقَالَ لَهُ: مَا حَالُكَ؟ قال: «في النَّار إلَّا إنَّه يُخفِّفُ عنِّيَ كلَّ ليلةِ اثنين»، وأمُصُّ من بينِ أصبُعيَّ هاتَيْنِ مَاءً، وإنَّ ذلكَ بإعتَاقِي لثُويبةَ عِنْدَمَا بَشَّرَتْني بِولَادَةِ النَّبيِّ ﷺ وبإرضَاعِها لَه، أي: بِأَمْري[2]، فإذا كانَ هَذا حَالُ أبي لَهَبٍ الكَافِرِ الَّذِي نَزَلَ القرآنُ بذمِّه جُوزِيَ في النَّار بِفَرَحِه بِوِلَادَتِه ﷺ بِهَذَا التَّخفيف، فَكَيْفَ حَالُ المؤمنِ الَّذِي يُظْهِرُ السُّرورَ والفَرَحَ بالمولدِ الشَّريفِ ويَبْذُلُ مَا تَصِلُ إليه قُدْرَتُه محبَّةً وفَرَحاً به.

قَالَ بعضُ أهلِ المعرفةِ والتَّعظيمِ: إنَّمَا يَكُونُ جزاؤُهُ من اللهِ الكريمِ أنْ

---

(١) انظر السيرة الحلبية [١/ ٧٥].
(٢) سبق تخريج هذه الأبيات والتعريف بقائلها في الموالد السابقة.

يُدْخِلَه بفضلِه العَمِيمِ جنَّاتِ النَّعيمِ). ولَقَدْ أَحْسَنَ الحافظُ ابنُ ناصرِ الدِّينِ الدِّمشقيّ بقولِهِ وأَحْسَنَ[1]:

إِذَا كَانَ هَـذَا كَـافِـرٌ جَـاءَ ذَمُّـه وَتَبَّتْ يَدَاهُ فِي الجَحِيمِ مُخَلَّداً
أَتَى أَنَّه فِي يومِ الاثْـنَـيْـنِ دَائِـمـاً يُخَفَّفُ عنه لِلسُّرُورِ بِأَحْمَدَا
فَمَا الظَّنُّ بالعَبْدِ الَّذِي كَانَ عُمْرَه بِأَحْمَدَ مَسْرُوراً وَمَاتَ مُوَحِّداً

ولَمْ تَزَلْ أمُّه تَرَى وَهِيَ حَامِلَةٌ بِه ما يدلُّ على عَظِيمِ قَدْرِه ممَّا تَوَاتَرَتِ الأخبارُ بنقلِه من الكراماتِ الظَّاهرة والآياتِ البَاهِرَة إلى أن مرَّت تلك الشُّهور وأشرقَ الوُجود بهذا النُّور، فَأَخَذَها مَا يأخذُ النِّساءَ مِنَ الألمِ، ولم يَعْلَمْ بِهَا أَحَدٌ، فَسَمِعَتْ شَيْئاً أهالَها، فَرَأَتْ جَنَاحَ طائرٍ أبْيَضٍ مَسَحَ على فؤادِها فَذَهَبَ رَوْعُها، ثُمَّ التَفَتَتْ فَإِذا بِشَرْبَةٍ بَيْضَاءَ فِيهَا لَبَنٌ، وَكَانَتْ عَطْشَى فَشَرِبَتْهَا، ثُمَّ رَأَتْ نِسْوَةً كالنَّخلِ طِوَالاً، فَعَجِبَتْ منهنَّ، فَقُلْنَ لَهَا: نَحْنُ آسيةُ بنتُ مُزَاحِمٍ، ومَرْيَمُ بنتُ عِمْرَانَ وهؤلاءِ مِنَ الحُورِ العِينِ، فاشتَدَّ الأمرُ وتَكَرَّرَ سَمَاعُها لِذَلِكَ المَهُولِ، وإِذَا هِيَ بِدِيبَاجٍ أَبْيَضَ مُدَّ بينَ السَّمَاءِ والأرضِ، وإذَا قَائِلٌ يَقُولُ: خُذُوهُ عن أَعْيُنِ النَّاسِ، وَرَأَتْ أيضاً رِجَالاً وُقُوفاً في الهَوَى بِأَيْدِيهِم أباريقُ من فضَّةٍ رَأَسُها يَرْشَحُ منها عَرَقٌ أطْيَبُ من المسكِ الأَذْفَر، وَرَأَتْ أيضاً قطعةً مِنَ الطَّيرِ أقْبَلَتْ حتَّى غطَّتْ حُجْرَتَها، مَنَاقِيرُها من الزُّمُرُّدِ وَأَجْنِحَتُها من اليَاقُوتِ، وأبصرتْ حينئذٍ مَشَارِقَ الأرضِ ومَغَارِبَها، فَرَأَتْ ثَلاثَةَ أعلامٍ مَضْرُوبَاتٍ، عَلَماً بالمشرقِ وعَلَماً بالمغربِ وعَلَماً على ظَهْرِ الكَعْبَةِ، فَأَخَذَهَا المخاضُ واشتدَّ بِها الأمرُ، وكأنَّها مستندةٌ إلى نساءٍ وكَثُرْنَ عليها، حتَّى كأنَّهن

---

(١) سبق الإشارة إليها وتخريجها في الموالد السابقة.

معَهَا في البيتِ، فحينئذٍ أشرقَتِ الأرضُ بِنُورِ رَبِّهَا، وانْجَلَى نورُه ﷺ، فوَلَدَتْهُ عليه الصَّلاةُ والسَّلام[1].

إلى هنا انتهى هذا المولدُ

(١) ذكره العصامي في سمط النجوم العوالي [١/ ١٢٤].

جعلنا الله من خير أتباعه وختم لنا بالوفاة على
الكمال أتباعه آمين.

إلى هنا انتهى مولد ابن دريد ويليه مولد
لبعض المحققين

هذا مولد لبعض المحققين ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرف الأنام بصاحب المقام الأعلى وكمل
الوجود بالمكي مولده حتى شرفا وفضله شرف به الآباء
والجدود وتلألأ الوجود به عند ما حملت به أمه آمنة
فأصبحت به آمنة فلم تجد لحمله ثقلا ووضعته صلى الله
عليه وسلم مختونا مدهونا في حلة الحسن مجلوا وولد صلى
الله عليه وسلم يتجلى لم ير أحسن منه ولا أحلى وهو
كالشمس بل أضوأ وأجلى وخرت لهيبته الأصنام خضعا
وذلا وارتج إيوان كسرى وهو جالس فقدم القوم منطقا
وتعقله وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف سنة
أصلا وزخرفت الجنان يوم مولده ونادت الهاتف

هذا مولد لبعض المحققين

هذا مولد لبعض المحققين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ الذي شرّفَ الأنامَ بصَاحِبِ المَقامِ الأعلى وكمّلَ الوجودَ بأكملِ مولودٍ حَوَى شَرَفاً وفضلاً، شَرُفَت به الآباءُ والجدود ومَلَئ الوجودَ به عدلاً، حَمَلتْ به أمهُ آمِنَة فأصبحتْ به آمِنَةً، فلم تجدْ لحملهِ ثقلاً، ووضَعَته ﷺ مختوناً مَدهوناً في خِلَعِ الحسنِ يُجْلَى، ووُلِدَ ﷺ بوجهٍ لا يُرى أحسنَ منه ولا أحلى، بنورٍ كالشمسِ بل أضوءَ وأجلَى، وخَرّت لهيبتهِ الأصنامُ خضوعاً وذُلّاً وارتجَّ إيوانُ كِسرى وهو جالسٌ، فَعَدِمَ القومُ نطقاً وعقلاً[1] وخمدتْ نارُ فارسٍ ولم تخمُد قبلَ ذلك بألفِ سنةٍ أصلاً، وزخرفتِ الجِنَانُ يَومَ مولدِه[2] ونادتِ الكائناتُ أهلاً وسهلاً شعرٌ:

بشَهْرِ الربيعِ قد بدا نورُه الأعلى ... فيا حبّذا بدرٌ بذاكَ الحمى يُجْلَي

ونارتْ به الأكوانُ شرقاً ومَغرِبًا ... وأهلُ السّمَاءِ قالوا له مرحباً أهلا

وألبسَ ثوبَ النورِ عزاً ورفعةً ... فما مثله في خِلعةِ الحسنِ يُسْتَجْلَى

ولما رآهُ البدرُ حارَ بحُسْنِهِ ... وشاهدَ منهُ بهجةً تَسلُبُ العقلا

أيا مولدَ المختارِ جدّدتَ شَوقَنَا ... إلى الخيرِ مبعوثٍ حَوى العِزَّ والفَضلا

---

(١) جزء من قصة طويلة ذكرها ابن كثير عن مخزوم بن هاني المخزومي عن أبيه البداية و النهاية [٢/٢٩٦] والمنتظم [٢/ ٢٥٠] وتاريخ الطبري [٢/ ٤٥٩] وغيرهم.

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٢١١]، سبيل الهدى والرشاد [١/ ٣٥٠].

جاءَ في حديثٍ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: «قالوا يا رسولَ الله متى وجبتْ لك النبوةُ؟ قال: «وآدمُ بينَ الروحِ والجسدِ»[١]، ورُويَ عن آدمَ عليه السلام أنّه قال: لمّا تابَ اللهُ عليهِ: «اللهمَّ بحقِ محمدٍ اغفرْ لي خطيئتي وتقبّل توبتي، قال اللهُ تعالى يا آدمُ ومنْ أينَ عرفتَ محمداً ﷺ؟ قال: رأيتُ في كلِّ موضعٍ من الجنةِ مكتوباً لا اله إلا الله محمدٌ رسول الله، وفي روايةٍ عبدي ورسولي فعَلِمْتُ أنّه أكرمُ الخلقِ عليك»[٢]، وروى وهبٌ رحمه الله قال: لمّا خلقَ اللهُ تعالى حوى نظرَ إليها آدمُ وقد رُكِبَتْ فيه الشهوةُ، فقال آدمُ عليه السلام: أي ربِّ ما هذه؟ فقال حوى، فقال أي ربِّ زوجني إياها، قال هَاتِ مَهْرَها، قال أي ربِّ وما مهرُها؟ قال أنْ تصلي على صاحبِ هذا الاسمِ عشرَ مرّاتٍ[٣]. شعرٌ:

نبيٌّ له في مرسلاتِ الرِضا نسبٌ ... ولكنّه سيفٌ عن الحق ما نَبا
أبى القلبُ إلا حبَّ أشرف مرسلٍ ... وأزكى الوَرى أمّاً وأشرفهم أباً
نبيٌّ نبيةٌ كنز فضلٍ، ولم يزلْ ... بتوشيحِ ترشيحِ العلوم مهذّبَا
وأظهر في التعجيزِ سحرَ بلاغةٍ ... وبالنّصر يومَ الفتح أحزابُهم سَبَا
هو المصطفى المبعوثُ للناسِ رحمةً ... عليه سلامُ الله ما هبت الصِبا
حليمٌ، عظيمُ الخُلقِ والخَلقِ والحِجَا ... بشيرٌ نذيرٌ صادقُ القولِ، مُجتَبى
بمولده قد شُرِّفَتْ مكةٌ، كما ... بتربيته قد شَرّفَ اللهُ يثربَا
تَبَاشَرَتِ الأكوانُ يوم ولادِهِ ... وحفَّتْ به الأملاكُ شرقاً ومغربا

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه [٦/ ٧، رقم: ٣٦٠٩ باب فضل النبي ﷺ]، وقال: (هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ من حديث أبي هريرة لا نعرفه إلا من هذا الوجه). وانظر: المقاصد الحسنة للسخاوي [١/ ١٧٤].

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين،[٢/ ٧٢٢/ رقم ٤٢٨٧ كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين].

(٣) انظر بستان الواعظين [١/ ٣٠٧ رقم ٤٧٨].

وَفَاخرت الأرضُ السَّمَاء بأحمدٍ فأهلاً وسهلاً بالحبيبِ ومرحبا

قال كعبُ الأحبارِ: لما أراد الله تعالى أن يخلقَ نبيناً محمداً ﷺ أمرَ جبريلَ ﷺ أن يأتيهِ بالقبضةِ البيضاءِ التي هي موضعُ قبره ﷺ، فجاءَ بها جبريل ﷺ فغمستْ في أنهارِ الجنةِ وطيفَ بها في السموات والأرض، فعرَفَت المَلائِكَة محمداً ﷺ وفضلَه قبل أنْ تعرِفَ آدمَ ونسلَه[1] ثم إنَّ الله تبارك وتعالى ادَّخر نورَ نبينا محمد ﷺ في سِرِّ عظمتهِ، وكتبَ اسمه على عرشه فلمَّا خلقَ الله تعالى آدمَ ﷺ أودعَ ذلك النورَ في صلبه فسمع في ظهرهِ نشيناً كنشيشِ الطيرِ، فقال: يا ربُّ ما هذا النشيشُ، قال: هذا تسبيحُ خاتمِ الأنبياء الذي أُخرِجُه من ظهرِكَ يا آدم وأودعُهُ في الأصلابِ الطاهرةِ والأحشاءِ الزاهرة[2]، فنظرَ آدمُ ﷺ إلى العرشِ فرأى اسمَ محمدٍ ﷺ مُقترناً باسم الله ﷻ، فقال: يارِبِ، من هذا الذي قرنتَ اسمه باسمك؟ قالَ: هذا سَيِّدُ الأنبياء من ولَدِكَ، وهو الذي لولاهُ ما خلَقتُكَ يا آدم، فلما أصابَ ما أصابَ بوسوسة الشيطانِ الرجيم المارد، قال: يا رب، بحُرمَةِ هذا الولدِ، ارحمْ هذا الوالدَ، فنوديَ: هناك وعزَّتِنَا يا آدمُ لو تشفعت إلينا بمحمدٍ ﷺ في أهل السموات والأرض لشفَّعْنَاكَ، فأهبطه الله ﷻ إلى الأرض واصطفاهُ وتابَ عليه، وغفرَ له، واجتباهُ وما زال نور نبينا محمدٍ ﷺ في ظهرِ آدم ﷺ يتقوّى حتى حَمَلتْ حوى عَلَيْهَا السَّلام بشيثٍ ﷺ، فانتقل ذلك النُّورُ من آدمَ إلى حوى عَليها السَّلام، وكانت تلدُ قبله في كلِّ بطنٍ توءمين انثى وذكر، إلا في شيثٍ ﷺ فإنها ولدتهُ وحدهُ كرامةً لسَيِّد الثقلين محمد ﷺ[3]، فلما أهبط آدمُ ﷺ إلى

---

(١) انظر: السيرة الحلبية [١/ ٢٢٩]، وسبيل الهدى والرشاد [١/ ٦٨].
(٢) انظر: المدخل لعبد القادر بن بدران الدمشقي [٢/ ٣١].
(٣) انظر: سبيل الهدى والرشاد [١/ ٦٩].

الأرضِ أخذ بيد شيثٍ، فانطلق به إلى مَرجِ الرَّضى، وقال: يا بنيَّ إنَّ الله تعالى أمرني، أنْ آخذ عليك عهداً من أجل هذا النور الذي في وجهكَ أن لا تضعه إلا في الأطهَرِينَ من النساء[1]،ثم إنَّ آدمَ ﷺ رفعَ رأسه إلى السَّماء، وقال: اللهمَّ خالقُ العرش منيرُ الشمس، خلقتني لمَّا سبقَ في علمكَ، وبرَّأتني بالنور الذي أرى منه الإكرامَ، والتشريف وقد صارَ ذلك لولدِي شيثٍ، اللهمَّ كن له حافظاً، وعليه شاهدا فما فرغ آدم من دعائه، حتى نزل عليه جبريلُ في كُبْكُبَةٍ من المَلائِكَة، فقال: يا آدم، ربُّك يقرئك السلامَ، ويأمركَ أنْ تكتب على شيثٍ كتابَ العهد بشهادة هؤلاءِ المَلائِكَة، فإنَّهم عُبَّادُ مَلائِكَةِ السموات، قال: فكتب آدمُ ﷺ كتاباً وأشهد عليه ربُّ العزة تبارك وتعالى وجبريلُ ومن حضر من المَلائِكَة، وكُسِيَ شيثٌ في ذلك المقامِ حُلَّتَينِ خضراوتينِ من حُلَلِ الجنةِ، وزوَّجه اللهُ تعالى بمُحْوَايَلَةَ البيضاءِ، وكانت في طولِ حوى وجمالها، وذوائبها، فواقعها شيثٌ فحمَلت منه بأنوشَ، فكانت تسمع نداءَ الأصواتِ هنيئاً لك يا بيضاءُ، قد استودعكِ الله نورَ محمدٍ المصطفى ﷺ. شعرٌ:

يا سَيِّداً قد حَوَى عزّاً وإقبالاً ... بوصفِهِ يَبلُغُ المشتاقُ آمالاً
إن كُنتَ تَعشَقُهُ مُتْ في مَحبتِهِ ... مُوَلَّهَ القلبِ مشتاقاً وإلَّا لا
الشوقُ تَعشَقُهُ طَراً وتَقصِدُهُ ... شوقاً وتطلُبُ مِنْ نَعمَاهُ إفضَالاً
أما تَرَاها إذا لَاحَتْ قِبَابُ قِبَا ... تُخِبُّ عنها حُدَاةُ العِيسِ أثقالاً
مُشتاقَةٌ عَشِقَتْ من لا نَظِيرَ لهُ ... يُقَطِّعُ الشوقُ منها فيه أوصالاً
إن جِئتَ بَانَ النَّقَا، أو جِئتَ مَربَعَهُ ... أنِخْ يا حَادِيَ الأضعَانِ إجمالاً
ضَاعَ الزَّمَانُ ولم انظُر مَنَازِلَهُ ... ومَا رأيتُ بِذَاكَ الشِّعبِ أطلالاً

---

(١) انظر الهيثمي في مجمع الزوائد [٨/ ٣٩٦] ونصب الراية، للزيلعي [٣/ ٢١٣] وقد تقدم الحديث عنه.

ذنبي يُقيِّدُني والصَّدُّ يُبعِدُني ... وقَدْ حَمَلتُ من الأوزار أحمالا؟

رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ الله اختارَ خلقهُ، فاختارَ منهم بَني آدَمَ، ثُمَّ اختار منهم العَرَبَ، ثُمَّ اختار العرب، فاختار منهم بني هاشمٍ، ثم اختار بني هاشم فاختارني منهم، ولم أزلْ خياراً من خيارٍ ألا مَنْ أَحَبَّ العَرَبَ، فبحُبِّي أحبَّهُم، ومن أبغضَ العرب فببُغْضِي أبغَضَهُم، فالعربُ خيرُ الناسِ وخيرُهُم مُحَمَّدٌ ﷺ فهو فيهم خيرُ خَيرِهِم»[1] شعرٌ:

العربُ خيرُ خِيَارِ الخَلقِ خَيرُهُمُ ... مُحَمَّدٌ فَهُو فِيهم خَيرُ خَيْرِهِمِ

إنْ تَقرَأ النَّحلَ يَنحَلْ جِسمُ حَاسِدِهِم ... وفي بَراءَةَ يَبدُو وَجهُ جَاهِهِمِ

وعن عليِّ بن الحُسين عن أبيه عن جده ﷺ قال: (قال رسول الله ﷺ: «كنتُ نوراً بين يديِ الله تعالى قبلَ أنْ يَخلُقَ آدمَ بأربعةَ عشرَ ألفِ عامٍ فلما خلق الله تعالى آدم ﷺ، أودع ذلك النور في صلبه»)[2]، ولم يزلْ ينقلهُ ﷺ من صُلبٍ إلى صُلبٍ إلى أن وصل إلى أبيه عبدِ الله بن عبد المطلبِ، فهو عليه الصلاة والسلام مُحَمَّدٌ بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشمٍ بن عبد منافٍ بن قصيٍّ بنُ كلاب ابنَ مرة بن كعبٍ بن لؤي بنُ غالبٍ بن فِهر بن مالك بن النَّضر بن كِنَانة بن خُزيمة بن مُدركة ابن إلياس بنُ مضرٍ بن نزار بن معد بن عدنان، ﷺ وكرَّم وعظَّم. شعر:

يا مَبْدأً حازَ السِّيادَةَ والعُلى ... والجُودَ والإحسَانَ والتَّكريما

حُرِسَتْ بمولِدِكَ السَّمَاءُ فَلَم تَدَع ... فيها مَلَائِكةُ السَّماء رجيما

(١) انظر: المواهب اللدنية للقسطلاني [١/ ٨٩]. وفي معنى هذا الحديث ما أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، [رقم: ٣٦٨٥]. وسبل الهدى والرشاد [١/ ٢٦٩] وكنز العمال [١٢/ ٢٢ رقم: ٣٣٩٢٧].

(٢) تقدم تخريجه انظرالمطالب العالية [١٧/ ١٩٥رقم: ٤٢٠٩].

وَوُلِدتَ مكحولَ العُيُونِ مطهراً ... ورُبِيتَ في مَهدِ الوَقَارِ يَتِيما
ورَضِعتَ من ثَدي الحَلِيمَةِ مُدَّةً ... فَسُمِيتَ من حبنِ الرَّضاعِ حَلِيما
أنتَ الَّذي مَنْ زَارَهُ زَالَ العَنَا ... عَنهُ وأدركَ جَنَّةً ونَعِيمَا
أنت الذي تُعطَي الشَّفاعَةَ في غدٍ ... في عَبدِ سُوءٍ يَستَحِقُّ جَحِيمَا
أنت الذي صَلَّى عَلَيهِ رَبُّهُ ... فَضلاً وقَالَ لخَلقِهِ تَعلِيما:
هذا النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ خيرُ الورى ... صلُّوا عليه وسَلِّموا تَسلِيما

لا خلافَ بينَ العلماء أنَّه ﷺ وُلِدَ بمكةَ في أيام كسرى أنوشروانَ العادِلِ وإنما اختلفوا في زَمَنِ ولادته على أقوالٍ[١]:

أحدهما: أنَّه ولد لاثنتي عشرةَ ليلةٍ خلت من شَهْرِ ربيعٍ الأول، قاله بن عباس رضي الله عنه، والثاني: لثمانٍ خَلَيْنَ منه، قاله عكرمةُ، والثالث: لليلتين خَلَتَا منه، قاله عطاءٌ، والأول أرجح[٢].

وكانَ الله سبحانه وتعالى قد صانَ أباه عبد الله عن ارتكابِ الفاحشةِ؛ لأنه قبلَ مواقعَتِهِ آمِنَةَ، جرَت له قصةٌ مع الخثعميةِ زوجةِ أبي الفيَّاض الخثعمي، قال: مرَّ عبد الله بن عبد المطلب بامرأة من خثعمْ، يقالُ لها فاطمةُ بنت مُرّ وكانت من أجمل النساء وأشبهِنَّ وأعطَفِهِنَّ، قد قَرَأت الكُتُبَ، وكانت شُبَّانُ قريشٍ يجلسونَ إليها، ويتحدَّثون عندها، فرأتْ نورَ النبوة في وجهِ عبد الله، فقالت: يا فتى من أنتَ؟ فاخبرها، فقالت: هل لك أن تقع عليَّ؟ وأعطيكَ مِائَةً من الإبلِ فنظر إليها، ثم قال:

---

(١) انظر: الروض الأنف، للسهيلي [١/ ١٤٣]، عيون الأثر، لابن سيِّد الناس [١/ ٧٩]، السيرة النبوية، لابن كثير [١/ ١٩٩].

(٢) وهو قول ابن إسحاق، والسهيلي، وابن كثير، ونقل بعضهم فيه الإجماع. انظر: سبل الهدى والرشاد [١/ ٣٣٤].

أمّا الحَرامُ فالمَمَاتُ دُونَهُ والحِلُّ لا حِلَّ فأستَبِينَهُ
فكيفَ بالأمرِ الذي تَنوِينَهُ يَحمِي الكَرِيمُ عِرضَهُ ودِينَهُ

ثُمَّ مضى إلى زوجته آمِنَة فكان معها، فحَمَلت بالنبي ﷺ، ثم ذكرَ الخثعمية وجمالها، وما عرَضَتْ عليه، فأقبلَ إليها فلمْ يرَ من الإقبالِ عليها أخيراً، كما رأى منها أولاً، فقال لها: هل لك فيما قلتِ لي؟. فقالت: قد كان ذلك مني، فاليومَ لا، قد ثُبتُ، ثمّ قالت: أيُّ شيءٍ صنعت بعدي؟ فقالَ: وقعت على زوجتي آمِنَة، فقالت: واللهِ إني لستُ بصَاحِبة ريبةٍ، ولكنني رأيتُ نورَ النبوّةِ في وجهِكَ آنفاً فأردتُ أن يكون ذلك فيَّ، وأبى اللهُ إلا أنْ يجعله حيثُ جعلَهُ، فأخبر زوجتكَ بأنها قد حَمَلت بخير أهل الأرض[1]. ﷺ ثم انتقل النورُ من وجه عبد الله بن عبد المطلب إلى آمِنَة بنت وهب، فأصبحت بطحاءُ مكة تزهُو، والكعبةُ خرَّت ساجِدَةً لله ﷻ، وكذلك جبل أبي قُبَيسٍ يرقُصُ طَرَباً وعَجَباً، والأصنامُ تساقَطَت مِنْ أعلى المجَالِسِ. شعرٌ:

ما بين مُنعَرِجِ اللّوَى والوادي يا صاحبيَّ ضَحىً عَدِمتُ فُؤادي
ورَجَعتُ ذَاوَلَهٍ وكم من عَاشِقٍ ماشُورَ عِشقٍ نَالَهُ مِنْ نَادِي
يا أهلَ نَجدٍ فارحموا ذا لوعةٍ ما بين أطنابِ الخِيَامِ يُنادي
ولْهَانَ لا يُصغي لِعَذلِ عَوَاذِلٍ ظَمآنَ من ماءِ التَّوَاصُلِ صَادِي
ما هَبَّ لي مِنكُم نَسِيمُ مُخَبِرٍ بالوَصلِ فيه مَنَائِحُ الإسعَادِ
إلا سَعَيتُ مُبَادِراً لِلِقَائِكُم ومَنَعتُ عَينِي من لَذِيذِ رُقَادي
وإذا نَطَقتُ بذِكرِ غُزلانِ النَّقَا أو زَينَبٍ أو عَلوَةٍ وسُعَادِي

(١) هي فَاطِمَةُ بِنْتُ مُرّ الخَثْعَمِيَّةُ، مِنْ أَهْلِ تَبَالَة، وتَبَالَة بفتح التاء، موضع ببلاد اليمن. انظر: معجم البلدان [٢/ ٩]. وانظر تمام القصة في الروض الأنف [٢/ ١٤٢]، سبيل الهدى والرشاد [١/ ٣٩٢]، السيرة النبوية لابن هشام [١/ ١٥٦]، دلائل النبوة للبيهقي [١/ ١٠٢].

فلأنتُمُ قَصدي وغَايَةُ مَطلَبي ... ولأنتُم دُونَ الجَميعِ مُرَادي
لاشيءَ يُشبِهُكُم تَعَالَى ذِكرُكُم ... عن قَولِ ذِي زَيغٍ وذِي الحَادِ
ثُمَّ الصَّلاةُ على النَبيِّ مُحَمَّدٍ ... خَيرِ البَرِيَّةِ مُصطَفَاهُ الهَادِي

فلما تمَّ حمله وظهر فضله، شرَّف الله به بيتاً وحرماً وحطيماً، وقال ﷺ تبجيلاً له وتعظيماً: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾[1] [الفتح: ١ ـ ٢]. فإن سألت عن فرقِهِ[2]، فكان صُبْحَاً منيراً يَحكِي شَعرَهُ ليلاً بُهماً[3]، حَازَ جبيناً مُشرقاً وطَرْفاً أدعجاً[4] وثغراً بَسِيماً، وإنْ سألت عن أصله فكان كريماً، وإن سألتَ عن خلقِهِ فكان عظيماً، وإنْ سألتَ عن صدره فكان سليماً، وإنْ سألتَ عن كَتِفَيه فخُتِمَا بخاتَمِ النُبوَّةِ تختيماً، وإن سألت عن قلبه، فكان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، وإن سألت عن لسانه فكان للذكرِ مُديماً، وإن سألت عن قدَميهِ فكم قدِم بهما إلى طاعة الله تقديماً وإن سألت عن كَفيهِ، فكم بسط بهما جُوداً وأغاثَ مجهُوداً وأغنى عديماً، ﷺ وشرَّف وكرَّم وسلَّم تسليماً، ومن آياته البيِّناتِ ومعجزاته الباهراتِ شقُّ الحَجر[5]، وكلامُ الشَّجر[6]، وحَنينُ الجذعِ إليه، وسَلامُ الغَزالةِ

---

(١) انظر تفسير الجيلاني.
(٢) فرق الرأس: ما بين الجبين إلى الدائرة و المفرق وسط الرأس وهو الذي يفرق فيه الشعر وكذلك مفرق الطريق و فرق له عن الشيء بينه. لسان العرب [١٠/ ٣٠١ مادة: فرق].
(٣) البهيم: ما كان لوناً واحداً لا يخالطه غيره سواداً كان أو بياضاً ويقال لليالي الثلاث التي لا يطلع فيها القمر بهم وهي جمع بهمة. لسان العرب [١٢/ ٥٨ مادة: بهم].
(٤) الدعج والدعجة: السواد وقيل شدة السواد وقيل الدعج شدة سواد العين وشدة بياض بياضها وقيل شدة سوادها مع سعتها. لسان العرب [٢/ ٢٧١ مادة: دعج].
(٥) إشارة الى الصخرة التي اعترضت المسلمين في حفر الخندق فجاء النبي ﷺ وشقها بثلاث ضربات.
(٦) الحديث أخرجه البيهقي، عن جابر بن عبد الله، انظر دلائل النبوة [٦/ ٧ باب انقياد =

عليه[١] وكان إذا مشى لا يُرى ظلُّه ولا يُؤثِّر في الرمل نعلُهُ، ولانَ الصَّخرُ تحت قدَامِهِ، وأذعنَ الجَمَادُ لكلَامِهِ، ونُصِرَ بالرعبِ مسيرَةَ شَهْرٍ[٢] وقال: (أنا سَيِّدُ وَلَدِ آدمَ ولا فَخْر)[٣] لقد اختَارَهُ واصطفاهُ ربه وكان ﷺ تَنَامُ عَيناهُ ولا ينامُ قلبُهُ[٤]. صاحبُ اللِّوَاء المَعقُود[٥] والمَقامِ المَحمُود[٦] والحوضِ والشفاعةِ والسُّنَّةِ والجماعة والرُّسلُ تَحتَ لوائِهِ يوم القيامة. وكانَ ﷺ ينظر من وَرَائِه كما ينظر من أمامِهِ، أصدقُ الناسِ قولاً وعزماً وأعظمُهُم صفحاً وحلماً، كريمُ الشَّمائِلِ، مَليحُ الخَصَايل، جَلَى بنُورِ الهُدى ظُلَمَ الضَّلالَةِ، وهو المخصُوصُ بكلامِ الضَّبِ، وسَلَامِ الغَزَالةِ، رُفِعَ مَنَارُ الدِّين بعَوَامِلِ راياتِهِ، ونُصِبَ لواءُ الشَّرعِ

= الشجر لنبيِّنا محمَّد ﷺ وقد تقدم الحديث عنه.

(١) الحديث عن أم سلمة رضي الله عنها. أخرجه البيهقي في دلائل النبوة [٦/ ٣٥ باب ما جاء في كلام الظبية التي فجعت بخشفها وشهادتها لنبينا ﷺ بالرِّسالة]، وانظر: حدائق الأنوار لابن الديبع [١/ ٢٣٧]، الشفا بتعريف حقوق المصطفى [١/ ٢٠٧] وقد تقدم الحديث عنه.

(٢) الحديث متفق عليه، صحيح البخاري[١/ ١٢٦/ رقم ٣٣٥ كتاب التيمم، باب قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ عن جابر بن عبد الله، صحيح مسلم [٢٣٧/ رقم ٥٢٣ كتاب المساجد ومواضع الصلاة]، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) جزء من حديث طويل. انظر مسند الإمام أحمد [١/ ٢٨١ رقم ٢٥٤٦]، والمستدرك [٢/ ٦٦٠]، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة [٤/ ٣٦ ، والطبراني في المعجم الأوسط [٥/ ٢٠٢].

(٤) الحديث متفق عليه، عن أبي سَلَمَةَ بن عبد الرحمن أنَّهُ سَأَلَ عَايِشَةَ رضي الله عنها..... صحيح البخاري [١/ ٣٨٥ رقم ١٠٩٦] و صحيح مسلم [١/ ٥٠٩ رقم ٧٣٨].

(٥) الذي تحشر تحته جميع الرسل صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين.

(٦) المقام المحمود: هو الشفاعة العظمى في فصل القضاء انظر صحيح البخاري [٣/ ٢٥٢/ رقم ٤٧١٨ كتاب التفسير] وقد تقدم الحديث عنه.

على أعلام آياتِهِ، وكان يُسَبِّحُ الحَصَى في كفِّه المكرَّم[١]، ونَبَعَ الماءُ من بين أصَابِعِه فرَوَى الجَيْشَ العَرَمْرَم، ﷺ وشَرَّفَ وكَرَّمَ. شعرٌ:

إلى أينَ يا حَادِي أما هَذِهِ نَجْدُ ... أمَا هَذِهِ الأعلامُ مِنْ لَعْلَعٍ تَبْدُو

أما هَذِهِ دارُ الأحبَّة قد بَدَت ... أمَا ذلك الوَادِي أما ذَلِكَ الرَّنْدُ

فَقِفْ بِقُلُوصِي بين أعلامِ رَامَةٍ ... إلى أين يا حَادِي أعَنْ رامةٍ تعدُو؟!

أتعدُو حِمَاها وهي قِبلَةُ عِشقِنا ... ومَعشُوقُنا فيها فأين بنا تَغْدُو

فَقَدِّم مَطَايَانا هُنا القَصد كُلُّهُ ... على هذِهِ الأطلالُ يَأخُذُنا الوَجدُ

إذا ذُكِرَت طَابَ السَّمَاعُ بِذِكرِها ... وتَرقُصُ عن وجدٍ إذا ذُكِرَتْ نَجدُ

ونَأمُرُ حَادِينَا يُدِيمُ لنا الغِنَا ... فَفِيهَا غِنَي العُشَّاقِ والسُّولُ والقَصدُ

أسُكَّانَ نَجدٍ هَل وجَدتَّمَا هَوَاكُمُ ... تَذُوبُ لَهُ الأحشَاءُ والعَظمُ والجِلدُ؟

فَمَا هو إلا النَّارُ لكنَّ جَنَّةً ... تَراه فَزِيدُونَا إذا خَمَّرَ الوَقدُ

حَبَسنَا عَلَيكُم حُبَّنا ووِدَادَنَا ... صِلُونَا فما مِنكُم لعُشَّاقِكُم بُدُّ

إذا لم يَكُنْ في اليَومِ وصلٌ ففي غَدٍ ... عِدُونا بِهِ يَكفِي مُحِبَّكُم الوَعدُ

قالَ أهلُ الأخبار: في أول شَهرٍ من شُهُورِ آمِنَةَ أتَاهَا في المنام آدمُ، وأعلَمَها أنها قَد حَمَلت بخيرِ العَالَمِ، ثم أتَاهَا في الشَهرِ الثاني إدريسُ، وأعلَمَها أنها قد حَمَلت بصَاحِبِ القَدْرِ النَّفِيسِ، ثم أتَاهَا في الشَهرِ الثَالِثِ نُوحٌ وأعلَمَها أنها قد حَمَلت بصَاحِبِ النَّصرِ والفُتُوحِ، ثم أتَاهَا في الشَهرِ الرابع داوود وأعلَمَها أنها قد حَمَلت بصَاحِبِ اللِّوَاء المعقود، ثمَّ أتَاهَا في الشَهرِ الخامس سُلَيمانُ وأعلَمَها أنها قد حَمَلت بسَيِّد ولد عدنان، ثم أتَاهَا في الشَهرِ السادس موسى الكَلِيمُ وأعلَمَها أنها قد حَمَلت بصَاحِبِ المقَامِ العَظِيم،

---

(١) الحديث عن أبي ذر الغفاري. انظر مجمع الزوائد [٨/ ٥٢٨].

ثم أتاها في الشهر السابع إبراهيم وأعلَمَها أنها قد حَمَلت بصَاحِبِ الفَضَائِل والتَّكرِيمِ، ثم أتاها في الشهر الثامن إسماعيل وأعلَمَها أنها قد حَمَلت بصَاحِبِ القَدْرِ الجَلِيلِ، ثم أتاها في الشهر التاسع عيسى المسيحُ وأعلَمَها أنها قد حَمَلت بصَاحِبِ الوَجهِ المَلِيحِ والدِّينِ الصَّحِيحِ والقَدْرِ الرَّجِيحِ، ﷺ[١].

رُوِيَ عن آمِنَة أنها قالت لما حَمَلت برَسُولِ اللهِ ﷺ: كنتُ لا أشتَكِي وَجَعاً ولا ألماً ولم يحصل لي من القَلَقِ ما يَحصُل للحَبَالى، فلمّا بَلَغَ حَمَلي رأيتُ في المنام كأنّي في مرج أخضرٍ وفوقَ رَأسي شَجرةٌ عَظِيمَةٌ عُرُوقُها في الأرضِ وأغصَانُها في السَّمَاء ما رأى أحدٌ مِثلَهَا فبينَمَا أنا أنظُرُ إليها، إذ سَقَط منها ثَمَرةٌ فالتَقطتُها والقَيتُها في فَمِي فوجَدتُ لها رائحَةً كالمِسكِ، وبَياضاً كالثَّلجِ، فلمّا ابتَلَعتُها خَرَجَ من فَمِي نورٌ مَلأ ما بَين السَّمَاء والأرض، وسَمِعتُ قائلاً يقُولُ: يا آمِنَة ابشِري، فقَد قَرُبَت ولادَةُ سَيِّد الأولين والآخرين، فإذا وضَعتِهِ فَسَمِّيهِ محمداً ﷺ[٢]، فَفِي أول ليلةٍ من شَهرِ ربيعِ الأولِ حَصَلَ لأمّهِ آمِنَة السُّرورُ والهنا، وفي الليلة الثانية بُشِّرت بنَيلِ الأماني والمُنَا، وفي الليلة الثالثةِ سَمِعَت تَسبِيحَ المَلائِكَة مُعلَنا، وفي الليلة الرَّابعة بَدَا سَعدُهَا والغِنَى، وفي الليلة الخامِسَةِ دَامَ لها السُّرورُ والفَرَحُ ولا فَتَر ولا وَنَى، وفي الليلةِ السادسةِ زَالَ عنها التَّعب والنَّصبُ والعَنَا، وفي الليلة السابعة رأت في منامها الخليلَ، فقال لها: ابشِرِي بهذا النَّبِيِّ الجَلِيل صاحب النُّور والسَّنا، وفي الليلة الثامنَة أشرق عَليها النُّورُ وعمَّ ذلك الغِنَا، وفي الليلة التاسعة ضَجَّت المَلائِكَةُ لخالقها بالحَمدِ والثَّنا، وفي الليلة العاشرة طَافَتِ المَلائِكَة ببَيتِ آمِنَة لما قَرُبَ وضعُها ودَنَا، وفي الليلة الحاديةِ عشرَ تَرَنَّمت الأطيارُ فرحاً بمولد النَّبِيِّ

(١) انظر السيرة الحلبية [١/ ١٠٣].

(٢) انظر هذه الرواية في: سمط النجوم العوالي، للعصامي [١/ ١٢٤].

المختار صَاحِب الأسمَاء والكُنَى، ولما كانت ليلة الوِلادَة لمَنْ لهُ في الدَّارين العزُّ والسِّيادةُ، نُصِبَ عَلَمٌ من نُورٍ بأعلى الكَعبة، وحَلَّ بإبليسَ اللَّعين كُلُّ ويلٍ وكربةٍ، وخرَّتِ الأصنامُ على رُؤوسِهَا وأيقَنَت شَيَاطِينُها بخزيها وبُؤسِهَا، وخَمِدَت نِيرَانُ الفُرسِ وكان لها ألفُ سنةٍ لم تخمد، وانشَقَّ إيوانُ كسرى من هيبَةِ مَولِدِ أحمد، وغَاضَت بُحيرَةُ سَاوَةَ وفَاضَ وادي سَمَاوةَ، ودَنَت من بيت آمِنَةَ النُّجُومُ واطَّلع على ضَعفِهَا الحيُّ القيُّوم. شعرٌ:

إنَّ بَيـتـاً أنـتَ سَـاكِـنُـهُ	لـيسَ مُحـتَـاجـاً إلى السُّـرُجِ
ومَـريـضـاً أنـتَ عَـائِـدُهُ	قَـد أتـاهُ اللهُ بـالـفَـرَجِ
وجهُـكَ الـوَضَّـاح حُـجَّـتُـنـا	يَـومَ يـأتِـي النَّـاسُ بـالـحُـجَجِ
يـا كَـريـمـاً جُـودُ رَاحَـتِـهِ	فَـاقَ فَـيضَ الـبَحـرِ والـلُّـجَجِ
سَـعِـدَتْ عَـيـنٌ لـهَـا حَـصَـلَـتْ	نَـظـرةٌ فـي وَجـهِـكَ الـبَـهِـجِ

فلما اشتدَّ بآمِنَةَ الطلق بَسَطَت شكواها لعالمِ سِرِّها ونجواها، وقالت: ليت عندي أحداً من بناتِ عبد مناف قالت: فما استتمت الكلام إلا وامتلأ البيتُ عليّ نسوةً طوالاً حساناً سودَ الشُّعُورِ، حُمرَ الخُدُود، وهن يقلْنَ لي: يا آمِنَةُ لا بأسَ عليكِ نحن الحور العين، أرسلنا الله إليك لنَتَبرَّكَ بهذا المولود الذي تلدينَهُ في هذه الليلةِ، قالت آمِنَة: ثم دخلَ عليّ طائرٌ عظيمٌ فصار شاباً أغيدَ في يده قدحٌ مملوءٌ شراباً أبيضَ من اللَّبن وأحلى من العسل، وأطيَبَ رائحةً من المِسكِ، فَنَاولني إيَّاه وقال: اشرَبي فشَربتُ، ثمَّ قال: ارتَوي فارتَويتُ، ثم قال: ازدادي فَازدَدتُ، ثم أخرجَ يَدَهُ المُبارَكَة ومرَّ بها على ظَهري، وقال: بِسم الله اظهَر يا نَبيَّ الله، فَوَضَعتُ النبيَّ المُكرَّمَ ﷺ ومَجَّد وعَظَّم وشَرَّف وكَرَّم[1]. شعرٌ:

---

(١) انظر: سمط النجوم العوالي، للعصامي [١/ ١٢٤] والسيرة الحلبية [١/ ١٠٣].

وُلِدَ الحَبِيبُ وخَدُّهُ مُتَوَرِّدُ والنُّور من وَجَنَاتِهِ يَتَوَقَّدُ
وُلِدَ الَّذي لولاهُ ما ذُكِرَ التُّقَى كَلَّا ولا كَانَ المُحَصَّبُ يُقصَدُ
جبريلُ نَادَى في مَنَصَّةِ حُسنِهِ هَذا مَليحُ الكَون هَذا أحمَدُ
هَذَا الَّذي خُلِعَت عَلَيهِ مَلابِسٌ وَنَفَائِسٌ لَنَظِيرُهُ لا يُوجَدُ
هَذَا الَّذي نَبَعَ الزُّلالُ بِكَفِّهِ والجِنُّ قَد جَاءَت لَهُ تَتَوَدَّدُ
هَذَا الَّذي جَاءَت إلَيهِ دَوحَةٌ والضَّبُّ حَقّاً قَالَ: أنتَ مُحَمَّدُ
هَذَا إمَامُ المُرسَلِينَ حَقِيقَةً مَا شَكَّ في هَذَا الحَدِيثِ مُوَحِّدُ
هَذَا البَعيرُ أتَى إليهِ مُسلِماً والظَّبيُ جَاءَ لنَحوِهِ يَستَنجِدُ
لَم يَأتِ في أولادِ آدَمَ مِثلُهُ فِيمَن مَضَى هَذَا حَدِيثٌ مُفرَدُ
قَالَت مَلائِكَةُ السَّمَاءِ بأسرِهِم: وُلِدَ الحَبِيبُ ومِثلُهُ لا يُولَدُ

ثُمَّ لمَّا نظرتْ إليه آمِنَةُ دُهِشَت في جَمَالِهِ وابتَهجَت بِرَونَقِ كَمالِهِ، وهو في حُلَلِ البَهاءِ والوَقَارَ مَلفُوفٌ، والمَلائِكَة من حَولِهِ صُفُوفٌ صُفُوفٌ، وسَمِعت قائلاً يَقولُ: طُوفُوا بمُحَمدٍ جَميعَ الأقطارِ، واعرِضُوهُ على أهلِ السَّمَواتِ والأرضينَ والبِحَارِ، فَغُيِّبَ عنها سَيِّد الكونَين، ثُم رُدَّ إليها في أسرَعِ مِن طَرفَةِ عَينٍ، فأرسَلَت إلى جَدِّهِ عَبد المُطلبِ فَجَاءَ إليهَا وسَألها عن حَالِهَا ومَا لَديهَا، فَأخبَرتهُ بأسرِ الأخبَارِ، وما شَاهَدتهُ مِن مُعجِزاتِ صَاحِبِ الأنوَارِ، فأخَذَهُ عبدُ المُطَّلِبِ فنَظَر إليه، فَتَبَسَّمَ النَّبيُّ ﷺ في وَجهِ جَدِّهِ وأقبَلَ عَليه وأنشَدَ قائلاً:

الحَمدُ للهِ الَّذِي أعطَانِي هَذَا الغُلامَ الطَّيِّبَ الأردَانِي
قَد سَادَ في المَهدِ عَلى الغُلمَانِ أُعِيذُهُ بالبَيتِ ذِي الأركَانِ
مِن حَاسِدٍ مُضطَرِبِ العَيَانِ حَتَّى أرَاهُ شَامِخَ البُنيَانِ

أنتَ الَّذي سُمِّيتَ في القُرآنِ أحمَدَ مكتوباً على الجِنانِ. طَابَتِ القُلُوبُ. غُفِرَت الذُّنُوبُ. سُتِرَت العُيُوبُ. كُشِفَت الكُرُوبُ. بِلِقَاءِ المَحبُوبِ. طَابَتِ

الأرْوَاحُ. عَاشَت الأشْبَاحُ. زَالَتِ الأترَاحُ. تَوَالَتِ الأفرَاحُ. أشرَقَتِ البِطَاحُ بأنوَارِ سَيِّدِ المِلَاحِ. شعر:

أنوَارُها كالشَّمسِ لمَّا أن بَدَتْ ... وبأحمَدَ الهَادِي البَشِيرِ تَأيَّدتْ

عَلِمَت يَقِيناً أنها قد أسعِدَت ... زَادَت مَحَاسِنُها جَمَالاً فَاعتَدَتْ

تَزهُو على الحُورِ الحِسَانِ بِلا حُلِي ... في الخَلقِ طُرّاً مَالَهُ مِن مُشبِه

سَادَ الأنَامَ عِنَايةً مِن رَبِّهِ ... حَمَلَت بمن تَحيَ القُلُوبُ بحُبِّهِ

حَملاً خَفِيفاً لَم تَجِدْ ألَماً بِهِ ... والوَضعُ فِيهِ لَطَافَةٌ لم تَثقُلِ

نَالَتْ بِهِ فَرَحاً وعَيشاً رَاضِياً ... وحَوَت بِهِ شَرَفاً ومَجداً عَالِيا

وسُرُورُ قَلبٍ لَم يَزَل مُتَوَالِيا ... وغَدَى الوجُودُ بنُورِه مُتَلَالِيا

بِقُدُومِ أحمَد في رَبِيعِ الأوَّلِ. فَلمَّا عَرَضُوا النَّبي ﷺ على المَرَاضِعِ اعرَضُوا عَنهُ إلّا مَن اختَارَهَا اللهُ لِرِضَاعِهِ، ووفَّقَها تَنشُرَ لواءَ السَّعادَةِ لحَلِيمَةَ السَّعدِيَّة، فَفَازَت بالقَصدِ والأمنِيَّة، لأنها حَازَتْ قَصَباتِ الرِّهانِ وأخَذَت سَبقَهَا. جُعِلَ الحِلمُ في حَلِيمَةَ، واللهُ رزقها، ولما حَمَلته على أتانِها، وقَصَدت بِهِ الرَّحِيلَ إلى أوطَانِها والجَمَال طَوَّقَهَا، كَانَت إذا مَرَّت بِهِ على وَادٍ تَسمَعُ الأحجَارَ تَنطِقُ بسَلَامِهَا عَليه، والأشجَارُ تَحنُّ بأغصَانِها إليه، والحَسَدَةُ قَد أبدَت غَيظَها وحَنَقَهَا، ولماَ وَصَلت إلى المَنَازِلِ، وقَد حَصَلَ الشَّرَفُ للنَّازِلِ رَأت الأرضَ قَد لَبِسَت جَدِيدَها، وخَلَعَت خَلِقَهَا، وسَمِعَت قَائِلاً يَقُولُ: بُشرَاكِ يا حَلِيمة بمَولُودٍ سَادَ قَبَائِلَ العَرَبِ وفِرَقَهَا، ولم تَزَل في بَرَكَاتِهِ ﷺ والخَيرُ قد عمّها وغَرَّقَهَا، فَلَمَّا فَصَلَتهُ رَدَّتهُ إلى أبِيهِ رغبَةٌ قَد أرّقَهَا، صلى الله عليه وعلى آله وأصحَابِهِ الَّذينَ تَأدَّبُوا بآدابِهِ صَلَاةً تُنجِي مَن حَبَّرَهَا ونَمَّقَهَا، ما غَرَّدَتِ الوُرقُ في الأسحَارِ على أفنَانِ الأشجَارِ وسَبَّحَت للَّذي خَلَقَهَا. شعرٌ:

طَلعَةٌ كالشَّمسِ ما أشرَقَهَا ... ومَعَانٍ جَلَّ مَن دَقَّقَهَا

أَلِفُ القَامةِ ما أقومَهَا لامُ ذاكَ الصدغِ مَنْ عَلقَهَا
مقلةٌ كالصَّادِ في تلويزِهِا أحسنَ الصنعةَ مَنْ حَقَقَهَا
صِفْ معاني حُسنِهَا يا واصِفاً ثم قلْ: يا قومِ ما أليَقَهَا
أنا راضٍ بالهوى يقتلني قطَّع الأكبادَ أو مزَّقَهَا
فلئن غيَّبني وجدي به فبهذا السكرِ تفني الفُقها

شعرٌ آخر:

تولى إذا مدحتُهُ يزدادُ مدحِي شرَفَاً
وإن وَصَفتُ حُسنَهُ فاقَ على مَنْ وُصِفَا
وإن تغيبتُ بُعدَهُ ذابَ فؤادي أسفَا
هوَ الذي مِن قبلِ خَلْ قِ الخلقِ قد تشرَّفَا
هوَ الذي قد شُرِّفَ بِهِ الحَطيمُ والصَّفَا
صلى عليه اللهُ مَا لاحَ هلالٌ واختفَا
وآلِهِ وصَحبِهِ أهلِ السَّماحِ والوَفَا

فَهُوَ خُلاصةُ الكونينِ وسيِّدُ الثَّقلينِ، وإمامُ الحَرَمَينِ وصَاحِبُ الهِجرَتَينِ، والسَّجدَةِ والخُطبَتَينِ والجُمعَةِ والعيدينِ والحجِّ والعُمرتَينِ والصَّفَا والمَروتَينِ ومِنًى والمَشعَرَينِ والكَعبَةِ والقِبلَتَينِ، ومُزدَلِفَةَ والعَلَمَينِ والمَقَامِ والرُّكنَينِ والقَضيبِ والبُردَتَينِ والتَّاجِ والذُّوابَتَينِ[1] والمِنبَرِ والرَّوضَتَينِ والحَوضِ والشَّفَاعَتَينِ، ﷺ ما سَارَ بَرقٌ بالأبرَقَينِ[2].

---

(١) الذوابتين: أي الضفيرتين من الشعر.

(٢) والأبرقان: إذا ثنّيا فالمراد به غالباً أبرقا حجر اليمامةِ وهو منزل بين هكذا في النسخ والصوابُ بعدَ رُميلةِ اللوى بطريقِ البَصْرَةِ للقاصِدِ إلى مَكَّةَ زيدَتْ شرفاً ومنها إلى فلجة. انظر تاج العروس [٢٥/ ٤٥ مادة: برق].

والحمدُ للهِ رَبِّ العَالمينَ، اللَّهُمَّ بحَقِّ مُحمدٍ عَبدِكَ ونَبِيِّكَ ورَسُولِكَ وخَيرَتِكَ مِنْ خَلقِكَ ﷺ اغفر لنا أجمَعينَ وللحَاضِرينَ من إخواننا والغائبين ولوالِدِينَا ولمَشَايخِنَا ولجَميعِ المُسلمينَ واختمْ لَنَا مِنكَ بخيرٍ في عَافيَةٍ بلا مِحنَةٍ يا أرحَمَ الرَّاحِمينَ وصلى الله على سَيِّدنَا مُحمدٍ سَيِّد المُرسَلينَ وإمَامِ المُتَّقِينَ وعلى آلِهِ الطَّيبِينَ الطَّاهِرِينَ وصَحبِهِ النُّجُومِ الزَّاهِرَة، تَبصِرَةً للمُهتَدِينَ، وعَلَى التَّابِعِينَ لهُم بإحسَانٍ إلى يَومِ الدِّينِ. اللَّهمَّ وَأوصِل ثَوَابَ هَذَا المَولِدِ المُبَارَكِ إلى مَن قُرِئَ بسَبَبِهِ، وأنِلهُ الغَايَةَ والنِّهايَةَ مِن أربِهِ، مولانَا رَبَّ العَالمينَ.

يا صَاحِبَ المَولِدِ المَيمُونِ نِلتَ بِهِ ... بإذنِ رَبِّكَ ما تَهوى وتأمُلُهُ
قَرَّ عَيناً بِهِ، واقرَأهُ مُنبَسِطاً ... تَفُز فَوزَ مَن مَولاهُ يَقبَلُهُ
واسرَح بِرَوضَاتِهِ واشرَح فُؤادَكَ في ... فَيَّاحِ سَاحَاتِ مَن لازَالَ يَنهلُهُ
وَصِح بِهِ طَرَباً واطرَب بِهِ عَجَباً ... تَنَلْ بِهِ أرَباً مَن جَاءَ يَسألُهُ
واذكُر لِعَبدٍ قَد أتَاكَ ما ... يَسُرُّ قَلبَكَ في الأخرَى ويَنقُلُهُ

إلى هنا انتهى هذا المولدُ

العقد الجوهر في مولد صاحب الحوض الكوثر

واغفر للجميع بحق طه ما حمام فوق اغصان الربيع
عليه الله صلى ما تغنى حمام فوق اغصان الربيع
وآل ثم اصحاب وحزب اهيل الفضل والعز المنيع
متى ذا الهنا في كل عصر بمولده المكرم في ربيع
وبها قيل من طرب وصح صلاة الله مولانا البديع
الى هنا انتهى مولد المرتضى [illegible] مولد البرزنجي

هذا مولد العالم العلامة البحر الحبر [illegible]
جعفر البرزنجي [illegible] تعالى به امين

بسم الله الرحمن الرحيم
ابتداء الاملاء باسم الذات العلية مستدرا فيض
البركات على ما اناله واولاه واثني بحمد موارده
سائغة هنية ممتطيا من الشكر الجميل مطاياه
واصلي واسلم على النور الموصوف بالتقدم والاولية
المتنقل في الغرر الكريمة والجباه واستمنح الله
تعالى رضوانا يخص العترة الطاهرة النبوية
ويعم الصحابة والاتباع ومن والاه واستجديه هداية
لسلوك السبل الواضحة الجلية وحفظا من الغواية
في خطط الخطا وخطاه وانشر من قصة المولد
النبوي بروداً حساناً عبقرية ناظما من النسب

العقد الجوهر في مولد صاحب الحوض الكوثر، هذا مولد العالم العلّامة
البحر الحبر الفهّامة الشيخ جعفر البرزنجي

العقد الجوهر في مولد صاحب الحوض الكوثر،
هذا مولد العالم العلّامة البحر الحبر الفهّامة
الشيخ جعفر البرزنجي نفعنا الله تعالى به
آمين

اسمه ولقبه ونسبه: هو جعفر بن حسن بن عبد الكريم البرزنجي الحسيني المدني الشافعي، سليل البيت النبوي المبارك.

مولده ونشأته: ولد في المدينة المنورة، وتربى في أسرة تشتهر بالعلم والفضل، فنشأ نشأة صالحة، وتلقى علومه ومعارفه بالمدينة.

علمه: أتقن فنوناً شتى من العلم، وبرع في الخطب والترسُّل، ثم صار إماماً وخطيباً ومدرساً في المسجد النبوي الشريف، ومفتي المذهب الشافعي في المدينة المنورة مدينة العلم والعلماء في زمنه.

مصنَّفاته: صنَّف مجموعة من المؤلفات المطبوعة؛ منها:

(جالية الكرب بأصحاب سيد العجم والعرب)، و(الجنى الداني في مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني)، و(قصة المولد النبوي)، و(قصة المعراج)، و(رسالة في أسماء البدريين والأحديين)، وغيرها.

وفاته: توفي ﷺ سنة [١١٧٧هـ] في المدينة المنورة، ودفن في البقيع.

من مصادر ترجمته:

ـ سلك الدرر للمرادي [٢/ ٩].

ـ الأعلام للزركلي [٢/ ١٢٢].

بسم الله الرحمن الرحيم

أبتدئُ الإملاءَ باسم الذّاتِ العليّة؛ مستدرّاً فيضَ البركاتِ على ما أناله وأولاهُ، وأُثنّي بحمدٍ موارده سائغةً هنيّةً، مُمْتَطِياً من الشُّكرِ الجميلِ مطايَاه، وأُصلّي وأسلّمُ على النُّور الموصوفِ بالتقدّم والأوليّة، المنتقلِ في الغُرَرِ الكريمة والجِباه، وأستمنحُ الله تعالى رضواناً يخصُّ العِتْرَةَ[١] الطّاهرةَ النبويّةَ، ويعمُّ الصحابةَ والأتباعَ، ومن وَالاه وأستجديه هدايةً لسلوكِ السُّبلِ الواضحة الجليّة، وحِفظاً من الغِواية في خِطَطِ الخطأ وخُطَاه، وأَنْشُر من قصة المولد النبويّ بُروداً حساناً عبقريّةً[٢]، ناظماً من النَّسبِ الشّريف عِقْداً تُحلّى المسامعُ بِحُلاه، وأستعينُ بحول الله وقوّته القويّة، فإنّه لا حولَ ولا قوّةَ إلّا بالله.

عطّر اللهم قبره الكريم بعَرْفٍ شذيٍّ من صلاةٍ وتسليم.

فأقول: هو ﷺ محمّدٌ بن عبدِ الله بن عبد المطّلب، واسمهُ شَيْبَةُ الحمدِ، بن هاشمٍ واسمه عمروٌ، بن عبد مَنَاف واسمه المغيرة، بن قُصَيّ واسمه مجمِّع، سُمّي بقُصَيّ لتَقَاصِيه في بلاد قُضَاعَة القَصِيّة، إلى أن أعاده الله تعالى إلى الحرم المحترم، فحَمَا حِمَاه، ابن كِلَاب واسمه حَكيمٌ، بن مُرّة بن كَعْب، بن لؤي، بن غَالبٍ، بن فِهْرٍ واسمه قُرَيش، وإليه تُنسب البطون

(١) عِتْرة الرَّجل أخصُّ أقاربه، قال ابن الأعرابي: العِتْرة ولدُ الرجل وذريته وعقبُه من صُلْبه، وعترة رسولِ الله ﷺ ولدُ فاطمة ﵂ هذا قول ابن سيده وقال الأزهري ﵀، وقيل عِتْرتُه أهل بيته الأقربون وهم أولاده وعليٌّ وأولاده. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، [٣/ ٣٨٥، باب العين مع التاء]، لسان العرب لابن منظور [٩/ ٣٤، مادة: عتر].

(٢) البرود، جمع مفرده بُرْدٌ، قال ابن سيده: البُرْدُ ثوب فيه خطوط وخص بعضهم به الوشي انظر: لسان العرب [١/ ٣٦٨، مادة: برد].

القرشيَّة، وما فوقه كِنَانيٌّ - كما جَنَحَ إليه الكثير، وارتضاه ابن مَالِكٍ، بن النَّضر، بن كِنَانة، بن خُزَيْمَة، بن مُدْرَكَةَ، بن إلياسَ، وهو أوَّلُ من أهدى البُدنَ إلى الرِّحاب الحرميَّة، وسُمِعَ في صلبه النَّبيُّ ﷺ ذَكَرَ الله تعالى ولبَّاه، ابن مُضَرَ، بن نِزَار، بن مَعَدّ، بن عَدْنَانٍ، وهذا سِلكٌ نُظِّمَت فرائده بَنَانُ السُّنَّة السَّنيَّة، ورَفْعُه إلى الخليل إبراهيمَ، أمسكَ عنه الشارع وأباه، وعدنان بلا ريبٍ عند ذوي العلوم النسبيةِ إلى الذَّبيح إسماعيلَ نسبه ومنتماه[1]، فأعظِمْ به من عِقْدٍ تألَّقت كوكبةُ الدريَّة، وكيف لا والسيِّدُ الأكرمُ ﷺ واسطتُه المنتقاة.

نسبٌ تحسبُ العُلا بحُلاهُ　　　قلَّدتها نجومَها الجوزاءُ

حبَّذا عِقدُ سُؤدَدٍ وفَخارٍ　　　أنتَ فيه اليتيمةُ العصماءُ

وأكرِمْ به من نسبٍ طهَّره الله من سفاح الجاهلية[2]، أوردَ الزَّينُ العِرَاقيُّ[3] وارِدَه في مورده الهنيّ[4]، ورواه:

حفظَ الإلهُ كرامةً لمحمَّدٍ　　　آباءَهُ الأمجاد صوناً لاسمه

تركوا السفاحَ فلم يصبهم عارُه　　　من آدمَ وإلى أبيه وأمِّه[5]

سُراةٌ[6] سَرَى نور النبوةِ في أسارير غُرَرِهم البهيَّة، وبَدَرَ بدرُه في جبين

(١) انظر: سبل الهدى والرشاد [١/ ٢٣٩].

(٢) ففي الحديث: «أنا أنفسُكم نَسَباً وحَسَباً وصِهراً، ليس في آبائي من لدن آدم سِفاح». رواه ابن مَرْدَوَيه عن أنس بن مالك ﷺ. انظر: سبل الهدى والرشاد [١/ ٢٧٧].

(٣) هو الحافظ زين الدين، عبد الرَّحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم المِهْراني المولد العراقي الأصل الشافعي. توفي سنة [٨٠٦هـ]. انظر: الضوء اللامع [٤/ ١٧١]، حسن المحاضرة [١/ ٣٦٠]، شذرات الذهب لابن العماد [٩/ ٨٧].

(٤) للحافظ زين الدين العراقي مولد سمَّاه: (المولد الهنيّ في المولد السنيّ).

(٥) هذان البيتان، للحافظ شمس الدين، ابن ناصر الدين الدمشقي، المتوفى سنة [٨٤٢هـ]. انظر سبل الهدى و الرشاد: [١/ ٢٣٧].

(٦) السَّرْوُ: سخاءٌ في مروءة. يقال: سَرا يَسْرو، و يَسْرو سَراوةً، أي: صار سَرِيّاً، وجمع =

عبد المطلب وابنه عبد الله[١].

عطّر اللّهمّ قبره الكريم بعَرْف شذيّ من صلاةٍ وتسليم.

ولما أراد الله إبراز حقيقته المحمّديّة، وإظهارهُ جسماً وروحاً بصورته ومعناه، نقله إلى مقرّه من صَدَفَةِ آمنةَ الزُّهريّة، وخصّها القريبُ المجيبُ، بأن تكون أمّاً لمصطَفاه، ونُودي في السّموات والأرض بحملها لأنواره الذّاتيّة[٢]، وَصَبا كلُّ صَبٌّ لهبوب صَبَاه، وكُسِيتِ الأرض بعد طول جَدْبها من النَّبات حُللاً سندسيّةً، وأيْنَعت الثّمار، وأدنى الشّجرُ للجاني جَنَاهُ، ونطقت بحمله كلُّ دابةٍ لقريشٍ بفِصَاح الألسن العربية، وخرّت الأسِرّة والأصنامُ على الوجوهِ والأفواهِ، وتباشرت وحوشُ المشارق والمغارب ودوابها البحريّة، واحتست العوالم من السرور كأسَ الحميّة، وبُشّرت الجن بإظلال زمنه، وانتُهكت الكهانةُ، ورَهِبَت الرّهبانية، ولَهِجَ بخبرهِ كُلُّ حَبْر خبيرٍ وفي حَلا حُسنِه تاه، وأُتِيَت آمنةُ في المنام، فقيلَ لها: (إنّك حَمَلْتِ بسيّد العالمينَ وخير البريّة، وسمّيه إذا وضعتِهِ محمّداً، فإنّه ستُحمدُ عُقباهُ)[٣].

عطّر اللّهم قبره الكريم بعَرْف شذيّ من صلاةٍ وتسليم

ولما تمّ من حمله ﷺ شهرانِ على أصحّ الأقوال المرويّة، تُوفي بالمدينة

= السّريّ سَراةٌ انظر: تهذيب اللغة [١٣/ ٥٣، مادة: سرى]، الصحاح [٦/ ٢٣٧٥، مادة: سرا]، لسان العرب [٦/ ٢٤٩، مادة: سرا].

(١) انظر: السيرة النبوية، لابن كثير [١/ ١٧٨] الروض الأنف [١/ ٢٧٣]، سبيل الهدى والرشاد [١/ ٣٢٧] السيرة الحلبية [١/ ٦].

(٢) انظر: المواهب اللدنية للقسطلاني [١/ ١١٩].

(٣) قال السهيلي في الروض الأنف [٢/ ١٣٧] تحت عنوان (ذكر ما قيل لآمنة عند حملها برسول الله ﷺ): (ويزعمون ـ فيما يتحدّث النّاس ـ والله أعلم. . .). وانظر: المواهب اللدنية، للقسطلاني [١/ ١٢٠].

الشريفةِ أبوهُ عبد الله، وكانَ قد اجتاز بأخواله بني عَدِيٍّ من الطائفةِ النَّجَّارِيَّة(١)، ومكث فيهم شهراً سقيماً يُعانونَ سقمه وشكواه، ولما تمَّ من حمله ﷺ على الرَّاجح تسعةُ أشهرٍ قمريَّةٍ، وآنَ للزَّمان أنْ ينجلي عنه صداهُ، حضر أمَّه ليلةَ مولده ﷺ آسيةُ(٢) ومريمُ في نسوة من الحظيرة القدسيَّة، وأخذها المخاضُ، فوَلَدتهُ ﷺ نوراً يتلألأ سناهُ.

ومُحيّاً كالشَّمس منك مضيءٌ ... أسفرتْ عنه ليلةٌ غرَّاءُ

ليلةُ المولد الذي كان للدِّيـ ... ـن سرورٌ بيومه وازدِهَاءُ

يومَ نالت بوضعه ابنةُ وهبٍ ... من فخارٍ ما لم تنله النساءُ

وأتت قومها بأفضل ممَّا ... حملت قَبْلُ مريمُ العذراءُ

مولدٌ كانَ منه في طالع الكُفـ ... ـر وبالٌ عليهم ووَبَاءُ(٣)

وتوالتْ بشرى الهواتف أن ... قد وُلِدَ المصطفى وحُقَّ الهناءُ

هذا، وقد استحسنَ القيامَ عند ذكر مولده الشَّريف أئمةٌ، ذو روايةٍ ورَوِيَّةٍ(٤)، فطُوبَى(٥) لمن كان تعظيمه ﷺ غايةَ مَرَامِه ومَرْمَاهُ.

---

(١) من بني عدي بن النجار. انظر: دلائل النبوة للبيهقي [١/ ١٨٨].

(٢) آسية بعد الهمزة ألف بكسر السين المهملة وفتح الياء المعجمة باثنتين من تحتها فهي آسية بنت مزاحم امرأة فرعون. انظر: السيرة النبوية لابن كثير [٢/ ١٣٨].

(٣) هذا البيت ساقط من النسخة المخطوطة.

(٤) منهم: شيخُ الإسلام، تقي الدين السُّبكيُّ، المتوفى سنة [٧٥٦ هـ]. انظر: مولد الشيخ العقاد ضمن سلسلة الموالد بتحقيقنا.

(٥) قوله: (طوبى) فُعلى من الطيب، قلبوا الياء واواً للضمة قبلها. وتقول: طوبى لك. قال الزجاج: جاء في التفسير عن النبي ﷺ أن طُوبى شجرة في الجنة، وقيل: طُوبى لهم حُسْنَى لهم، وقيل: خيرٌ لهم، وقيل: خِيرَةٌ لهم، وفي التنزيل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد: ٢٩]. انظر: الصحاح، [١/ ٣١٨ مادة: طيب]. لسان العرب، [٨/ ٢٤٣ مادة: طيب].

عطّر اللّهم قبره الكريم بعَرْفٍ شذيٍّ من صلاةٍ وتسليمٍ.

وبَرَزَ ﷺ واضعاً يديه على الأرض، رافعاً رأسه إلى السّماء العليّة، مُومياً بذلك الرّفع إلى سؤدَدِه وعُلاه، ومشيراً إلى رفعةِ قدرِهِ على سائر البريّة[1]، وأنه الحبيب الذي حَسُنَت طباعُه وسجاياه، ودعت أمّه عبدَ المطلب وهو يطوفُ بهاتيكَ البَنِيَّة، فأقبل مُسرعاً ونظرَ إليه، وبلَغ من السُّرور مُناهُ، وأدخله الكعبة الغرّاء، وقام يدعو بخلوص النيّة، ويشكرُ الله تعالى على ما منَّ به عليه وأعطاه[2]، ووُلد ﷺ نظيفاً مختوناً مقطوعَ السُّرّة بيد القدرةِ الإلهية[3]، طيّباً، دهيناً، مكحولاً بكُحْلِ العناية عيناه، وقيل: خَتنه جدُّه بعد سبعِ ليالٍ سويّة، وأوْلَمَ وأطعمَ، وسمّاه محمّداً وأكرمَ مثواه[4].

عطّر اللّهم قبره الكريم بعَرْفٍ شذيٍّ من صلاةٍ وتسليمٍ.

وظهر عند ولادته ﷺ خوارقُ وغرائبُ غيبيّةٌ، إرهاصاً[5] لنبوته، وإعلاماً بأنّه مختار الله ومجتباه، فَزِيدَت السّماءُ حِفْظاً، ورُدَّ عنها المردةُ وذوو النفوس الشيطانية، ورَجَمَت رجومُ النّيران كلَّ رجيمٍ في حال مَرْقَاه، وتدلَّت إليه ﷺ الأنجم الزُّهريّة، واستنارت بنورها وِهَادُ الحرم ورُبَاه، وخرجَ معه ﷺ نورٌ

---

(١) انظر: الروض الأنف [٢/ ١٥٠]، السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٢٠٧]، سبيل الهدى والرشاد [١/ ٣٤٢].

(٢) انظر: عيون الأثر [١/ ٤٣]، الروض الأنف [١/ ٢٧٦].

(٣) رواه عن أنس الطبراني وأبو نعيم وابن عساكر بطرق مختلفة. وقيل: ختنه جبريل. انظر: زاد المعاد [١/ ٨٠]، سبيل الهدى والرشاد [١/ ٣٤٧].

(٤) انظر: السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٢١٠].

(٥) قال الزمخشري: (ومن المجاز: أرهص الشيء: أثبته وأسسه. وكان ذلك إرهاصاً للنبوّة. وأرهص الله فلاناً للخير: جعله معدناً له ومأتى). انظر: أساس البلاغة [١/ ٣٩٩، مادة: رهص].

أضاءَت له قصور الشَّام القيصريَّة(١)، فرآها مَنْ بِبِطَاح مكَّةَ دارُه ومَغْنَاه، وانصدعَ الإيوانُ بالمدائن الكِسْرَوِيَّة، الذي رفع أَنُوشَرْوَان(٢) سَمْكَه وسوَّاه، وسقط أربعةَ عشرٍ من شُرُفاته العلويَّة(٣)، وكُسِرَ مُلْكُ كسرى لهولِ ما أصابه وعَرَّاه، وخمدتِ النيرانُ المعبودةُ بالممالك الفارسية، لطلوعِ بدرِه المنير وإشراقِ محيَّاه، وغاضت بُحَيْرَة سَاوَة(٤)، وكانت بين هَمَذَانَ وقُمْ من البلاد العجميَّة، وجفَّتْ إذْ كفَّ وَاكِفُ مَوْجِهَا الثَّجَّاجِ بنابيعُ هاتيك المياه، وفاض وادي سَمَاوَة؛ وهي مفازةٌ في فلاةٍ وبَرِّيَّةٍ، لم يكن بها قبلُ ماءٌ يَنْقَعُ للظَّمَاءِ اللَّهاةِ. وكان مولده ﷺ بالموضع المعروف بالعِرَاص المكيَّة(٥)، والبلد الذي لا يُخْضَدُ شجرُه ولا يُخْتَلى خَلاه(٦)، واختلف في عام ولادته، وفي شهرها،

---

(١) لما أخرجه الإمام أحمد في المسند والبيهقي في دلائل النبوة عن أبي أمامة: (أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام). قال ابن كثير: (تفرَّد به الإمام أحمد، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة). انظر: السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٣٢١]، سبيل الهدى والرشاد [١/ ٣٤٢].

(٢) هو أنوشروان بن قباذ، ومعناه مجدد الملك، لأنه جمع ملك فارس بعد شتات. انظر: الروض الأنف [١/ ١٣٩].

(٣) انظر: دلائل النبوة [١/ ١٢٦]. والمصنوع في معرفة الحديث الموضوع للقاري، [ص: ١٨].

(٤) سَاوَة: بعد الألف واو مفتوحة بعدها هاء ساكنة. مدينة حسنة بين الرّي وهمذان في وسط بينها وبين كل واحد من همذان والري ثلاثون فرسخاً. انظر: معجم البلدان [٣/ ١٧٩].

(٥) قال السهيلي في الروض الأنف [٢/ ١٥٩]: (وولد بالشِّعب، وقيل بالدار التي عند الصفا، وكانت بعدُ لمحمد ابن يوسف أخي الحجاج، ثمَّ بنتها زبيدة مسجداً حين حجَّت). وقيل: بالرَّدم، وقيل: بعسفان وهو قول شاذ. انظر: المواهب اللدنية للقسطلاني [١/ ١٤٦].

(٦) أخرج البخاري في صحيحه، عن مجاهد: (أنَّ رسول الله ﷺ قام يوم الفتح فقال: «إنَّ الله حرَّم مكَّة يوم خلق السماوات والأرض، فهي حرام بحرام الله إلى يوم القيامة، لم تحلَّ =

وفي يومها، على أقوالٍ للعلماء مرويّة[١]، والرّاجح أنها قُبيل فجر يوم الإثنين ثاني عشرَ شهرِ ربيعِ الأوّل من عام الفيل الذي صدّه الله عن الحرم، وحَماه[٢].

عطّر اللّهم قبره الكريم بعَرْف شذيّ من صلاة وتسليم.

وأرضعته أمُّه ﷺ أياماً، ثمّ أرضعته ثُويْبَةُ الأسْلَمِيّةُ، أعتقها أبو لهبٍ حين وافته، عند ميلاده عليه الصّلاة والسّلام بشراه[٣]، فأرضعته مع ابنها مَسْرُوحٍ، وأبي سَلَمَةَ وهي به حفيّةٌ، وأرضعت قبلَه حمزةَ الذي حُمِد في نُصرة الدين سُرَاه[٤]، وكان عليه الصّلاة والسّلام يبعث إليها من المدينة بصِلَةٍ وكسوة[٥]، وهي به حَرِيّةٌ، إلى أنْ أوردَ هيكلها رائدُ المنونِ الضّريح وواراه، قيلَ: على دين قومها الفئةِ الجاهليّة، وقيلَ: أسلَمت، أوردَ الخلاف ابن مندَه[٦].

= لأحد قبلي، ولا تحلُّ لأحد بعدي، ولم تحلل لي قط إلّا ساعةً من الدّهر: لا يُنَفَّرُ صَيْدُها، لا يُعْضَدُ شجرها، ولا يُخْتَلَى خلاهَا، ولا تحلُّ لُقَطَتها إلّا لمنشد). انظر: صحيح البخاري [٣/ ١٥٣، رقم: ٤٣١٣]. قال ابن حجر في الفتح [٤/ ٤٨] (خلاها): (بالخاء المعجمة، والخلا مقصور، وذكر ابن التّين أنّه وَقَعَ في رواية القابسيّ بالمدّ، وهو الرَّطْب من النّبات، واختلاؤه قَطْعه واحتِشاشه).

(١) انظر: الروض الأنف، للسهيلي [١/ ١٤٣]، عيون الأثر، لابن سيّد الناس [١/ ٧٩]، السيرة النبوية، لابن كثير [١/ ١٩٩].

(٢) وهو قول ابن إسحاق، والسهيلي، وابن كثير، ونقل بعضهم فيه الإجماع. انظر: سبل الهدى والرشاد [١/ ٣٣٤].

(٣) انظر: المواهب اللدنية [١/ ١٤٧].

(٤) هو حمزة بن عبد المطلب بن هاشم عمّ النبي ﷺ. انظر: الاستيعاب، لابن عبد البر [ص: ١٣٥ ـ ١٣٧].

(٥) انظر: الاستيعاب، لابن عبد البر [ص: ٢٧]، الإصابة لابن حجر [٨/ ٣٦].

(٦) ابن منده: عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق، ابن منده (لقب إبراهيم جدّه الأعلى) =

وحكاه[(١)]، ثم أرضعتْهُ ﷺ الفتاةُ حَليمَةُ السعدية، وكان قد ردَّ كلُّ القوم ثديها لفقرها وأباه، فأخصب عيشُها بعد المَحْل قبلَ العشيَّةِ، ودرَّ ثديُها بدَرٍّ دُرّ، ألبنه اليمين منهما، وألبن الآخر أخاهُ، وأصبحت بعد الهزال والفقر غنيَّةً، وسَمِنَت الشَّارِفُ لديها والشِّياهُ، وانجابَ عن جانبها كلُّ مُلِمَّةٍ ورزيَّةٍ، وطرَّزَ السَّعد بُرْدَ عيشِها الهنيِّ ووَشَّاه[(٢)].

عطِّر اللَّهم قبره الكريم بعَرْف شذيٍّ من صلاة وتسليم.

وكان ﷺ يشِبُّ في اليوم والليلة شباب الصبيِّ في الشهر بعنايةٍ ربانيةٍ، فقام على قدميه في ثلاثٍ، ومشى في خمسٍ، وقويت في تسعٍ من الشهور بفصيح النُّطق قواه، وشَقَّ الملكانُ صدرهُ الشريفَ لديها وأخرجا منه علقةً دمويَّةً، وأزالا منه حَظَّ الشيطان، وبالثلج غسّلاه، وملآه حكمةً ومعانٍ إيمانيه ثمَّ خاطاه، وبخاتمِ النبوَّةِ ختماه ووزناهُ، فرجحَ بألفٍ من أمته أمةَ الخيريةِ[(٣)]، ونشأ ﷺ على أكملِ الأوصافِ من حال صباه، ثمَّ ردّته إلى أمه، وهي به غيرُ سخيَّةٍ حذراً من أن يُصاب بمصابِ حادثٍ تخشاه، ووفدت عليه حليمة في أيامِ خديجةِ السيِّدةِ الرضيَّةِ، فحباها من حبائه الوافر بحباةٍ[(٤)]، وقدمت عليه

= العبدي الأصبهاني، أبو القاسم، توفي سنة [٤٧٠هـ]. انظر: العبر للذهبي [٢/ ٣٢٨]، شذرات الذهب لابن العماد [٥/ ٣٠٣].

(١) اختلف علماء التاريخ والسير في إسلام ثويبة الأسلمية، فقال أبو نعيم في الدلائل: (لا أعلم أحداً ذكره) أي: إسلامها، وفي باب من أرضع النبي ﷺ من طبقات ابن سعد ما يدل على أنها لم تسلم ولكن لا يدفع قول ابن منده بهذا. انظر: الإصابة لابن حجر [٨/ ٣٦].

(٢) انظر: الروض الأنف، للسهيلي [١/ ٢٨٥]، عيون الأثر لابن سيّد النّاس [١/ ٤٨ ـ ٤٩]، السيرة النبوية لابن كثير [١/ ١٢٥ ـ ١٢٧].

(٣) انظر: عيون الأثر، لابن سيّد الناس [١/ ٥١]، السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٢٢٩]، سبل الهدى والرشاد [١/ ٣٨٩].

(٤) ذكر السهيلي في الروض الأنف أنَّ حليمة كانت وفدت على النبي ﷺ بعد تزويجه خديجة =

يومَ حُنَيْنٍ[1]، فقام إليها وأخذته الأريحيَّةُ، وبَسَطَ لها من ردائه الشريف بساطَ بِرِّه ونَدَاه، والصَّحيح أنَّها أسلمت مع زوجِها والبنينِ والذريَّةِ، وقد عدَّهما في الصحابة جمعٌ من ثِقاتِ الرُّواةِ.

عطِّر اللّهم قبره الكريم بعَرْفٍ شذيٍّ من صلاةٍ وتسليمٍ.

ولما بلَغَ ﷺ أربعَ سنين؛ خرجت به أمّه إلى المدينة النبوية، ثمّ عادت قرافِقتُها بالأبواء، أو بِشِعْبِ الحَجُون[2] الوَفَاةُ[3]، وحملتْهُ حاضنته أم أيمنٍ الحبشية[4] التي زوَّجها ﷺ بعدُ من زيدِ بن حارثة مولاه[5]، وأدخلَته على عبد

= تشكو إليه السنة، وأن قومها قد أسنتوا، فكلّم لها خديجة، فأعطتها عشرين رأساً من غنم وبكرات. انظر: [١/ ٢٨٨].

(١) أي: غزوة حنين: وهي غزوة هوازن، وسمّيت (حنين) نسبة إلى حنين بن قانية بن مهلايل. وانظر خبر غزوة حنين في: عيون الأثر [٢/ ١٨٧]، السيرة النبوية لابن كثير [٤/ ٣٢٢]، زاد المعاد [٢/ ٤٣٨].

(٢) الحجون: آخره نون، والحجن الاعوجاج، والحجون جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها. وقال السكري: مكان من البيت على ميل ونصف، وقال الأصمعي: الحجون هو الجبل المشرف الذي بحذاء مسجد البيعة على شعب الجزارين. انظر: معجم البلدان [٢/ ٢٢٥].

(٣) انظر: عيون الأثر [١/ ٥٥]، ذخائر العقبى [١/ ٢٥٨]، سبيل الهدى والرشاد [٢/ ١٢٠].

(٤) أم أيمن الحبشية: هي بركة بنت ثعلبة بن حصن بن مالك، غلبت عليها كنيتها، وكنيت باسم أبيها أيمن بن عبيد الحبشي، هاجرت الهجرتين إلى أرض الحبشة وإلى المدينة جميعاً، وكان قد ورثها عليه الصلاة والسّلام من أبيه، فلما كبر أعتقها وزوّجها مولاه زيد بن حارثة، فولدت له أسامة بن زيد ﷺ. انظر: السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٢٢٣]، ذخائر العقبى [١/ ٢٦٠].

(٥) زيد بن حارثة بن شَرَاحيل، حِبّ رسول الله ﷺ، كان أول من أسلم من الموالي، ولم يسم الله تعالى أحداً من الصحابة في القرآن غيره، وهداه إلى الإسلام، قال ابن سعد: ولد أسامة في الإسلام ومات النبي ﷺ وله عشرون سنة، وكان أمره على جيش عظيم، فمات النبي ﷺ، قبل أن يتوجّه، فأنفذه أبو بكر، واعتزل أسامة الفتن بعد قتل عثمان إلى =

المطلب فضمَّه إليه ورقَّ له أعلى رُقيَّة[١]، وقال: إنَّ لابني هذا لشأناً عظيماً، فبخ بخٍ[٢]، لمن وقَّره ووالاه، ولم تشكُ في صباه جوعاً ولا عطشاً قطُّ نفسُه الأبيَّة، وكثيراً ما غدا فاغتذى بماءِ زمزمَ فكفاه. ولما أُنيخت[٣] بفناء جدِّه عبد المطلب مطايا المنيَّةِ، كفله عمُّهُ أبو طالبٍ شقيقُ أبيه عبد الله، فقام بكفالته بعزمٍ قويٍّ وهمَّةٍ وحميَّة، وقدَّمه على النفس والبنين وربَّاه، ولما بلغ ﷺ اثنتي عشْرَة سنةً رحل به عمُّه إلى البلاد الشَّاميَّة، وعرَّفه الراهب بَحِيرًا، بما حازه من وصفِ النبوَّة وحواه، وقال: (إني أراه سيِّد العالمين، ورسول الله ونبيُّه، قد سجدَ له الحجر والشجر، ولا يسجدان إلَّا لنبيٍّ أوَّاهٍ، وإنَّا نجد نعته في الكتب القديمة السَّماويَّة، وبين كتفيه خاتم النبوة، قد عمَّه النورُ وعَلاه).

وأمرَ عمَّهُ بردِّهِ إلى مكَّةَ تخوّفاً عليه من أهلِ دينِ اليهوديةِ، فرجعَ ولم يجاوزْ من الشامِ المقدَّسِ بُصراه[٤].

عطر اللَّهم قبرهُ الكريم بعَرْفٍ شذيٍّ من صلاةٍ وتسليم.

= أن مات في أواخر خلافة معاوية. انظر: سير أعلام النبلاء [١/ ٢٢٠]، أسد الغابة [٢/ ٣٥٠]، الإصابة لابن حجر [٣/ ٢٤].

(١) انظر: سبل الهدى والرشاد [٢/١٢٩].

(٢) بخ لك: كلمة مدح وإعجاب بالشيء وقد تشدد، وتكرَّر للمبالغة فيقال: بَخْ، بخ. فإن وَصَلْتَ خفضْت ونوَّنْت فقلت: بَخٍ بَخٍ، والعرب تقول للشيء تمدحه: بخْ بَخْ وبخٍ بخٍ، وبَخٍ بخٍ، وبخٍ بخٍ. انظر: أساس البلاغة للزمخشري [١/ ٤٧، مادة: بخخ] تهذيب اللغة للأزهري [٧/ ١٤ ـ ١٥، مادة: بخ].

(٣) أناخَ الإبلَ أبركها فبركت، وقولهم: نَوَّخ اللهُ الأرض طروقةً للماء أي: جعلها مما تطيقه. انظر: لسان العرب، [١٤/٣٢١، مادة: نوخ].

(٤) أي: بُصرى الشام، وهي قرية في محافظة درعا اليوم بسورية. انظر السيرة النبوية لابن كثير [١/٣٢٢].

ولمّا بلغَ ﷺ خمساً وعشرينَ سنةً، سافرَ إلى بُصْرَى بتجارةٍ لخديجةَ الفَتيَّة، ومعهُ غُلامُها مَيْسَرَة يخدمهُ ويقومُ بما عناه[1]، ونزلَ تحتَ شجرةٍ لدى صومعةِ نُسْطُور راهبِ النَّصرانية، فَعرَفَهُ إذْ مالَ إليه ظِلُّها الوارفُ وآواهُ، وقال: «ما نزلَ تحتَ هذه الشجرةِ قطُّ إلّا نبيٌّ ذو صفاتٍ نقيَّةٍ، ورسولٌ قدْ خصَّهُ اللهُ تعالى بالفضائلِ وحَبَاهُ»[2].

ثمَّ قالَ لميسرةَ: أفِي عينيه حُمرةٌ؟ استظهاراً للعلامةِ الخفيَّة، فأجابهُ: بنعم، فحَقَّ لديهِ ما ظَنَّهُ فيه وتوخَّاهُ، وقال لميسرةَ: لا تفارقهُ، وكنْ معه بصدقِ عزمٍ وحسنِ طويّةٍ، فإنَّه ممَّنْ أكرمَهُ الله تعالى بالنبوَّةِ واجتباهُ، ثمَّ عاد ﷺ إلى مكَّةَ، فرأتْهُ خديجةُ مقبلاً، وهي بين نسوةٍ في عُلِّيَّة، ومَلَكانِ على رأسهِ الشَّريفِ من وَهَجِ الشَّمسِ قد أظلّاه[3]، وأخبرَها ميسرةُ بأنَّه رأى ذلك في السفرِ كلِّهِ، وبما قاله الرّاهب، وأودعَهُ لديهِ من الوصيَّة.

وضاعفَ اللهُ تعالى في تلكَ التجارةِ ربحهَا ونمّاهُ، فبانَ لخديجةَ بما رأتْ وما سمعتْ، أنّه رسولُ اللهِ للبريَّة، وخطبَتْهُ إلى نفسها[4] لتشمَّ من الإيمانِ طيبَ ريّاهُ، فأخبرَ ﷺ أعمامَهُ بما دعتهُ إليه هذه البرَّةُ التقيَّة، فرَغِبُوا فيها لفضلٍ ودينٍ وجمالٍ ومالٍ وحسبٍ، كلٌّ من القومِ بهواهُ، وخَطَب أبو طالبٍ[5] وأثنى عليه ﷺ، بعد أنْ حَمِدَ الله تعالى بمحامدٍ يعلمُها سنيَّة، وقال: وهو والله، بعدُ

(١) قالت خديجة لميسرة: لا تعص له أمراً ولا تخالف له رأياً. انظر: سبيل الهدى والرشاد [٢/ ١٥٨].

(٢) انظر: عيون الأثر لابن سيّد الناس [١/ ٧٠ ـ ٧١]، السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٢٦٢]، الروض الأنف للسهيلي [١/ ٣٢١].

(٣) انظر: الروض الأنف [١/ ٣٢١]. دلائل النبوة لأبي نعيم [ص: ١٧٤].

(٤) انظر: سبيل الهدى والرشاد [١/ ٩].

(٥) انظر خطبته ومدحه النبي ﷺ في الروض الأنف، للسهيلي [١/ ٢٣٨].

له نبأ عظيمٌ، يُحمد فيه سراهُ، فزوَّجها منهُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ أبوها، وقيل: عمُّها، وقيل: أخوها لسابقِ سعادتها الأزلية[١]، وأوْلَدها ﷺ كلَّ أولادهِ إلَّا الذي باسمِ الخليلِ سمَّاه[٢].

عطِّر اللَّهم قبره الكريم بعَرْفٍ شذيٍّ من صلاةٍ وتسليم.

ولما بلغَ ﷺ خمساً وثلاثين سنة بَنَتْ قريشٌ الكعبة[٣]، لانصداعها بالسُّيولِ الأبطحيّة[٤]، وتنازَعوا في الحجرِ الأسودِ[٥]، وكلٌّ أرادَ رفعهُ ورجاهُ، وعَظُمَ القيلُ والقالُ، وتحالَفوا على القتالِ، وقُويتْ العصبيَّة، ثم تَداعَوا إلى الإنصافِ، وفوَّضوا الأمرَ إلى ذي رأيٍ صائبٍ وأناةٍ، فحُكمَ بتحكيمِ أوَّلِ داخلٍ من بابِ السَّدنةِ الشَّيبيَّة، فكانَ النبي ﷺ أوَّل داخلٍ، فقالوا: هذا الأمينُ، وكلُّنا يقبَله ويرضاهُ[٦]، فأخبروهُ بأنهم رَضوهُ أنْ يكونَ صاحبَ الحكمِ في هذا المهمِّ ووليَّهُ، فوضعَ الحجرَ في ثوبٍ، ثمَّ أمرَ أنْ ترفعهُ القبائلُ جميعاً

---

(١) اختلف أهل السير فيمن زوّج خديجة النبي ﷺ من أهلها. فقيل: أبوها، خويلد بن أسد، وذكر غير ابن إسحاق أنَّ خويلداً كان إذ ذاك قد هلك، وقيل: إنَّ الذي أنكح خديجة ﷺ عمُّها عمرو بن أسد، قاله المبرد وطائفة معه. انظر: الروض الأنف [١/ ٢٣٨].

(٢) قال ابن إسحاق: (فولدت لرسول الله ﷺ ولده كلهم إلَّا إبراهيم: القاسم وكان به يكنى، والطيب والطاهر، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة). انظر: السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٢٦٣].

(٣) انظر: السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٢٧٠].

(٤) وذكر أسبابٍ أخرى لإعادة بنائها. انظر: عيون الأثر لابن سيِّد النَّاس [١/ ٧٥]،سبل الهدى والرشاد [٢/ ١٦٩].

(٥) قال عبد الله بن عباس: (ليس في الأرض شيء من الجنة إلا الركن الأسود والمقام فإنها جوهرتان من جوهر الجنة ولولا من مسهما من أهل الشرك ما مسهما ذو عاهة إلا شفاه الله). ولم يزل هذا الحجر في الجاهلية والإسلام محترماً معظماً مكرَّماً يتبركون به ويقبلونه. انظر: معجم البلدان [٢/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤].

(٦) انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم [ص: ١٧٥ ـ ١٧٧].

إلى مُرتقاهُ، فرَفعوهُ إلى مقرِّهِ من رُكْنِ هاتيكَ البنيَّة، وَوَضعهُ ﷺ بيدهِ الشَّريفة في مَوضعهِ الآنَ وبناه[١].

عطِّرِ اللَّهم قبره الكريم بعَرْفٍ شذيٍّ من صلاةٍ وتسليم.

ولما تَكْمُلَ له ﷺ أربعونَ سنةً على أوفقِ الأقوالِ لذوي العَالِمَيَّة[٢]، بعثهُ اللهُ تعالى للعالمين بشيراً ونذيراً[٣]، فعمَّهم برُحْمَاه[٤]، وبُدِئَ إلى تمام ستةِ أشهرٍ بالرؤيا الصادقةِ الجليَّة، فكانَ لا يرى رُؤيا إلَّا جاءتْ مثلَ فلقِ صبحٍ أضاءَ سناهُ[٥]، وإنما ابتُدِئَ بالرؤيا تمريناً للقوَّةِ البشريَّة، لِئلا يَفْجأهُ المَلَكُ بصريحِ النبوَّة، فلا تَقْوَاهُ قُواه، وحُبِّبَ إليه الخلاءُ، فكان يتعبَّدُ بِحِرَاءَ[٦] الليالي العدديَّة، إلى أنْ آتاهُ فيه صريحُ الحقِ ووافاه، وذلك في يومِ الاثنينِ لسبعِ عشرةَ من شهر الليلةِ القدريَّة، وثَمَّ أقوالٌ لسبعٍ أو لأربعٍ وعشرينَ منه أو لثمانٍ من شهرِ مولدهِ الذي بدأ فيه بدرُ مُحيَّاه[٧]، فقال له: اقرأ، فقال: «ما

---

(١) انظر: السيرة النبوية، لابن كثير [١/ ٢٥١]، الشفا، للقاضي عياض [١/ ١٣٤].

(٢) انظر: زاد المعاد، لابن قيم [١/ ٧٦].

(٣) قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [سبأ: ٢٨].

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

(٥) ورد ذلك في الأحاديث الصحيحة، منها: ما أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: (كَانَ أَوَّلَ مَا بُدِئَ به رسول الله ﷺ الرُّؤيا الصَّادقة في النَّوم فكان لا يرى رُؤْيَا إلا جاءت مثلَ فَلَقِ الصُّبح). انظر: [١/ ١٤، رقم: ٣]، [٣/ ٢٩٥، رقم: ٦٩٨٢].

(٦) حراء: بالكسر والتخفيف والمد، جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال وهو معروف ومنهم من يؤنثه فلا يصرفه. وليس به نباتٌ ولا في جميع جبال مكة، إلا شيء يسير من الضهياء يكون في الجبل الشامخ، وليس فيه ماء. انظر: معجم البلدان [٢/ ٢٣٣]

(٧) اختلف الأقوال في يوم بدء نزول الوحي عليه ﷺ في غار حراء. انظر: السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٣٩٢ - ٣٩٣]، سبيل الهدى والرشاد [٢/ ٢٣٩]، الروض الأنف [١/ ٨٢].

أنا بقارئٍ»، فغطَّهُ غطَّةً قويةً، ثمَّ قال له: اقرأ، فقال: «ما أنا بقارئٍ»، فغطَّهُ ثانيةً حتى بلغَ منه الجهدُ وغطَّاهُ، ثمَّ قال له: اقرأ، فقال: «ما أنا بقارئٍ»، فغطَّهُ ثالثةً، ليتوجَّه إلى ما سيُلقى إليه بجمعيهِ، ويقابلهُ بجدٍ واجتهادٍ ويتلقاهُ، ثمَّ فَتَرَ الوحيُ[1] ثلاثَ سنينَ، أو ثلاثينَ شهراً[2]، ليشتاقَ هاتيكَ النفحاتِ الشذيَّة، ثم أُنزِلَتْ عليه: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١﴾[3] [المدثر: ١] فجاءَهُ جبريلُ بها وناداهُ، فكانَ لنبوته في تقدّمِ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾[4] [العلق: ١] شاهدٌ على أنَّ لها السّابقيّة والتقدّمَ[5]، على رسالتِه بالنّذارةِ والبِشارةِ لمن دعاهُ.

عطِّر اللّهم قبره الكريم بعَرْفٍ شذيٍّ من صلاةٍ وتسليم.

وأوَّلُ مَنْ آمنَ به من الرِّجالِ أبو بكرٍ صاحبِ الغارِ والصِّديقيَّة، ومن

---

(١) أخرج الشيخان في صحيحيهما عن جابر بن عبد الله ﷺ، (أنه سمع رسول الله ﷺ يقول ثمَّ فتر الوحي عنّي فترة..) الحديث. انظر: صحيح البخاري [٢/ ٤٣٠، رقم: ٣٢٣٨]، وصحيح مسلم [١/ ٨٤، رقم: ٢٥٤].

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام [١/ ٢٤٠]، السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٢١٤]، سبل الهدى والرشاد [٢/ ٢٧١].

(٣) انظر تفسير الجيلاني.

(٤) انظر تفسير الجيلاني.

(٥) قال السخاوي في جمال القرّاء [١/ ٧]: (والعلماء على أنَّ إنَّما نزل عليه من ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ إلى قوله: ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ ثمَّ نزل باقيها بعد ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ و﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١﴾، ورجّح ابن حجر في الفتح أنَّ الذي ذهب إليه أكثر الأئمة هذا القول، والرّاجح من الأقوال ما خلَص إليه السيوطي عن طريق الجمع بين الأقوال، وهو ما رجّحه السيوطي في الإتقان [١/ ٧٨]، بعد توفيقه بين هذا وما ورد من أنَّ أوّل ما نزل هو سورة العلق؛ حيث يمكن الجمع بين الأحاديث الواردة في هذا بأن تكون سورة المدثر نزلت بكاملها قبل نزول سورة العلق، فإنّها أول ما نزل منها صدرها، وينظر ما نقله ابن حبّان في صحيحه من قول أبي حاتم، وينظر: جمال القرّاء، للسخاوي [١/ ٥ ـ ٦] والتي بعدها، وينظر: التبيان، لطاهر الجزائري [ص٤١ ـ ٤٢ ـ ٤٣].

الصبيانِ عليّ، ومن النساءِ خديجةُ التي ثبّتَ الله بها قلبهُ ووقاهُ، ومنَ الموالي زيدُ بن حارثة، ومن الأرقّاءِ بلالٌ[1] الذي عذّبه في اللهِ أميّةُ، وأولاهُ مولاهُ أبو بكر من العتقِ ما أولاهُ، ثمّ أسلمَ عثمانُ وسعدٌ وسعيدٌ وطلحةُ وابنُ عوْفٍ، وابنُ عمّتهِ صفيّةَ، وغيرهم، ممّنْ أنهلَهُ الصديقُ رحيقَ التّصديقِ وسقاهُ، ولا زالتْ عبادتهُ ﷺ وأصحابه مخفيّةً، حتى أُنزِلَ عليه: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾[2] [الحجر: ٩٤] فجهَرَ بدُعَاء الخلقِ إلى اللهِ، ولم يبعدْ عنه قومهُ حتى عابَ آلهتهم، وأمرَ برفضِ ما سوى الوحدانيّة، فتجرّؤوا على مبارزتِهِ بالعداوة وأذاهُ، واشتدّ على المسلمينَ البلاءُ، فهاجروا في سنةِ خمسٍ إلى النّاحية النّجاشيّة[3]، وحَدِبَ[4] عليه عمُّه أبو طالب، فهابَهُ كلٌّ منَ القومِ وتحَامَاه، وفُرِضَ عليه بعضٌ من السّاعات الليليّةِ، ثمّ نُسِخَ بقوله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[5] [المزمل: ٢٠] وفُرِضَ عليها ركعتانِ بالغداة، وركعتانِ بالعشيّة، ثمّ نُسخا بإيجاب

---

(١) بلال بن رباح: المؤذن يكنى أبا عبد الله وقيل: أبا عبد الكريم، وهو مولى أبي بكر الصديق ﷺ، قال البخاري: مات بالشام زمن عمر. وقال ابن بكير: مات في طاعون عمواس. انظر: الإصابة لابن حجر [١/ ١٧١]، الاستيعاب لابن عبد البر [ص: ٨١].

(٢) انظر تفسير الجيلاني.

(٣) انظر الهجرة إلى الحبشة في: الروض الأنف [٢/ ٩٠]، السيرة النبوية لابن كثير [٢/ ٣]، زاد المعاد لابن قيم [١/ ٩٥]، سبيل الهدى و الرشاد [٢/ ٣٦٢].

(٤) حدب عليه وتحدب: تعطف، وهو حدب على أخيه، وفيه ما شئت من العطف والحدب،. انظر: تهذيب اللغة، للأزهري [٤/ ٤٢٩، مادة: حدب] ، أساس البلاغة للزمخشري [١/ ١٧٢، مادة: حدب].

(٥) قال أهل التفسير: كان هذا في صدر الإسلام ثم نسخ بالصلوات الخمس، قال القشيريُّ: والمشهورُ أنَّ نسخ قيام الليل كان في حق الأمة، وبقيت الفريضةُ في حق النبي ﷺ. قال الشافعيُّ: بل نسخ بالكلية، فلا تجب صلاة الليل أصلاً، ولعل الفريضة التي بقيت في حق النبي ﷺ هي هذه، وهو قيامه، ومقداره مفوض إلى خيرته. انظر: معالم التنزيل للبغوي [٨/ ٢٥٨].

الصَّلواتِ الخمسِ في ليلة مَسْرَاه، وماتَ عمُّه أبو طالب في نصفِ شوالٍ من العاشرة، وعظمتْ بموته الرَّزِيَّة، وتلتهُ خديجة بعد ثلاثٍ، وشدَّ البلاءُ على المسلمين وثيقَ عُرَاه، وأوقعتْ قريشٌ به ﷺ كلَّ أذيَّة، وأمَّ الطائفَ يدعو ثقيفاً، فلم يُحسِنوا بالإجابة قِرَاهُ، وأغرَوْا به السُّفهاءَ والعبيدَ، فسبّوه بألسنٍ بذيَّة، ورموهُ بالحجارة حتى خُضِبَتْ بالدِّماء نعلاهُ، ثمَّ عادَ ﷺ إلى مكةَ حزيناً، فسأله ملكُ الجبالِ في إهلاكِ أهلِها ذوي العصبيَّة، فقال: «إنّي أرجو أن يُخرِجَ الله من أصلابِهم من يقول: لا إله إلَّا الله»[1].

عطِّر اللَّهم قبره الكريم بعَرْفٍ شذيٍّ من صلاةٍ وتسليم.

ثمَّ أُسْرِيَ بروحِهِ وجسدِهِ يقظةً[2] من المسجد الحرامِ إلى المسجد الأقصى ورِحَابِهِ القدسيَّة[3]، وعُرِجَ به إلى السَّمواتِ[4]، فرأى آدمَ في الأولى، وقد جلَّلهُ الوقارُ وعلاهُ، ورأى في الثانية عيسى بن البتولِ البرَّة التقيَّة، وابن خالتِهِ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، [٢/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩/ رقم٣٢٣١ باب ذكر الملائكة]، ومسلم في صحيحه، [٢/ ٨٦٤/ رقم ١٧٩٥ باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين].

(٢) هذا هو المتفق عليه عند أهل الحديث والسير. انظر: الروض الأنف للسهيلي [٢/ ٢٠٦]، عيون الأثر، لابن الدبيع [١/ ١٩٠ ـ ١٩٥]، السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٩٣ وما بعدها]، زاد المعاد لابن قيم [٣/ ٣٦]، فتح الباري لابن حجر [١/ ٤٦٠].

(٣) قال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾ [الإسراء: ١].

(٤) المِعْراج: السُّلَّم؛ ومنه ليلة المِعْراج؛ والجمع مَعارج ومَعاريج، قال الله ﷻ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤] أي: تصعد. يقال: عَرَج يعْرُج عُروجاً. وقوله ﷻ: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣﴾ [المعارج: ٣] قال قتادة: ذي المعارج ذي الفواضل والنِّعَم، وقيل: مَعارجُ الملائكة، وهي مَصاعدُها التي تصعد فيها وتعرُج فيها. انظر: الصحاح للجوهري [١/ ٣٢٨، مادة: عرج].

يحيى الذي أوتي الحكمَ في صباه، ورأى في الثالثة يوسفَ الصديقَ بصورته الجمالية، وفي الرّابعة إدريسَ الذي رفعَ الله مكانتهُ وأعلاهُ، وفي الخامسة هارونَ المحبَّبَ في الأمّة الإسرائيلية، وفي السّادسة موسى الذي كلّمهُ الله وناجاهُ، وفي السّابعة إبراهيمَ الذي جاء ربه بسلامة القلبِ وحُسنِ طويّة، وحفظهُ من نارِ نمرود[1] وعافاه[2]، ثمّ إلى سِدْرَة المنتهى، إلى أنْ سَمِعَ صريفَ الأقلامِ في الأمور المقضيّة، إلى مقامِ المكافحةِ الذي قرّبهُ الله فيه وأدناهُ، وأماطَ له الأنوارَ الجلاليّة، وأراهُ بعيني رأسهِ من حضرةِ الربوبيّة ما أراهُ، وبَسَطَ له بُسُطِ الإذلالِ في المجالي الذاتيّة، وفرضَ عليه وعلى أمته خمسينَ صلاةً، ثمّ نَهَلَ بِسَحَابَ الفضلِ، فرُدَّت إلى خمسٍ عمليّة، ولها أجرُ الخمسين، كما شاءهُ في الأزل وقضاهُ، ثمّ عاد في ليلتهِ، وصدَّقه الصّديقُ بِمَسْرَاه وكلُّ ذي عقلٍ ورويّة، وكذّبتهُ قريشٌ وارتدّ من أضلّه الشّيطان وأغواهُ.

عطّر اللّهم قبره الكريم بعَرْفٍ شذيٍّ من صلاةٍ وتسليم.

ثمّ عرضَ نفسهُ على القبائلِ بأنّه رسولُ الله في الأيامِ الموسميّة، وآمنَ به ستةٌ من الأنصارِ اختصّهم الله برضاه[3]، وحجَّ منهم في القابلِ اثنا عشرَ رجلاً، وبايعوهُ بيعةً حَفِيّة[4]، ثمّ انصرفوا وظهرَ الإسلامُ بالمدينة، فكانتْ

---

(١) هو نمرود بن كنعان، حاكم بابل في العراق، وكان ملكا متسلّطاً مستبّداً برأيه.

(٢) قال الله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء: ٦٩].

(٣) هم: (أسعد بن زرارة، عوف بن الحارث، رافع بن مالك، قطبة بن عامر، عقبة بن عامر، جابر بن عبد الله).

(٤) وتسمّى هذه البيعة بيعة النّساء، المذكورة في القرآن الكريم ﴿عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الممتحنة: ١٢] وهؤلاء الاثنا عشر هم: تسعة من الخزرج: أسعد بن زرارة، عوف بن عفراء، رافع بن مالك، قطبة بن عامر، عقبة بن عامر، معاذ بن الحارث، ذكوان بن عبد القيس، عبادة بن الصامت، يزيد بن ثعلبة. وثلاثة من الأوس: أبو الهيثم مالك بن =

معقله ومأواهُ، وقدم عليه في العامِ الثالثِ سبعونَ[1]، أو خمسةٌ، أو ثلاثةٌ وامرأتانِ من القبائلِ الأوسيَّةِ والخزرجية، فبايعوهُ وأمرَّ عليهم اثني عشرَ نقيباً جَحَاجِحَةً سُراةً[2]، وهاجرَ إليهم من مكةَ ذوو الملَّةِ الإسلاميةِ، وفارقوا الأوطانَ رغبةً فيما أعدَّ لمن هجرَ الكفر وناواهُ، وخافتْ قريشٌ أنْ يلحقَ ﷺ بأصحابِهِ على الفوريَّةِ، فأتَمَروا بقتلهِ ﷺ، فحفظهُ الله تعالى من كيدِهم ونجَّاهُ، وأَذِنَ له في الهجرةِ، فرَقبهُ المشركونَ ليوردوهُ بزعمهم حياضَ المنيَّةِ، فخرجَ عليهم ونثرَ على رؤوسِهم الترابَ وحثاهُ، وأمَّ غارَ ثورٍ[3]، وفازَ الصديقُ فيه بالمعيَّةِ[4]، وأقاما فيه ثلاثاً تحمي الحمائمُ والعناكبُ حِمَاهُ[5]، ثمَّ خرَجَا منه ليلةَ الاثنين، وهو ﷺ على خيرِ مطيَّةٍ، وتعرَّضَ له سُرَاقَةُ[6]، فابتهلَ فيه إلى

= التيهان، عويم بن ساعدة، البراء بن معرور.

(١) سبعون رجلاً من مسلمي الأنصار في آخر السنة الثالثة عشرة. انظر: حدائق السيرة لابن الديبع [١/ ٤٠].

(٢) تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس: وهم: أسعد بن زرارة، رافع بن مالك بن العجلان، سعد بن الربيع، عبد الله بن رواحة، سعد بن عبادة، المنذر بن عمرو، البراء بن معرور، عبد الله بن عمرو بن حرام، عبادة بن الصامت، أسيد بن حُضير، رفاعة بن عبد المنذر، سعد بن خيثمة. انظر: عيون الأثر لابن سيد الناس [١/ ٢١٨]، السيرة النبوية لابن كثير [٢/ ٢٠٠]، الروض الأنف [٢/ ٢٦٥].

(٣) ثور: بلفظ الثور، فَحْلُ البقر، اسم جبل بمكة فيه الغار الذي اختفى فيه النبي ﷺ، وقال الجوهري: ثور جبل بمكة وفيه الغار المذكور في القرآن يقال له: أطحل، وقال الزمخشري: ثورُ أطحلَ من جبال مكة بالمفجر من خلف مكة على طريق اليمن. انظر: معجم البلدان [٢/ ٨٦ ـ ٨٧].

(٤) قال الله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

(٥) انظر: السيرة النبوية لابن كثير [٢/ ٢٤٠]، دلائل النبوة للبيهقي [٢/ ٤٨٢]، سبيل الهدى والرشاد [٣/ ٢٤٠]، الروض الأنف [٢/ ٣١٥].

(٦) سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو بن تيم بن مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة =

الله ودعاهُ، فساخت قوائمُ يَعْبُوبِهِ في الأرض الصلبةِ القويةِ، وسألهُ الأمانَ، فمنحهُ إياهُ[١].

عطِّر اللَّهم قبره الكريم بعرفٍ شذيٍّ من صلاةٍ وتسليم.

ومرَّ ﷺ بقُدَيدٍ[٢] على أمِّ معبد الخُزَاعيَّة[٣]، وأرادوا ابتياعَ لحمٍ أو لبنٍ منها، فلم يكنْ خِبَاؤُها لشيءٍ من ذلك قد حواهُ، فنظرَ ﷺ إلى شاةٍ في البيت خلَّفها الجهد عن الرَّعيَّة، فاستأذنها ﷺ في حلبها، فأذنت، وقالت: (لو كان بها حلبٌ لأصبناه). فمسح الضَّرعَ منها، ودعا الله مولاه ووليَّه، فدرَّتْ وحَلَبَ، وسقا كلّاً من القوم وأرواهُ، ثمّ حلبَ وملأ الإناء، وغادرهُ ولديها آيةً حُلبوا!، فجاء أبو معبدٍ ورأى اللَّبن، فذهب به العجبُ إلى أقصاه، فقال: أنَّى لك هذا، ولا حلوبَ بالبيت تبضُّ بقطرةٍ لبنيةٍ؟ فقالت: مرَّ بنا رجلٌ مباركٌ، كذا وكذا جثمانه ومعناه، فقال: (هذا صاحبُ قريشٍ)، وأقسم بكلِّ إلهيَّة، بأنَّه لو رآهُ لآمن به واتبعه وداناه[٤].

= الكناني المدلجي، يكنى أبا سفيان. توفي سراقة سنة [٢٤هـ]، أول خلافة عثمان، ﷺ، وقيل: إنه مات بعد عثمان، والله أعلم. انظر: أسد الغابة [٢/ ٤١٢ ـ ٤١٤]، الإصابة لابن حجر [٣/ ٦٩].

(١) انظر قصة سراقة مع النبي ﷺ يوم الهجرة في: الروض الأنف [٤/ ١٨٦]، السيرة النبوية لابن كثير [٢/ ٢٤٢]، دلائل النبوة للبيهقي [٢/ ٤٨٣].

(٢) قُدَيْد: بضم القاف وفتح الدال المهملة ثم مثناة تحتية ساكنة فدال مهملة أخرى، موضع بين مكة والمدينة. انظر: مراصد الاطلاع [٣/ ١٠٧٠]، سبيل الهدى والرشاد [٣/ ٢٦٥].

(٣) أم معبد الخزاعية: مشهورة بكنيتها واسمها: عاتكة بنت خالد. وكانت امرأة برزة جلدة تحتبي وتجلس بفناء الخيمة، وتُطعم وتُسقى. انظر: الإصابة لابن حجر، أسد الغابة لابن الأثير، وانظر قصتها مع النبي ﷺ في (الروض الأنف)، السيرة النبوية لابن كثير، دلائل النبوة للبيهقي [٦/ ٨٤].

(٤) قال أبو معبد: (والله هذا صاحب قريش الذي ذَكَرُوا بن أمره ما ذكروا لقد هَمَمْتُ أن =

وقَدِمَ المدينةَ ﷺ يومَ الاثنين ثاني عشرَ ربيعِ الأوّل[١]، وأشرقت به أرجاؤها الزكيّةُ، وتلقاها الأنصارُ، ونزل بقُبَاءٍ[٢]، وأسّس مسجدها على تقواه[٣].

عطّر اللّهم قبره الكريم بعَرْفٍ شذيٍّ من صلاةٍ وتسليمٍ.

وكانَ ﷺ أكملَ النّاس خَلْقاً ذا ذاتٍ وصفاتٍ سَنيّةٍ، مَرْبُوعَ القامة، أبيضَ اللّون مُشرّباً بحُمرةٍ، واسعَ العينين أكحلَهما، أهدبَ الأشفارِ[٤]، قد منح الزُّجج حاجباه، مفلَّجَ الأسنانِ[٥]، واسعَ الجبينِ ذا جبهةٍ هلاليةٍ[٦]، سهلَ الخدينِ، يُرى في أنفه بعض احديداب، حسنَ العرنين أقْناهُ، بعيد ما بين المنكبينِ، ضخم الكراديسِ، قليلَ لحم العَقِب، كثَّ اللّحيةِ، عظيمَ الرّأسِ،

= أصْحَبه، ولأفعلَنّ إن وجدت إلى ذلك سبيلا». انظر: زاد المعاد، لابن القيم [١/٥١].

(١) انظر: حدائق الأنوار، لابن الديبع [١/٤٢].

(٢) قُبَاء: بالضم وأصله اسم بئر هناك عُرفت القرية بها، وهي مساكن بني عمرو بن عوف من الأنصار وألفه واو يُمَدُّ ويقصر ويصرّف ولا يصرف، قال أحمد بن يحيى بن جابر: كان المتقدمون في الهجرة من أصحاب رسول الله ﷺ ومن نزلوا عليه من الأنصار بنوا بقُباء مسجداً، وأهل قباء يقولون: هو المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم. انظر: معجم البلدان [٤/ ٣٠١ ـ ٣٠٢].

(٣) قال الله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ۝﴾ [التوبة: ١٠٨].

(٤) فيما وصفه به علي بن أبي طالب ﷺ. انظر: سنن الترمذي [٦/٢٦، رقم: ٣٦٣٧، باب ما جاء في صفة النبي ﷺ]، الشمائل المحمدية للترمذي [ص: ٣٣].

(٥) المفلّج: بالجيم كمعظّم، أي: مفلّج الثنايا وهو المتباعد ما بين الأسنان. انظر: عيون الأثر، لابن سيّد النّاس [٢/ ٤١٤]، سبل الهدى والرشاد [١/٥١٨]، الشفا للقاضي عياض [١/١٥٦].

(٦) انظر: الشمائل المحمدية للترمذي [ص: ٣٦]، دلائل النبوة للبيهقي [١/ ٢١٤]، عيون الأثر [٢/ ٤١٣].

شعرهُ إلى الشحمة الأذنيَّة، وبين كتفيه خاتم النبوة، قد عمَّه النُّور وعَلاه، وعَرقه ﷺ كاللؤلؤ، وعَرْفُه أطيب من النفحات المسكيَّة، ويتكفأ في مشيته كأنما ينحطُّ من صَبَبٍ ارتقاه[١]، وكان يصافح المصافحَ بيده، فيجدُ منها سائر اليوم رائحة عبهريَّة[٢]، ويضعها على رأس الصبي، فيُعرف منه له من بين الصبيةِ ويَراه[٣]، يتلألأ وجهه الشَّريف ﷺ تلألأ القمر في الليلة البدريَّة[٤]، يقول ناعتُه[٥]: (ولم أرَ قبله، ولا بعده مثله)[٦]. ولا بشرٌ يراه.

وكان ﷺ شديدُ الحياءِ[٧]، والتواضع؛ يخصفُ نعله، ويرقِّعُ ثوبَه، ويحلبُ شاتَهُ[٨]، ويَسير في خِدمة أهلهِ بسيرةٍ سريَّةٍ، ويحبُّ المساكينَ ويجلس معهم، ويعودُ مرضاهم، ويشيّعُ جنائزهم[٩]، ولا يَحقِرُ فقيراً أدقعَه الفقرُ

---

(١) ينحط: يسقط ويهوي، والصبب: المنحدر من الأرض. وانظر: الشمائل المحمدية للترمذي [ص:١١٣]، المواهب اللدنية للقسطلاني [٢/ ٣٠٥].

(٢) انظر: الشفا للقاضي عياض [١/ ٦٢]، سبل الهدى والرشاد [٢/ ٨٥].

(٣) رواه أبو بكر بن أبي خيثمة، وأبو نعيم مختصراً. انظر: سبل الهدى والرشاد [٢/ ٨٥].

(٤) انظر: الشمائل المحمدية للترمذي [ص:٣٥].

(٥) ناعته هو الصحابي الجليل: علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه.

(٦) أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في صفة النبي ﷺ، [٦/ ٢٦، رقم: ٣٦٣٧]، وأحمد في مسنده [٢/ ١٤٣، رقم: ٧٤٦]، و[٢/ ٣٢١، رقم: ١٠٥٣]. وانظر: الشمائل المحمدية للترمذي [ص: ٣١].

(٧) أخرج البخاري و مسلم في صحيحيهما عن أبي سعيد الخدري: (كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها). انظر: صحيح البخاري، باب صفة النبي ﷺ، [٢/ ٥١٨، رقم: ٣٥٦٢]، صحيح مسلم، باب كثرة حيائه ﷺ، [٢/ ١٠٩٥، رقم: ٢٣٢٠]. وانظر: الشمائل المحمدية للترمذي [ص: ٢٩٧].

(٨) وردت هذه الصفات الثلاثة في حديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن عائشة ﵂، (كان يخصف نعله...). وعند البخاري من حديث عائشة: (كان يكون في مهنة أهله). انظر: صحيح البخاري، باب خدمة الرَّجل في أهله، [٣/ ٤٢٧، رقم: ٥٣٦٣].

(٩) عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه قال: (كان رسول الله ﷺ يأتي ضعفاء =

وأشواه[١]، ويقبل المعذرة، ولا يقابل أحداً بما يكره[٢]، ويمشي مع الأرملة[٣]، وذوي العبودية، ولا يُهاب الملوك، ويغضب لله ويرضى لرضاه[٤]، ويمشي خلف أصحابه، ويقولُ: «خلُّوا ظهري للملائكة»[٥] الرُّوحانية، ويَركبُ البعيرَ والفرسَ والبغلةَ، وحماراً بعض الملوك إليه أهداه[٦]، ويَعْصِبُ على بطنه الحَجَرَ من الجوعِ، وقد أوتي مفاتيحَ الخزائنِ الأرضيةِ، وراودته الجبالُ بأنْ تكونَ له ذهباً فأباهُ، وكان ﷺ يُقلّ اللَّغو، ويَبدأ من لَقِيَهُ بالسّلام[٧]، ويُطيل الصّلاة ويَقصر الخطبة الجُمعيّة[٨]، ويتألّفُ أهلَ

= المسلمين، ويزورهم، ويعود مرضاهم، ويشهد جنائزهم). انظر: المستدرك للحاكم [٢/ ٥٤٩، رقم: ٣٧٩٢]، شعب الإيمان للبيهقي [٧/ ٤، رقم: ٩٢٤٦].

(١) فقير مدقع ومدقِّع، وقد أدقع فلان وأدقع ودقع: لصق بالدقعاء وهي التراب من شدّة الفقر. وأدقعه الفقر. وفقر مدقع. انظر: أساس البلاغة للزمخشري [١/ ٢٩٢، مادة: دقع].

(٢) هذه عبارة الإمام أبي حامد الغزّالي، حجة الإسلام، المتوفى سنة (٥٠٥هـ) في كتابه: (إحياء علوم الدين). انظر: [٧/ ١٢٩٠].

(٣) في سنن النسائي الكبرى [٢/ ٢٨٠، رقم: ١٧٢٨] عن عبد الله بن أبي أوفى قال: (كان رسول الله ﷺ يكثر الذكر ويقل اللغو ويطيل الصلاة ويقصر الخطبة ولا يأنف أن يمشي مع الأرملة).

(٤) انظر: إحياء علوم الدين [٧/ ١٢٨٥].

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده [٢٣/ ٤٢١، رقم: ١٥٢٨١] عن جابر بن عبد الله في حديث طويل، والدارمي في سننه[١/ ١٩١، رقم: ٤٦]. وانظر: زاد المعاد، لابن القيم [١/ ١٦١].

(٦) قال الإمام الغزالي في الإحياء [٧/ ١٢٨٩]: (يركب ما أمكنه، مرّة فرساً، مرّة بعيراً، مرّة بغلة شهباء، و مرّة حماراً). وانظر: سبل الهدى والرشاد [١/ ١٢١].

(٧) انظر: زاد المعاد لابن القيم [٢/ ٣٨٣]، عيون الأثر [٢/ ٢٢٤]، سبل الهدى والرشاد [٧/ ٣٣].

(٨) أخرج مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، عن جابر بن =

الشَّرف، ويُكرم أهلَ الفضلِ، ويَمْزَحُ ولا يقولُ إلّا حقاً يحبُّهُ الله ويرضاه[١].
وهَاهُنا وقف بنا جوادُ المقالِ عن الطِّرادِ[٢] في الحلبة البيانيّة، وبلغ ظَاعِنُ[٣] الإملاء في فَدَافِدِ[٤] الإيضاح منتهاه.

عطِّر اللّهم قبره الكريم بعَرْفٍ شذيٍّ من صلاةٍ وتسليم.

اللّهم يا باسط اليدين بالعطيّة، يا من إذا رُفعت إليه أكفُّ العبد كفاه، يا من تنزّه في ذاتِهِ وصفاتِهِ الأحديّة عن أن يكون له فيها نظائرٌ وأشباه[٥]، يا من تفرَّدَ بالبقاء والقدم والأزليّة، يا من لا يرجى غيره، ولا يُعوَّل على سواه، يا من استندَ الأنامُ إلى قدرته القيُّوميّة، وأرشدَ بفضله من استرشدَه واستهداه[٦]، نسألك بأنوارِكَ المنزّهة القدسيّة التي أزاحتْ من ظلمات الشكِّ دُجَاه، ونتوسّلُ إليك بشرفِ الذّاتِ المحمّديّة، ومن هو آخر الأنبياءِ بصورته، وأولهم

= سَمُرَةَ قال: «كنت أصَلِّي مع رسول الله ﷺ فكَانَتْ صَلاته قَصدًا وَخُطبتُه قَصْدًا». انظر: صحيح مسلم [١/ ٣٨٥، رقم: ٨٦٦]. والقصد: التوسط والاعتدال في الأمور بلا غلو أو تفريط.

(١) حديث: (يمزح ولا يقول إلّا حقاً). أخرجه أحمد [١٤/ ١٨٥، رقم: ٨٤٨١] من حديث أبي هريرة، وهو في سنن الترمذي، باب ما جاء في المزاح، [٣/٥٢٩، رقم: ١٩٩٠] بلفظ: (قالوا إنك تداعبنا: قال: «إنّي لا أقول إلّا حقاً»). وقال: (هذا حديث حسن). انظر: تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، للعراقي [٧/ ١٢٩٠].

(٢) الاضْطِرادُ: هو الطِّرادُ، وهو افتِعالٌ من طِرادِ الخَيْلِ، وهو عَدْوُها وتَتابعها. انظر: لسان العرب [٨/ ١٤٠، مادة: طرد].

(٣) الظَّعْن: سير البادية لنجعة أو حضور ماء أو طلب مَرْتَع أو تحوّل من ماء إلى ماء أو من بلد إلى بلد. انظر: تهذيب اللغة للأزهري [٢/ ٣٠٠، مادة: ظعن].

(٤) الفَدْفَدُ الفلاة التي لا شيء بها وقيل هي الأرض الغليظة ذاتُ الحصى وقيل المكان الصُّلب، وجمعه فَدافِدُ. انظر: لسان العرب [١٠/ ٢٠٣، مادة: فدفد].

(٥) قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

(٦) أي: طلب منه الرُّشد والهداية.

بمحتاه، وبآله كواكبِ أمنِ البريَّة، وسفينة السَّلامة والنجاةِ، وبأصحابه أولي الهدايةِ والأفضليةِ، الذين بذلوا نفوسَهُم لله، يبتغون فضلاً من الله[١]، وبحملةِ شريعته.أولي المناقبِ والخصوصيَّةِ، الذين استبشروا بنعمةٍ وفضل من الله[٢]، أنْ توفقنا في الأقوال والأفعالِ لإخلاصِ النيَّة، وتُنْجِحَ لكلٍّ من الحاضرين مطلبهُ ومناهُ، وتخلصنا من أسرِ الشهواتِ والأدواءِ القلبيَّةِ، وتحقِّق لنا من الآمالِ ما بك ظنناه، وتكفينا كلَّ مُدْلَهِمَّة[٣] وبليَّةٍ، ولا تجعلنا ممَّن أهواه هواهُ، وتُدْني لنا من حُسنِ اليقين قطوفاً دانية جنيَّةً، وتمحوا عنَّا كلَّ ذنبٍ جنيناه، وتعمَّ جمعنا هذا من خزائن منحك السنيَّة، برحمةٍ ومغفرةٍ، وتديمَ عمَّن سواك غناه، اللهم آمن الرَّوْعَاتِ[٤]، وأصلح الرُّعاةِ والرَّعيةِ، وأعظم الأجر لمن جعل هذا الخيرَ في هذا اليوم أو الليلة وأجراه، اللهمَّ اجعل هذه البلدة وسائر بلاد الإسلام آمنةً رَخِيَّةً، واسقنا غيثاً يعمُّ انسيابُ سَيْبِهِ السَّبْسَبَ[٥] ورُباه، واغفر لناسِج هذه البُرودَ المحبَّرَة المولديَّة؛ جعفرٌ من آل

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في وصف الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ [الفتح: ٢٩].

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝﴾ [آل عمران: ١٧١ ـ ١٧٢].

(٣) المُدْلَهِمُّ: الأسود، وادْلَهَمَّ الليلُ والظلام كَثُفَ واسْودَّ، وليلة مُدْلَهِمَّة أي: مظلمة، وأسود مُدْلَهِمّ مُبالَغٌ به. انظر: لسان العرب [٤/ ٣٩٧، مادة: دلهم].

(٤) الرَّوْعُ: الفزع، راعني هذا الأمرُ يَرُوعني، وارتَعْت له، وروَّعني فتروَّعْت منه. والرَّوْعةُ: الفَزْعة. انظر: معجم العين، للخليل الفراهيدي [٢/ ٢٤٢، مادة: روع]. لسان العرب، لابن منظور [٥/ ٣٧١، مادة: روع].

(٥) السَّبْسَبُ: المَفازَةُ. يقال: بلدٌ سَبْسَبٌ، وبَلدٌ سَباسِبُ، ويقال: السبسب القَفْرُ والمَفازة. انظر: لسان العرب [٦/ ١٥٢، مادة: سبسب].

بَرْزَنْج نسبته ومنتماه، وحقِّق له الفوزَ بقربك، والرَّجاءَ والأمنيةَ، واجعل مع المقرَّبين مَقِيلَه وسُكناه، واستر لكاتبها عيبَه وعجزَه وحصرَه وعيَّه، وقارئها ومن أصاخ[1] إليه سمعَه وأصغاه، وصلِّ وسلِّم على أوَّل قابلٍ للتَّجلِّي من الحقيقة الكليَّة، وعلى آله وصحبه، ومن نصرهُ ووالاه، ما شُنِّفَت[2] الآذانُ من وصفه الدُّرِّي بأقراط[3] جوهريَّةٍ، وتحلَّت صدورُ المحافل المنيفة بعُقود حُلاه.

إلى هنا انتهى مولد البرزنجي

---

(١) أصاخَ له، أي استمع، أصاخ له وأصاخ إليه، قال أبو عبيد: أصَاخَ الرجل يُصيخُ إصاخة، إذا استمع وأنصت لصوت. انظر: تهذيب اللغة للأزهري [٧/٤٧٩، مادة: صخى]، أساس البلاغة للزمخشري [١/٥٦٨، مادة: صيخ].

(٢) يقال: في آذانهن الشنوف والقرطة، ومن المجاز: شنَّف كلامه وقطره: حلاه. الشَّنْفُ: القُرْطُ الأعلى، والجمع شُنوفٌ. وشَنَّفْتُ المرأة تَشْنِيفاً، تَشَنَّفَتْ هي، مثل قَرَّطْتَها فتقرَّطَتْ هي. انظر: الصحاح، للجوهري [٤/ ١٣٨٣، مادة:شنف]. أساس البلاغة للزمخشري [١/ ٥٢٤، مادة: شنف].

(٣) القُرْطُ: الذي يعلَّق في شحمة الأذن، والجمع قِرَطَةٌ وقِراطٌ أيضاً. انظر: الصحاح، للجوهري [٣/ ١١٥١، مادة: قرط].

ربها وتجلى نور محمد فوضعته صلى الله عليه وسلم
مباركاً ميموناً اللهم صل عليه وعلى آله الأخيار وأصحابه
الأنصار صلوات الله عليهم أجمعين آمين الهنا انتهى
هذا المولد وعليه مولد شريف لم أعرف اسم مؤلفه أيضا

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي أنار حنادس الظلام بطلعة نور سيد
الأنام وأفضل الأولين والآخرين فأضاء الكون وفاض الجود
وكان السعود للعالمين وظهر السرور وحصل الحبور
ببعثة خاتم النبيين فهدى أهل الإيمان بنور هديه
وشيد أركان الإسلام بسيف قهره وقمع شرك المشركين
وكسر الأصنام وأظهر الأحكام وبين الحلال والحرام وشيد
أركان الدين فهو الرحمة العامة والنعمة التامة قال تعالى وما
أرسلناك إلا رحمة للعالمين المرسل بالآيات
الواضحات والحجج الباهرات والمعجزات الفاخرات التي
فاقت على سائر معجزات المرسلين أحمده سبحانه وتعالى

مولد شريف لم أعرف اسم مؤلفه أيضاً

مولد شريف
لم أعرف اسم مؤلفه ايضاً

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمدُ لله الّذي أنارَ حَنادسَ الظّلامِ بطلْعةِ نُورِ سيِّدِ الأنام، وأفضلِ الأولّينَ والآخرِين، فأضاءَ الكوْنَ، وفاضَ الجودُ وحَانَ السّعودُ للعالمين، وظَهرَ النّورُ وحصلَ السّرورُ ببعثة خاتم النّبيّين، فهدى أهلَ الإيمان بنور هديه، وشيّدَ أركانَ الإسلام بسيف قهره، ومَحَقَ شِركَ المشركين، فكَسَرَ الأصنامَ، وأظهرَ الأحكامَ، وبيّنَ الحلالَ والحرامَ، وشيّدَ أركانَ الدّين؛ فهو الرّحمةُ العامّة والنّعمةُ التّامةُ، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾[1] [الأنبياء: ١٠٧] المرسَلُ بالآيات الواضحات، والحُجَجِ البَاهِرَات، والمعجزاتِ الفَاخِرَات، التي فَاقَت على سائرِ معجزاتِ المرسلين، أحمدُهُ سبحانَه وتَعالى على هذه النّعمة العَظيمَة، والمنّةِ الجَسِيمَة، التي إمْتَنّ الله بها على هذه الأمّة الكريمة، بوجودِ هذا النّبيّ الكَرِيم، الّذِي فضّله الله على سائر النّبيّين والمرسلين، وفضّل أمّته على سائر الأمَمِ الماضينَ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلّا الله وحدَه لا شريكَ له، ولا ضِدَّ له، ولا معينَ له، خَلَقَ هذا النّبيّ الكريمَ من نورِه، وجَعَلَه نَبِيّاً مُكرَماً، وحَبِيباً مُعظمّاً، وآدمُ بين الماءِ والطّين، فهو مفتاحُ البَرَكَاتِ، ودَليلُ الخيراتِ، وصَاحِبُ

(١) انظر تفسير الجيلاني.

خَوارِقِ العَادَاتِ، ومحمَّد الأمين، وأشهدُ أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه، وصفيُّه، وخليلُه، وحبيبُه، ومختارُه من سائر العالمين، فما أكمَلَه من رَسُولٍ، وما أسعَدَه من مَولودٍ، فتبارك الله أحسنُ الخالقِين؛ فهو البشيرُ النَّذيرُ، السِّراجُ المنيرُ، والكوكبُ الوضَّاح، والنُّور المضيء للسَّائرين، سيِّدُ الكونينِ، وإمامُ الثَّقلينِ، وجَدُّ الحسنين، والشَّفيع المشفَّع في المذنِبِين.

اللَّهُمَّ فصَلِّ وسَلِّم وبَارِك على سيِّدنا محمَّدٍ الَّذِي كانت أنوارُه كتلألؤ القمرِ ليلةَ البدر، وكان أظهرَ اللَّونِ، أدعجَ العينين، واسعَ الجبينِ، أزجَّ الحاجبينِ، أقنى الأنفِ، سهلَ الخدَّيْنِ، مفلَّجَ الأسنان، كأنَّ عنقَه جِيدُ دُمْيَةٍ في صفاء الفِضَّة، وإذا سَارَ لا يُرَى له ظلٌّ، لأنَّه نورٌ من نورِ ربِّ العالمين[1]، صاحبَ اللِّواءِ المعقودِ، والحوضَ المورودِ، والعزِّ الممدود، والشَّفاعةِ العُظمى يومَ الدِّينِ[2]، فمعجزاتُه لا تُحصى وكراماتُه لا تُستقصى، وشمائلُه أعجزتِ الفصحاءَ والمادحين.

إذا الله أثنى بالَّذِي هو أهلُهُ ... عليه فما مقدارُ ما تَمْدَحُ الوَرَى؟[3]

فصلٌ في طرفٍ من فضائله ومعجزاته ﷺ:

فمنها: أنَّه تعالى قَرَنَ طاعتَهُ بطاعتِهِ، فقال الله تعالى، بعد أعوذُ بالله من

---

(١) هذه جملة من خصائص الرَّسول ﷺ الخَلْقية، وقد سبق بحثها وشرحها، فانظرها فيما سبق من الموالد.

(٢) سبق الحديث عن فضائل وما اختص به النبي عن سائر الأنبياء عليهم السلام في الموالد السابقة، فأغنى عن ذكرها هنا.

(٣) هذا البيت لابن الفارض، شرف الدين أبو القاسم عمر بن علي بن مرشد الحموي الأصل المصري، المتوفى سنة[٦٣٢هـ]، وسبب نظمه مع بيت آخر، أنه رؤي في النوم، فقيل له: لم لا مدحت المصطفى في ديوانك. فقال بيتين من الطويل مطلعهما:
أرى كلَّ مدحٍ في النَّبيِّ مقصِّرا ... وإنْ بالغ المثني عليه وأكثرا
انظر: شذرات الذهب، لابن العماد [٧/ ٢٦٧].

الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾(١). وقال: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾(٢).

وخصّه بأنّه خاتمُ النّبيّين وآخرهم بعثاً، فلا نبيَّ بعدَه، وبأنَّ شرعه مؤيّدٌ إلى يوم القيامة، فلا يُنسخ، وشريعتُهُ ناسخةٌ لجميع الشرائعِ قبلهُ، فإنّه لو أدركه الأنبياء لوجب عليهم وعلى أممهم الإيمان به واتّباعُه ونصرته، وأرسلَه الله إلى سائر المخلوقاتِ، الجنِّ والأنسِ والملائكةِ أجمعينَ، ورسالته رحمةٌ للعالمين حتّى للكفّار، فإنَّ الله أخرّ لهم العذابَ إلى الآخرة إكراماً لهذا النّبيِّ الكريم، ولم يعاجلْهم بالعقوبة، كسائر الأممِ المكذبينَ الماضيين، ونصرَهُ الله بالرُّعب أمامه شهراً، وخلفَه شهراً، وأوتي جوامعَ الكَلِم، ومفاتيحَ كنوزِ الأرض، وآتاه الله تعالى علومَ الأنبياء والمرسلين، وعرضَ عليه سائر أمته حتى رآهم وعرفَهُم أجمعين، وعُرِضَ عليه ما هو كائن في أمّته إلى يوم الدِّين، فهو سيِّدُ وَلد آدم وأكرمُ الخلق على الله، وأفضلُ الأنبياء والمرسلين والملائكة المقرَّبين، وأيَّدَه اللهُ بأربعة وزراء: جبرائيلَ وميكائيلَ وأبي بكرٍ وعُمَرَ(٣)، وبناتُه وزوجاتُه أفضلُ نِساء العالمين، وأصحابُه أفضلُ الخلق بعدَهُ أجمعين، وكَانَ سيِّدُنا محمّدٌ نبيّاً، وآدمُ بين الماءِ والطِّين(٤)، وأخذَ عليه الميثاقَ قبل

---

(١) انظر تفسير الجيلاني سورة النّساء [آية: ٥٩]، سورة النور [آية: ٥٤]، سورة محمّد ﷺ [آية: ٣٣].

(٢) انظر تفسير الجيلاني سورة النّساء [آية: ١٣٦]، سورة النور [آية: ٦٢]، سورة الحجرات [آية: ١٥]، سورة الحديد [آية: ٧].

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير [١١/ ٢٧٩، رقم: ١١٤٢٢]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٨/ ١٦٠]. وانظر: الفتاوى الحديثية لابن حجر [ص: ٢١٦]، كنز العمال للهندي [١١/ ٨١٠].

(٤) سبق تخريج الحديث في الموالد السابقة.

النَّبِيِّينَ والمرسلينَ، وخصَّه الله تعالى بأنَّه أوَّلُ من قال: بلى، يومَ (ألستُ بربِّكم)، فبذلكَ صارَ يتقدَّمُ النَّبِيِّين، وخَلَقَ الله آدمَ وسائِرَ مخلوقاتِه لأجلِه، وكَتَبَ اسمَه الشَّريفَ عَلَى العَرْشِ والكُرْسِيِّ والسَّمواتِ وفي الجِنَانِ ومَا فيهَا، وعلى سائرِ مَا في الملكوت، وشَرَحَ اللهُ صَدْرَه وَوَضَعَ وِزْرَهُ، ورَفَعَ ذِكْرَه، فلا يُذكَرُ تَعَالى إلَّا ويُذْكَرُ مَعَه إلى يومِ الدِّين، وذُكِرَ اسمُه ووَصفُه ونَعْتُه في التَّوراة والإنجيلِ والزَّبورِ والفُرْقَانِ، وسائرِ الكتبِ المنزلةِ على المرسلين، وكذلك ذُكِرَت أوصافُ أصحابِه وخلفائِه وأمَّتِه في كُتُبِ المرسلين، وحُجِبَ إبليسُ من السَّمواتِ لمولده الشَّريف، فلم يَصْعَد إليها إلى يوم الدِّين، وشُقَّ صدرُه ﷺ مِرَاراً، أو غُسِلَ قلبُه الشَّريفُ وطُهِّرَ ومُلِئ نوراً وإيماناً وحكمةً، فلم يبقَ فيه حظٌّ لإبليسَ اللَّعين، وخَتَمَ بين كتفَيْه بخاتمِ النبوَّةِ، وسَائِرُ الأنبياءِ خواتِمُهُم في اليَمِينِ[١]، وله ﷺ ألفُ اسمٍ، واشتَقَّ اللهُ تعالى له نحوَ سبعينَ اسماً من أسمائه، وسمِّيَ أحمد، ولم يُسَمَّ به أحداً قبلَه من العالمينَ، وكانت الملائكةُ في سَفَرِه تُظِلُّه والغَمَامَةُ تظلُّهُ، وحيثما سَارَ تسيرُ معه[٢]، وأُعطي الحُسنُ كلُّه، ويوسفُ أعطيَ نصفَ الحسنِ، عليهم الصَّلاة وأفضل التَّسليم.

وأحيا اللهُ له أبويه آمنةَ وعبدَ الله، فآمنَا به على الأصح عند العلماءِ العاملين، فأعطاه اللهُ السبعَ المثاني؛ وهي سورةُ الفاتحة، والقرآنُ العظيمُ الذي أعجزتْ أقصرُ سورةٍ منه فصحاءَ العربِ أجمعين[٣].

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد [١/ ٤١٢]، حلية الأولياء لأبي نعيم [١/ ١٩٢]، أسد الغابة [١/ ١٥].

(٢) انظر: الروض الأنف [١/ ٣١٢]، الخصائص الكبرى للسيوطي [١/ ١٤٢]، حدائق الأنوار للحضرمي [١/ ٢٠١].

(٣) قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر: ٨٧].

ومن معجزاتِه ﷺ: انشقاقُ القمرِ ليلةَ البدرِ[١]، حينَ قال له أبو جهلٍ اللَّعين: يا محمَّدُ، هل يقدرُ ربُّك أن يشقَّ لك القمرَ، فأمسكَ ﷺ ولم يجبهُ، فنزل جبرائيلُ من ساعتهِ، وقال: يا محمَّد، الرَّبُّ أرسلَني إليك، وقد سخَّر لك الأفلاكَ، فاخرجْ إلى البَطْحَاءِ، وأشِرْ بأصبعك إلى القمرِ، ينشقُّ لك نصفَيْنِ في أسرعِ من طرفةِ عينٍ، وكان أبو جهل قد جَمَعَ جميعَ حكماءِ العَرَبِ والكُهَّان، وجميعَ أهلِ الرُّتَبِ، فخَرَجَ رسولُ الله ﷺ وأشار بأصبعيهِ إلى القمرِ، وضجَّتِ الملائكةُ بالصَّلاة عليه، وأمرَ اللهُ القمرَ بالطَّاعة لمحمَّد ﷺ وقرأ جبريلُ: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝﴾[٢] [القمر: ١].

وقد أشارَ النَّبيُّ ﷺ بالمسبِّحتَيْن، فانشقَّ القمرُ نصفينِ، وهبطَ إلى الأرضِ، فصارَ نصفُه عن يمينِ جبلِ أبي قبيسٍ، ونصفُهُ الآخرُ عن شمالِهِ، فرآهُ الحاضرون والمسافرون، ثمَّ ردَّ رسولُ الله ﷺ أصبعيهِ، فارتدَّ القمرُ حتَّىٰ رَجَعَ إلى السَّماء، والتَحَمَ بقدرةِ القَادِرِ العَليم، فحينئذٍ أسْلَمَ جماعةٌ كثيرةٌ من العربِ، وآمنوا بالنَّبيِّ المنتخبِ، وخُذِلَ أبو جهل اللَّعين، وقال: هذا سِحْرٌ مُستمِر، فرَجَعَ رسولُ الله ﷺ مسروراً مؤيَّداً منصوراً على أعدائهِ المشركين، فرآهُ زوجتُهُ خديجةُ الكُبرى، وكانتْ حاملةً بفَاطِمَةَ الزَّهراء، فقالت: يا رسولَ الله، إنَّ الجنينَ الَّذي معي في ظُلمةِ الأحشاءِ، سمعتهُ عند انشقاقِ القَمرِ، يقولُ: لا إله إلَّا الله محمَّدٌ رسولُ الله، سبحانَ من أنطقَ الجنينَ، وأعمى قلبَ أبي جهلٍ اللَّعين!

---

(١) انظر قصة انشقاق القمر للنبيِّ ﷺ في: دلائل النبوة للبيهقي [٢/ ٢٦٢]، شرح مشكل الآثار للطحاوي [٢/ ١٣٢]، السيرة النبوية لابن كثير [٢/ ١١٣]، الخصائص الكبرى للسيوطي [١/ ٢٠٥].

(٢) انظر: انظر تفسير الجيلاني.

ومن معجزاته ﷺ: الإسراءُ من المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأقصى في ليلةٍ واحدةٍ(١)، وعُرِجَ به إلى السّمواتِ السّبعِ إلى سِدْرَةِ المنتهى، إلى قابَ قوسينِ أو أدنى، فسَمِعَ خطابَ العليِّ الأعلى، ورأى من آياتِ ربِّه الكُبرى، ثمَّ رَجَعَ في بقيةِ ليلتِهِ إلى منزلِهِ بمكّةَ مع جبْرِيلَ الأمين(٢).

ومن معجزاته ﷺ: نبعُ الماءِ من بينِ أصابعِهِ الشّريفة؛ فقد كانَ ﷺ مع أصحابِهِ في غزوةِ تَبُوكٍ، فحانتْ صلاةُ العصرِ، ولم يَجدوا ماءً يتوضأوا به، فأتوا رسولَ الله ﷺ، فقال: «أتوني بفضلِ ماءٍ»، فأتوهُ بفضلِ ماءٍ قليلٍ، لم يَغْمُر كَفَّهُ الشّريفَ، فوضَعَهُ الرّسولُ ﷺ في البُرمةِ؛ أي: القصعةِ، وَوَضَعَ كفَّهُ الشّريفَ، وقال: بسم الله، قال أنسُ بن مالك ﷺ: فرأيتُ الماءَ يَفُورُ وينبُعُ من بينِ أصابعِهِ ﷺ، كالعيونِ حتى امتلأتْ البُرْمَةُ، فتوضأنا واستقَيْنا وارتوَيْنا، ولو كنّا مِائةَ ألفٍ لَكَفَانَا، ولكن كنّا خمسةَ عشرَ مائة يقيناً(٣).

ومن معجزاته ﷺ: إشباعُ الجيشِ الكبيرِ من القَدْرِ اليسيرِ من الطّعامِ؛ فقد رَوَى جابرُ بنُ عبدِ الله الأنصاريُّ ﷺ، «أنَّ رسولَ الله ﷺ صنعَ يومَ الخندقِ للصَّحابةِ المقاتلينَ معه، وكانوا ألفَ رَجُلٍ، طعاماً صاعاً من شعيرٍ وعَنَاقاً(٤)،

(١) قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ①﴾ [الإسراء: ١].

(٢) وهو مذهب الجمهور من العلماء، والمحدثين، والفقهاء، والمتكلمين، وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة. انظر: الرّوض الأنف [٢/ ١٩٠] تنزيه الشريعة المرفوعة لابن عراق [١/ ١٦٩]، السيرة النبوية لابن كثير [٢/ ١٠٦]، الإسراء والمعراج للسيوطي [ص: ٣٢].

(٣) انظر: الشفا [١/ ٢٨٥]، سبيل الهدى والرشاد [٩/ ٤٤٧]، وقد سبق الإشارة إلى تعدّد هذه المعجزة لرسول الله ﷺ في الموالد السابقة.

(٤) العَنَاقُ: الأنثى من أولاد المعز والضّأن ما لم يتم لها سنة، وجمعها عنوق جاء على غير قياس. انظر: الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي [ص: ١٤٢].

فأكلوا وشبعوا، والخبزُ بُخبزٌ، واللَّحمُ في البُرْمَةِ كما هو، وأشبعَ في غزوةِ تبوكِ الجيشَ من مقدارِ عشرة تمرة»(١) قال أبو هُرَيْرَةَ: (وأكَلْتُ منًا فضلَ مدَّةَ حياةِ رسولِ الله ﷺ، ومدَّة خلافةِ أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ، حتىٰ قُتِلَ عثمانُ، وانتهى ذلك التَّمرُ منيّ).

ومن معجزاته ﷺ: تكليمُ الشَّجرةِ وإجابتِها له ﷺ؛ فقد رَوَى ابنُ عُمَرَ رضي الله عنه: «أنَّ النَّبيَّ ﷺ دَعَا أعرابياً إلى الإسلامِ فقال: «مَنْ يشهدُ لك أنَّك رسولُ اللهِ؟» فقال النَّبيُّ ﷺ: «هذه الشَّجرةُ»، فدَعَاهَا رسولُ اللهِ ﷺ، فجاءتْ تَخُدُّ؛ أي: تَشُقُّ الأرضَ، حتىٰ قامتْ بين يديهِ ﷺ، وقالتْ: أشهدُ أنْ لا إلهَ إلَّا الله، وأشهدُ أنَّ محمَّداً رسولُ الله ثلاثَ مراتٍ»(٢).

ومن معجزاته ﷺ: تسبيحُ الحَصَى؛ عن أنسٍ رضي الله عنه، «أنَّه ﷺ أخذَ كفّاً من حَصىً، فصارتْ تسبّحُ في كفِّه»(٣).

وقال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه، قال: «كنَّا نسمعُ تسبيحَ الطَّعامِ في كفِّ سيِّدِ الأنامِ، حينَ نأكلُ معه ﷺ»(٤).

وقال عليٌّ رضي الله عنه: «كنَّا مع رسولِ الله ﷺ بمكَّةَ، فخَرَجَ في بعضِ نواحيها، فما استقبلَهُ شجرٌ ولا حجرٌ، إلَّا قالَ: السَّلامُ عليكَ يا رَسولَ اللهِ»(٥).

---

(١) انظر: السيرة النبوية لابن كثير [٣/ ١٨٧]، الخصائص الكبرى للسيوطي [ص: ٣٨٣].

(٢) انظر: المعجم الكبير للطبراني [١٢/ ٤٣١، رقم: ١٣٥٨٢]، مسند أبي يعلى الموصلي [١٠/ ٣٤، رقم: ٥٦٦٢]، الشفا [١/ ٢٩٨]، دلائل النبوة للبيهقي [٢/ ١٥٤].

(٣) انظر السيرة الحلبية [٣/ ٣٥٢] و الرياض النضرة [١/ ٢٧٤] و البداية و النهاية [٦/ ٢٠٤].

(٤) انظر: المعجم الأوسط للطبراني [٤/ ٣٨٤، رقم: ٤٥٠١]، سنن الترمذي [٥/ ٥٩٧، رقم: ٣٦٣٣]، دلائل النبوة للبيهقي [٤/ ١٢٩].

(٥) انظر: المستدرك للحاكم [٢/ ٦٧٧، رقم: ٤٢٣٨]، سنن الترمذي [٥/ ٥٩٣، رقم: ٣٦٢٣]، السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٤٠٢].

ومن معجزاته ﷺ: كلامُ الحيواناتِ؛ وعن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قال: «جاءَ أعرابيٌّ من بني سليمٍ، قد صادَ ضبّاً، فرأى رسولَ الله ﷺ في محفلٍ أصحابِه، فقال: من هذا؟ فقالوا: نبيُّ الله، فقال: واللّاتِ والعُزّى[1]، لا أؤمنُ به حتىٰ يُؤمِنَ هذا الضّبُّ، وطَرَحَه بين يدي رسولِ الله ﷺ، فقال الرّسولُ للضّبِّ: «يا ضبُّ»، فقال: لبّيكَ وسَعْدَيْكَ، يا زَيْنَ من أوفى القيامةَ، فقال له الرّسولُ: «من تَعْبُدُ؟» قال: الّذي في السّماءِ عرشُه، وفي الأرضِ سلطانُه، وفي البَحْرِ سبيلُه، وفي الجنّةِ رحمتُه، وفي النّارِ عقابُه. فقال: «من أنا؟» قال: رسولُ ربِّ العالمين، وخاتَمُ النّبيّين، وقد أفلحَ من صدَّقكَ، وخابَ من كذَّبكَ، فأسلَمَ الأعرابي»[2].

وشَهِدَ أيضاً الذّئبُ بنبوّته ورسالتِه، بلسانٍ فصيحٍ[3]، وشَكَا البعيرُ لرَسولِ اللهِ ﷺ أنَّ أصحابَه يُكثِرُون عليه العَمَلَ، ويقلّلونَ عليه العَلَفَ، وأرادوا أنْ يذبحُوه، فنهاهُم الرّسولُ عن ذلك[4].

وكانَ الرّسولُ ﷺ في الصّحراءِ، فنادتْهُ ظَبْيَةٌ، أي: غزالةٌ: يا رَسولَ الله، قال: مَا حَاجَتُكِ؟ قالتْ: صَادَني هذا الأعرابي، ولي خِشْفَانَ في ذلك الجبلِ، فأطلِقني حتىٰ أذهَبَ، فأرضِعهُما وأرجعُ، قال: أو تَفْعَلِينَ؟ فقالتْ:

---

(١) صنمان كانت العرب تعبدانهما من دون الله، وتحلفان بهما. واللّات: اسم صنم كان لثقيف، وكان بالطائف، والعزّى سمرة كانت لغطفان يعبدونها، وكانوا بنوا عليها بيتاً وأقاموا لها سدنة، فبعث إليها رسول الله ﷺ خالدَ بنَ الوليد، فهدم البيت، وأحرق السمرة. انظر: الصّحاح للجوهري [٦/ ٩٩، مادة: له]، و[٣/ ٢٤، مادة: عزه].

(٢) انظر: أعلام النبوة للماوردي [ص: ١٥٨]، سبل الهدى والرشاد [٩/ ٥٢٠].

(٣) انظر: دلائل النبوة للبيهقي [٦/ ٤١]، دلائل النبوة لأبي نعيم [٢/ ٣٧٣]، الشفا للقاضي عياض [١/ ٣١٠].

(٤) انظر: دلائل النبوة للبيهقي [٦/ ٢٨]، دلائل النبوة لأبي نعيم [٢/ ٣٨٠].

نَعَم. فأطلقَها، فذهبتْ، ورجعتْ، فأوثَقها، فقال الأعرابيُّ: يَا رَسُولَ الله، أَلَكَ حَاجَةٌ؟ قال: تُطلِق هذه الظَّبْيَةَ، فأطلقها تعدو في الصَّحراءِ، وتقول: أشهدُ أن لا إلهَ إلَّا الله، وأنَّك رسولُ الله(١).

ومن المشهورِ أنَّ الشَّاةَ المسمومةَ كلَّمتْ رسولَ الله ﷺ حينَ صَنعتْها له زينبُ اليهوديةُ بخيبرٍ، فأكلَ منها رسولُ الله ﷺ، وأكلَ الصحابةُ، فقال لهم الرَّسولُ: «ارفعوا أيديكم، فإنَّها أخبرتني أنها مسمومةٌ»، فماتَ بِشْرُ بن البَرَاءِ ﷺ(٢)، فقال الرَّسولُ ﷺ لليهوديةِ: «ما حملكِ على ذلك؟» فقالتْ: إنْ كنتَ نبيّاً لم تضرّكَ، وإنْ كنتَ ملكاً أرحتُ منكَ النَّاسَ. فأمرَ الصَّحابةَ بقتلِها عن بِشرِ بنِ البَرَاءِ(٣).

ومن معجزاته ﷺ: إبراءُ ذَوِي العَاهَاتِ؛ رُوِيَ أنَّ قتادةَ بنَ النُّعمانِ(٤)، فُقِئَتْ عينُه يومَ أُحُدٍ، وسالَتْ على وجْنَتيهِ، فردَّها رسولُ الله ﷺ بيدِه، فصارتْ كأحسنِ ما كانتْ(٥).

---

(١) انظر: المعجم الأوسط للطبراني [٥/ ٣٨٥، رقم: ٥٥٤٧]، الخصائص الكبرى للسيوطي [٢/ ٩٥]، الشفا [١/ ٣١٤]. دلائل النبوة للبيهقي [٦/ ٣٥].

(٢) هو: بشر بن البراء بن معرور الأنصاري الخزرجي من بني سلمة، شهد العقبة وبدراً وأحداً والخندق، وكان من الرماة المذكورين من الصَّحابة، ومات بخيبر، بسبب أكله من الشاة المسمومة. انظر: الاستيعاب، لابن عبد البر [ص: ٨٣]، الإصابة لابن حجر [١/ ١٥٥].

(٣) انظر خبر الشاة المسمومة في: الروض الأنف [٤/ ٨١]، السيرة النبوية لابن كثير [٣/ ٣٩٤]، الشفا [١/ ٣١٨].

(٤) هو: قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن كعب الأوسي الظفري الأنصاري، شهد بدراً والمشاهد كلَّها، كان ﷺ من فضلاء الأنصار، وكانت وفاته في سنة [٢٣هـ]. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر [ص: ٦١٦]، الإصابة لابن حجر [٥/ ٢٢٩].

(٥) فكانت أحسن عينيه، وكانت لا تعتل وتعتل التي لم ترد. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر [ص: ٦١٦]، المواهب اللدنية للقسطلاني [٢/ ٥٨٠].

وكان عليٌّ ﷺ يَرْمَدُ، فَتَفَلَ رسولُ الله ﷺ يومَ خَيْبَرَ في عينَيْه، فَبَرَىَ[١].

وعن حَبِيبِ بنِ فديكٍ[٢]: أنَّ أباهُ ابيضَّتْ عيناهُ، فلم يُبْصِر بهما شيئاً، فَنَفَثَ ﷺ في عينَيْهِ، فَصَارَ يَضُمُّ الخيطَ في الإبرةِ، وهو ابنُ ثمانينَ سنةً[٣].

وكُسِرَتْ سَاقُ ابنِ الحَكَمِ[٤] يومَ الخَنْدَقِ، فَمَسَحَهَا رسولُ الله ﷺ بريقِهِ الشَّريفِ، فَبَرِئَتْ مِنْ سَاعَتِهَا، وَمَا نَزَلَ مِنْ فَرَسِهِ[٥].

وقَطَعَ أبو جَهْلٍ اللَّعين يدَ معوِّذِ بن عَفْرَاءَ في يومِ بَدْرٍ، فحملَها وجَاءَ بها للنَّبيِّ ﷺ، فبَصَقَ عليها رسولُ اللهِ ﷺ وألْصَقَهَا في مَكَانِها، فلَصَقَتْ وعَادَتْ كَمَا كَانَتْ[٦].

وأُصِيبَ خُبَيْبٌ أيضاً يومَ بَدرٍ بضربةٍ بالسَّيفِ على عُنُقِهِ، فَمَالَتْ، فَرَدَّهَا رسولُ الله ﷺ، وتَفَلَ عَلَيْهَا، فَصَحَّتْ كَمَا كَانَتْ.

وكَانَ رسولُ الله ﷺ يُوحى إليه مرَّةً، ورأسُه الشَّريفُ على رُكْبَةِ عليِّ بن أبي طَالِبٍ ﷺ، وكَانَ سيِّدُنَا عليٌّ لم يُصَلِّ العَصْرَ، فَغَرَبَتِ الشَّمسُ، فلمَّا جَلَسَ النَّبيُّ ﷺ، وفهِمَ من سيِّدنا عليٍّ أنَّه لم يصلِّ العَصْرَ، فقال: اللَّهمَّ إنَّه كان في طاعتِكَ وطاعةِ رَسُولك، فارْدُدْ عليه الشَّمسَ، فردَّ الله الشَّمسَ بعد

---

(١) انظر: المواهب اللدنية [٢/ ٥٨١].

(٢) هو: حبيب بن فديك أبو فديك، ويقال: حبيب بن فويك، قال ابنُ عبد البر: (اضطرب في حديثه). انظر: الاستيعاب، لابن عبد البر [ص: ١٦١].

(٣) انظر: الشفا للقاضي عياض [١/ ٣٢٣]، المواهب اللدنية [٢/ ٥٨١].

(٤) هو: علي بن الحكم السلمي، قال ابن عبد البر: (أخو معاوية بن الحكم له صحبة أظنه علياً السلمي جد خديج بن سدرة بن علي السلمي من أهل قباء). انظر: الاستيعاب [ص: ٥٤٤].

(٥) انظر: الشفا للقاضي عياض [١/ ٣٢٣]، سبيل الهدى والرشاد [٤/ ٣٧٠].

(٦) انظر: عيون الأثر لابن سيِّد النَّاس [١/ ٣٤٢]، الشفا للقاضي عياض [١/ ٣٢٤].

غروبها، وطَلَعَتْ على مِقْدَارِ نِصْفِ قَامَةٍ، حتى صلَّى سيِّدنا عليٌّ صلاةَ العصرِ، ثمَّ عادتْ غربتْ، كَانَ ذلك بدُعائِهِ ﷺ[1].

وأخبرَ النبيُّ ﷺ بجميعِ الفِتَنِ والوقائعِ الكائنةِ إلى يومِ القِيَامَةِ، وأخبرَ ﷺ بجميعِ المغيَّباتِ، وبفتحِ البلادِ، وبجميعِ مَا وَقَعَ، وَمَا سَيَقَعُ في هذه الأمَّةِ إلى يومِ القِيَامَةِ، ومعجزاتُه ﷺ وكراماتُه لا تَكَادُ تُحصى.

وقال العارفُ بالله تعالى الشَّيخُ علوانُ الحَمَويّ[2] في كتابِ (نَسَمَاتُ الأَسْحَارِ)[3]: «قد وَرَدَ فضلُ الصَّلاةِ على النَّبيِّ ﷺ أحاديثُ كثيرةٌ، وفضائلُ الصَّلاةِ على رسولِ الله لا تكادُ تُحصَى، منها:

قولُه ﷺ: «مَنْ صلَّى عليَّ ليلةَ الجمعةِ مائةَ مرَّةٍ غُفِرَتْ له خطيئةُ عشرينَ سنةً، ومن صلَّى عليَّ يومَ الجمعةِ مائةَ مرَّةٍ، غُفِرَتْ له خطيئةُ ثمانينَ سنةً»[4].

وعن ابنِ مسعودٍ عن النَّبي ﷺ أنَّه قَالَ: «إنَّ للهِ ملائكةً سيَّاحِينَ في الأرضِ، يبلِّغوني عن أمَّتي السَّلامَ»[5].

وعن أنسِ بن مالكٍ ﷺ، أنَّ رسولَ الله ﷺ، قال: «مَا مِنْ عبدٍ يصلِّي

---

(١) انظر: الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي [٢/ ٣٧٥]، السيرة الحلبية [٢/ ١٠٣].

(٢) هو: علي بن عطية بن الحسن بن محمد ابن الحواد، الهيتي، المعروف بـ(علوان الحمري) ولد سنة [٨٧٣هـ]، وتوفي سنة [٩٣٦هـ]. انظر: هدية العارفين للباباني [١/ ٧٤٢].

(٣) عنوان الكتاب كاملاً: (نسمات الأسحار في كرامات الأولياء الأخيار). انظر: هدية العارفين [١/ ٧٤٣].

(٤) انظر: القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع للسخاوي [ص: ٢٨٢].

(٥) أخرجه النسائي في السنن الكبرى [١/ ٧٠، رقم: ١٢٠٦]، وابن حبّان في صحيحه [٣/ ١٩٥، رقم: ٩١٤]، والإمام أحمد في مسنده عن ابن مسعود وأبي سعيد رقم [٤٣٢٠] و[٧٤٢٤].

عليَّ صلاةً تعظيماً لحقِّي إلَّا خَلَقَ اللهُ من ذلك القولِ مَلَكاً له جناحٌ بالمشرقِ وجناحٌ بالمغربِ؛ يقولُ اللهُ لَهُ: صَلِّ عَلَى عَبْدِي، كَمَا صلَّى عَلَى نَبِيِّي، فهو يُصلِّي عليه إلى يوم القِيامَةِ»[1].

وعن الحسنِ البَصْرِيِّ عن حُذَيفَةَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «أَكْثِرُوا مِنَ الصَّلاةِ عليَّ في يومِ السَّبْتِ، فإنَّ اليهودَ تُكثِرُ من سبِّي فيه، فَمَنْ صلَّى عَلَيَّ فيه مائةَ مرَّةٍ، فقد أَعْتَقَ نفسَهُ من النَّارِ، وحَلَّتْ لَهُ الشَّفاعةُ، فيشفعُ يومَ القِيامَةِ لِمَنْ أَحَبَّ»[2].

وعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قَالَ: «إذا كَانَ يَوْمُ الخميسِ وليلةُ الجمعةِ، بَعَثَ اللهُ ملائكةً مَعَهُم صُحُفٌ من فضَّةٍ، وأقلامٌ من ذَهَبٍ، يَكتُبُونَ يومَ الخميسِ وليلةَ الجمعةِ أكثَرَ النَّاسِ صَلاةً عَلَيَّ»[3].

وعن أنس بن مالك ﷺ، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ صلَّى عليَّ في يومٍ أَلْفَ مرَّةٍ، لم يَمُتْ حتَّى يَرَى مَقْعَدَه في الجنَّةِ، وفي روايةٍ حتَّى يُبَشَّرَ بالجنَّةِ»[4].

وعن ابن عُمَرَ ﷺ، قال: قال ﷺ: «أَكْثِرُوا مِنَ الصَّلاةِ عليَّ، فإنَّها نورٌ في القَبْرِ، ونورٌ على الصِّراطِ، ونورٌ في الجنَّةِ»[5].

وقَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ أَكْثَرَ الصَّلاةَ عَلَيَّ، شَكَرْتُه بَيْنَ يَدَي اللهِ ﷻ».

---

(١) انظر: القول البديع [ص: ١٧٠].
(٢) أورده الإمام السخاوي في القول البديع [ص: ٢٨٨]، عن حذيفة مرفوعاً.
(٣) قال الإمام السخاوي: (رواه ابن بشكوال، وفي سنده من لم أعرفه). انظر: القول البديع [ص: ٢٨٣]
(٤) انظر القول البديع [ص: ١٨٥]
(٥) انظر: إعانة الطالبين [١/ ١٣].

وعن النَّبيِّ ﷺ أنّه قال: «مَنْ أكثرَ الصَّلاةَ عَلَيَّ في حَيَاتِه، أمَرَ اللهُ جميعَ المخلوقاتِ أنْ يستَغْفِرُوا له في مَمَاتِه».

وعن أنس بن مالك عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «ما مِنْ أحدٍ يذكُرني ويصلِّي عليَّ إلَّا غَفَرَ اللهُ له ذُنُوبَه، وإنْ كانتْ أكثرَ من رَمْلِ عَالِجٍ»(١).

وعن عائشةَ ﵂، أنها قالتْ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: «من سرَّهُ أن يَلْقَى اللهَ تعالى وهو عنهُ راضٍ، فليُكثِرِ الصَّلاةَ عَلَيَّ»(٢).

وعن أبي بكرٍ الصِّديقِ ﵁، أنَّه قال: «الصَّلاةُ على النَّبيِّ ﷺ أمحقُ للذُّنُوبِ من الماءِ البَارِدِ للنَّارِ، والسَّلامُ عليه أفضلُ من عِتْقِ الرِّقَابِ»(٣).

ورُوِيَ عنه ﷺ أنَّه قال: «ألا أدلُّكم على خيرِ النَّاسِ، وشرِّ النَّاسِ، وأبخلِ النَّاسِ، وأكسلِ النَّاسِ، والأمِ النَّاسِ، وأسرقِ النَّاسِ؟ قِيلَ: بلى يا رسولَ اللهِ، قال: خيرُ النَّاسِ من انتفع به النَّاس، وشرُّ النَّاسِ من شَقِيَ به أخوهُ المسلم، وأكسلُ النَّاسِ من رَقَدَ في ليلتِهِ ولم يذكرِ اللهَ بلسانهِ وجوارحِهِ، والأمُ النَّاسِ مَنْ إذا ذُكِرْتُ عندهُ، فلمْ يصلِّ عليَّ، وأبخلُ النَّاسِ من بخلَ بالتَّسليمِ على النَّاسِ، وأسرقُ النَّاسِ من يسرقُ صلاتَهُ، قال: لا يتمُّ بركوعها ولا سجودها»(٤).

وعن كعبِ الأحبارِ ﵁، أنه قال: (أوحى اللهُ إلى مُوسى، يَا مُوسى،

---

(١) رملُ عالجٍ: موضعٌ بالباديةِ قال: (أو حيثُ رملُ عالجٍ تعلَّجا..............)
تَعَلُّجُهُ: اجتماعه. انظر: معجم العين للفراهيدي [٢٢٩/١].

(٢) انظر: القول البديع [ص:١٨٠].

(٣) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض [٧٧/٢]، بستان الواعظين لابن الجوزي [ص:٢٩٦]، مختصر تاريخ دمشق لابن منظور [٣١٠/١]، القول البديع للسخاوي [ص: ١٧٧].

(٤) انظر: القول البديع للسخاوي [ص:٢١٨].

لولا من يحمدُني ما أنزلتُ من السّماءِ قطرَةً، ولا أنبتُّ من الأرضِ وَرَقَةً، يا موسى، لولا من يعبُدني ما أمهلتُ من يعصني طَرْفَةَ عَيْنٍ، يا موسى، لولا من يشهدُ أنَّ لا إلهَ إلّا الله، لسَلَّطْتُ جهنَّم على الدُّنيا، يا موسى، إذا لَقِيتَ المساكِينَ، فسَألهم كَمَا تَسأَلُ الأغنياء، فإنْ لم تفعلْ، فاجعل كلَّ شيءٍ عملتَ أو عملتَ تحت التُّرابِ، يا موسى، أتُحِبُّ أنْ لا يَنالَكَ عطشٌ يومَ القِيامَةِ؟ قال: إلهي، نعم. قال: فأكثِرْ من الصّلاةِ على محمّدٍ ﷺ»[1].

ورُوِيَ عنه ﷺ أنّه قال: «مَنْ صلّى عليَّ مرّةً واحدةً، أمَرَ اللهُ حافظَيْهِ أنْ لا يكتبا عليه ذنباً ثلاثةَ أيامٍ»[2].

وحكى عبدُ الواحدِ بن زيدٍ[3]، قال: خرجتُ حاجّاً فصَحِبني رجلٌ، فكانَ لا يقومُ ولا يقعدُ ولا يجيءُ ولا يذهبُ إلّا صلّى على النّبي ﷺ، فقلتُ له: في ذلك؟ فقال: إنّي خرجتُ مرّةً إلى مكّةَ ومعي أبي، فلمّا انصرفْنَا إلى بعضِ المنازلِ، فبينما أنا نائمٌ أتاني آتٍ، فقال: قُمْ، فقد أماتَ الله أباكَ واسوَدَّ وجهُه، فانتبهتُ مرعوباً فَزِعاً، وكَشَفتُ الثّوبَ عن وجهِهِ، فإذا هو أسودٌ، فتَحَيَّرتُ من ذلك، وتنحّيتُ عنه، وجلَسْتُ مُتفكِّراً، فغلبني عيناي فَنِمْتُ، فرأيتُ كأنَّ عندَ رأسِه وعندَ رجلَيْه أربعة سُودانٍ، معهم أربعةُ أعمدةٍ من حَديدٍ، إذ أقبلَ رَجُلٌ حَسَنُ الوَجْهِ بين يَدَيهِ ثوبانِ أخضرانِ، فَقَالَ لهم: تَنَحُّوا عنه، فَتَنَحُّوْا، فَرَفَعَ الثَّوبَ عن وَجْهِهِ،

---

(١) انظر: حلية الأولياء [٦/ ٣٢]، تاريخ دمشق لابن عساكر [٦١/ ١٥٠]، القول البديع للسخاوي [ص:١٨٢].

(٢) ذكره ابن الجوزي في بستان الواعظين [ص:٢٨٧]، والأبشيهي في المستطرف [٢/ ٦١١]، قال السخاوي في القول البديع [ص: ١٧٨]: (لم أقف له على سند).

(٣) هو: شيخ البصرة، العابد الواعظ، كنيته أبو عبيدة. توفي سنة [١٧٧هـ]. انظر: الجرح والتعديل، لأبي حاتم [٦/ ٢٠] العبر للذهبي [١/ ٢٠٨].

وَمَسَحَهُ بيدِه، ثمَّ أتاني، فقال: «قُمْ، فَقَدْ بيَّضَ اللهُ وجه أبيك»، فقلتُ: مَنْ أنت؟ قَالَ: «أنا محمَّدٌ رَسُولُ الله»، فقلتُ: ما السَّببُ في مَسِيرِك إلى أبي يا رسولَ الله، ﷺ؟ فقال: «إنَّه يُكْثِرُ الصَّلاة عليَّ»، قال: فَقُمْتُ وَكَشَفْتُ الثَّوبَ عن وجهِهِ، فإذا هو أبيضُ الوَجْهِ، فأصلحتُ شَأْنَه ودَفَنْتُه، وما تَرَكْتُ الصَّلاةَ عَلَى محمَّدٍ ﷺ[1].

ورُوِيَ عن عائشةَ رضي الله عنها، قالت: «كُنْتُ أخيطُ شيئاً في وقتِ السَّحرِ، فَسَقَطَتِ الإبرةُ، وانطَفَأَ المصباحُ، فَدَخَلَ رسولُ الله ﷺ، فأَضَاءَ البيتُ من ضِيَاءِ وجهه، فوَجَدْتُ الإبرةَ، فقلت: مَا أضوأَ وجهَك، يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ! فقال: «يا عائشةُ، الوَيْلُ لمن لا يَرَاني يومَ القِيَامَةِ»، فَقُلْتُ: مَنْ ذا الذي لم يَرَكَ يومَ القِيَامَةِ؟ قال: «البَخِيلُ». فَقُلْتُ: ومَنِ البَخِيلُ يا رسولَ الله؟ قال: «الَّذي إذا ذُكِرْتُ عندهُ لم يصلِّ عليَّ»»[2].

وعنه ﷺ أنَّه قَالَ: «ثلاثةٌ تحتَ ظلِّ العرشِ يومَ لا ظلَّ إلَّا ظلُّه، قِيلَ: وَمَنْ هُم يَا رَسُولَ الله؟ قال: مَنْ فرَّج عن مكروبٍ، ومن أحيا سنَّتي، ومن أكثرَ الصَّلاةَ عليَّ»[3].

ورُوِيَ عنه: «أنَّه إذا كانَ يومُ القيامةِ، وُضِعَتْ حسناتُ المؤمنِ وسيِّئاتُه في الميزانِ، فتنزلُ صحائفُ بيضٌ من عندِ اللهِ على حسناتِ المؤمنِ، فترجَحُ

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين [٤/٥٠٧]، بستان الواعظين لابن الجوزي [ص: ٢٨٩]، المنامات لابن أبي الدنيا [ص: ٦٩].

(٢) انظر: جلاء الأفهام لابن القيم [١/٩٠]، فضل الصلاة على النبي ﷺ للجهضمي [ص: ٤١].

(٣) انظر: القول البديع [ص: ١٨١].

على سيئاتِه، فيُقَالُ له: إنَّ هذهِ صلاتُك على النَّبي ﷺ ادُّخِرَت لك إلى هذا الوَقتِ»(١).

وعن كَعْبِ الأحبار، ﷺ تعالى، أنَّه قال: «لمَّا أرَادَ الله أن يخلقَ محمَّداً ﷺ أمَرَ جِبْرِيلَ ﷺ أن يأتِيَهُ بالطِّينَةِ التي هي قلبُ الأرضِ وبهاؤُها ونورُها، فَهَبَطَ في ملائكةِ الفردوسِ وملائكةِ الرفيعِ الأعلى، فقبضَ قبضةَ رسولِ الله ﷺ من محلِ قبرهِ الشريفِ، وهي بيضاءُ منيرةٌ، فعُجِنَت بماءِ التَّسنيم، ثمَّ غُمِسَتْ في أنهارِ الجنَّةِ حتىٰ صَارَتْ كالدُّرَةِ البَيْضَاءِ، لها شُعَاعٌ عَظِيمٌ، ثمَّ طَافَتْ بها الملائكةُ حولَ العرشِ والكرسي، وفي السَّمواتِ والأرضِ، والجِبالِ والبِحارِ، فعرفتِ الملائكةُ وجميعُ الخلقِ سيِّدَنا محمَّداً ﷺ، قَبْلَ أن تَعْرِفَ آدمَ عليه الصَّلاة والسَّلام، ولمَّا خَلَقَ اللهُ آدمَ جَعَلَ نورَ محمَّد ﷺ في ظَهْرِه، وكَانَ يلمعُ في جَبِينِه، فيغلبُ على سائرِ نورِه، والملائكةُ يَقِفُونَ حوله صفوفاً ينظرون إلى هذا النُّورِ العظيمِ، ثمَّ طِيفَ بآدم في سَائِرِ الملكوت ليَرَى عَجَائِبَهُ، ثمَّ أَمَرَ الملائكةَ بالسُّجودِ لآدمَ، فسَجَدُوا إلَّا إبليسَ، فطَرَدَهُ الله وخزاهُ، ثمَّ خلقَ حواءَ زوجتَهُ، من ضِلَعِه الأيسرِ القَصِيرِ، وهو نَائِمٌ، فلمَّا استَيْقَظَ وَرَآهَا، سَكَنَ إليها، وأرادَ مدَّ يدهُ إليها، فكفَّتْهُ الملائكةُ حتىٰ يؤدِّيها المهرَ، فقال: ما مهرُها؟ قالوا: تصلِّي على محمَّدٍ ثلاثَ مراتٍ، وفي روايةٍ: عشرينَ مرَّةً، ففعلَ، فزوَّجهُ الله بها(٢)، ففاضَتْ بركاتهُ عليها، فولدتْ له في تلك الأعوامِ الحسنا أربعينَ ولداً في عشرينَ بطناً، فوضعتْ شيئاً وحدهُ، إشارةً إلى أنَّه

---

(١) انظر: القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، للسخاوي [ص: ١٨٢].

(٢) ذكرها ابن الجوزي في كتابه: (سلوة الأحزان)، كما ورد في المواهب اللدنية للقسطلاني. انظر: المواهب [١/ ٧٦].

أفضلُ أولادِهِ، ولذا انتقل النُّورُ المحمَّدي إليه، وكان آدمُ أوصاهُ أن لا يضعَ هذا النُّور إلَّا في المطهراتِ من النِّساءِ، ليتصلَ إلى المطَّهرين من الرِّجالِ).

قال ﷺ: «إنَّ اللهَ اصطفى كِنَانةَ من ولدِ إسماعيلَ، واصطفاني من بَنِي هَاشِمٍ، فأنَا خِيَارٌ مِنْ خِيَارٍ»[1].

ويُروى أنَّه ﷺ خطبَ، فقال: «أنا محمَّدُ بنُ عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مَنَاف بن قُصَيّ بن كِلَاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غَالِب بن فِهر بن مالك بن النَّضْر بن كِنَانة بن خُزَيْمَة بن مُدْرِكَة بن إلياس بن مُضَرَ بن نِزَار بن مَعَدّ بن عدنان[2]، وما افترقَ النَّاسُ فرقتين إلَّا جعلني اللهُ في خيرِهما، فأُخرِجْتُ من بين أبوي ولم يُصِبْنِي شيءٌ من عُهْرِ الجاهليةِ، وخَرَجْتُ من نِكَاحٍ، ولم أخْرُجْ من سِفَاحٍ، من لَدُنِ آدمَ إلى أبي وأمِّي، فأنا خيرُكُم نفْساً، وخيرُكم أباً»[3].

ثمَّ لم يَزَلْ نورُه ﷺ ينتقلُ من صُلْبٍ إلى صُلْبٍ، إلى أنْ استقرَّ في صُلْبِ جدِّه عبدِ المطَّلِب، فلمَّا صَارَ نورُه ﷺ وأدرك، نَامَ يوماً في الحِجْرِ، فانتَبَه مَكحولاً مَدْهُوناً، قد كُسِيَ حُلَّةَ البَهَاءِ والجَمَالِ، فبَقِيَ مُتَحَيِّراً لا يَدْرِي مَنْ فَعَلَ بِه ذلك، فأخذهُ أبوه بيدِه، فانطَلَقَ إلى كَهَنَةِ قُرَيْشٍ، فقالوا له: اعلَم أنَّ إلهَ السَّمواتِ قد أَذِنَ لهذا الغُلامِ أن يتزوَّجَ، وكانتْ تفُوحُ منه رائحةُ المسكِ الأذفرِ، ونورُ النَّبي ﷺ يُضِيءُ في غرَّتهِ، ثمَّ إنَّ عبدَ المطلب تزوَّج بفاطمةَ من

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، عن واثلة بن الأسقع، [رقم: ٢٢٧٦]. وانظر: كنز العمال، للمتقي الهندي [١٢/ ٢٢، رقم: ٣٣٩٢٧]، الشفا، للقاضي عياض [١/ ٨٢].

(٢) انظر: صحيح البخاري [٣/ ٥٤]، الكامل في التاريخ لابن الأثير [٢/ ٥ ـ ٣٣]، الطبقات الكبرى لابن سعد [١/ ٥٨]، فتح الباري، لابن حجر [٧/ ١٦٣ ـ ١٦٤].

(٣) انظر: مصنف بن أبي شيبة [٧/ ٤٠٩]، عيون الأثر [١/ ٧٥].

بني زُهرة، فحملتْ منه بعبد الله؛ والدِ النَّبي ﷺ، فلمَّا ولدتْهُ، انتقل النُّور المحمَّديّ إليه، فكان عبد الله أجملَ غلمانِ قريشٍ؛ لظهورِ النُّورِ المحمَّدي في جبهتِهِ، فلمَّا أدركَ ذَهَبَ به أبُوهُ إلى وَهْبِ بنِ عبد مَنَاف بن زُهْرَة، وهو يومئذٍ سيِّدُ بني زُهْرَة نَسَباً وشرفاً، فَخَطَبَ له ابنَتَهُ آمنةَ؛ أفضلَ امرأةٍ من قُرَيشٍ نسباً وموضعاً، فلمَّا تزوَّج بها ليلةَ الجمعةِ من شهرِ رَجَبَ، حملتْ برسولِ الله ﷺ من ساعَتِها، فَفَارَقَه أعظمُ ذلك النُّور المحمَّدي، وانتَقَلَ إليها، وَأَمَرَ اللهُ تلك اللَّيلةَ رضوانَ خازنَ الجِنَان أنْ يفتحَ أبوابَ الجِنَانِ، وأُلبِسَتِ الشَّمسُ يومئذٍ نوراً عظيماً، ونَادَى مُنادٍ في السَّماءِ والأرضِ: أنَّ النُّورَ المكنونَ الَّذي منه النَّبيُّ الهادِي يكونُ في هذه اللَّيلةِ، يستقرُّ في بَطْنِ أمِّه، وسَيَخرُجُ للنَّاسِ بشيراً ونذيراً، وكانَ النَّاسُ في جَدْبٍ شديدٍ وضيقٍ عظيمٍ، واخضرَّتِ الأرضُ، وحَمَلَتِ الأشجارُ، وأتاهُم الرَّفْدُ من كلِّ جانبٍ، وسمِّيَتْ تلك السَّنةُ التي حُمِلَ فيها برسول الله ﷺ سَنَةَ الفَتْحِ والابتهاجِ، ونَطَقَتْ كلُّ دابةٍ لقريشٍ تلك اللَّيلةَ، وقالت: حُمِلَ برسول الله وربِّ الكعبةِ، وهو إمامُ الدُّنيا وسِرَاجُ أهلِها، ولم يبقَ سريرٌ لمَلِكٍ من ملوكِ الدُّنيا إلَّا أصْبَحَ مَنْكُوساً، وأصبحَ كلُّ ملكٍ أخْرَسَ لا يَنْطِقُ يومَه ذلك، ومرَّتْ وحوشُ المشرقِ إلى وحوشِ المغربِ تُبَشِّرُها به، وكذلك أهلُ البِحَارِ بَشَّرَ بعضُهم بعضاً، وله في كلِّ شهرٍ من شهورِ حملِهِ نداءٌ في الأرضِ ونداءٌ في السَّماءِ: أنْ أبشِروا فقد آنَ آوان سيِّد الخلق ميموناً مباركاً، ونُودِيَ ليلةَ حَمْلِه في الملَكُوتِ ومعالمِ الجَبَرُوتِ: أنْ عَطِّرُوا جَوَامِعَ القُدْسِ الأَسْنَى وبخِّرُوا جِهَاتِ الشَّرفِ الأعلَى وافرشوا سَجَّاداتِ العِباداتِ في صُفُوفِ الصَّفَا لصُوفيَّةِ الملائكةِ المقرَّبِينَ، أَهْلِ الصِّدقِ والوَفَا، فَقَد انتَقَلَ النُّورُ المكنونُ إلى آمنةَ؛ ذاتِ العقلِ البَاهِرِ والفَخْرِ المصونِ؛ فقد خصَّها اللهُ القريبُ المجيبُ بهذا السَّيِّدِ المصطفى الحبيبِ؛ لأنَّها أفضلُ قومِها

حسباً وأنجبُ، وأزكاهم أصلاً وفرعاً وأطيبُ، ولم يبقَ في تلك اللَّيلةِ دارٌ إلا أشرقتْ، ولا مكانٌ إلّا دخلهُ النُّورُ. وفي ليلةِ وضعهِ ﷺ ارتجَّ إيوانُ كِسرى، وسَقَطَ منه أربعةَ عشرَ شرفةً، وخَمَدَتْ نارُ فارس، الَّتي كانوا يعبدونها من دونِ اللهِ، وغَاضَتْ بُحَيْرَةُ طَبَرِيَّةَ، فلم يَبْقَ بها قطرةٌ، وبَرَزَتْ ليلةَ ولادتِهِ ﷺ الحورُ مخبَّآتٍ مستبشراتٍ سافراتٍ، ووقعتْ أصنامُ الضَّلالاتِ من هيبتِه على رؤوسِها ناكساتٍ صاغراتٍ(١).

قال ابنُ إسحاق: (إنَّ آمنةَ أُتِيَتْ حِينَ حَمَلَتْ به ﷺ، فقيلَ لها: إنَّكِ حَمَلْتِ بسيِّدِ هذه الأمَّة ونبيِّها، فإذا ولدتِّيه فَسَمِّيه مُحَمَّداً، وقُولِي: أُعِيذُه بالواحدِ مِن شرِّ كلِّ حاسدٍ)(٢).

وحِينَ وُلِدَ ﷺ، لم يَخْرُجْ معه قَذَرٌ ولا دَمٌ أصلاً، بل خَرَجَ معه نورٌ أضاءَ ما بين المشرقِ والمغربِ، والنُّجومُ دَنَتْ وتَدَلَّتْ، حتَّى ظنَّ سقوطَها عليهم، ووُلِدَ مكحولاً مدهوناً مختوناً مقطوعَ السُّرة، حتَّى لا يَرَى أحدٌ سَوْأتَه(٣).

قليلٌ لمدحِ المصْطَفى الخَطُّ بالذَّهَبْ على وَرَقٍ من خطِّ أحسنِ من كَتَبْ
وأنْ تَنْهَضَ الحضارُ عند سماعِهِ قياماً صفوفاً أو جُثِيّاً على الرُّكَبْ
وحقٌّ لهم هذا القِيَامُ لأجله فتَعْظِيمُ خيرِ الخلقِ مِنْ بَعْضِ مَا وَجَبْ
أما اللهُ تعظيماً له كَتَبَ اسمَه على عَرْشِهِ يَا رُتْبَةً سَمَتِ الرُّتَبْ(٤)

ولما تمَّ لآمنةَ من حملِها تسعةَ أشهرٍ كَوَامِلَ(٥)، قالتْ: لقد أخذني في يوم

(١) انظر: المواهب اللَّدنية للقسطلاني [١/ ١٢٥].
(٢) سبق الحديث عنها وتخريجها في الموالد السابقة.
(٣) سبق الإشارة إليه في الموالد السابقة.
(٤) قالها الشيخ أبو زكريا يحيى بن يوسف الصَّرصري، ﷺ تعالى في قصيدة له. انظر: سبل الهدى والرشاد [١/ ٣٤٤].
(٥) انظر: سبل الهدى والرشاد [١/ ٣٢٩].

الاثنين ما يأخذ النساءُ من الألم، ولم يعلمْ بي أحدٌ من قَرابَتي، وإنِّي لوحيدةٌ في المنزلِ، وعبدُ المطلبِ في طَوَافِه، فسمعتُ وَجْبَةً عظيمةً، وأمراً عظيماً هَالَني، ثمّ رأيتُ جناحَ طائرٍ أبيضَ، مَسَحَ على فؤادي، فذهبَ عنّي الرَّوعُ، وكلُّ وحشةٍ كنتُ أجدُها، ثمّ التفتُّ، فإذا بشربةٍ بيضاءَ فيها لَبَنٌ، وكنتُ عطشى فشربتُها، فأضاءَ منّي نورٌ عالٍ، ثمّ رأيتُ نسوةً كالنّخلِ طِوالاً، كأنّهنّ من بناتِ عبدِ مَنَاف، يحدِّقنَ بي، فبينما أتعجّبُ وأقولُ: واغوثاه، من أينَ عَلِمْنَ بي؟[1].

فقُلنَ لي: نحنُ آسيةُ امرأةُ فِرْعَونَ ومريمُ ابنةُ عِمْرَانَ، وهؤلاءِ من الحورِ العينِ، واشتدَّ بيَ الأمرُ وأنا أسمعُ الوجبةَ في كل ساعةٍ أهولُ وأعظمُ ممّا تقدَّم، فبينما أنا كذلك، وإذا بديباجٍ أبيضٍ، قد مُدَّ بينَ السّماءِ والأرضِ، وإذا قائلٌ يقولُ: خذوهُ عن أعينِ النّاسِ، ورأيتُ رجالاً قد وقفُوا في الهوى بأيديهم أباريقُ من فضّةٍ رأسُها، وإناءٌ يَرْشَحُ منه عَرَقٌ أطيبُ من المسْكِ الأذفرِ، ورأيتُ قطعةً من الطّيرِ قد أقبلتْ حتىّ غطّت حُجرَتي، مناقيرُها من الزُّمرُّدِ، وأجنحَتُها من الياقوتِ، فكَشَفَ اللهُ عن بَصَرِي، فأبصرتُ مشارقَ الأرضِ ومغارِبَها، ورأيتُ ثلاثةَ أعلامٍ مضروباتٍ؛ علماً بالمشرقِ، وعلماً بالمغربِ، وعلماً على ظهرِ الكعبةِ، فأخذني المخاضُ، واشتدَّ بي الأمرُ، وكأنّي مستندةٌ إلى نساءٍ، وكَثُرنَ عليّ، حتىّ كأنهنّ معي في البيتِ، فأشرقَ الوجودُ، وأضاءتِ الدُّنيا، وانجلى نورُ محمّدٍ، فوضعتُه ﷺ[2] تسليماً كثيراً إلى يومِ الدِّينِ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

إلى هنا انتهى هذا المولد الشَّريف

---

(١) سبق الإشارة إليه في الموالد السابقة.

(٢) انظر: الخصائص الكبرى للسيوطي [١/ ٨٢]، السيرة الحلبية [١/ ١٠٩]، سمط النّجوم العوالي للعصامي [١/ ١٢٤].



وعلما على ظهر العقبة [illegible] ونشر في
الإنس والجان منتشرة إلى بناء وكسرت على حتى
كأنه [illegible] في البيت فأشرق الوجود وأضاءت الدنيا
وانجلى نور محمد فوق كعبته صلى الله عليه وسلم تسليما
كثيرا إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

إلى هنا انتهى هذا [illegible]

ويليه مولد شريف أيضا
لم أعرف اسم مؤلفه

١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تقدس وتعزز بمعنى عن مماثلة الأنواع
والأجناس الذي لا تطرقه نوم ولا يجوز عليه فناء
ولا يعزب عن سمعه حركات النمل في قطع سوداء القرطاس
ولا يخفى عن بصره تصاعد الماء في ثمار الأغراس استوى
سبحانه وتعالى على العرش استواء من غير كيف يليق
بجلاله لا كاستواء الجلاس أرسل محمدا صلى الله عليه
وسلم إلى قوم جبابرة عتاة شراس فقتل منهم
من عتا وعاش ونكس بمولده الأصنام على الرأس
وانشق إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة
بعدد من تملك منهم من الناس وخمدت نار

مولد شريف لم أعرف اسم صاحبه

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمدُ لله الذي تفرّد بعزّته عن مماثلة الأنواع والأجناس، الذي لا يطرُقُهُ نومٌ، ولا يجوزُ عليه نُعَاسٌ، ولا يعزُبُ عن سمعه حركاتُ القلمِ بقطع بَيْدَاء القِرْطَاس، ولا يَخْفَى عن بصره تصاعدُ الماء في ثِمَار الأغراسِ، استوى سبحانَه وتعالى على العَرْش استواءً من غير كَيْفٍ يَليقُ بجلاله لا كاستواء الجُلّاسِ، أرْسَلَ محمّداً ﷺ إلى قومٍ جَبَابِرَةٍ عُتاة أشراس، فذلّل منهم كلَّ من عَتَا وعاثَ، وتكسَّر بمولده الأصنامُ على الرَّأس، وانشقَّ إيوانُ كِسْرَى، وسقط منه أربعةُ عشرَ شرفةً بعدد من يملك منهم من النَّاس، وخَمَدَت نارُ فارسٍ، وبُحَيرة سَاوَةَ[1] على غير القياسِ، نبيٌّ اختارَه مولاه وقدّمه على الخلق، فهو بمنزلة العينِ من الرأس، وتعجَّبَت قريشٌ ممن غَنِيَ بالفضل بعد فَقرِ الإفلاس، فرماهم القرآن بسهام الجدلِ عن الأقواس ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ﴾[2] [يونس: ٢].

أحمدُهُ سبحانه وتعالى على نعمه، والحمدُ واجبٌ مع الأنفاس، وأشكره

---

(١) تقدم الحديث عن هذه العلامات انظر فتح الباري [٦/ ٥٨٤ باب علامات النبوة في الإسلام] ودلائل النبوة للأصبهاني [١/ ١٣٤رقم ١٤٧ علامات النبوة] والسيرة الحلبية [١/ ١٢٢] وغيرهم.

(٢) انظر تفسير الجيلاني.

والشُّكر لازمٌ للسان وفي الأضراسِ، على زوال الهمِّ والبَأس، وأشهدُ أن لا إلهَ إلّا الله وحدَه لا شريكَ له إلهُ الجِنّةِ والنّاس، وأشهدُ أنَّ سيِّدَنا وسَنَدَنا وعِزَّنا وفَخْرَنا محمّداً عبدُه ورسولُه، الذي نسختْ شريعتُه سائرَ الشّرائع، وأزالتْ عن النّاس الأدناسَ، اللّهم فصلِّ وسلِّم على هذا النّبي الكريم والرّسول العظيم، سيِّدنا محمّد وعلى آله وأصحابه، السّادة والأكياسِ.

وبعد، فقد قال الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1] [آل عمران: ١٦٤].

قال البيضاوي[2]: (أنْعَمَ على من آمنَ مع الرّسول ﷺ من قومِه وتَخصيصهمْ مع أنَّ نعمةَ البعث عامةٌ لزيادةِ انتفاعِهمْ)[3].

﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا﴾ من أنْفُسِهِمْ أو جِنْسِهم عربياً مثلَهُمْ، ليفهمُوا كلامَه بسهولة، ويكونوا واثقينَ على حالةٍ في الصّدق والأمانة، مفتخرين به، وقرئ: (من أنْفَسِهم)[4]. أي: من أشرفهم؛ لأنّه ﷺ كان من أشرفِ قبائلِ العربِ.

يتلوا عليهم آياته أي: القرآنَ بعد ما كانوا جُهّالاً لم يسمعوا الوحي، ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهّرهم من دَنَسِ الطّباع وسوءِ العقائدِ والأعمال، قال ابنُ رَجَب في اللّطائف[5]: (قوله: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يعني أنّه يُزكّي قلوبَهم، ويطهّرها من

---

(١) انظر تفسير الجيلاني.

(٢) هو: القاضي الإمام العلّامة ناصر الدين، أبو سعيد، عبد الله بن عمر البيضاوي الشافعي، المتوفى سنة [٦٨٥هـ]. انظر: شذرات الذهب [٦/ ٦٨٥].

(٣) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي [١/ ٤٦].

(٤) سبق الحديث عن هذه القراءة في الموالد السابقة.

(٥) واسمه كاملاً: (لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف)، ومؤلفه هو الإمام الحافظ زين الدين أبي فرج عبد الرّحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي الدمشقي، المتوفى سنة [٧٩٥هـ]. انظر: شذرات الذهب [٨/ ٥٧٨].

أدناسِ الشِّركِ والفُجورِ والضَّلالِ، فإنَّ النُّفوسَ تزكوا إذا طُهِّرَت من ذلك كلِّه، ومن زكت نفسُه فقد أفلحَ، كما قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤﴾ [الأعلى: ١٤] ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ القرآنَ والسنَّةَ، قال ابن رجب في اللّطائف قوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ يعني بالكتاب القرآن العزيز، والمراد يعلِّمهم تلاوة ألفاظه، ويعني بالحكمة فهمَ معاني القرآن، والعمل بما فيه، والحكمةُ فهم القرآنِ والعمل به، فلا يكتفى بتلاوة ألفاظِ الكتابِ حتّى يعلمَ معناه ويعملَ بمقتضاه، فمن جمع له ذلك فقد أوتيَ الحكمةَ، وأوتي خيراً كثيراً. قال الفضَلُ: (العلماءُ كثيرٌ والحكماءُ قليل)، وقال: (الحكماءُ ورثةُ الأنبياءِ). فالحكمةُ هي العلمتُ النّافعُ الذي يَتْبَعُه العملُ الصّالحُ، وهي نورٌ يقذفُ في القلب يفهمُ بها معنى العلمِ المنزّلِ من السّماء، ويحضُّ على اتّباعه والعمل به، ومَنْ قال: الحكمةُ، السنّة، فقولٌ؛ لأنَّ السنّةَ تفسيرُ القرآن وتبيين معانيه، فالحكيم: هو العالمُ المستنبطُ لدقائق العلمِ المنتفعِ بعلمهِ، وبالعمل به، اللّهم اجعلنا منهم آمين. انتهى [كلام][1] ابنِ رَجَبٍ[2].

﴿وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ إنْ هي المخفّفةُ، واللّام الفارقةُ، والمعنى: وإنَّ الشّأنَ كانوا من قبل بعثة النّبي ﷺ في ضلالٍ ظاهرٍ.

اعلموا إخواني معشر الموحِّدين أنَّ الله تعالى اختارنا على سائر الأمم أجمعين، ومَنَّ علينا ببعثة سيِّدنا محمَّدٍ رسولِ ربِّ العالمين، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[3] [آل عمران: ١٦٤]. فليس لله تعالى منّةٌ علينا أعظمَ من إرسالِ محمَّدٍ ﷺ إلينا، يهدي إلى الحقّ وإلى صراطٍ مستقيمٍ، ورَحِمَنا الله به

---

(١) زيادة من المحقّق يقتضيها السياق.

(٢) انظر: لطائف المعارف، لابن رجب [ص: ٢١٠].

(٣) انظر تفسير الجيلاني.

ورَحِمَ الخَلْقَ أجمعين، فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ۝﴾(١) [الأنبياء: ١٠٧]. وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾(٢) [آل عمران: ١٦٤] إشارةٌ إلى ما كانَ النَّاس عليه قبلَ أهلِ الكتابِ من ضلالٍ، فإنَّ الله نظرَ حينئذٍ إلى أهل الأرضِ فَمَقَتَهم عَرَبَهُمْ وعَجَمَهُمْ إلَّا بقايا من أهل الكتابِ تَمَسَّكوا بدينهم الذي لم يبدِّلوا ولم يغيِّروا، وكانوا قليلاً جداً، فأمَّا عامَّةُ أهلِ الكتابِ فكانوا قد بدَّلوا كُتُبَهُم وغيَّروها، وأدخلوا في دينِهِمْ ما ليس منه، فضلُّوا وأضلُّوا، وأمَّا غيرُ أهلِ الكتابِ، فكانوا على ضلال مبين، فالأميُّون أهلُ شركٍ، يعبدون الأوثانَ، والمجوس يعبدون النيرانَ، ويقولونَ بإلهين اثنين، وكذلك غيرُهم من أهلِ الأرضِ منهم مَنْ كانَ يعبدُ النَّجمَ، ومنهم من كان يعبدُ الشَّمسَ والقَمَرَ، فهدى الله المؤمنينَ بإرسال محمَّدٍ ﷺ إلى ما جاءَ به من الهدى ودينِ الحقِّ، وأظهرَ الله دينهُ حتى بلغَ مشارقَ الأرضِ ومغاربها، فظهرت فيها كلمةُ التَّوحيدِ والعملُ بالعدلِ، بعد أنْ كانت الأرضُ كلُّها ممتلئةً من ظُلمةِ الشِّركِ والظُّلمِ، فالأميُّون هم العربُ، والآخرون أهلُ فارسٍ والرُّومِ، فكانت أهلُ فارسٍ مجوساً، والرُّوم نصارى، فهدى الله تعالى جميعَ هؤلاء برسالة محمَّد ﷺ إلى توحيدِ.

وقد رُئِيَ الإمامُ أحمدُ بعد موتِه في المنام(٣)، فَسُئِلَ عن حاله، فقال: لولا محمَّد لكنَّا مجوساً، وهو كما قال أهلُ العراقِ: لولا رسالةُ محمَّد ﷺ لكانوا مجوساً، وأهلُ الشَّام ومِصْرُ والرُّومُ: لولا محمَّد لكانوا نصارى، وأهلُ جزيرةِ العربِ: لولا محمَّدٌ لكانوا مشركينَ عُبَّادَ أوثانٍ. ولكنْ رَحِمَ الله عبادَه بإرسال

---

(١) انظر تفسير الجيلاني.
(٢) انظر تفسير الجيلاني.
(٣) ذكره الإمام ابن رجب في لطائف المعارف [ص: ٢١١].

محمّد ﷺ، فأنقذهم من الضلال، ولهذا قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٤﴾ [الجمعة: ٤]، فمن حَصَلَ له نصيبٌ من دين الإسلام، فقد حصلَ له الفضلُ العظيم، وقد عَظُمَت عليه النِّعمة، فَمَا أحوجَه إلى القيام بشكرِ هذه النِّعمة وسؤاله دوامَها والثَّبات عليها، فبذلك تَتِم النِّعمة[١].

وفي شرح البخاريّ لأبي الحسن: (قال إبراهيمُ التُّجِيبِي: واجبٌ على كلِّ مؤمنٍ متى ذَكَرَه أو ذُكِرَ عنده، أنْ يَخْضَعَ ويَخشعَ ويتوقَّرَ، ويَسْكُنَ من حركته، ويأخُذَ من هيبته وإجلاله، بما لو كانَ بين يديه، ويتأدَّبَ بما أدَّبنا الله به، وهذه كانت سيرةُ سلفنا الصَّالح والمشايخ الماضين).

وعن ابن حُمَيدٍ[٢]، قال: (نَاظَرَ أبو جعفرٍ المنصورِ أميرُ المؤمنينَ الإمامَ مالكاً في مسجدِ رسول الله ﷺ، فقال مالكٌ: يا أميرَ المؤمنينَ، لا ترفع صوتَكَ في هذا المسجد، فإنَّ الله تعالى أدّب أقواماً، فقال ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾[٣] [الحجرات: ٢] ومَدَحَ قوماً، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾[٤] [الحجرات: ٣]، وذمّ قوماً، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾[٥] [الحجرات: ٤]. وإنَّ حُرْمَتَه مَيتاً كحُرْمَتِه حَيّاً، فاستكانَ لها أبو جعفر)[٦]، فيجب الإنصاتُ عند قراءةِ حديثِه، ما يجبُ له عند سماعِ قولِهِ

---

(١) انظر: لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، لابن رجب الحنبلي [ص: ٢١١].
(٢) في النسخة المخطوطة: (عن ابن أحمد)، وهو خطأ، والمثبت الصواب. انظر: الشفا للقاضي عياض [٢/ ٤١].
(٣) انظر تفسير الجيلاني.
(٤) انظر تفسير الجيلاني.
(٥) انظر تفسير الجيلاني.
(٦) انظر: الشفا للقاضي عياض [٢/ ٤١]، سبل الهدى والرشاد [١١/ ٤٣٩].

ﷺ، فإنَّ حرمةَ النَّبي ﷺ بعد موتِهِ وتوقيرِهِ وتعظيمِهِ لازمةٌ كما كان حالُ حياتِهِ، وذلك التَّوقيرُ والتَّعظيمُ عند ذكرِهِ وذكرِ ولادتِهِ ﷺ. وذكَرَ البتروني في (الابتهاج شرح المعراج)، قال: (وقد أفتى الجمُّ الغفيرُ باستحبابِ القيامِ عند ولادتِهِ ﷺ تعظيماً له، لأنَّ تعظيمَهُ ﷺ واجبٌ في حياتِهِ وبعد موتِهِ ﷺ). وفي صحيح البخاري[1]، عن عمرانَ بن حصينٍ عن النَّبي ﷺ قال: «كانَ اللهُ ولا شيءٌ قبلَه، وكان عرشُه على الماءِ، وكتبَ في الذِّكرِ كلَّ شيءٍ، ثمَّ خلَقَ السَّمواتِ والأرضَ». وفي صحيحِ مُسلمٍ[2] عن النَّبي ﷺ، قال: «إنَّ اللهَ كَتَبَ مَقَادِيرَ الخلائقِ قبلَ أنْ يخلقَ السَّمواتِ والأرضَ بخمسين ألفَ سنةٍ، وكان عرشُه على الماءِ، ومن جُملةِ ما كتبهُ في هذا الذِّكرِ، وهو أمُّ الكتابِ أنَّ محمَّداً خاتمُ النَّبيِّين». ومن حينئذٍ انتقلتْ المخلوقاتُ من مرتبةِ العلمِ إلى مرتبةِ الكتابةِ، وهو نوعٌ من أنواعِ الوجودِ الخارجي، ولهذا قالَ سعيدُ بن راشد: «سألتُ عطاءً، هل كانَ النَّبي ﷺ نبياً قبل أن يُخلقَ الخلقُ؟ قال: أي واللهِ، وقبلَ أنْ يَخلِقَ الدُّنيا بألفي عامٍ»[3]. خرَّجَه أبو بَكرٍ الآجرِّيُّ في كتابِ (الشَّريعة)[4]. وقولهُ ﷺ: «إني عبدُ اللهِ في أمِّ الكتابِ وخاتَمُ النَّبيِّين وإنَّ آدمَ لمنجدِلٌ في طِينَتِهِ»[5]. ليسَ المرادُ به والله أعلم أنَّه حينئذٍ كتبَ في أمِّ الكتابِ

---

(١) سبق تخريج الحديث.

(٢) سبق تخريج الحديث.

(٣) انظر: كتاب الشريعة للآجري، [٢/ ٢٤٦/ رقم ١٠٠٥ باب ذكر متى وجبت النبوة للنبي ﷺ].

(٤) كتاب (الشَّريعة) للإمام المحدِّث أبي بكر محمَّد بن الحسين الآجرِّي، نسبة إلى قرية من قرى بغداد، يقال لها آجر، كان ثقة ديِّناً صاحب سنَّة. توفي سنة [٣٦٠هـ]. انظر: العبر للذهبي [٢/ ١٠٧]، كشف الظنون [٢/ ١٤٣٠].

(٥) سبق تخريجه.

خَتمهُ للنبيين، وإنَّما المرادُ الإخبارُ عن كونِ ذلك مكتوباً في أمِّ الكتابِ، وتلك الحالُ قبلَ نفخِ الرُّوحِ في آدمَ، وهو أوَّلُ ما خَلَقَ اللهُ من النَّوعِ الإنساني، وفي أحاديثَ أُخَرَ؛ أنَّه في تلك الحالِ وجبتْ له النُّبوَّة، وهذه مرتبةٌ ثالثةٌ، وهي انتقالُهُ من مرتبةِ العلمِ والكتابةِ إلى مرتبةِ الوجودِ العيني الخارجي؛ فإنَّه ﷺ استُخرِجَ حينئذٍ من ظهرِ آدمَ، فصارتْ نبوتهُ موجودةً في الخارجِ بعد كونها مكتوبةً مقدَّرةً في أمِّ الكتابِ، ورُوِيَ عن أنس أنَّ جابراً سَألَ النَّبيَّ ﷺ عن أوَّلِ ما خلقَ اللهُ تعالى، فقال ﷺ: «نُورُ نبيِّك يا جَابِر»[1].

وقال ﷺ: «إنَّ أوَّلَ ما خَلَقَ اللهُ نورُ محمَّدٍ، خلقهُ من نورهِ ﷻ، كانَ اللهُ ولا شيءَ معه، فتجلَّى لذاتهِ بذاتهِ، فأوجدَ روحَ محمَّد، ثمَّ أمرهُ أن ينغمسَ في نهرِ رحمتِهِ، ثمَّ نَظَرَ إليه بنظرِ الجمالِ، فَقَطَرَ منه مئةُ ألفٍ وأربعةٌ وعشرونَ ألفَ قطرةٍ، فَخَلَقَ من كلِّ قَطرةٍ نَبيّاً».

ورُوِيَ: «أنَّ الله خَلَقَ نورَ محمَّد قَبلَ الأشياءِ، ثمَّ أرادَ أن يَخلُقَ الأشياءَ، فَقَسَمَ ذلك النُّورَ عشرةَ أقسامٍ، فَخَلَقَ من القسمِ الأوَّلِ العَرْشَ، ومن الثَّاني الكرسيَّ، ومن الثَّالثِ اللَّوحَ، ومن الرَّابعِ القَلَمَ، ومن الخامسِ الشَّمسَ، ومن السَّادسِ القَمَرَ، ومن السَّابعِ الكوكبَ، ومن الثَّامنِ الملائكةَ، ومن التَّاسعِ أرواحَ المؤمنين، ومن العَاشِرِ جَسَدَه ﷺ، فهو الأوَّلُ والآخِرُ، السَّابقُ اللَّاحقُ»[2].

وفي الحديث: «أنَّ الله تعالى خَلَقَ الأرواحَ قَبلَ الأجسادِ بأربعةِ ألفِ عامٍ، وقدَّرَ أرزاقَهُم قبلَ ذلك بأربعةِ ألفِ عامٍ، وكَتَبَ المقاديرَ وقدَّرها قبلَ

(١) سبق تخريجه.
(٢) انظر: الفتاوى الحديثية، لابن حجر الهيتمي [ص:٢٠٦].

ذلك بأربعةِ آلفِ عامٍ، وخَلَقَ نورَ محمَّدٍ قبلَ ذلك بمائةِ ألفِ عامٍ وأربعةٍ وعشرينَ ألفِ عامٍ»[1].

ورُوِيَ في بعضِ الأخبارِ: «أنَّ نورَ محمَّد ﷺ كَانَ يَطُوفُ حولَ العرشِ، وكَانَ يَسْجُدُ للهِ تعالى في كلِّ سبعةِ أشواطٍ كالحجِّ، ويقولُ في سُجُودِه: سُبْحَانَ العَلِيمِ الذي لا يَجْهَلُ، سبحانَ الحَلِيمِ الذي لا يَعْجَلُ، سبحانَ الجَوَاد الذي لا يَبْخَلُ».

فهو ﷺ مفضَّلٌ على سائرِ الخلقِ ذاتاً ورُوحاً ونَفْساً ونَسَباً وجَسَداً؛ أمَّا ذاته؛ فلقوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾[2] [النور: ٣٥]. وأمَّا روحُه؛ فلأنَّه أرْسَلَه ﴿شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[3] [الأحزاب: ٤٥]. وقال: ﴿لَعَمْرُكَ﴾. وأمَّا فَضْلُ نَفْسِه؛ فلقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[4] [التوبة: ١٢٨]. وأمَّا فضلُ نَسَبِه؛ فلقوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾[5]، فكَانَ من آدمَ إلى عبدِ الله بنِكَاحٍ لا بسِفَاحٍ.

وأمَّا فضلُ جَسَدِه وقَلْبِه الشَّريفِ فإنَّه ذَكَرَ كلَّ عضوٍ من أعضائهِ معزّياً في كتابه، فقال لوَجْهِه: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[6] [البقرة: ١٤٤]. وقال لعَيْنَيه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾[7] [طه: ٤]. وقال في الأُذُنِ: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ

---

(١) انظر: الموضوعات لابن الجوزي [١/٤٠١]، اللآلئ المصنوعة للسيوطي [١/٣٤٩].

(٢) انظر تفسير الجيلاني.

(٣) سورة الأحزاب.

(٤) انظر تفسير الجيلاني.

(٥) انظر تفسير الجيلاني.

(٦) انظر تفسير الجيلاني.

(٧) انظر تفسير الجيلاني.

خَيْرٍ لَّكُمْ﴾(١) [التوبة: ٦١]. وقال للسانهِ: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾(٢) [مريم: ٩٧]. وقال ليدِه وعنقه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾(٣) [الإسراء: ٢٩].

وقال لقلبِهِ: ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾(٤) [البقرة: ٩٧]. وقال لصدرِهِ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝﴾(٥) [الشرح: ١]. وقال لفؤادِهِ: ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾(٦) [هود: ١٢٠]. وقال لظهرِهِ: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝﴾(٧) [الشرح: ٣]. وقال لجوارحِهِ: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ [الشعراء: ٢١٥] وقال لرجلِهِ: ﴿طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾(٨) [طه: ١ ـ ٢]. وقال لنفسِهِ: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾(٩) [الشعراء: ٣].

وقال لخلقهِ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝﴾(١٠) [القلم: ٤].

ورُوِيَ عن الشَّعبي قال: قال رجلٌ للنبيِّ ﷺ: متى استُنْبِئْتَ؟ قال: «وآدمُ بين الرُّوحِ والجسدِ حينَ أُخِذَ منيِّ الميثاقُ»(١١). وهذه الرِّوايةُ تدلُّ على أنَّه ﷺ حينئذٍ استُخرِجَ من ظهرِ آدمَ ونُبِّئَ وأُخِذَ ميثاقُهُ، فيحتملُ أنْ يكونَ ذلك دليلاً على أنَّ استخراجَ ذرّيَّةِ آدمَ من ظهرِهِ، وأخذ الميثاقِ منهم كان قبلَ نفخِ الرُّوحِ في آدمَ، ويستدلُّ به أيضاً من ظاهرِ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ

---

(١) انظر تفسير الجيلاني.
(٢) انظر تفسير الجيلاني.
(٣) انظر تفسير الجيلاني.
(٤) انظر تفسير الجيلاني.
(٥) انظر تفسير الجيلاني.
(٦) انظر تفسير الجيلاني.
(٧) انظر تفسير الجيلاني.
(٨) انظر تفسير الجيلاني.
(٩) انظر تفسير الجيلاني.
(١٠) انظر تفسير الجيلاني.
(١١) سبق تخريجه.

صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾[١] [الأعراف: ١١] على ما فسَّر به مجاهدٌ وغيرُه أنَّ المرادَ إخراجُ ذريَّةِ آدم من ظهرِه قبلَ أمرِ الملائكةِ بالسُّجودِ، ولكنَّ أكثرَ السَّلفِ على أنَّ استخراجَ ذريَّةِ آدمَ منه كان بعد نَفْخِ الرُّوحِ فيه.

ورَوَى صَاحِبُ كتابِ (مصباحُ الظَّلام)[٢] وغيرُه من عُلَمَاءِ الإسلامِ، عن مَيْسَرَةَ، قال: قُلْتُ يَا رَسُولَ الله، مَتَى كُنْتَ نبياً؟ قَالَ: «لمَّا خَلَقَ اللهُ الأَرْضَ، واسْتَوَى إلى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سمواتٍ، وخَلَقَ العرشَ فَكَتَبَ على سَاقِ العَرْشِ محمَّداً رسولُ الله خاتَمُ النَّبِيِّين، وخَلَقَ اللهُ الجنَّةَ التي أسكنَها آدمَ وحَوى، فَكَتَبَ اسمي على الأبوابِ والأوراقِ والقِبَابِ والخِيَامِ، وآدمُ بين الرُّوحِ والجَسَدِ، فلمَّا أحياهُ اللهُ تعَالى نَظَرَ إلى العرشِ، فَرَأى اسمي، فأخبرهُ الله أنَّه سيِّدُ وَلَدِكَ، فلمَّا غرَّهُما الشَّيطانُ، تَابَا واسْتَشْفَعَا بِاسمي إليه، فَتَابَ عليهِما». وزادَ الحافظُ البيهقيُّ في روايةٍ: (أنَّ آدمَ ﷺ، قال أسألك بحقِّ محمَّدٍ إلَّا غَفَرْتَ لي، فقال: إنَّه لأحَبُّ الخلقِ إليَّ، وإذا سألتني بحقِّهِ، فقدْ غفرتُ لك، ولولا محمَّدٌ ما خلقتُك، وهو خيرُ الأنبياءِ من ذريتِكَ وتابَ اللهُ عليه ورحمه)[٣].

وعن ابنِ عبَّاس: «أنَّ قريشاً كانتْ نوراً بين يدي ربي، قبلَ أنْ يخلقَ آدمَ بألفيْ عامٍ، يسبِّحُ ذلك النُّورُ، وتُسبِّح الملائكةُ بتسبيحِه، فلمَّا خَلَقَ الله آدم، ألقى ذلك النُّور في طينتِه»[٤].

---

(١) انظر تفسير الجيلاني.

(٢) وعنوان الكتاب كاملاً: (مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام)، وهو للإمام الحافظ شمس الدين، أبي عبد الله، محمد بن موسى بن النعمان المراكشي الهنتاني. انظر: كشف الظنون [٢/١٧٠٦].

(٣) انظر: دلائل النبوة للبيهقي [٥/٤٨٩].

(٤) انظر: المطالب العالية [١٧/١٩٥رقم: ٤٢٠٩].

وعن النَّبيِّ ﷺ أنّه قال: «لَمّا خَلَقَ الله آدَمَ، أَهْبَطَنِي في صُلْبِه إلى الأرضِ، وجَعَلَنِي في صُلْبِ نُوحٍ في السَّفِينَةِ، وقَذَفَنِي في صُلبِ إبْرَاهِيمَ، ثمّ لم يَزَلِ الله تعالى ينقلُنِي من الأصلابِ الكَرِيمةِ والأرْحَامِ الطّاهِرةِ حتّىٰ أخرَجَنِي من بين أبوي، لم يلتقيَا على سِفَاحٍ قطُّ»[1]. ويَشْهَدُ لهذا شِعْرُ العبّاسِ عمّ النّبيِّ ﷺ في مَدْحِه، بقوله[2]:

مِنْ قَبْلِهَا طِبْتَ في الظِّلال وفِي ... مُسْتَودَعٍ حيثُ يُخْصَفُ الوَرَقُ
ثُمَّ هَبَطْتَ البلادَ لا بَشَرٌ أنـ ... ـتَ وَلَا مُضْغَةٌ ولا عَلَقُ
وَوَرَدْتَ نَارَ الخَلِيلِ مُلْتَتِماً ... تَجُولُ فيها وَلَسْتَ تَحْتَرِقُ
تُنْقَلُ من صَالِبٍ إلى رَحِم ... إذا مَضَى عالم بَدَا طَبَقُ
حتّى احتَوَى بيتك المهَيْمِن من ... خندف علياءِ تحتها النُّطق
وَأنتَ لَمَّا وُلِدتَ أشرَقَتِ الأ ... رضُ وضَاءَتْ بِنُورِكَ الأُفُقُ
فنَحْنُ في ذلك الضِّيَاءِ وفي ... النُّور وسُبْلِ الرَّشَادِ نَخْتَرِقُ

ورَوَى الحاكم في مُستدركهِ من حديثِ عائشةَ أمّ المؤمنين ﵂، عن رسولِ الله ﷺ: «أنّه قال لي جِبْرِيلُ ﵇: يا محمّد، قَلَّبْتُ الأرضَ مشارِقَها ومغَارِبَها فلَمْ أجِدْ رجلاً أفْضَلَ منْ محمّد، ولم أجِدْ بني أبٍ أفْضَلَ من بني هَاشِم»[3].

وذَكَرَ الحجري في تاريخهِ: «أنَّ النّبيَّ ﷺ لما كانَ نوراً في وجهِ آدمَ، وانتقلَ ذلكَ النُّورُ إليه، ولم يَزَلْ نورُه ﷺ في الانتقالِ حتّىٰ ظَهَرَ حُسْنٌ بديعُ

---

(١) انظر: الشريعة للآجري [٢/ ٢٥٠].

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن كثير [١/ ١٩٥]، الشفا للقاضي عياض [١/ ١٦٧]، زاد المعاد لابن قيم [٣/ ٤٨٠].

(٣) انظر: المستدرك للحاكم [٤/ ٩٧]، دلائل النبوة للبيهقي [١/ ١٧٦].

الجمالِ ولاحَ نورُ الإيمانِ وجاءَ العزُّ والإقبالُ، حتىٰ تكاملَ الدِّينُ أيَّ كمالٍ، وسقطَ به البشائرُ من قبلِ ظهورِ جمالِهِ وخلقتِهِ الباهرةِ، وشهدتْ له الأخبارُ بأنَّه النَّبيُّ المختارُ».

وذكَرَ الحافظُ ابنُ عبدِ البَرِّ في الاستيعابِ[1]: أنَّ عبدَ المطلب جدَّ النَّبيِّ ﷺ بينما هو نائمٌ في الحِجْرِ انتبهَ مذعوراً، قال العبَّاسُ: فتَبِعْتُهُ، وأنا يومئذٍ غلامٌ أعقِلُ ما يُقالُ، فأتىٰ كَهَنَةَ قُريشٍ، فقَالَ: رأيتُ كأنَّ سلسلةً من فضَّةٍ خرَجَتْ من ظهري، ولها أربعةُ أطرافٍ، طَرَفٌ قد بَلَغَ مشارقَ الأرضِ، وطرفٌ قد بَلَغَ مَغَارِبَها، وطرفٌ قد جاوزَ عنانَ السَّماءِ، وطرفٌ قد جَاوَزَ الثَّرىٰ، فبينما أنا أنظرُ عادتْ شجرةً خضراءَ لها نورٌ، فبينما أنا كذلك قامَ عليَّ شيخانِ، فقلتُ لأحدهما: من أنت؟ قال: أنا نوحٌ نبيُّ ربِّ العالمين. وقلتُ للآخرِ: من أنت؟ قال: إبراهيمُ خليلُ ربِّ العالمين. ثمَّ انتبهتُ. قالوا: إنْ صَدَقَتْ رؤياكَ، ليَخرُجنَّ من ظهرِك نبيٌّ يؤمِنُ به أهلُ السَّماءِ وأهلُ الأرضِ، ودلَّتِ السلسلةُ على كثرةِ أتباعِهِ وأنصارِهِ وقوَّتِهم، لتدخلَ حلقَ السِّلسلةِ ورجوعُهَا شجرةً يدلُّ على ثباتِ أمرِهِ وعلوِّ أمرِهِ، وسيهلكُ من لمْ يؤمنْ به، كما هَلَكَ قومُ نوحٍ، وستظهر به ملَّةُ إبراهيمَ، وإلى هذا وقعتْ إشارةُ النَّبيِّ ﷺ يومَ حُنَيْنٍ؛ حيث قال[2]:

أنا النَّبيُّ لا كَذِبْ ... أنا ابنُ عبدِ المطَّلِبْ

كأنَّهُ يقول: أنا ابنُ صاحبِ تلكَ الرؤيةِ مفتخراً بها كما فيها من علمِ نبوتِهِ

---

(١) هو كتاب: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، للإمام أبي عمر، يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي النمري، المتوفى سنة [٤٦٣هـ].

(٢) انظر: عيون الأثر لابن سيِّد النَّاس [٢/ ٢١٨]، السيرة النبوية لابن كثير [٣/ ٦٢٢]، سبل الهدى والرشاد [٥/ ٣٢٨].

وعلوّ كلمتِهِ، وذَكَرَ ابنُ أبي الدُّنيا أنَّ العبَّاسَ عمَّ النَّبيِّ ﷺ، قال: رأيتُ في منامي كأنَّ طائراً أبيضَ خَرَجَ من مِنْخَرِ أخي عبد الله، وطَارَ حتىٰ بلغَ المشرقَ والمغربَ، ثمَّ عادَ فَسقَطَ على بيتِ الكعبةِ، فسجدَتْ له قريشٌ، فعُبِّرَ له أنَّه يَخْرُجُ من صلبِه ولدٌ يصيرُ أهلُ المشرقِ والمغربِ تبعاً له، ﷺ، وكذلك رؤيَا جدِّه عبد المطَّلب في المنامِ مكانَ زمزمٍ بعد أن طُمَّتْ وتناسى النَّاسُ أمرَها، فلمَّا حفرَها وظهرَ الماءُ عظمَتْهُ قريشٌ، وكان نَذَرَ إنْ تكمَّلَ له عشرةٌ من الولدِ لَيذْبحَنَّ أحدَهم، فلمَّا تكَامَلَ له الأولادُ عشرةً، وهم: (الحارثُ، والزُّبير، وحجل، وضِرار، والمقوّم، وأبو لهَب، وحَمزة، والعَبَّاس، وأبو طالب، وعبد الله؛ والدُ رسولِ الله ﷺ)، فألقى القُرْعَةَ عليهم، فخرجتْ على عبدُ الله، ثمَّ خَرَجَت بعد ذلك على مائةٍ من الإبلِ، فنَحَرَهَا عنه، ثمَّ أخَذَ بيد عبد الله فزوَّجهُ آمنةَ بنتَ وهبٍ، وكانَ نورُ نبيِّنا ﷺ يُرَى بين عيني والدِه عبد الله ساطعاً فلمَّا دَخَلَ بآمنةَ بنتِ وهبٍ، وحملتْ برسولِ الله ﷺ انتقلَ ذلك النُّورُ إليها، وكانتْ أمُّ قتالٍ بنت نوفل أختُ ورقةَ بن نوفلٍ قد عَرَضَتْ نفسَها على عبد الله ليتزوَّجها، وذلك لِمَا رأتْ من النُّورِ بين عينيهِ حِينَ كانَ في صلبِهِ رسولُ الله ﷺ، ولِمَا كانت تَسمَعُهُ من أخيها ورقةَ؛ من صفةِ رسولِ الله ﷺ الذي يُبْعَثُ في آخرِ الزَّمانِ، وأنَّه من وَلَدِ إسماعيلَ، فلمَّا حملتْ آمنةُ برسول الله ﷺ جاءَ إليها عبدُ الله ليتزوَّجها فأَبَتْ، وقَالَتْ: لا أرَى بينَ عينَيْكَ النُّورَ الَّذِي رأيتُه أوَّلاً، وتأسَّفَتْ وقَالَت له: لَسْتُ بصاحبةِ رِيبَةٍ، فأخبِرْ زَوْجَتَكَ أنَّها حَمَلَتْ بخيرِ أهلِ الأرضِ، وإنِّي لأَحْسَبُكَ أبَا النَّبيِّ المبعوثِ الَّذِي قد أظلَّ زَمَانُهُ.

وذَكَرَ ابنُ الجوزي أنَّ هذهِ المرأةَ تُدْعَى فاطمةَ، وكانتْ مِن أجملِ النِّساءِ وأعفهِنَّ، عَرَضَتْ عليه مِائةً من الإبلِ، مثلما نَحَرَ أبوه عنه، فَنَظَرَ إليها[1]، وقال:

---

(١) تقدم الحديث عنه انظر: الروض الأنف، للسهيلي [١/٢٧٣]، عيون الأثر لابن سيِّد =

أمّا الحرامُ فالمماتُ دُونَه والحِلُّ لا حلَّ فأستبينُهُ
فكيفَ بالأمرِ الذي تَبْغِينَه يَحمِي الكريمُ عِرْضَهُ ودِينَهُ

وقال ابنُ الجوزي في (الحدائق)[1]: (عن آمنةَ أنها قالتْ: إنّي حملتُ به، فلم أحملْ حِمْلاً هو أخفُّ منه. قال ابنُ الجوزي: إنما هو بكسرِ الحاءِ المهملةِ، لأنّها لم تحملْ قطُّ سواهُ، فعلى هذا يكونُ بِكْرَهَا ﷺ).

واعلم أنَّ في اسمهِ الشَّريفِ ﷺ (أحمد) تقريراً لطيفاً، وهو أنَّما كان مُفْتتحُ الاسمِ الكريمِ المحمَّدي الأحمدي، بالهمزةِ المذكورةِ على الألفِ، لأنَّ هذا الاسمُ، أعني (أحمد) مُظْهِرُ الاسمِ الأعظمِ المعبَّر عنه بأحمد، لكنْ وَقَعَ الفرقُ بين الاسمين، بميمِ المنَّةِ المشارِ إليها بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤] الآية، فظهرتْ هذه الميمُ مكرَّرةً مضاعفةً في اسمِ محمَّد إيماءً لتكرُّرِ المنِّ بها أوّلاً وأبداً، غَيْباً وشَهَادَةً، حسّاً ومعنىً، مَلَكاً ومَلَكُوتاً، سَمَاءً وأرْضاً، دُنيا وأُخْرَى، كِتَاباً وسنَّةً، شَرِيعَةً وحَقِيقَةً، وكان اسمُ محمَّد ﷺ أظهرَ أسمائِه الشَّريفةِ، كَمَا كانَ الاسمُ الأعظمُ المحيطُ، وهو اللهُ المعبَّر عنه بالجلالةِ أشهرَ الأسماءِ الحُسنَى وأظْهَرَها، لَدَقِيقَةٍ لطيفةٍ وإشارةٍ شريفةٍ، وهي أنَّ في اسمهِ ﷺ نسبةُ فعلٍ إليه، باعتبارِ ما يُفهم منه من رُجْحَانِ حمدهِ لربِّه على حَمدِ الحامِدينَ سواهُ، إذ صيغتُهُ أفعلُ تفضيلٍ، فهي مُصَرِّحَةٌ بأنّه حَمِدَ الجَنَابَ الإلهي، وهذا وإنْ كَانَ في غايةِ المدحِ له، والثَّناءِ عليه ﷺ، ولكنَّه قاصرٌ باعتبارِ أنَّ في الفعلِ الذي هو (حَمِدَ) المترجمُ

= النّاس [١/ ٣٦]، السيرة النبوية لابن كثير [١/ ١٧٧].

(١) وعنوان الكتاب كاملاً: (الحدائق في علم الحديث والزهديات)، يصف كتابه بنفسه، فيقول إنه جمع فيه: (الأحاديث المتعلقة بالآداب والفضائل والقصص والترغيب والترهيب).

عنه باسم (أحمد) برائحةٍ وجهٍ للفاعلِ للحمدِ، وهو الذاتُ المحمَّديَّة، يُنسَب ذلك الحمدُ إليها المستدعي بحمدِ خالقهِ، له جزاءً على حمدهِ إيَّاهُ، حيثما ترجمَ عنه اسمه الظَّاهرُ المشتهرُ، وهو محمَّدٌ فحمده ﷺ لخالقهِ، وإنْ كانَ في غايةِ الكمالِ والأفضليةِ والرُّجحانِ على حمدِ الحامدينَ، كما ترجم عنه اسم أحمد، فهو بالنِّسبة إلى حَمْدِ الحقِ والخلقِ له علواً وسُفْلاً، أزلاً وأبداً، قاصِرٌ بهذا الاعتبارِ، فَلَا جَرَمَ بأنَّ في اسمه الشَّهيرِ الشَّريفِ، وهو محمَّدٌ، من التَّنويهِ بعظيمِ قدرهِ، والتَّصريحُ بشريفِ منزلتهِ، مَا لَيْسَ في الاسمِ الآخرِ، وهو أحمدُ، ويُرْشِدُكَ إلى هذا شهرةُ ذلك الاسمِ الأوَّلِ؛ أعني محمَّداً في السَّماواتِ والأرضِ، وكيف لا يكونُ كذلك، وهو مرسومٌ مرقومٌ على ساقِ العرشِ، مقرونٌ بالاسمِ الأعظمِ؛ حيثُ رَسَمَ معه على أبوابَ الجنَّةِ والسَّماءِ وغيرهما، كما إليه الإشارةُ، بقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشرح: ٤] معنى لا أُذكَرُ إلَّا ذُكِرْتَ معي، وتأمَّل حقيقةَ ذلك في الشَّهادتين المشترطتين في صحةِ الإسلامِ، وغير ذلك، كذا ذَكَرَهُ الشَّيخُ محييُ الدِّين الشَّيخُ الأكبرُ ﷺ، وفي معنى محمَّد ومن سمَّاهُ، أمَّا معناهُ فهو المحمودُ المشكورُ مرَّةً بعد أخرى، كالمكرَّمِ الذي أُكرِمَ مرَّةً بعد أخرى، فهو المحمودُ في الدُّنيا بما نَفَعَ به الخلقَ من العِلمِ والحِكمةِ، والمحمودُ في الآخرةِ بشفاعتهِ عند ربِّهِ، عليه أفضلُ الصَّلاةِ والسَّلام، وأمَّا من سمَّاه به؛ فإنَّ آمنةَ أمَّ النَّبيِّ ﷺ هي الَّتي سَمَّتْهُ به حين وَلَدَتْه، بإشارةٍ إلهيةٍ، قَالَ ﷺ: «إنَّ اسمي محمَّداً الذي سمتني به أمِّي»[1].

---

(١) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم بلفظ: (أنَّ ثَوْبَانَ مولى رسول الله ﷺ حدثه قال كنت قَائِمًا عِنْدَ رسول الله ﷺ فَجَاءَ حِبْرٌ من أَحْبَارِ الْيَهُودِ فقال السَّلَامُ عَلَيْكَ يا محمد فَدَفَعْتُهُ دَفْعَةً كَادَ يُصْرَعُ منها فقال لِمَ تَدْفَعُنِي فقلت ألا تَقُولُ يا رَسُولَ اللهِ فقال الْيَهُودِيُّ: إنما نَدْعُوهُ بِاسْمِهِ الذي سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُهُ فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اسمي مُحَمَّدٌ الذي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي» فقال الْيَهُودِيُّ جِئْتُ أَسْأَلُكَ فقال له رسول الله ﷺ: «أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ إن حَدَّثْتُكَ قال =

واعلم أنَّ النَّبيَّ ﷺ له أسماءٌ أُخَرُ غيرُ محمَّد، وجملة أسمائه ﷺ ألفٌ على ما ذَكَرَه أبو بَكْر بن العربي[١] في شرحِهِ لكتاب التِّرمذي، فإنَّه قال: (إنَّ لله سبحانهُ وتعالى ألفَ اسمٍ وللنَّبيِّ ﷺ ألفُ اسمٍ أيضاً)[٢].

ورَوَى ابنُ إسحاق قال: (كانتْ آمنةُ بنتُ وَهْبٍ تحدِّثُ أنها أُتِيَتْ حِينَ حَمَلَتْ برسولِ الله ﷺ، فقِيل لها: إنَّكِ قد حَمَلْتِ بسيِّدِ هذه الأمَّة، فإذا وَقَعَ إلى الأرضِ فقولي: أُعِيذُه بالواحد مِن شرِّ كلِّ حَاسِد، وآيةُ ذلك أنَّه يخرجُ معه نورٌ يملأُ قصورَ بُصرى من أرضِ الشَّامِ، فإذا وَقَعَ إلى الأرض فَسَمِّيهِ محمَّداً، فإنَّ اسمَه في التَّوراة أحمدٌ، يَحْمَدُه أهلُ السَّماءِ والأرضِ، واسمهُ في الإنجيلِ أحمد، يحمدهُ أهلُ السَّماءِ والأرضِ، واسمهُ في القرآنِ محمَّد ﷺ)[٣].

قال السُّهيلي[٤]: (استضاءتْ بنورِهِ قصور الشَّامِ، وكانتِ الخلافةُ فيها

= أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ........) صحيح مسلم [١/ ٢٥٢/ رقم ٣١٥ باب بَيَانِ صِفَةِ مَنِيِّ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ وَأَنَّ الْوَلَدَ مَخْلُوقٌ من مَائِهِمَا] وصحيح ابن حبان [١٦/ ٤٤١/ رقم٧٤٢٢] وصحيح ابن خزيمة [١/ ١١٦/ رقم٢٣٢] وغيرهم.

(١) هو: أبو بكر محمَّد بن عبد الله بن محمَّد بن عبد الله بن أحمد المعافري، المعروف بابن العربي، ختام علماء الأندلس، وآخر أئمتها وحفاظها، من مؤلفاته: (العواصم والقواصم)، و(أحكام القرآن)، و(عارضة الأحوذي شرح سنن الترمذي) الذي نقل عنه صاحب هذا المولد. توفي سنة [٥٤٣هـ].

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي [١٥/ ١٠٤ باب في أسمائه ﷺ] وعمدة القاري [١٦/ ٩٦ باب ما جاء في أسماء النبي ﷺ].

(٣) انظر: دلائل النبوة للبيهقي [١/ ٨٠]، عيون الأثر لابن سيِّد النَّاس [١/ ٣٧]، السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٢٠٦].

(٤) هو: أبو القاسم، عبد الرَّحمن السهيلي، نسبة إلى سُهيل، وهي قرية بالقرب من مالقة بالأندلس، من مؤلفاته: (الروض الأنف)، و(التعريف والإعلام). توفي بمراكش سنة [٥٨١هـ]. انظر: العبر للذهبي [٣/ ٨٢].

مدّةَ بني أميّة)[1].

وقال ابنُ كثير: (ولهذا كانتْ بُصرى أوّلَ مدينةٍ فُتِحَتْ بالشّامِ، وأوّلَ بلدٍ دخلَها الصّحابةُ ﷺ بالشّامِ على يدِ خالد بن الوليدِ الشُّجاع لقاهُ اللهُ في حياتهِ وفي مماتهِ بالتّحيّاتِ والإكرام)[2].

وانّ أسمائه ﷺ كثيرةٌ؛ فمنها محمّد فهو اسمهُ المشهورُ الّذي سمّاه الله تعالى به قبل أن يسمّيَ به نفسهُ، فألهمَ اللهُ تعالى أهلهُ أن سمّوه محمّداً لما فيه من الصّفاتِ المحمودةِ ليتطابقَ الاسمُ والمعنى، كما قال حسّانُ بن ثابتٍ الأنصاري ﷺ[3]:

ألم تَرَ أنّ الله أرسَلَ عبدَهُ ... ببُرهانِهِ واللهُ أعلا وأمجَدُ
وشقَّ له من اسمِهِ ليُجِلَّهُ ... فذو العَرْشِ محمودٌ وهذا مُحَمَّدُ

قال السُّهيلي: (محمّد هو الذي حُمِدَ مرّةً بعد مرّة، كما أنّ المكرّمَ من أُكرِمَ مرّةً بعد أخرى، وكذا الممدوحُ ونحوهُ، من أسمائهِ ﷺ أحمد كما قال عيسى ﷺ: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[4] [الصف: ٦]. وذكره موسى ﷺ في المناجاة، وقال: (اللّهمّ اجعلني من أمّةِ أحمد)، ذُكِرَ من قَبْلِ أنْ يذكرَ محمّد ﷺ.

ومن جُملة أسمائهِ: البشيرُ، النّذيرُ، السّراجُ المنير، النّبيُّ الأميُّ، العربيُّ، المكيُّ، المدنيُّ، الرّسول، المرسل، الشّهيد، المصدّق، النّور، المسلم، المنذِر، المبين، العبد، الدّاعي، الإمامُ، الذّاكر، المذكّر، الهادي،

---

(١) انظر: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام [١/ ٢٨٨].
(٢) انظر: السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٣٢٢].
(٣) هو: حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري الخزرجي، شاعرُ رسول الله ﷺ، اختلف في سنة وفاته بين [٤٠ ـ ٥٠هـ]. انظر: الإصابة لابن حجر [٢/ ٨].
(٤) انظر تفسير الجيلاني.

المهاجر، العامل، المبارك، الرَّحمة، الآمِرُ، النَّاهي، الصيِّب، الكريم، المحلِّل، المحرِّم، الواضع، الرافع، المخبر، خاتم النَّبيِّين، ثاني اثنين، منصور، أذن خير، مصطفى، أمين، مأمون، قاسم، نقيب، المزّمل، المدَّثر، العليّ، الحكيم، المؤمن، الرَّؤوف، الرَّحيم، الصَّاحب، الشَّفيع، المشفَّع، المتوكِّل، الماحي، الحاشر، المقفِّي، العاقب، نبيُّ التَّوبة، نبي الرَّحمة، عبد الله، نبيُّ الحرمين. ذَكَرَ هذه الأسماء القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب (أحكامُ القرآنِ)[١]، في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝﴾[٢] [الأحزاب: ٤٥] الآية.

وأمَّا نسبهُ، فقد ذكرَ ابنُ هشام في السِّيرة نَسَبَ النَّبيِّ ﷺ، فقال: (هو محمدُ بن عبد الله بن عبد المطلبِ بن هاشم بن عبد منافٍ ابن قُصي بن كِلاب بن مُرَّة بن كَعب بن لُؤَيّ بن غَالِب بن فِهر بن مَالِك بن النَّضر بن كِنَانَة بن خُزَيْمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مُضَرَ بن نِزَار بن مَعدّ بن عدنان بن أدى بن أدد بن مقوم بن نَاحُورٍ بن تَيرَح ويقال: تَارخُ بن نَاحُور بن شاروخ بن راغو بن فالج بن عيبر بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ بن مهلائيل بن قاين بن يانش، ويقال: أنوش بن شيث بن آدم ﷺ، وآدمُ خلقهُ من ترابٍ)[٣].

والأكثرونَ يذكرونَ نسبَ النَّبيِّ ﷺ إلى إبراهيمَ الخليلِ، ثمَّ يقولون: وهو أبو الأنبياءِ، وهو مَذْهَبُ مالك ﷺ، فإنَّه كَرِه ذلك، وحَكَى أبو صالح عن

---

(١) انظر: أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي [٣/ ٥٨٠ ـ ٥٨١].

(٢) انظر تفسير الجيلاني.

(٣) انظر: السيرة النبوية لابن هشام [١/ ١٠٤ ـ ١٠٧]، مختصر تاريخ دمشق لابن منظور [١/ ١١٦].

ابن عبّاس أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان إذا انتسبَ لم يتجاوز في نسبهِ معدّ بن عدنان، ثمّ يُمسك، ويقول: كَذَبَ النّسّابون[1].

وأجازَ رفعَ نسبهِ ابنُ إسحاقَ، والطّبري، وأبو عبد الله البخاري، وغيرُهم، حكاهُ السُّهيلي[2].

وذكرَ الحافظُ أبو نعيمٍ في دلائلِ النبوةِ عن أبي بُرَيْدَةَ عن أبيه، قال: (رأتْ آمنةُ بنتُ وَهْبٍ أمُّ النّبي ﷺ في منامِها، قيلَ لها: إنّكِ حملتِ بخير البريّة وسيّدِ العالمين، فإذا ولدتيهِ فسمّيه أحمد ومحمّد، وعلّقي عليه هذهِ، قالتْ: فانتبهتُ وعند رأسي صحيفةٌ من ذَهَبٍ مكتوبٌ فيها: (أعيذُه بالواحدِ من شرِّ كلِّ حاسدٍ، وكلِّ خَلْقٍ رائدٍ، من قائمٍ وقاعدٍ، عن السّبيلِ عائد، على الفسادِ جامد، من نافثٍ وعاقدٍ، وكلِّ خلْقٍ مارد، يأخذُ بالمراصدِ، في طرقِ الموارد، أنهاهم عنه باللهِ الأعلى، وأحُوطهُ منهم باليدِ العليا، وبالكفِّ الذي لا يُرَى، يدُ اللهِ فوقَ أيديهم، وحجابُ اللهِ دون عادِيهم، لا يطردُوهُ ولا يضرُّوهُ في مقعدٍ ولا منامٍ ومسيرٍ ولا مقامٍ أولَ اللّيالي وآخرَ الأيامِ أربعَ مرّاتٍ بهذا)[3].

واختلفَ العلماءُ رحمهم الله كمْ أقامَ رسولُ الله ﷺ حملاً في بطنِ أمّه؛ فقيل: تسعةَ أشهرٍ، وقيل: عشرةَ أشهرٍ، وقيل: سبعةَ أشهرٍ، وقيل: ستةَ أشهرٍ، وقيل: ثمانيةَ أشهرٍ[4].

---

(١) انظر: عيون الأثر لابن سيّد الناس [١/ ٣٣]، الروض الأنف [١/ ٣١]، السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٧٥].

(٢) في الروض الأنف. انظر: [١/ ٣١].

(٣) انظر: الخصائص الكبرى للسيوطي [ص: ٧٢].

(٤) انظر: تحقيقه في الموالد السابقة.

وتُوفِيَ أبوهُ عبد الله، وهي حاملٌ، وقال الواقدي، وكاتبه محمَّدُ بن سعد في كتابِ (الدُّرَر): (لا يثبتُ أنَّه توفي وهي حامِلٌ، بل توفي بعد ولادتِهِ بسبعةِ أشهرٍ، والله أعلم).

وأمَّا ولادتُهُ ﷺ، فإنَّها بمكَّةَ في الدَّارِ التي كانتْ له بزقاقِ المولِدِ، وهذه الدارُ بنَتْهَا الخيزرانُ جاريةُ الخليفةِ المهديِّ مسجداً، وذلك أي؛ المولدُ كان في ربيعِ الأوَّل، لاثنتي عشرةَ ليلةً خَلَتْ من عامِ الفيلِ، سنةَ اثنتين وثمانِ مائةٍ من تاريخِ الإسكندرِ الرُّومي، في أيامِ كسرى أنوشِروانَ، لأربعٍ وعشرينَ سنةً من مُلكِهِ، وعليه أكثرُ أهلِ العلمِ، وهو قولُ الجمهورِ، والصَّحيحُ الذي عليه الجمهورُ؛ أنَّه وُلِدَ يومَ الاثنين ثاني عشرَ ربيعِ الأوَّل، وكان ذلك لعشرٍ مضَتْ من نيسانَ، ويُرْوَى عن سهلٍ بن عبد الله، قال: (لما أرادَ الله خلقَ محمَّد ﷺ في بطنِ أمِّهِ آمنةَ في شهرِ رجبٍ، أمَرَ في تلك اللَّيلةِ رضوانَ خازنَ الجِنَانِ أن يفتحَ أبوابَ الفردوسِ الأعلى، وينادي منادٍ في السَّمواتِ والأرضِ ألا إنَّ النُّورَ المخزونَ، الذي يكونُ منه النَّبيُّ الهادي العربي القرشي التِّهامي محمَّد، في هذه اللَّيلةِ يستقرُّ في بطنِ آمنة)[1]، فعلى هذا تكون مدَّةُ حملِهِ تسعةَ أشهرٍ، والله أعلم.

وفي كتاب (السُّنَن) للقاضي عِياض: أنَّ قابلةَ النَّبيِّ ﷺ، وهي الشِّفاءُ بنتُ عوفٍ بن الحارثِ، أمُّ عبد الله بن عوف، لَمَّا سَقَطَ على يديْها، سَمِعَتْ؛ أي بأذنَيْها قائلاً يقولُ: يرحمكَ ربُّكَ، ورأتْ أمي بعينيها أنَّه أضاءَ لها ما بينَ المشرقِ والمغربِ حتَّى نظرتْ إلى قصورِ الشَّامِ، وهذه الشِّفاءُ أسلمَتْ بعد ذلك، وهاجرَتْ رضي الله عنها.

---

(١) إلى هنا انتهى كلام الإمام القسطلاني. انظر: المواهب اللدنية، للقسطلاني [١/ ١١٧ ـ ١١٩]، والسيرة الحلبية [١/ ٧٥ ـ ٨٦].

وَوُلِدَ ﷺ مسروراً؛ أي: مقطوعَ السُّرَّةِ، مختوناً؛ أي: مُطهَّراً، وقيل: بل خَتَنَهُ جدُّه يومَ سابعِهِ، وقيل: خُتِنَ يومَ شَقَّ الملائكةُ قلبَه عندَ حليمةَ.

ورَوَى الحافظُ البيهقيُّ بسندِهِ عن عثمان بن أبي العاص الثَّقفيِّ عن أمِّه أنها شَهِدَتْ ميلادَ النَّبيِّ ﷺ، قالتْ: فما شيءٌ أنظرُ إليه من البيتِ إلَّا هو نُورٌ يتلألأ، أرَى ذلك بعيني، وإنِّي لأنظرُ إلى النُّجومِ تَدنو، وإنِّي لأقولُ: ليقعنَّ عليَّ(١).

وفي ليلةِ ميلادِ رسولِ الله ﷺ ارتجَّ إيوانُ كِسرى، وانشقَّ منه الحيطانُ وسقطَتْ أربعة عشرَ شُرفةً، بعددِ من يملكُ منهم من سُلطانٍ، وخمدَتْ نارُ فارسٍ، ولم تخمدْ قبل ذلك بألفي عامٍ، ورأى عالِم المجوسِ المدعو بالموبَذَانِ في منامِهِ إبلاً صِعَاباً تقودُ خَيْلاً عِراباً، قد قطعتْ دِجْلَةَ، وانتشرتْ في تلك البلدانِ، وفسَّرها لهم سُطَيْحٌ، فقال: يَمْلِكُ منهم ملوكٌ وملكاتٌ بعددِ الشُّرفاتِ، وهو آتٍ، ثمَّ قال: يا عبدَ المسيحِ إذا كَثُرتِ التِّلاوةُ، وظهرَ صاحبُ الهدايةِ، وغَاضَ وادي سَمَاوة، وغاضتْ بُحيرة ساوة، وخمدتْ نارُ فارسٍ، فليستِ الشَّامُ لسُطيحٍ شاماً، ثمَّ ماتَ في تلك السَّاعةِ، وقد أتى عليه سبعُ مئةِ سنةٍ، وقيل: ألفُ سنةٍ، فأخبرَ سطيحٌ عن تحقيقِ نبوَّته وبشَّر أيضاً بعلامةِ رسالته وبعثتِهِ(٢).

فقد رُوِيَ: أنَّه لَمَّا وُلِدَ هذا النَّبيُّ الفاخرُ لَقِيَهُ صاحبُ القصَّةِ الغريبة عامرٌ، واهتدَى إلى الإسلامِ بعدَ عبادةِ الأصنامِ، وفَازَ بتقبيلِ الأقدامِ، وسَعِدَ برؤيةِ سيِّد الأنامِ، ومَاتَ على محبَّتِهِ موتَ الكِرَامِ، وقصتُه تُحَيِّرُ العقولَ والأفهامَ، وذلك أنَّ عامراً كان باليَمَنِ يعبدُ صَنَماً من الأصنامِ، وكانتْ له ابنةٌ

---

(١) انظر: دلائل النبوة للبيهقي [١/ ١١١].

(٢) انظر: عيون الأثر لابن سيِّد النَّاس [١/ ٤٢]، الروض الأنف [١/ ٥٧].

سَطِيحَةٌ مبتليةٌ بالفَالِجِ والجُذامِ، وكان ينصبُ الصنمَ، ويَضَعُ ابنته أمَامَه، ويقولُ له: إنَّ ابنتي هذه مسطحةٌ مستقيمةٌ، فَدَاوِهَا واشْفِهَا، ودَامَ على ذلك سِنين، فلمَّا وُلِدَ الرَّسولُ الأمينُ، وهبَّتْ عليه نسماتُ العنايةِ بالتَّوفيقِ والهدايةِ، قال عامرٌ لزوجتِهِ: إلى مَتَى نَعْبُدُ هذا الحَجَرَ الأصمَّ الأبكمَ، الذي لا يَنْطِقُ ولا يَتَكَلَّمُ؟ فقالتْ لزوجِها: اسلُكْ بنا سبيلاً عَسَى نَرَى إلى الحقِّ دليلاً، فإنَّه لا بدَّ إلى هذه المشارقِ والمغاربِ من إلهٍ قديمٍ خالِقٍ، فبينما هو وزوجتُه على سَطْحِ دارِهِ مُنْعَكِفاً على صَنمٍ اعتراهُ، إذْ شَاهَدَ نُوراً قد طَبَقَ الأفقَ، وأملأ أضاءَ الوجودَ وبشذاهُ امتلئ، وكَشَفَ الله ﷻ عن عينِ بصيرتِهِ، فرَأى ملائكةً قد صفَّتْ، وبالبيتِ قد حَفَّتْ، ورأى الجِبَالَ ساجدةً، والأرضَ هامدةً، والأشجارَ قد تَمَايَلَتْ، والأفراحَ قد تكاملتْ، وسَمِعَ مُنادياً يُنَادِي: قَدْ وُلِدَ النَّبِيُّ الهادي، ثُمَّ نَظَرَ إلى الصَّنمِ، فإذا هُوَ مَنْكُوسٌ، وقد علَتِ الذِّلَّةُ، وأوفتْ عليهم العكوسُ، فقال عامرٌ لزوجته: ما الخبرُ؟ ثمَّ حقَّقَ إلى الصَّنَمِ بالنَّظرِ، فَسَمِعَهُ يقولُ: الأوان النباء، قد ظهرَ ووُلِدَ من تَشرَّفَ الكونُ به وافتخرَ، وهو النَّبِيُّ المنتظَرُ، الذي يُخَاطِبُه الشَّجَرُ ويكلِّمهُ الحَجَرُ الجلمودُ، فقَالَت: اسأله ما اسمُ هذا المولودِ الذي شرَّفَ الوجودَ؟ فقال له: أيُّها الهاتفُ ما اسمُ هذا المولودِ؟ فقال: اسمه محمَّد المصطفى ابنُ زَمْزَمَ والصَّفا، أرْضُه تهامةَ، بين كتفَيْه عَلَامَة، تظلِّله الغَمَامَةُ، فقال لزوجته: اخرجي بنا في طلبِهِ، لنهتدي إلى الحق بِسَبَبِه، وكانتْ ابنتُه السَّقيمة في أسفلِ الدَّارِ مُقِيمَةٌ، فلم يَشْعُرَا بها إلّا وهِيَ على السَّطحِ قائمةٌ مستقيمةٌ، فَسَألَهَا عن مَرَضِهَا، ومَنْ الذي جَاءَ بها، فقَالَت: يا أبَتِي بينما أنا نَائِمَةٌ في أطيبِ أحلامي، إذْ رأيتُ نوراً أمامي، وشَخْصاً قد أتاني، فقلتُ: ما هذا النُّور الَّذي أراهُ، وما الشَّخصُ الذي أشرَقَ عليَّ نورُ مُنَاه؟ فقيلَ لي: هذا سيِّدُ وَلَدِ

عدنانَ، هذا نبيُّ آخرِ الزَّمانِ، هذا الَّذي ذلَّتْ ليلةَ ولادتِهِ الأصنامُ. فقُلْتُ: أخبرني عن اسمِ هذا المولود؟ فقال: محمَّد ومحمود. فقلتُ له: أما تشاهدُ مَا أنَا فيه من الأحزان؟ فقال لي: توسلِّي بِجَاهِ عظيمِ الشَّان، فَقَد قَالَ ربُّه القديمُ الشأنِ إنِّي قَدْ أوْدَعْتُ فيه السِّر والبُرهانَ، فلا أخيبُ من به دَعَاني، ولا شفعتُه يومَ القيامةِ فِيمَنْ عَصَاني، فَمَدَدتُ يدي وبَنَاني، ودَعَوْتُ كَمَا أبصرني وهداني، ثم مَرَّرتُ بيدي على جسدي وجثماني، وأنا صحيحةٌ كما تراني، قال عامرٌ لزوجته: إنَّ لهذا المولود شرفاً ونسباً، ولقد سمعنا ورأينا من آياتِهِ عَجَباً، فلأقطعنَّ في محبَّتِهِ إرباً إرباً، فساروا مُجِدِّينَ ولمكةَ قاصدين، إلى أنْ وَصَلُوا إليها، وقَدِمُوا عليها، ثمَّ سألوا عن بيتِ آمنةَ، فلمَّا وصلوا إليه طَرَقُوا البابَ، ففتحتْ لهم وبادرَتْهم بالجوابِ، فسلَّموا عليها، وقالوا: يا آمنةُ، أرِنَا هذا المولودَ الذي نوَّرَ اللهُ به الوُجُودَ، فقالت آمنةُ: إنْ أخرجتُه لكم، فإنِّي أخافُ عليه من اليهودِ، فقالوا: يا آمنةُ، قد فارقْنَا من أجلِهِ الأوطانَ وهجرنا الأديانَ [أدخلينا][1]، فلمَّا أن حَصلوا في الدَّارِ، ورأوا الحبيبَ المختارَ، كَشَفَتْ لهم آمنةُ عن وجهِهِ المليحِ، فتبسَّم ﷺ لمَّا رآهم صاحياً، فخرجَ منه عمودٌ من النُّورِ ساطعاً، فانكبُّوا على قدميهِ وأسلَموا على يديهِ ﷺ، فقالتْ لهم آمنةُ: أسرِعوا، فإنَّ جدَّه قلَّدني الأمانةَ أن أكْتُمَ على النَّاس شأنَهُ، فخَرَجوا من عندهِ وفي قلوبِهم من المحبَّةِ والشَّوقِ إليه ما لا يُوصفُ، فوَضَعَ عامرٌ يدَيه على قلبِهِ، وقد غَابَ عن عقلهِ ولُبِّه، فلمَّا أفاقَ من غشيتِهِ، زَادَ إلى ما شاهدهُ من طلعتِهِ، فَصَاحَ وقَالَ: رُدُّوني إلى بيتِ آمنةَ، واسألوها محمَّداً ثانياً، فرَجعوا به إلى المنزِلِ، وبَادَرَ عامرٌ إليه، وانكبَّ على ثُمَّ شَهَقَ شَهْقَةً، فماتَ في شهقتِهِ، وعجَّل بروحهِ إلى جنَّتِه، فهذا ما

[1] المخطوط [تأدخلين] ولعل الصواب ما أثبتناه في المتن.

كان من بعضِ معجزاتِهِ، وهذا أوّل من مات عِشْقاً في محبّتِهِ، فسُبْحَانَ من جَعَلَ هذا النّبيّ الكريمَ سلطانَ الأنبياءِ والمرسلينَ وخاتماً، وجَعَلَهُ أشرف الخلائقِ أجمعين.

وذَكَرَ الحافظُ ابنُ عساكر في تاريخِهِ[1]، من حديثِ عمرو بن شُعَيب عن أبيه عن جدِّه، قال: كان بمرِّ الظّهرانِ راهبٌ يُدْعَى عَيْصَاً من أهلِ الشّام، آتاهُ اللهُ علماً كثيراً، وجعلَ فيه منافعَ لأهلِ مكّةَ، وكانَ يدخلُ كلَّ سنةٍ إلى مكّةَ، فيلقي النّاسَ، ويقول: يُوشِكُ أنْ يولدَ فيكم مولودٌ، يا أهلَ مكّة، تَدِينُ له العربُ، ويملكُ العَجَمَ، هذا زَمَانُه، فلمّا كَانَ صَبَاحُ اليومِ الذي وُلِدَ فيه رسولُ الله ﷺ، خَرَجَ عبد الله أبو النّبيّ ﷺ حتى أتى عَيْصاً، فناداهُ فأشرفَ عليه، فقال له: كنْ أباهُ، فقد وُلِدَ ذلك المولودُ الذي كنت أخبِركم أنّه يومُ الاثنينِ، ويبعثُ يومَ الاثنينِ، ويموتُ يومَ الاثنينِ، قال عبد الله: فإنّه وُلِدَ لي مع الصبحِ مولودٌ، قال: فما سميتَهُ؟ قال: محمّداً. فقال: قد كنتُ أشتهِرُ أن يكونَ فيكم إنَّ نَجْمَه طلعَ البارحةَ، وإنّه وُلد اليومَ، وأنَّ اسمَه محمّدا، وأنّه ابنك، وآيةُ ذلك أنّه الآن وجعٌ يشتكي أياماً ثلاثة، ثمّ يُعَافَى، فاحفظْ لسانَك ودارِ عنهُ قال عبدُ الله: إنْ طَالَ عُمره أو قَصُرَ، لم يبلغَ السبعين، ولم يقصرَ عن السّتين[2]، وهذا كَمَا قال الوَاقِدي، وكاتبه محمّدُ بن سعد: (أنَّ عبد الله والدُ رسولِ الله ﷺ كان إذ ذاكَ حيّاً). والله أعلم.

وفي دلائلِ النبوّةِ للحافظ أبي نعيم الأصفهاني، عن علي بن أبي طالب ﷺ عن أبي طالب يحدّث أنّ آمنةَ بنت وهبٍ، لما وُلِدَتْ النّبيّ ﷺ جاءهُ عبد

(١) انظر: تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر [٣/ ٤٢٦].
(٢) انظر البداية والنهاية [٢/ ٢٧٢]، والسيرة الحلبية [١/ ١١٢]، وسيرة النبي المختار [١/ ١٠٠]، وانظر فتح الباري [٦/ ٥٨٣ علامات النبوة في الإسلام].

المطلبَ فأخذهُ وقبَّله، ثمَّ دفعهُ إلى أبي طالب، فقال هو ودٌّ، يعني عندك ليكوننَّ لابني هذا شأنٌ، ثمَّ أمَرَ فنُحِرَت الجزائرُ، وذُبِحَت الشِّياه؛ يعني الغَنَم، وأطْعِمَ أهلَ مكَّةَ ثلاثاً، ثمَّ نَحَرَ في كل شِعْبٍ من شِعَابِ مكَّة جَزُوراً لا يُمْنَعُ منه إنسانٌ ولا سبعٌ ولا طائرٌ، فهذه وليمتهُ، وبعدها جلوتهُ ﷺ.

قال بعضُ العلماء الأعيان: لمَا جُلِيَ الرَّسول عروسُ الإسلامِ وأبرزَها الله من الخدْرِ للأنامِ أخرجَ أبو بكر مالَهُ كلَّهُ نثاراً للعروسِ، وأخرجَ عمرُ النِّصفَ موافقةً له، ثمَّ قامَ عثمان بوليمةِ العروسِ فجهَّزَ جيشَ العسرة، فعَلِمَ أنَّ الدُّنيا ضرَّة هذه العروسِ، وأنهما لا يجتمعان فبتَّ طلاقها ثلاثاً، فالحمدُ لله الذي خصَّنا بهذه الرَّحمةِ، وأسْبَغَ علينا هذه النِّعمة.

وفي دلائلِ النبوَّةِ للحافظ أبي نعيم أيضاً، عن ابن عبَّاس أنَّه قال: كَانَ من دَلائِلِ الحَمْلِ برسولِ الله ﷺ، أنَّ كلَّ دابةٍ لقريش نَطَقَت تلك اللَّيلةَ، وقالت: حُمِلَ برسول الله ﷺ وربِّ الكعبةِ، وهو أمانُ الدُّنيا وسِرَاجُ أهلِها، وانْتُزِعَ علمُ الكهنةِ، ولم يكنْ سريرٌ لملكٍ من ملوكِ الدُّنيا إلَّا أصْبَحَ منكوساً، والملكُ مخروساً لا ينطقُ يومَه[1].

وذَكَرَ ابنُ وَاضِح في تاريخه[2]: (أنَّه لمَّا ولد النَّبي ﷺ انقضَّت الكواكبُ ورُجِمتِ الشَّياطينَ، وأصابَ النَّاسَ زلزلةٌ عظيمةٌ عمَّتْ جميعَ الدُّنيا، وتهدَّمتِ الكنائسُ والبِيَعُ، وزَالَ كلُّ شيءٍ كان يُعْبَدُ من دون الله من موضعه).

ورُوِيَ أنَّ أمَّه آمنةَ أرضعتهُ ثلاثةَ أيامٍ، وقيل: سبعةَ أيامٍ، وقيل: ثُوَيْبَة جاريةُ عمِّه أبي لهب أياماً، قبل قدومِ حليمةَ، وفي إسلامِ ثُوَيْبَة قولان،

---

(١) سبق الإشارة إلى هذه الدلائل في الموالد السابقة.

(٢) ابن واضح هو: أحمد بن أبي يعقوب موسى بن جعفر بن وهب، ابن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي، توفي سنة [٢٨٦هـ]. انظر: هدية العارفين [١/ ٥٥].

وأرضعتهُ أمُّ أيمن، واسمُها بَرَكَة، جاريةُ أبيه عبد الله، ومن مراضعِه: خَوْلَةُ بنتُ المنذر، فهذه ثلاثةُ مراضعٍ، والرَّابعةُ المشهورةُ بالرَّضاعةِ التي حصلتْ لها السَّعادةُ بكثرةِ الرَّضاعِ حَليمَةُ بنتُ أبي ذُؤَيب السَّعديَّة ﷺ، فإنَّها أسلمتْ وآمنتْ به بعد نبوتِهِ، ومن قصتِها المشهورة التي ذكَرَها العلماءُ من أصحابِ السِّيَرِ؛ أنَّ النَّبيَّ ﷺ استُرْضِعَ من حليمةَ السَّعديَّة بعد مولدِهِ بسبعةِ أيامٍ، قالت حليمةُ: (خرَجْتُ من بلدي مع زَوْجِي، وابنٍ لي رَضِيعٍ في نِسْوَةٍ من بني سَعْدٍ، ذواتِ حالٍ فظيعٍ، تلتمسن الرُّضعاءَ من ذواتِ البيوتِ في سَنَةٍ شَهْبَاءَ، لم تُبْقِ لنا شيئاً من القُوتِ على أتَانٍ لي أركبُهُ، ومعنا شَارِفٌ لنا من النُّوقِ، قد هُزِلَتْ من الجوعِ بعد السِّمنِ، وهي واللهِ ما تَبِضُّ بقطرةِ لَبَنٍ، حتىٰ قدِمْنَا مكَّةَ أشرفَ البلادِ ومأوى العبادِ من البلادِ، فما منَّا امرأةٌ إلَّا وقد عَرَضَ عليها ذو الوجهِ الوسيمِ فتأباهُ، إذْ قيل: إنَّه يتيمٌ، فلمَّا أجمعنا على الانطلاقِ، وحَصَلَ منَّا على العزمِ الاتفاقُ، قُلْتُ لصاحبي: لأذهبنَّ إلى ذلك اليتيمِ، فلَهُ أشدُّ حَسَبٍ كَرِيمٍ، فذَهَبْتُ إليه راجيةً خَيْرَه، لأنِّي لم أَجِدْ طفلاً غيرَه، أخذتُه ووضعتهُ في حِجْرِي أقبل عليه ثدياي بما شاءَ من لبنٍ، فشَرِبَ هو وأخوه، وهَدَأَ واستكَنَّ، ونَظَرْنَا إلى شارِفِنا، وإذا بها حَافِلٍ، وقد أخصبَ ثديُها الماحِلُ، فحَلَبَ زوجي منها وشربَ حتىٰ كِدْنَا من الشِّبَعِ والرِّيِّ نضطربُ، وسَارَت أتاني مسرعةً في العَوْدِ بخلافِ الصِّفَة المعهودةِ، فيقُلْنَ لي: يا بنتَ أبي ذُؤَيب: أمَا هذه أتَانُكِ التي كانت معنا؟ فأقول: نعم، فيقلْنَ: إنَّ لها لشأناً، وكانت غنَمُنَا تَرُوحُ شِبَاعاً لُبَّناً، وأغنامُ الحيِّ بهُزَالٍ)[١].

وأنشَدَ الحافظُ عمادُ الدِّين إسماعيل الحنبلي ﷺ، يقول:

---

(١) انظر: أسد الغابة لابن الأثير [٧/ ٧٠].

حَازَت حليمةُ في رِضَاعِ محمَّدٍ ... مَا لا يَنالُ مِن العُلا والسُّؤدَدِ
وَسَمَتْ على أصحابها بِرِضَاعِه ... وَرَأَتْ من البَرَكَاتِ مَا لم يُوجَدِ
أَخَذَتْه كَارِهَةً لَهُ إذْ لم تَجِدِ ... طِفْلاً سِوَاهُ لِيُتْمِه لم يُقْصَدِ
كَانَتْ أتَانُ حَلِيمَةَ أَعْيَتْ ... من الجُهْدِ الشَّدِيدِ وسَيْرُهَا لم يُحْمَدِ
لَمَّا عَلا خيرُ البريَّة ظَهْرَهَا ... قَطَعَتْهُم سَيْراً بِفَضْلِ مُحَمَّدِ
وكذلك الأَغْنَامُ أضحت لَبَناً ... والضَّرع دَرَّ بِدَرِّه المتجدِّدِ
لما رَأَتْ منه النَّمَا استبشرت ... ورَجِعَتْهَا ان تُسَرَّ بأحمدِ
بِشَرَاكِ قَدْ حِزتِ الفَخَارَ ... بِرَضَاعِه فاستبشري بِمُحَمَّدِ

قالت حَلِيمَةُ: فَلَمْ يَزَلِ الله يُرِينَا البركةَ حتَّى بَلَغَ سنةً، وكان يشبُّ شباباً لا تشبُّهُ الغِلمانُ فَمَا بَلَغَ السنتين حتَّى كان غلاماً جَفْراً، والجَفْرُ ما لَهُ أربعُ سنين من الغَنَمِ، وقيلَ فيه ذلك؛ لأنه كان كَمَنْ بَلَغَ تلك السِّنين(1).

وروَى البيهقيُّ في دلائلِ النبوةِ عن عبد الله بن عبَّاس، قال: كانَتْ حليمةُ تحدِّثُ أنَّها لما فَطِمَتْهُ ﷺ تكلَّمَ، قالت: سمعتهُ يقول كلاماً عجيباً، سمعتهُ يقول: «الله أكبر كبيراً والحمدُ لله كثيراً، وسبحان الله بُكرةً وأصيلاً»(2).

ويُرْوَى عن أختِه الشَّيماءَ من الرَّضَاعة أنَّها كانت تَحْمِلُ النَّبيَّ ﷺ وتُرَقِّصُه، وتقول(3):

أخٌ لم تَلِدْهُ أمّي، وليس من نسلِ أبي وعمّي يا ربنا أبقِ أخي محمَّدَا،

---

(1) انظر: الروض الأنف للسهيلي [١/ ٢٨٥]، السيرة النبوية لابن كثير [١/ ٢٢٧]، الخصائص الكبرى للسيوطي [ص: ٩٣].

(2) انظر: دلائل النبوة للبيهقي [١/ ١٤٠].

(3) ذكره محمد بن المعلى في كتاب (الترقيص). انظر: الإصابة لابن حجر [٧/ ٧٣٣].

حتى أراهُ يافعاً وأمْرَدا ثمّ أراهُ سيّدا مسوّداً، واكْبِتَ أعاديه مَع الحُسّداً واعطِهِ عزّاً يدومُ أبداً محمّد خيرُ البَشَرِ، ممَّنْ مَضَى ومن غَبِره مَنْ حجَّ منهم واعتَمَرْ، أحْسَنُ من وجهِ القَمَرْ، مِنْ أُنثَى وَذَكَرْ وهذه الشّيماءُ عَاشَتْ حتّى بُعِثَ النّبي ﷺ، فأسلمتْ وأطْلَقَ رسول الله ﷺ أسَارى بَني سَعْد من أجلِها يومَ حُنَيْن، وكانت ستةَ آلاف أسيرٍ، وكان قيمةُ ما أطلقهُ لها النبيُّ من الأموالِ والنَّعَم ما يُقَارِبُ خمسمائة ألفِ دِرهم[١].

ويُرْوَى أنَّ حليمةَ ردَّتْهُ ﷺ بعد انقضاءِ سنتَيْهِ، قالت: فَقَدِمْنَا على أمّه فقلنا: دَعي ابني عندي حتىٰ يشتدَّ عودُ شجرتِه، فإنّي أخشَى عليه من وَبَاءِ مكّةَ وكَثْرَتِه، فَلَمْ نَزَلْ حتّى سَمَحَت بردِّهِ معنا، رحمةً من الله تُرَادُ بِنَا، فَرَجَعْنَا به فَرِحِينَ، وَعُدْنَا مَسرورِين مُنْشَرِحِين، قَالَت: فَمَكَثَ عِنْدَنَا بعد عَوْدِه شهرَين أو ثَلاثَةً.

وقال ابنُ قُتَيْبَة: أقَامَ عندَهم خمسَ سنين، فبينما هو يلعبُ يوماً مع الغِلمانِ خَلْفَ البيوتِ، إذْ جَاءَ أخوه يشتدّ، فقَالَ لي ولأبيه: أدْرِكَا أخي القُرَشيّ، فقد جَاءَه رجلانِ فأضجعاهُ وشقّا بطنَه، فخرجنا نشتد نحوَه فانتهينا إليه، وهو قائمٌ مُنْتَقِعٌ لونُه، فاعتنقتُه واعتَنَقَهُ أبوه، وقال: مَالَكَ يا بُنيّ؟ قال: أتاني رجلانِ عليهما ثيابٌ بِيضٌ، فأضجعاني وشقّا بطني، واللهِ مَا أدري مَا صَنَعَا، وفي روايةٍ: أنه قال: جاءني ثلاثةُ رَهْطٍ معهم طِسْتٌ من ذهب قد مُلِئَ ثَلْجاً، فأخذني واحدٌ منهم، فهرب أبواي، وَوَقَفَا على شَفِيرِ الوادي، ثمّ أقبلا على القومِ، وقالا: يا قومُ، إنَّ هذا الغلامَ ليس منّا، إنما هو مُسْتَرْضَعٌ فينا، وهو ابنُ سيّد قُريش، وهو يتيمٌ، فماذا تريدون من قَتْلِه، فإنْ كنتم فَلا بدَّ قاتلوهُ، فاختاروا مَنْ شِئْتُم منّا، فاقتلوهُ عِوَضَه، فلم يردُّوا عليهما جواباً،

(١) انظر: الاستيعاب لابن عبد البر [ص: ٩١٦].

فانطلقا هَارِبين يَسْتَصرِخَان الحيَّ، فَعَمِدَ أحدُهم فأضجعني اضجاعاً رَفِيقاً، ثمَّ شقَّ ما بين مِرْفَقَيَّ صَدْرِي إلى مُنتهى عَانَتِي، ولم أجِدْ لذلك ألماً، ثمَّ أخرجَ أحشاءَ بَطني، فَغسل بماء وثلج، فأَنْعَمَ غَسْلَها، ثمَّ ردَّها إلى مكانها، ثمَّ جَاءَ آخرُ، فأخرجَ من قلبي مضغةً سوداءَ، فَرَمَا بها، وإذا بيده خاتمُ النبوَّةِ من نورٍ، خَتَمَ به قلبي فامتلأ نوراً، ثمَّ ردَّه إلى مكانه، فوجدتُ بَرْدَ الخاتم في قلبي دهراً، ثمَّ أمَرَّ الثالثُ يدهُ على صدري، فالتأمَ ذلك الشَّقُّ بإذن الله، ثمَّ أخذَ بيدي فأنهضني، ثمَّ قال: لصاحبه زِنْه، اجعله في كفَّة، واجعل ألفاً من أمتهِ في كفَّة، فَفَعَلَ، وأنا أنظرُ إلى الألوف، فَرَجَحْتُ عليهم، فانطلقا وهما يقولان، أوقال: فانطلقوا وهم يقولون: إنَّ أمته وُزِنَت به فَرَجَحَهُم، ثمَّ أقعدوني وقبّلوا رأسي، وقالوا: يا حَبِيبَ الله لا تُرَاع أنَّك لا تَدْرِي مَاذا يُرادُ بك أو منك، لو علمتَ لقرَّتْ عيناك، قال: فبينما نحن كذلك، وإذا بالحيِّ قد أقبلوا بحذافيرهم، وإذا بأمِّي حليمةَ تَهْتِفُ في أوائلهم، وتقول بأعلى صوتها: يا ضَعِيفَاه! فقال أحدهم: حبَّذا أنت من ضعيفٍ، فقالت: يا يتيماه! فقال آخر: حبَّذا أنت من يتيمٍ، فقالت: وَا وَاحِدَاه! فقال آخر: حبَّذا أنت من واحدٍ، ثمَّ ضمَّتني إلى صدرها، وجعلتْ تقولُ: استُضْعِفْتَ من بين أترابك وتبكي، فقال النبيُّ ﷺ: «والَّذي نفسي بيده، إنِّي لَفِي حِجْرِهَا، وإنَّ يدي في يدِ بعضِ القومِ، وأنا التفتُّ إليهم، ظنَّ أنَّ القومَ يبصرونهم»، فَقَال بعضُ أهلِ الحي: هذا الغلامُ قد أصابَه سَهْمٌ، فانطلقوا به إلى الكاهنِ لينظرَ إليه، فذهبوا بي إلى الكاهنِ، فسألني عن قصتي فأخبرتُه، فضمَّني إلى صدرهِ، وَصَاحَ بأعلى صوتهِ: يا معاشرَ العربِ، اقتلوهُ واقتلوني معه فواللاتِ والعزَّى، لئنْ تركتموهُ ليبدلنَّ دينكم، فصاحتْ أمِّي: انظر لنفسِكَ قاتلاً غيرنا، فإن ولدَنا ما به مما قلتَ شيءٌ ولقد شبَهُ عليك، قالتْ حليمةُ: فاحتملْنَاهُ ورَجَعْنَا به، وقال

زوجي: يا حليمةُ، واللهِ ما أرى الغُلامَ إلا وقد أُصِيبَ، فانطلقي لِنَرُدَّهُ إلى أمِّهِ، قَبلَ أنْ يظهرَ به ما تتخوَّفُ، فَرَجَعْنَا إلى أمِّه فقالتْ: ما ردَّكما، فقد كنتُمَا حريصَيْنِ عليهِ؟ فقلنا: قدْ كفِلناهُ وأدَّينا مَا عَلَينا من الحقِّ، ثمَّ خِفْنَا عليه الأحداثَ، فقالتْ: واللهِ، ما ذاكَ بكما فأخبِراني خَبَرَه؟ فأخبرنَاها، فقالتْ: أخفتُما عليهِ، واللهِ إنَّ لابني هَذَا لشأناً[1].

وذَكَرَ الواقدي: إنَّما قدمتْ به، لَمَّا تمَّ له خمسُ سنينَ مكةَ، ورأتْ غمامةً تظلّهُ إنْ سَارَ سَارَتْ، وإنْ وَقَفَ وَقَفَتْ، فأفزَعها ذلك، فلمَّا قَرُبَتْ من مكَّةَ نَامَتْ في بعضِ الأبَاطِحِ، ثمَّ انتبهتْ، فلم تجدْهُ، فذَكَرَ الثعلبيُّ في تفسيرهِ القصَّةَ[2]، وأنَّ حليمةَ لَمَّا ضلَّ مِنْهَا النَّبيُّ ﷺ، قَالَتْ: وَامُحَمَّدَاه، وَاوَلَدَاه، فَأبْكَيْتُ الجَوارِيَ الأبكارَ بِبُكَائي، وإذا بشيخٍ يَتَوَكَّأُ على عَصًا، فقال: مَالَكِ يا سعديةُ؟ فقُلتُ: ابني محمَّد، فقال: لا تَبْكِي، أنا أدلُّك على من يَعْلَم عِلْمَه، وإنْ سألتِه يردُّه عليكِ، فقُلتُ فداكَ نفسي: من هُوَ؟ قال: الصَّنَمُ الأعظمُ هُبَل، قال: فَدَخَلَ نَطَافَ بِهُبَلَ، وقبَّلَ رأسَه وناداهُ، أيُّها الإلهُ الأعظمُ، لم تَزَلْ مِنَّتُك على قريشٍ عظيمة، وهذه السَّعديةُ تَزْعُم أنَّ ابنَها محمَّداً قد ضلَّ، فرُدَّهُ عليها، قَالَتْ: فانكبَّ الهُبَلُ على وجهِهِ، وتَسَاقَطَتِ الأصنامُ، وقالتْ: إليك عنَّا يا شيخُ، فإنَّما هلاكُنا على يدِ محمَّدٍ، قالت حليمةُ: قال الشَّيخُ وأنا أسمعُ لأسنانِهِ اضطراباً، ولركبَتَيْه ارتعاداً، يَا حَلِيمَةُ، إنَّ لابنِكِ ربّاً لا يضيِّعُه، فاطلبيهِ على مَهَلٍ، قالت: فأتيتُ جدَّه عبدَ المطلب فأخبرتُه، فَرَكِبَ فَرَسَه وَرَكِبَ بنو هَاشِم معهُ، وخَرَجَ إلى أعلى مكَّةَ وأسفَلِها، فَلَمْ يَجِدْ شيئاً، فَأتَى الكعبةَ فَطَافَ أسبوعاً، ثمَّ قال: يا ربَّ محمَّد، رُدَّ وَلَدِي محمَّداً وأدِه إليَّ،

---

(١) تقدم الحديث عن هذه القصة انظر: السيرة الحلبية [١/ ١٣٨].

(٢) في تفسيره لسورة الضحى. انظر: الكشف والبيان للثعلبي [١٠/ ٢٢٧].

واتخذ عندي يداً فسمعهُ منادياً من الهواءِ: أيّها النّاس، إنْ لمحمَّدٍ ربّاً لا يضيّعُه، فقالَ عبدُ المطلب: وأنّى هو؟ فقالَ: بوادي تِهامَةَ، عند شَجَرَةِ اليَمَنِ، فَخَرَجَ عبد المطلب وَلَقِيَه ورقةُ بنُ نوفل، وسَارَا جميعاً إلى ذلك المكانِ، وإذا به تحت الشَّجرة، فاحتَمَلَهُ عبدُ المطلب على قُرْبُوسِ سَرْجِه، وعَادَ إلى مكَّةَ، فذلك قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾[1] [الضحى: ٧].

وتِهامَةُ مَا نَزَلَ عن نَجْدٍ مِنْ بِلَادِ الحِجَازِ، ومَكَّةُ أوّلها ذات عِرْقٍ.

ورُوِيَ: (أنَّ النبيَّ ﷺ كان من نظافتهِ يصبحُ دهيناً كَحِيلاً، ويصبحُ الصبيانُ شُعْثاً رُمصاً)[2].

وعن امّ أيمنٍ جاريةِ أبيهِ، أحدِ مَرَاضِعِه، قَالَتْ: (مَا رَأيتُ رَسُولَ الله ﷺ شَكَا جوعاً ولا عَطَشاً، وكان يغدو إذا أصبحَ فيشربُ من ماءِ زمزمَ شربةً، فربمَا عَرَضْنَا عليه الغَدَاءَ، فيقولُ: لا أريدُ أنا شَبعانٌ)[3]. وكان ﷺ عند أمّهِ آمنةَ حتىٰ تُوفِيَتْ بالأبواءِ؛ مكانٌ بين مكّةَ والمدينة، وكَانَ إذ ذاك ابنَ ستِّ سنينٍ، وَكَفَلَهُ بعد ذلك جدُّه عبدُ المطلب.

قال ابنُ الجَوْزِي: (ولما بَلَغَ من العُمر سبعَ سنينَ، ﷺ، أصابَهُ رَمَدٌ، فعولج فلم يُغْنِ عنه، فقيل لعبدِ المطلبِ: إنَّ في ناحيةِ عُكَاظَ راهباً يُعَالِجُ الأعينَ، فَرَكِبَ إليه فناداهُ وديرهُ مغلوقٌ عليهِ، فلم يُجِبْهُ، فتزلزلَ به ديرهُ، حتىٰ خَافَ أنْ يسقطَ عليهِ، فَخَرَجَ مُبَادِراً، وقال: يا عبدَ المطلب، إنَّ هذا الغلامَ نبيُّ هذه الأمّةِ، ولَو لَمْ أخرجْ إليه، لخرّ عليَّ ديري، فَارْجِع به واحفَظْهُ، لا

---

(١) انظر تفسير الجيلاني.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر: عيون الأثر لابن سيّد الناس [١/ ٦٠]، سبل الهدى والرشاد [٢/ ١٣٥].

يَخْتَالُه بعضُ أهلِ الكتابِ، ثمّ عَالَجَهُ وأعطاهُ ما يعالِجُه به[(١)]، وألقَى اللهُ له المحبّةَ في قلوبِ قومِه، وكلُّ من يراهُ، وعُرِفَ بينهم بالصَّادِقِ الأمينِ، ولما بَلَغَ ﷺ من العُمرِ ثمانَ سنينَ وشهرَينِ وعشرةِ أيامٍ، ماتَ جدُّه عبد المطلب، وكفلهُ عمُّه أبو طالب، وهو أبو عليٍّ كرّم الله وجهَهُ، دونَ سائرِ أعمامِهِ لوصيّةِ عبد المطلب بذلكَ، ثم خرجَ به إلى الشَّامِ، وله اثنتا عشرةَ سنة، وذلك بعد موتِ جدِّهِ بأربعِ سنينَ، ورآهُ بحيرا الرَّاهب والغمامةُ تظلّلهُ. وفي المسعودي[(٢)]: أنَّ بَحِيرًا كَانَ من عَبْدِ قَيْس[(٣)]، ويُقَالُ: بَحِيرًا بالمدِ والقصرِ، وفي السَّنةِ الخامسةِ عشرَ من مولدِهِ ﷺ رأى قَيْسَ بنَ سَاعِدَة، وسمعَ خطبتَهُ، وفيها البِشَارَةُ بظهورِهِ ﷺ ولهُ من العمرِ خمساً وعشرينَ سنةً، ورَحَلَ مع مَيْسَرَةَ إلى الشَّامِ، وفي عودِهِ من الشَّامِ في هذه السنةِ، تزوّجَ ﷺ بخديجةَ بنتِ خُوَيلد بن أسَد، وكان عمرهُ إذ ذاكَ خمساً وعشرينَ سنةً وشهرَينِ وعشرةَ أيامٍ، فَوَلَدَ له منها: القَاسِمُ، وعبدُ الله، وزينبُ، ورُقَيَّةُ، وفاطمةُ، وأمُّ كلثوم، ولمَّا بَلَغَ أربعينَ سنةً بعثهُ اللهُ تعالى رسولاً إلى الأحمرِ والأسودِ ناسخاً بشريعتِهِ سائرَ الشَّرائعِ، ولما بَلَغَ خمسينَ سنةً تُوفي عمُّه أبو طالبٍ، وتُوفيت خديجةُ بعد عمِّهِ بثلاثةِ أيامٍ، وهي بنتُ خمسةٍ وستينَ سنةً، وأُسْرِيَ به ﷺ بعدَ بعثتِهِ بثلاث سنينَ، وهَاجَرَ رسولُ الله ﷺ إلى المدينةِ وعمرهُ ثلاثٌ وخمسونَ سنةً، لاثنتي عشرةَ ليلةٍ خلَتْ من ربيعِ الأوّل، وهي أوّلُ تاريخٍ أرِّخَتْ في هذه الأمّةِ سنةَ الهجرةِ، وأقامَ بالمدينةِ سبعةَ عشرةَ شهراً يصلِّي إلى بيتِ المقدسِ، ثمّ أُمِرَ

---

(١) انظر السيرة الحلبية [١/١٨٣]، وسمط النجوم العوالي [١/٣١٦].

(٢) هو: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، الرّحالة والمؤرخ، توفي سنة [٣٤٦هـ]، وكان الأولى أن يقول: (وعند المسعودي)، أو في كتابه (مروج الذهب ومعادن الجوهر).

(٣) انظر: مروج الذهب، للمسعودي [١/٧٥].

بتحويلِ الصَّلاةِ إلى الكعبةِ يومَ الثالثِ من شهرِ شعبانَ في صلاةِ الظُّهرِ، ثمّ فُرِضَ صيامُ شهرِ رمضانَ، فاشكُروا اللهَ يا أمَّةَ محمَّدٍ على هذهِ النِّعمةِ؛ فإنَّ بإرسالِ محمَّد ﷺ تمَّتْ مصالحُ الدُّنيا والآخرةِ، وكَمُلَ بسببِهِ دينُ اللهِ الَّذي رَضيَهُ لعبادِهِ، وقَبُولَهُ سبب السَّعادة في الدُّنيا والآخرةِ، نسألُ اللهَ تعالى الثَّباتَ على الإيمانِ، والاتِّباعِ لمحمَّدٍ، سيِّدِ وَلَدِ عدنانَ، ﷺ على ممرِّ الأزمانِ، آمين.

سُبحانَ ربِّكَ ربِّ العزَّةِ عمَّا يَصِفُونَ، وسلامٌ على المرسلينَ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

وكانَ الفراغُ من هذا المجموعِ في غُرَّةِ ربيعِ الأوَّلِ الأنورِ، يومَ الأحدِ من شهورِ سنةِ ألفٍ وثلاثمائةٍ وواحدٍ، على يدِ أفقرِ الكُتَّابِ وأحقرِهم محمَّد رَجَبِي جلدبه، غَفَرَ اللهُ له ذنبَهُ ولوالدَيهِ والمسلمينَ أجمعينَ، آمين.

هذه النسخة التي راجعها الشيخ قبل سفره وفيها جميع التصحيحات التي طلبها مع مراجعتي الأخيرة ٢٠١٠/٦/٣.

كان الفراغ غرة يوم الخميس الواحدة وثلث صباحاً ٢٠١٠/٨/١٢

الخادم الجيلاني

قائمة بأسماء المراجع والمصادر

١ ـ الأحاديث المختارة، الضياء المقدسي، عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة.

٢ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، عادل مرشد، دار الأعلام، عمان، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٣ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير الجزري، علي محمّد معوّض، وعبد الفتاح أبو سنّه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٤ ـ الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٥ ـ الأعلام، محمد خير الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة ١٩٨٦م.

٦ ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، محمد إبراهيم المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان.

٧ ـ بحر العلوم، أبو الليث السمرقندي، د.محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت

٨ ـ البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، عادل عبد الموجود، علي محمّد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٩ ـ البداية والنهاية، ابن كثير، عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، مصر.

١٠ ـ تاريخ دمشق، ابن عساكر، محب الدين العمروي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

١١ ـ تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، ابن حجر العسقلاني، محمد علي النجار، علي محمد البجاوي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

١٢ ـ تذكرة الحفاظ، الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،

١٣ ـ تهذيب اللغة، الأزهري، إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م.

١٤ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، مصر.

١٥ ـ الجامع الكبير، الترمذي، بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

١٦ ـ الجامع في أحكام القرآن، القرطبي، عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيوت لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

١٧ ـ جامع كرامات الأولياء، النبهاني، إبراهيم عطوة عوض، مركز أهل سنت بركات رضا، الهند، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠١م.

١٨ ـ الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، عادل عبد الموجود، علي محمّد معوض، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

١٩ ـ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن قيم الجوزية، زيد بن أحمد النشيري، دار عالم الفوائد، السعودية.

٢٠ ـ الحاوي للفتاوي، السيوطي، عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٢١ ـ حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، ابن الديبع الشيباني، عبد الله إبراهيم الأنصاري، المكتبة المكية، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٢٢ ـ حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٥م.

٢٣ ـ الخصائص الكبرى، السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٢٤ ـ درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، المقريزي، محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

٢٥ ـ الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، دار الجليل، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٢٦ ـ دلائل النبوة، أبو نعيم الأصبهاني، محمد رواس قلعجي، عبد البر عبّاس، دار النفائس بيروت لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٢٧ ـ دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، البيهقي، عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، دار الريان للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

٢٨ ـ ذخائر العقبى، محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري، أكرم البوشي، مكتبة الصحابة، جدة، ١٤١٥هـ.

٢٩ ـ الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، السهيلي، عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الإسلامية القاهرة، ط١، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

٣٠ ـ زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

٣١ ـ سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، مصطفى عبد الواحد، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م

٣٢ ـ سلك الدرر، محمد خليل المرادي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر

٣٣ ـ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، العصامي.

٣٤ ـ السنن الكبرى، ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف الرياض، الطبعة الأولى.

٣٥ ـ السنن الكبرى، البيهقي، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣٦ ـ السنن الكبرى، النسائي، عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٢١هـ/ ٢٠٠١م

٣٧ ـ سير أعلام النبلاء، الذهبي، شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٣٨ ـ السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون)، علي بن برهان الدين الحلبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٣٩ ـ السيرة النبوية، ابن كثير، أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٤٠ ـ السيرة النبوية، ابن هشام، مصطفى السقا وآخرون.

٤١ ـ شذرات الذهب، ابن العماد، محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، سورية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م

٤٢ ـ شرح النووي على صحيح مسلم، النووي، ، المطبعة الأزهرية، القاهرة ط١، ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م.

٤٣ ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض اليحصبي، علي محمد البجاوي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٤٤ ـ الصحاح، الجوهري، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٤٥ ـ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ابن بلبان الفارسي، شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٤٦ ـ صحيح البخاري، البخاري، محب الدين الخطيب، محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.

٤٧ ـ صحيح مسلم، مسلم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت

٤٨ ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٤٩ ـ طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، مصر.

٥٠ ـ الطبقات الكبرى، ابن سعد، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م.

٥١ ـ الطبقات الكبرى، الشعراني.

٥٢ ـ عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، أبو بكر بن العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٥٣ ـ العبر في خبر من غبر، الذهبي، محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيوت لبنان.

٥٤ ـ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ابن سيد الناس اليعمري، محمد العيد الخطراوي ومحيي الدين مستو، دار ابن كثير، دمشق، ودار التراث، المدينة المنورة.

٥٥ ـ غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، ج برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٥٦ ـ الفائق في غريب الحديث، الزمخشري، علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيوت لبنان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٥٧ ـ الفتاوى الحديثية، ابن حجر الهيتمي، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٥٨ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٥٩ ـ قصص الأنبياء، ابن كثير، صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٦٠ ـ قوت القلوب، أبو طالب المكي، عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

٦١ ـ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٦٢ ـ الكشاف، الزمخشري، عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمّد معوّض، مكتبة العبيكان، السعودية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٦٣ ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس عمّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة النّاس، إسماعيل بن محمّد العجلوني، مكتبة القدسي، دمشق، سنة ١٣٥١هـ.

٦٤ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٦٥ ـ كنز العمّال، المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩ م.

٦٦ ـ لسان العرب، ابن منظور، أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصدق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان.

٦٧ ـ لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م

٦٨ ـ مجمع الزوائد، الهيثمي، عبد الله محمد الدرويش، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٦٩ ـ المجموعة النبهانية في المدائح النبوية، إسماعيل بن يوسف النبهاني، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٧٠ ـ المحتسب في القراءات الشاذة، ابن جني، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، علي النجدي ناصف، عبد الحليم النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٧١ ـ المحرّر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، عبد السلام عبد الشافي أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٧٢ ـ المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، دار الحرمين، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، طبعة متضمنة انتقادات الذهبي.

٧٣ ـ مسند الإمام أحمد، الإمام أحمد، شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، طبعة أولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٧٤ ـ معالم التنزيل، البغوي، محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م

٧٥ ـ المعجم الأوسط، الطبراني، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٧٦ ـ معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٧٧ ـ معجم العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي.

٧٨ ـ معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤/ ١٩٩٣م.

٧٩ ـ معجم مقاييسُ اللغة، أحمد بن فارس، عبد السّلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٨٠ ـ مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٨١ ـ المقاصد الحسنة، السخاوي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.

٨٢ ـ المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، القسطلاني، صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٨٣ ـ الموضوعات، ابن الجوزي، نور الدين شكري جيلار، أضواء السلف، الرياض، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م

٨٤ ـ النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، ابن تغري بردي، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٨٥ ـ نصب الراية، الزيلعي، محمد عوامة، مؤسسة الريان للطباعة، دار القبلة، جدة.

٨٦ ـ النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير الجزري، طاهر أحمد الزاوي ـ محمود محمد الطناحي، دار المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م

٨٧ ـ هدية العارفين، الباباني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٨٨ ـ الوافي بالوفيات، الصفدي، أحمد أرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٨٩ ـ وفيات الأعيان، ابن خلكان، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان.



فهرس الموضوعات

شرح العلامة الزرقاني

المتوفى ١١٢٢ھ

على

المواهب اللدنية بالمنح المحمدية

للعلامة القسطلاني

المتوفى سنة ٩٢٣ھ

ضبطه وصححه

محمد عبد العزيز الخالدي

الجزء الثاني عشر

النورية الرضوية پبلشنگ كمپنی

لاهور پاکستان



النوریۃ الرضویۃ پبلشنگ کمپنی

(رجسٹرڈ) پاکستان

تقسیم کار۔۔۔ دار النور۔۔۔ دکان نمبر 4 مرکز الاویس دربار مارکیٹ لاہور
0092-42-37247701, 0300-8539972, 0314-4979702

اکتوبر 2016

عربی، فارسی کتب

قیمت (اردو کاغذ)	قیمت (سفید کاغذ)	مصنف	نام کتاب	نمبر شمار
		العلامہ شمس الدین ابن امیر حاج رحمۃ اللہ علیہ	حلبۃ المجلی فی شرح منیۃ المصلی (عربی 2 جلد مکمل)	1
		العلامہ بدر الدین العینی رحمۃ اللہ علیہ	فتاوی المسائل [illegible] (عربی 2 جلد مکمل)	2
		السید الدکتور محمد فاضل جیلانی رحمۃ اللہ علیہ	[illegible] مجموعہ رسائل (عربی 1 جلد مکمل)	3
		خلیل بن ابراہیم ملا خاطر العزامی	واجب الامۃ نحو نبی الرحمۃ ﷺ (عربی 1 جلد مکمل)	4
		محمد بن عبد الباقی بن یوسف الزرقانی رحمۃ اللہ علیہ	شرح الزرقانی علی المواہب اللدنیہ 12 جلد مکمل عربی	5
		العلامہ ملا علی القاری الحنفی رحمۃ اللہ علیہ	شرح الشفا للقاضی عیاض رحمۃ اللہ علیہ (عربی 2 جلد مکمل)	6
		علامہ یوسف بن اسماعیل النبہانی رحمۃ اللہ علیہ	سعادۃ الدارین (عربی 1 جلد مکمل)	7
		الحافظ الکبیر ابی نعیم الاصبہانی رحمۃ اللہ علیہ	دلائل النبوۃ (عربی 1 جلد مکمل)	8
		الشیخ [illegible] رحمۃ اللہ علیہ	تفسیر روح البیان فی حقائق القرآن (عربی [illegible] جلد مکمل)	9
		محمد بن عبد الباقی بن یوسف الزرقانی رحمۃ اللہ علیہ	شرح زرقانی علی الموطا امام مالک (عربی 4 جلد مکمل)	10
		الدکتور عاصم ابراہیم الکیالی الدرقاوی رحمۃ اللہ علیہ	مجموع لطیف انسی (مجموعہ 30 رسائل) (عربی 1 جلد مکمل)	11
		الامام [illegible] رحمۃ اللہ علیہ	مصباح الظلام فی المستغیثین بخیر الانام ﷺ (عربی 1 جلد مکمل)	12
		الامام ابن الحاجب المالکی رحمۃ اللہ علیہ	شرح مختصر المنتہی الاصولی (عربی 3 جلد مکمل)	13
		مولانا جلال الدین رومی رحمۃ اللہ علیہ	فیہ ما فیہ (فارسی 1 جلد مکمل)	14
		الامام الطحاوی رحمۃ اللہ علیہ	احکام القرآن الکریم للطحاوی (عربی 2 جلد مکمل)	15
		الامام ابن حجر العسقلانی رحمۃ اللہ علیہ	العجاب فی بیان الاسباب (عربی 1 جلد مکمل)	16
		حضرت شیخ سید علی بن عثمان ہجویری رحمۃ اللہ علیہ	کشف المحجوب (فارسی 1 جلد مکمل)	17
		العلامہ فضل رسول بدایونی رحمۃ اللہ علیہ	المعتقد المنتقد والمستند المعتمد (عربی 1 جلد مکمل)	18
		الامام بدر الدین ابی عبد اللہ محمد بن بہادر الزرکشی رحمۃ اللہ علیہ	البرہان فی علوم القرآن (عربی 2 جلد مکمل)	19
		الشیخ ابراہیم الباجوری رحمۃ اللہ علیہ	[illegible] (عربی 1 جلد مکمل)	20
		العلامہ الشیخ عبد الغنی بن اسماعیل النابلسی رحمۃ اللہ علیہ	[illegible] شرح عمدۃ المصلی (عربی 1 جلد مکمل)	21
		الامام سعد الدین التفتازانی رحمۃ اللہ علیہ	شرح المقاصد (عربی [illegible] جلد مکمل)	22
		الامام ابو شکور السالمی الکشی رحمۃ اللہ علیہ	تمہید ابی شکور السالمی (عربی 1 جلد مکمل)	23

قیمت ([illegible])	قیمت (سفید کاغذ)	مصنف	نام کتاب	نمبر شمار
		الامام عبدالوہاب شعرانی رحمۃ اللہ علیہ	الیواقیت والجواہر [illegible] (عربی 1 جلد مکمل)	24
		المحقق جلال الدین الدوانی الصدیقی رحمۃ اللہ علیہ	شرح عقائد جلالیہ اول ودوم (عربی 1 جلد مکمل)	25
		الحافظ محمد بن عبدالرحمن السخاوی رحمۃ اللہ علیہ	المقاصد الحسنۃ (عربی 1 جلد مکمل)	26
		علامہ الحافظ محمد بن عبدالرحمن السخاوی رحمۃ اللہ علیہ	القول البدیع فی الصلوۃ علی الحبیب الشفیع (عربی 1 جلد مکمل)	27
		امام احمد بن عبداللہ طبری رحمۃ اللہ علیہ	الریاض النضرۃ فی مناقب عشرۃ (عربی 1 جلد مکمل)	28
		الدکتور اسماعیل یعقوب	علم النحو (عربی 1 جلد مکمل)	29
		المحدث احمد بن حجر الہیتمی المکی رحمۃ اللہ علیہ	الصواعق محرقہ مع تطہیر الجنان واللسان (عربی 1 جلد مکمل)	30
		علامہ یوسف بن اسماعیل نبہانی رحمۃ اللہ علیہ	جواہر البحار فی فضائل النبی المختار ﷺ (عربی 4 جلد مکمل)	31
		علامہ شہاب الدین الخفاجی رحمۃ اللہ علیہ	حاشیۃ الشہاب علی البیضاوی (عربی 8 جلد)	32
		جمال الدین احمد القابسی الغزنوی رحمۃ اللہ علیہ	الحاوی القدسی (عربی) 2 جلد مکمل	33
		سیدی احمد زروق رحمۃ اللہ علیہ	شرح الحکم [illegible] رحمۃ اللہ علیہ (عربی 1 جلد مکمل)	34
		امام زیلعی رحمۃ اللہ علیہ	نصب الرایہ تخریج احادیث الہدایہ (عربی 5 جلد مکمل)	35
		السید شریف علی بن محمد الجرجانی رحمۃ اللہ علیہ	شرح المواقف (عربی 4 جلد مکمل)	36
		شیخ عبدالحق محدث دہلوی رحمۃ اللہ علیہ	شرح فتوح الغیب (فارسی 1 جلد مکمل)	37
		شیخ عبدالحق محدث دہلوی رحمۃ اللہ علیہ	مدارج النبوۃ (فارسی 2 جلد مکمل)	38
		شیخ عبدالحق محدث دہلوی رحمۃ اللہ علیہ	جذب القلوب الی دیار المحبوب ﷺ (فارسی) 1 جلد مکمل	39
		شیخ عبدالحق محدث دہلوی رحمۃ اللہ علیہ	شرح سفر سعادت (فارسی) 1 جلد مکمل	40
		شیخ عبدالحق محدث دہلوی رحمۃ اللہ علیہ	اخبار الاخیار مع مکتوبات شیخ محقق	41
		علامہ فضل اللہ تورپشتی رحمۃ اللہ علیہ	المعتمد فی المعتقد 1 جلد مکمل (فارسی)	42
		علامہ معین الدین کاشفی الہروی رحمۃ اللہ علیہ	معارج النبوۃ (فارسی) 1 جلد مکمل	43
		مولانا جلال الدین رومی رحمۃ اللہ علیہ	مثنوی مولوی معنوی (فارسی) 1 جلد مکمل	44
		دیوان امیر خسرو رحمۃ اللہ علیہ	ہشت بہشت (فارسی) 1 جلد مکمل	45
		علامہ بدر الدین عینی رحمۃ اللہ علیہ	عینی شرح کنز (عربی) 1 جلد مکمل	46
		امام ابن ہمام رحمۃ اللہ علیہ	المسامرہ (عربی) 1 جلد مکمل	47
		شیخ العالم آدم [illegible] رحمۃ اللہ علیہ	[illegible] (فارسی) 1 جلد مکمل	48
		امام غزالی رحمۃ اللہ علیہ	کیمیائے سعادت (فارسی) 1 جلد مکمل	49
		ملا غیاث الدین رامپوری رحمۃ اللہ علیہ	بہار باراں شرح گلستان سعدی (فارسی) 1 جلد مکمل	50
		میر عبدالواحد بلگرامی رحمۃ اللہ علیہ	سبع سنابل (فارسی) 1 جلد مکمل	51